

سلسلة رسائل إمامية لموصى بطبعها
" ١٠ "



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



٤٠٠٠١٧٨

الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا

١٢٦١ هـ - ١٣٩٦ هـ / ١٨٤٤ م - ١٩٥٠ م

إعداد

د / عمر سالم عمر بابكور

١٤١٨ هـ

ج) جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ .
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

بإبكور ، عمر بن سالم بن عمر

الاسلام والتحدي التنصيري في شرق افريقيا من عام ١٢٦١ -
١٣٦٩ هـ / اشراف محمد سيد محمد . - مكة المكرمة .

٥٠٤ ص : ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٧ - ١٩٧ - ٠٣ - ٩٩٦٠

١ - الاسلام والتنصير ٢ - المسيحية - افريقيا ٣ - الارساليات التنصيرية

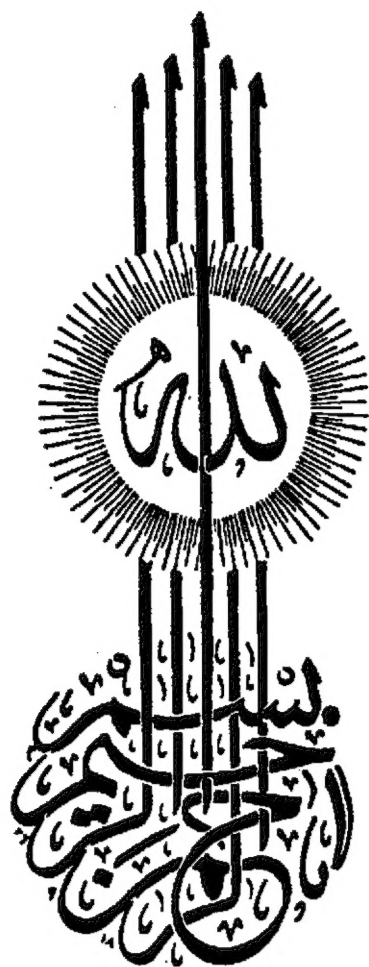
أ - محمد ، محمد سيد (مشرف) ب - العنوان

١٧/٢٤١٨

ديوي ٢٧٥ ، ٣٧

رقم الإيداع : ١٧/٢٤١٨

ردمك ٧ - ١٩٧ - ٠٣ - ٩٩٦٠



هذا العمل هو رسالة دكتوراه في « الإسلام والتحدي
التصيري في شرق افريقيا » من جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . قسم : الدراسات العليا
التاريخية والحضارية .

أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق

مقدمة

الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا
هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده
ورسوله ..

وبعد ...

فقد وقع اختياري على أن أتناول بالدراسة تاريخ منطقة شرق
إفريقية الحديث بتوجيه من الموجه المعين من قبل القسم حيث أن هذه
المنطقة لم تعالج ولم يتطرق إليها إلا القليل جدا ، فضلا عن أن
الأجانب لا تخلوا كتبهم من تشويه الحقائق وتعصب ذميم موروث ،
فوجدت أنني لا بد أن آخذ بالنظرية القائلة بأن توجه البحوث إلى
الجوانب والأركان التي لم تسلط عليها الأضواء بعد ، من تاريخ شرق
إفريقيا في عصورها الحديثة ، وكان اختيارا مبنيا على أساس خطة
تكاملية لتغطية تاريخ الإسلام وما واجه من تحديات في تلك المنطقة
من شرق إفريقية في العصور الحديثة، فهي لم تلق حظا من البحث
والتنقيب ومن ثم اخترت موضوع بحثي لنيل درجة الدكتوراه عن :
الإسلام والتحدي التصيري في شرق إفريقية في الفترة من ١٢٦١-
١٣٦٩هـ / ١٨٤٤ - ١٩٥٠ " حيث أن هذا الموضوع لم يدرس من

قبل بطريقة علمية موضوعية هذا بالإضافة إلى ندرة الكتب باللغة العربية عن شرق إفريقية إذا استثنينا بعض كتب الرحلات وهي غالباً لا تكون مستوفاه في حين توفر الكثير من الكتب التي صدرت باللغات الأوروبية في هذا الموضوع وهي كتب كما أسلفت لا تخلو من تسوية للحقائق في أكثر أحوالها ولا تخلو من تعصب موروث .

ويقصد بشرق إفريقية في هذا البحث المنطقة التي تشغلها الآن دول كينيا وأوغندا وتنزانيا وهي مساحة هائلة من الأراضي حوالي ١,٨ مليون كيلو متر مربع ، وتمتد من دائرة عرض ٤ درجة شمالاً في دائرة عرض ١٠ درجة جنوباً كما تمتد بين خطي الطول ٣٠ و ٤٠ درجة شرقاً ، وسميت المنطقة شرق إفريقية لأن الطابع الذي يميزها تستمد من موقعها الجغرافي في شرق القارة .

وكانت بداية الحملات التنصيرية في شرق إفريقية واكبت بداية الاستعمار الأوروبي لهذه المنطقة إذا كانت الكنائس ، وهيئاتها التنصيرية تمهد الطريق لاستعمار البلدان الإفريقية ، ولتجارب العقائد والديانات السائدة فيها ، ولتهنيئ النفوس للخضوع للإستسلام ، والرضا بالأمر الواقع ، وتنفيذاً لهذه الغاية ووصولاً إلى بسط السيطرة على القارة الإفريقية شكلت عدة تنظيمات وهيئات تنصيرية تسعى في ظاهرها إلى تقديم خدمات إنسانية لأهالي المنطقة ، وفي باطنها إلى

بث السموم التصيرية في نفوسهم ، فالكنائس الأوروبية رغم تباين مذاهبها وإعتقاداتها الروحية إلا أنها تتحد في غايتها المنشودة ، ألا وهي نشر المسيحية في المناطق المستعمرة ، بغية رصوخها للسيطرة الاستعماري ، وما أن تأسست تلك الجمعيات التصيرية في الغرب حتى نشطت في بث مفاهيمها ومعتقداتها بين أبناء القارة ، وانتشرت في المجتمعات الإسلامية بمساعدة الحكومات الاستعمارية ، وهذا يخالف نشر الدعوة الإسلامية ، فالدعوة الإسلامية انتشرت في أغلب البلاد بمجهودات فردية بسيطة ، أما الدعوة إلى النصرانية فإنها اعتمدت على قوة السلاح في أغلب الأحيان وقوة المال حيث تحشد طاقات هائلة ومنافع مادية لاجتذاب الأهالي ويدرك النصاري أن دعوتهم بدون هذا لا يمكن أن تصل إلى الشعوب أو تجد معتقدين جدداً، كما يصرح أحدهم إذ يكون إن الإسلام لم يكن له دعاة مخصصون يقومون بالدعوة إليه وتعليم مبادئه كما في المسيحية ، بل اعتمد نشر الدعوة الإسلامية على جهود فردية ، إن التحديثات التي يواجهها المسلمون في شرق افريقية كثيرة ومتشعبة منها :

اصطياد الشبان المسلمين في المجال التعليمي والحرف

الييدوية.

التي قد تساعده في معيشته في المستقبل ومن أجل تحقيق ذلك فتحت المدارس المتطورة ، التي تقبل فيها كل طالب بدون استثناء لتسهل له كل وسائل التعليم والتدريب المهني من ناحية ، وإفساده أخلاقيا بدعوى التمدن والتطور ، من ناحية أخرى ، ومن هنا يبتعد هؤلاء عن قيم الإسلام وأخلاقياته السامية فتصبح المحرمات شيئا مألوفا ، بوصفها نوعا من التمدن والتطور بالإضافة إلى الإعراض عن الواجبات ، حتى لم يبق من صفات الإسلام إلا الاسم (١) .

اجتذاب بسطاء المسلمين إلى الاقتراب منهم وغرس روح المودة فيهم ، وإغراء بعض الشباب للدخول في حظيرتهم لأنهم يقومون في نفس الوقت ببناء المدارس والمستشفيات المتطورة المزودة بأحدث المعدات ، والملاجئ وقبول الأيتام والمعوقين فيها بجانب توزيع الطعام والكساء على الفقراء (٢) .

ويمكن مشاهدته تقدم النشاط التنصيري من خلال تشييد الكنائس المختلفة في كافة أرجاء مناطق شرق إفريقيا ، في المدن

(١) هذا ما شاهدته أثناء رحلتي العلمية التي قمت بها لمناطق شرق إفريقيا وخاصة في نيروبي حيث ذهبت إلى جامعة نيروبي وشاهدت بنفسني إختلاط الشبان بالشابات في الحديقة وإرتكاب المحرمات على مرأى من الناس بلا حياء أو خجل .

(٢) هذا ما شاهدته أثناء رحلتي العلمية التي قمت بها إلى كينيا وخاصة في نيروبي إذا أنشأوا ملجأ اسمه مامنجنجا ، حيث وفروا فيه جميع وسائل الراحة .

والقرى حتى في القرى الإسلامية بدأ تشييد الكنائس ، ومن هنا ندرك مدى التطور النشاط التصيري ، وقد يشاهد الإنسان كنائس في الأحياء الإسلامية من مدن البلاد ، وقد يحاط المسجد الواحد بعدة كنائس أو مدارس تنصيرية وتعد هذه أهم المشكلات التي تواجه المسلمين ، وهي عملية بناء الكنائس في قلب الأحياء الإسلامية ، وكثير منها بجوار المساجد وقد يتم بناء كنيسة في الأماكن التي لا يعيش فيها أي مسيحي ، اللهم إلا بعض الموظفين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة ، ويتم استخدام المسيحيين إليها من المناطق الأخرى عند إقامة القداس الديني ومما لا شك فيه أن هذه الأوضاع تؤلم المسلمين حتماً ، لأن تلك التصرفات لا تراعي مشاعر المسلمين من ناحية ، وتؤثر سلباً في معنوياتهم من ناحية أخرى ، إن القيام بدراسة شاملة لمشاكل المسلمين أمر تفرضه علينا الأخوة الإسلامية ، لأن دراسة المشاكل من أساسها قد تفتح الطريق أمام تشخيص لب المشكلة ، حتى يمكن معالجتها على أساس تلك الدراسة ، وبذلك قد نصل إلى العمل المثمر المرجو لمساعدة إخواننا المسلمين في شرق إفريقيا ، وإذا كانت هناك دول إسلامية تتطلع إلى التضامن الإسلامي فإن من واجب الأفراد أيضاً فيما بينهم لحماية أبناء المسلمين من الضياع ، خاصة في مجال تعليم المبادئ الإسلامية وتلقين العقيدة

الصحيحة الخالية من الشوائب والرواسب الدخيلة ، التي تسللت إلى الإسلام ، وهي خارجة عنه والإسلام برئ منها ، خاصة في هذا العصر الذي كثر فيه أعداء الإسلام .

إن ما تحتاجه الشعوب الإسلامية في هذه المنطقة اليوم هو الوعي الصحيح بدينها وقيمها الإسلامية ، وتأکید انتمائها إلى الأمة الإسلامية ذات الحضارة العريقة ، وهناك فرصة عظيمة لتقديم الحقائق عن الإسلام في نطاق العمل الجاد ، لإطلاع الشعوب الإسلامية في المنطقة على تاريخ الإسلام الحقيقي عن طريق التدريس في المدارس والمعاهد وعن طريق الندوات العلمية ، أو مؤتمرات إقليمية لطرح حقيقة الإسلام ، وحضاراته في الماضي والحاضر ، وندوات تقدم صوراً حية واقعية للإسلام والمسلمين وأن تتوفر فيها وسائل حديثة تنقل إلى الكثيرين ، وأن تبذل الجهود في سبيل نشر الدعوة لحماية المسلمين أو لا ، ونقل الدعوة إلى مسامع الآخرين بتوفير كافة الوسائل المتاحة لذلك .

وينبغي أن يضع كل مؤرخ نصب عينيه أن المعركة التي شنها الاستعمار هدفها محو تراثنا وتشويه تاريخنا في أكثر من بقعة في العالم شرقية وغربية وهي نفس المعركة التي نعيشها اليوم ، وإذا كانت تلك المعارك وعلى اختلاف أشكالها وتباين أساليبها قد ساعدها

من قريب أو بعيد أولئك الذين اعتنقوا المبادئ الدخيلة على الإسلام ،
أو أعداء الدين الحنيف فإن الخطر الذي ينجم عن مكائدهم أمر لا بد
من الإحاطة بأساليب نشاطهم فيه ، ولا بد من الإحاطة بأساليب
نشاطهم فيه ، ولبي من إدراك فعالية هذه الأساليب ، فهذه معالم
الإسلام في إفريقية الشرقية تتمحي يوماً بعد يوم ، فحكومة إسلامية
هي سلطنة زنجبار بعقيدتها ودستورها تم محوها تماماً من الخارطة
في صيف ١٩٦٤ م .

إن منطقة ششرق إفريقية تعرضت للهجمة الصليبية
الاستعمارية منذ منتصف القرن الماضي ، ومن الواضح أن
المنصرين والسلطات الاستعمارية كانا يعملان جنباً إلى جنب في
تناسق وتضامن تام ، وقد كانت الدول الأوروبية وفي مقدمتها
بريطانيا من أكثر المعارضين لامتداد النفوذ الإسلامي في إفريقية
وبخاصة في الشرق الذي تميز بموقع إستراتيجي فيه بالنسبة لأطماع
الدول الاستعمارية ، وبالتالي كانت الإرساليات التنصيرية هي مقدمات
الاستعمار وتوابعه المهددة له وقد اعتمد عليها في تركيز وجوده ليس
فقط في خلال فترة الاحتلال بل لاعداد ركائز تبقى بعد جلانه عن
طريق أجيال تستقطب مفاهيمه وقيمه ، ولعل من أخطر الأهداف التي

أولتها حركة التصير أهمية قصوى هو عزل الأمة الإسلامية عن ثقافتها وذاتيتها ومزاجها النفسي.

وهكذا نفذت خطوات الاستعمار ومخططاته الواحدة تلو الأخرى حتى تقلص الحكم العربي في منطقة الشرق الإفريقي ، لذلك كان من الطبيعي أن تقوم حركات مقاومة ضد هذا الاستعمار الصليبي.

وليس كل هذا الذي أشرت إليه سوى بعض ما يجب أن تبادر إليه الحكومات والهيئات في العالم العربي الإسلامي بالنسبة إلى الشعوب الإفريقية ، كي تستطيع أن نقف في وجه الزحف الصهيوني والشيوعي ، وأن تهض وتقضى على التخلف وإن لم تسارع إلى ذلك فلن تكون إفريقية قد ربحت شيئا من استقلالها وستكون النتائج كأسوأ ما تكون لا بالنسبة إلى الأفارقة فحسب ، وإنما بالنسبة إلى المسلمين جميعا ، قال تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) ، وقال رسول الله ﷺ : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد لا واحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى " .

وقد وجدت أنه من الواجب أن أستقى معلوماتي لهذا البحث من منابعه الأصلية التي تتمثل في الوثائق الإنجليزية والوثائق الموجودة في منطقة شرق إفريقيا ، وكذلك المصادر والمراجع الأجنبية ، فضلا عن المراجع العربية وخاصة كتب الرحالة والباحثين المعاصرين لتلك الأحداث ، فقامت برحلة علمية إلى لندن وتمكنت بفضل الله من الحصول على كثير من الوثائق الأصلية والمصادر من:

محفوظات السجلات البريطانية العامة

Public Record Office

المكتبة البريطانية

The British , Reference Division

ومحفوظات جمعية الكنيسة التبشيرية

Church Missonary Society

وأخذت في اعتباري أن الوثائق البريطانية ليست مما لا يرقى إليها معينة ، إلا أنها مع ذلك تحمل في طياتها معلومات هامة ، فترجمتها بدقة وعناية ، وتفحصت ما تحويه ، وما تهدف إليه ، وأخذت ما يفيدني منها في بحثي ، ثم عرجت في رحلتي العلمية تلك إلى نيروبي ، حتى قمت بزيارة إلى جامعة نيروبي وتمكنت بفضل

الله من الحصول على الكثير من المصادر والمراجع الأصلية الهامة المتعلقة بموضوع البحث ، ثم عرجت على المحفوظات الوطنية الحكومية كينيا

Kenyq - National Archives

للإطلاع على الوثائق الموجودة هناك ومن نيروبي سافرت إلى ممباسا التي تبعد عنها حوالي خمسمائة كيلو متر وهي على الساحل حيث أن موضوع البحث يتطلب مني الوقوف على رأي العلماء والدعاة في الساحل من الغزو التنصيري في المجتمعات العربية الإسلامية ، فقامت بزيارة لعدد كبير من الدعاة والجمعيات الإسلامية الموجودة في الساحل ، في ممباسا وماليندي ولامو ، وكان من ضمن الجمعيات الغسلامية التي قمت بزيارتها أثناء رحلتي العلمية جمعية أنصار المسلمين من ممباسا قد تمكنت من مقابلة رئيس الجمعية الشيخ عوض مبارك باخميس ، وهو من مواليد ممباسا عام ١٩٢٥م ، وبعد أن وقفت منه على معلومات عن نشاط الجمعية ، وعن موقف الدعاة في الساحل من الغزو التنصيري في المجتمعات العربية الإسلامية ، حثني بالعودة إلى نيروبي للإطلاع في المحفوظات الوطنية على المزيد من الوثائق والمصادر التي تتناول التنصير في شرق إفريقية ، وتوسط لي الشيخ الجليل لدى إمارة

ممباسا للسماح لي بتصوير بعض الوثائق الموجودة في المحفوظات الوطنية في نيروبي ، ثم ذهبت إلى ماليندي التي تبعد عن ممباسا حوالي مائتي كيلو متر وتمكنت بفضل الله من إجراء مقابلة مع بعض الدعاة ، ثم عرجت على جزيرة لامو ، التي تبعد عن نيروبي أكثر من ألف كيلو متر هناك ألتقيت بكبار الدعاة والعلماء في أقدم مسجد في لامو وهو مسجد الرياض الذي بناه عام ١٣٠٠هـ الشيخ صالح جمل الليل أحد كبار الدعاة والعلماء في المنطقة ، والذي يعيش أحفاده في لامو في الوقت الحاضر حيث يقومون بالتدريس في هذا الجامع أيضا في أقدم مدرسة في لامو وهي مدرسة النجاح .

ثم سافرت إلى دار السلام عاصمة تنزانيا حيث تمكنت بفضل الله وتوفيقه من مقابلة بعض العلماء والدعاة ، ووقفت على آرائهم من الغزو التصيري في المجتمعات العربية الإسلامية ومنهم الشيخ سليمان عبد الله صالح شقصي من مواليد دار السلام عام ١٩١٨م وهو رئيس جمعية المسلمين بتنزانيا .

ثم بعد ذلك عمدت إلى جمع بعض المعلومات من مراجع ، ومصادر عربية وإفريقية ، مما استطعت الوصول إليه ، وقد حاولت جهدي أن أكون موضوعيا في بحثي فجاءت أحكامي علمية وموضوعية وابتعدت عن الجانب العاطفي في الموضوع ، واعتمدت

في ذلك على الله سبحانه وتعالى ثم على ما توفر لدى من وثائق جيدة، ومصادر ومراجع أجنبية على درجة كبيرة من الوضوح والأتزان ، وأخضعتها جميعا للمقارنة والتحليل العلمي الخاص ، مستعينا بتوفيق الله ثم بمشورة وتوجيهات أستاذي الجليل المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور / محمد سيد محمد جزاه الله عني كل خير وتوفيق .

ومن أهم الوثائق التي أفادت البحث فائدة كبيرة تلك التي أحضرتها من محفوظات السجلات البريطانية العامة الخاصة بوزارة الخارجية البريطانية ، إذ وقفت على الكثير من الملفات والأفلام التي فيها رسائل وتقارير تخص موضوع البحث ، وقد تمكنت بفضل الله تعالى من تصوير معظم الرسائل والتقارير التي تتعلق بالبحث ، ومن هذه الرسائل والتقارير المرسلة من الخارجية البريطانية .

Foreign Office (F.O.)

F. O. 84/1575 , Kiro Granville , 19 Oct. 1888.

F. O. 403/93 , Kirk Earl Granville 28 May 1885.

F. O. 403 / 101 , Zanzibar and East African Trade May 1887.

F. O. 403/226 , Wissmann to Hardinge , 26 April 1896.

F. O. 403/ 196 , Colonel Colville to Hardinge 19 ,
1894 August.

F. O. 84 / 1973 , Salibury to Euan - smith , I Feb.
1889.

Sir. H. Johnstion وأيضاً هناك تقرير مرسل من سير جونستون

السفير من قبل الحكومة البريطانية في منطقة شرق إفريقيا

في ثلاثين صفحة ومحفوظ في وزارة الخارجية تحت رقم F. O.

403/127 حيث يبين لنا دور السياسة الإنجليزية في منطقة شرق

إفريقية ، ودور العرب ومساهماتهم الطبية في منطقة شرق إفريقيا ،

وبحق يعتبر هذا التقرير أفضل التقارير الأجنبية التي كتبت عن منطقة

شرق إفريقيا .

وأيضاً تقرير عن التعليم في شرق إفريقيا (١) Report of

the Comittee on Educational Policy

وقد كتبه عدة أشخاص هم : بل A.F. Bull ، ديكسون

. L. B. Greaves ، جريفز W.S. Cott Dickson

حيث شرحوا فيه منجزات التعليم في شرق إفريقيا خلال فترة

الاستعمار وأوردوا عدداً من إحصائيات التي تبين فيها مقدار ما

(١) انظر ملحق رقم (١) .

صرف على الناحية التعليمية في سبيل تنصير شباب وشابات منطقة شرق إفريقية ، وذلك لإبعادهم على الدين الإسلامي .

وأيضاً تمكنت من الحصول على مخطوطة مصورة بالميكورفيلم في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم ٣٤٣ عن تاريخ عمان في شرق إفريقية ومساهمة البريطانيين في تأريخ المنطقة ، وفيها الوثيقة التي وقعها السلطان برغش مع القنصل البريطاني في شرق إفريقية جونكيرك John Kirk ، وقد أخذت صورة لهذه الوثيقة^(١).

ومن بعض الرسائل والتقارير التي تمكنت بفضل الله من تصويرها من وزارة المستعمرات Colonial Office واختصارها C.O. ما يلي :

C. O. 4816, Despatch Fro ; H. M. Agent and Consul Geseral at Zanzibar, 1909.

C. O. 688 , Zanzibar Government , Annual Report for 1910 and 1912.

(١) انظر ملحق رقم (٢) .

وأيضاً الوثائق والتقارير الموجودة في جمعية الكنيسة

التصيرية وهي Church Missionary Society واختصارها

C.M.S. ما يلي :

C. M. S. File on A5 / 017 , price to Hutchison 19 July 1873.

C. M. S. File on 1897 / 313 peel to Baylis 12 April 1901 .

C. M. S. Extracts , Annual Letters of Missionary, 1896.

C. M. S. Proceedings , 1911 - 1912 .

وأيضاً اعتمد البحث على مجموعة من الوثائق ما يلي :

K. N. A. Ed 1/431, Telegram Fro; Bleikie to Director of education , Nairobi.

K. N. A. Coast Province 20/136 Hardinge over Report, Nyikadistrict 13 November 1915.

K. N. A. Report , Kilifipolitical Records , Vol. II Annual Report 1910 - 1911.

K. N. A. Bishop W. G. Peel to Hatch , 27 August 1903.

وكانت هذه الوثائق خير معين للبحث لإجلاء كثير من الغموض في عدة جوانب مهمة لم تتطرق إليها المصادر العربية والمراجع الحديثة من قبل وتناولها الباحثون الأوروبيون بكثير من الاختصار وهذه الجوانب هي التفاصيل الدقيقة للتصوير في شرق إفريقيا ، ومعاملتهم للمسلمين في الساحل ، وتفاصيل عمليات الغزو للأقطار الإسلامية ، وضراوة المقاومة الإسلامية التي واجهها الإنجليز والألمان أثناء الاحتلال ، وأعطت هذه الوثائق صورة واضحة عن عمليات القرصنة والنهب التي مارسها الإنجليز قادة وجنوداً ضد تجارة المسلمين ، كما أوضحت تلك الوثائق محاولات الدول الاستعمارية نشر النصرانية في ساحل شرق إفريقيا بواسطة الجمعيات التبصيرية سواء أكانت بروتستانتية أم كاثوليكية وفشل تلك المحاولات لأن هدف تلك الجمعيات التبصيرية لم يكن دينياً فقط فالمبادئ التي جاءوا يدعون الناس إليها كانوا أبعد ما يكونون عن تطبيقها ، ولا شك أن جهل رجال الدين المسيحي وجمهرة المسيحيين بأصول دينهم وضيق تفكيرهم صرف العديدين عن المسيحية إلى الإسلام حتى إن قبائل مسيحية تحولت إلى الإسلام وإن بقيت أسمائها المسيحية تدل على دينها السابق .

وفوق هذا وذاك فإن سياسة المسيحيين التي أتبعوها في اضطهاد مخالفيهم في الدين أو المذهب ، وإجبار الوثنيين على التنصر وأصحاب المذاهب المسيحية المخالفة على اعتناق المذاهب الأخرى ، قد بغض هؤلاء جميعاً في المسيحية ، وجعلهم يتحولون إلى الإسلام اعتصاماً بعدله وسماحته بل إن المسلمين الذين أجبروا على التنصر ظلوا على ولائهم للإسلام واستغلوا كل ما أتى لهم من إمكانيات لنشره (١) .

وأيضاً اعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المصادر الإنجليزية الهامة التي تتعلق بالتنصير في منطقة شرق إفريقيا ومن أهم هذه المصادر التي اعتمد عليها البحث هي كما يلي : كتاب كرايف Krapf بعنوان : Travels and Missionary Lab ours in East Africa, London , 1860.

حيث يعتبر هذا الكتاب مصدراً هاماً لأن مؤلف هذا الكتاب هو أول منصر ألماني يدخل منطقة شرق إفريقيا ، من قبل جمعية الكنيسة التنصيرية ، ويعتبر دخوله للمنطقة بداية العمل التنصيري في الساحل الشرقي لإفريقية ، وذلك في ٤ يناير ١٨٤٤ م .

(١) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين ، طبعة ثالثة ، سنة ١٩٧٠م ، ص ١٤١ .

وأيضاً كتاب مكاي Makay بعنوان Mackay of Uganda
by his Sister London , 1890.

حيث بين لنا دور الإرساليات التبشيرية في أوغندا ونشاطها
في منطقة شرق أفريقية ومقاومة العرب في أوغندا .

وأيضاً كتاب لوجارد Lugard بعنوان: Our The Rise of
East African Empire, two Volumes, London, 1893 .

وأيضاً كتاب Stock بعنوان : Missionary Heroes of
Africa, London , 1898.

وأيضاً كتاب Stock بعنوان : Missionary Heroes of
Africa , London , 1898.

حيث يوضح لنا بعض الأعمال الإرساليات التصيرية في
إفريقية ، ويعتبر مصدراً هاماً إذ أنه عاصر بداية الأعمال التصيرية
في منطقة شرق أفريقية .

وأيضاً له كتاب آخر بعنوان: The History to the Church
Missionary Society Three volumes , London , 1899.

ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر إذ أنه يعطينا تاريخ
أول بعثة بروتستانتينية في منطقة شرق أفريقية ، وأيضاً لأنه عاصر
بداية دخول هذه الجمعية إلى منطقة شرق إفريقية .

وأيضاً كتاب ألفريد تاكر Alfred Toker بعنوان :
Eighteen Years in Uganda and East Africa , Two
Volumes , London , 1908

حيث يصف لنا الأحداث التي وقعت في أوغندا من قبل
الإرساليات التنصيرية ، وأيضاً المقاومة العربية الإسلامية على أيدي
بعض أهالي أوغندا .

وأيضاً كتاب زويمر Zwemer , M, S.

بمعنوان : Evan Gelism To-day Message not
Method London, 1912.

حيث بين لنا دار الإرساليات التنصيرية في جميع الحقول
ومنها التنصير عن طريق التعليم .

وأيضاً كتاب ألفريد سوان Alfred Swan بعنوان :
Fighting the Slave - Hunters in Central Africa ,
London , 1910.

حيث يبين هذا المصدر تجارة الرقيق ، وأحوالهم في كافة
إفريقية ويخصص جزءاً من كتابه عن تجارة الرقيق في منطقة شرق
إفريقية ، والأسلوب الذي يعامل به الرقيق ، سواء كان ذلك من
الأوروبيين أم العرب .

وأيضاً من المصادر الهامة التي اعتمد عليها البحث كتاب

لوقت Lovett بعنوان: A History of the London Missionary

Society London , 1899

حيث أورد تفاصيل بدقة شديدة عن جمعية لندن للتصيرية

البروتستانتية والتي تعتبر من إحدى الإرساليات التصيرية التي

عملت في منطقة شرق إفريقيا .

ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر إذ أنه عاصر بداية

دخول هذه الجمعية في منطقة شرق إفريقيا .

وأيضاً من المصادر الهامة كتاب : بيرسم Peursem بعنوان:

Doctor in Africa London , 1916.

ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر الأجنبية في كشف

طبيعة ومناهج العمل التصيري عن طريق الخدمات العلاجية .

وأيضاً من المصادر الهامة كتاب : ولسون Wilson بعنوان :

The History of the Universities Mission to Central

Africa , London, 1935.

إذ يبين لنا الكاتب دور بعثة الجامعات البروتستانتية لوسط

إفريقية ، ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر الإنجليزية التي كتبت

عن دور بعض البعثات التصيرية البرتستانتية في أفريقية .

- The Britch Inti-Slavery Movement, London 1938 .
- The Exploitation East Africa 1856 - 1890 . York 1947.

وكلها تتحدث عن تاريخ إفريقية والأحداث التي حصلت فيه
من قبل البريطانيين .

وأيضاً عن تجارة الرقيق ، ويعتبر هذان المصدران من الكتب
العامة لأنه عاصر الأحداث .

ومن بعض المصادر العربية الهامة التي اعتمد عليها البحث
هي كما يلي:

* تقي الدين المقرئزي : الإمام بأخبار من أرض الحبشة من
ملوك الإسلام - طبعة مصر سنة ١٨٩٥م .

إذ بين لنا هذا المصدر الوجود العربي الإسلامي في شرق
أفريقية والهجرات العربية في شرق أفريقية .

* القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشاء ، طبعة دار
الكتب ١٩٣٩م .

يبين لنا هذا المصدر الهجرات العربية إلى شرق إفريقية
وأيضاً الإمارات الإسلامية التي قامت فيها .

* جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتاريخية عن إفريقيا الشرقية، نقله إلى العربية الأمير يوسف كمال ، طبعة سنة ١٩٧٢ م .

يعتبر هذا المصدر من أهم المصادر ، حيث عاصر الأحداث والوقائع التي حدثت في منطقة شرق أفريقيا سواء الوقوف ضد التجار العرب أو عرقلة نشاطهم التجاري والإسلامي .

* وأيضاً مخطوط الشيخ حسن أحمد بدوي : عن تاريخ شرق إفريقيا وقد تمكنت من تصوير صفحات المخطوط من نفس المؤلف ذلك أثناء زيارتي العملية التي قمت بها لجزيرة لامو التابعة لكينيا .

* وأيضاً مخطوط الشيخ صالح محمد علي بدوي : بعنوان الرياض بين ماضية وحاضره ، وهو من أحفاد الشيخ صالح جمل الليل الذي بنى أول مسجد في جزيرة لامو علم ١٣٠٠هـ أي قبل حوالي أكثر من ١٠٠ عام وسمي هذا المسجد باسم الرياض ، ويقال أنه من أحد أحياء حضرموت اسمه الرياض ، وسمى هذا المسجد تيمناً به .

وأيضاً أستعان البحث بعدد من العلماء والدعاة في الساحل الشرقي لأفريقية لذلك قمت برحلة علمية لمناطق شرق إفريقيا في كينيا وتنزانيا ، وتمكنت بفضل الله تعالى من الاتصال بالعلماء والدعاة في تلك المناطق ووقفت على آرائهم من الغزو التصيري في الساحل وزنجبار ، ومن ضمن الدعاة والعلماء :

الشيخ أحمد مشهور الحداد في ممباسا داعية .

الشيخ أمين على هناوي في ممباسا " رئيس جمعية الاتحاد

الوطني لمسلمي كينيا " .

الشيخ علي محمد عثمان الحداد في ممباسا " داعية في المسجد

الهداية " .

الشيخ عوض مبارك باخميس في ممباسا " رئيس جمعية أنصار

المسلمين " .

الشيخ أحمد عبد الرحمن المليباري في ممباسا " مدرس قرآن في

المساجد وداعية إلى الله تعالى

وأيضاً مدير مدرسة الفلاح

الإسلامية في ممباسا " .

الشيخ سليمان عبد الله شقصي في دار السلام تنزانيا رئيس جمعية
المسلمين بتنزانيا .

الشيخ علوي محمد بافقيه في لامو ، داعية وإمام مسجد
الرياض ومدرس في مدرسة
النجاح في لامو .

الشيخ أبو بكر المحضار في لامو داعية إلى الله ، في لامو
الشيخ محمد عبد القادر في لامو .

الشيخ عمر محمد سعيد الأوسي في ماليندي " الأمين العام لشباب
الاتحاد الوطني لمسلمي كينيا .

أما بالنسبة لرسالتي هذه التي أتقدم بها لنيل درجة الدكتوراه
فهي تحتوي على مقدمة وخمس فصول وخاتمة .

وأحتوت المقدمة على دراسة لأهم الوثائق والمصادر التي
أعتمد عليها البحث.

أما التمهيد وعنوانه :

" الوجود العربي الإسلامي في منطقة شرق إفريقيا حتى
القرن الثالث عشر الهجري " .

فقد تناول العلاقات بين الجزيرة العربية وبين الساحل الشرقي لإفريقية ، ولاشك أن العوامل الجغرافية لعبت دوراً بالغ الأهمية في اتساع وتوطيد الصلات بين العرب بساحل شرق إفريقية ويأتي في مقدمة تلك العوامل قرب موقع شبه الجزيرة العربية من هذا الساحل .

كما تناول الفصل الهجرات العربية إلى شرق إفريقية ، والتي حملت معها بذور الحضارة الإسلامية من دون سائر الحضارات القديمة والحديثة بخلوها من نظام الطبقات البغيض أو الحاجز اللوني الشائن ، بل تنزهت عن شرور الحضارات الأوروبية التي تتادي بتقسيم البشرية إلى أجناس يعلو بعضها فوق بعض طبقات والتي وضعت الحاجز اللوني الذي لا يسمح للرجل البيض أن يندمج ويختلط مع قرينه صاحب البشرة السوداء ، وكان لسمو وترفع الحضارة الإسلامية في هذا المضمار ، والتي حملت الهجرات العربية بذورها إلى الساحل الإفريقي الشرقي ، أكبر الأثر في انتشار الدين الإسلامي بين القبائل والشعوب الإسلامية .

وأيضاً تناول الفصل الإمارات الإسلامية التي قامت في شرق إفريقية ، حيث تبين لنا أن للعرب قبل الإسلام اتصالات بشرق إفريقية ، لكنها كانت تقتصر فقط على عمليات التبادل التجاري وما يتبع ذلك في بعض الأحيان من استقرار مؤقت في المراكز التجارية التي أقامها

العرب لغرض التجارة ، على أن الأمور قد تغيرت تغيراً تاماً بظهور الإسلام ، إذ ظهر عامل آخر غير العامل التجاري نتج عنه محاولة العرب الاستقرار الدائم ، وإقامة كيانات عربية إسلامية ، وكثرة عدد العرب المهاجرين إلى الساحل ، واستقرارهم الدائم فيه .

أما الفصل الأول وعنوانه :

" الإرساليات التنصيرية في شرق إفريقيا " .

فقد درس الإرساليات البروتستانتية والكاثوليكية فمن ضمن الإرساليات البروتستانتية جمعية الكنيسة التنصيرية البريطانية وهي أول الهيئات البروتستانتية الإنجليزية التي أهتمت بالتبشير في إفريقية الشرقية ، وأيضاً الإرسالية الجامعية لوسط إفريقية التي تأسست كنتيجة مباشرة لمحاضرة ليفجستون Livingstone في جامعة كامبردج في عام ١٨٥٧م ، وأيضاً جمعية لندن التنصيرية التي تأسست عام ١٧٩٥م وبدأت أعمالها التنصيرية في شرق إفريقيا ، وأيضاً إرسالية الكنائس الحرة المتحدة الأسكتلندية التي اتخذت مسرح نشاطها التنصيري على الشواطئ الغربية لبحيرة نياسا ، إذ عرض المنصر جيمس ستيورات الذي يعمل مع ليفجستون أثناء حملة عام ١٨٦٢م على إرسالة الكنائس أن تقيم محطة تبشيرية ذات طابع

صناعي وتعليمي في شرق أفريقية ، تمجيدا لذكرى ليفنجستون وأختير أول موقع لها عند الطرف الجنوبي لبحيرة نياسا .

أما الارساليات الكاثوليكية :

جمعية الروح القدس ومركز الآباء السود في زنجبار .. فقد تبين أن المبشرين الكاثوليك ظهرُوا أولا في زنجبار في عام ١٨٦٠م وبعد ثلاثة أعوام أنشأت جمعية الروح القدس مركزا لتصيريا دائما في زنجبار عرف بمركز أو محطة الآباء السود .

إرسالية الآباء البيض في منطقة بحيرة فكتوريا وبحيرة تنجانيقا .. فقد مضى المنصرون الفرنسيون في مزاولة أعمالهم ولقوا تأييدا وتشجيعا من الأسقف شارل لافيغري Lavigrie الذي كان يعمل وقتئذ أسقفا في الجزائر ، حيث وضع عام ١٨٦٨م نظام الآباء البيض للتصيري ، وفي ٢٤ فبراير عام ١٨٧٨م أصدر الباب ليو الثالث عشر مرسوما بإنشاء أسقفية في أفريقية الشرقية لتتوليا أعمال التصير بالعقيدة الكاثوليكية وتختص إحداهما بمنطقة بحيرة فكتوريا والأخرى بمنطقة بحيرة تنجانيقا ، على أن تكون هاتان الأسقفيتان تابعتين لأسقفية الآباء البيض برئاسة لافيغري .

وتناول الفصل الثاني :

" مبادرة الإرساليات من النفوذ العربي في شرق إفريقيا " .

وقد بين الوقوف ضد التجار العرب والسواحليين وعرقلة نشاطهم التجاري والإسلامي ، إذ حاول الأوربيون بثتى الطرق طمس معالم التأثير العربي في مناطق شرق إفريقيا ، فحاربوا الإسلام ودعوا عليه ادعاءات شتى افتروا على أهلها ، ورموهم بكل نقيصة ولكن الحقيقة الجلية لا تطمسها الدعاية الزائفة ، ويعرف الإفريقيون جميعاً أن العرب والمسلمين كان رسل الحضارة ، وتركوا حيث حلوا أسواقاً رائجة ومهدوا الطرق ونظموا أساليب الإدارة والحكم ، وابتدعوا وسائل للزراع والحصد .

كما ناقش الفصل أيضاً بالتفصيل ، محاربة اللغة العربية والسواحلية وتشجيع اللهجات المحلية .

وقد تبين أن اللغة العربية عرفت طريقها إلى شرق إفريقيا قبل الإسلام ، لاختلاط التجار والمهاجرين العرب بالأفريقيين ومصادرتهم ، ودخلت اللغة العربية في صراع مع اللغات المحلية ولكن تغلبت على معظم تلك اللغات ، وساعدها على هذا الانتصار عدة عوامل منها :

(أ) العامل الديني : فحيثما انتشر الإسلام ورسخت قواعده انتشرت اللغة العربية .

(ب) القرابة السامية : إذ بين العربية وأخواتها الساميات قرابة في كثير من المظاهر الصوتية اللفظية .

واللغة العربية أصبحت بعد الإسلام لغة دين وحضارة راقيتين، وقد اتخذ انتصارها مظاهر عدة : فقد تحدثت بها بعض الشعوب بالإضافة إلى لغتها الأصلية ، مثل شعب مملكة أوقات في الحبشة ، واكتسبت اللغات الأخرى نسبة كبيرة من الألفاظ العربية زادت أو نقصت تبعاً لعمق تأثير اللغة العربية ، فمثلاً الألفاظ والتعبيرات العربية تعطي من الربع إلى النصف في اللغة السواحلية .

أما الفصل الثالث وعنوانه :

" طبيعة ومناهج العمل التصيري "

وقد تناول بالشرح التفصيلي التصير عن طريق الخدمات العلاجية ، حيث لم يكن للمجتمع في ذلك الوقت ينعم بالرعاية الطبية الحديثة ، والعلاج الوحيد المتوفر في تلك الأيام هو الطب الشعبي ، أضف إلى ذلك أن العلاج الطبي هو أكثر الوسائل قرباً إلى النفوس ، فقد كان مدخلاً وأسلوباً إنسانياً يحظى بتقدير الشعب ويقف حائلاً أمام

ردود الفعل السلبية سواء كانت دوافعها دينية أم سياسية ، وقد ذكر أحد المنصرين : لقد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ووسيلة لتوثيق عرى الصداقة وأداة لتحطيم المعارضة ، لذلك كانت الخدمة الطبية وسيلة تبشيرية ، وليست خدمة طبية مجردة .

كما درس الفصل أيضاً التصير عن طريق التعليم ..

فقد بدأت البعثات التصيرية أول خطراتها نحو إفريقية خلف الاستعمار ، لهذا استمدت منه العون والسلطة وشجعها الاحتلال الأوروبي لإفريقية ليتخذ منها وسيلة لتثبيت نفوذه في القارة الإفريقية ، وكان مجال نشاط البعثات التصيرية أول الأمر يتناول عدداً من الشيخين بالقارة الإفريقية وبدأت الهيئات والمنظمات المسيحية تدعم البعثات التصيرية مادياً فجاءت بجحافل من المبشرين المدربين ، وأخذوا في بناء كنائسهم وتشييد مدارسهم وهبوا الفرص لنشر المسيحية بين تلاميذ مدارسهم ، واستغلوا العديد من الوسائل ضد انتشار الإسلام وعرقلة الدعوى الإسلامية ، ومن أجل ذلك كله كان من واجبننا نحن المسلمين الإنتباه واليقظة وعدم الاستخفاف بما يحدث بنا وبمسيرنا ، ومن الضروري الإسراع إلى التضامن والتعاقد والتعاون فيما بين المسلمين .

وشرح الفصل الرابع وعنوانه :

" دور الاستعمار الأوروبي في دعم العمل التصيري " .
ومنها : السياسة البريطانية : فلقد أكدت إحدى الوثائق البريطانية بأن
هناك دعماً وارتباطاً بين الإرساليات المسيحية والمؤسسات
الاستعمارية ⁽¹⁾ .

وأكد أحد المنصرين على هذا الارتباط حيث قال : " بفضل
الإرساليات المسيحية في عهد الاستعمار فإن الكنيسة المسيحية
موجودة في كل ركن من أركان الدنيا " .

هذا رأي من آراء المنصرين عن طبيعة العلاقة بين العمل
التصيري والاستعمار ، ويمكن أن أقول إن هناك ارتباطاً بين الاثنين
، وقد خدمت القوة الاستعماري العمل التصيري في اتجاهين :

أ- تمهيد الطريق أمامها لممارسة نشاطها .

ب- توفير الحماية لها في ميدان عملياتها .

وأيضاً عالج الفصل السياسة الألمانية ، إذ يتبين لنا أن الألمان
لعبوا كذلك دوراً في الحركة التصيرية في إفريقيا الشرقية ، ومع أن
النشاط الألماني أتجه أساساً صوب إفريقيا الغربية ، ولم تؤسس

⁽¹⁾ F. O. 107 / 51 , Hardinge to Lord Salisbury , 12 April 1896.

جميعات التصدير الألمانية مراكز تصديرية لها في دار السلام ولامو
إلا في عام ١٨٨٧م ، إلا أنه يجب أن لا ننسى أن المنصرين الألمان
الثلاثة كرايف وريمبان وإير هارد كانوا بمثابة الرواد الأوائل في
الحركة التصديرية في إفريقيا الشرقية .

أما الفصل الخامس وعنوانه :

" حركات المقاومة والجهاد الإسلامي ضد التحالف
الاستعماري الصليبي "

فقد تناول الجهاد الإسلامي وطرد المنصرين من أوغندا ،
حيث تحتل أوغندا مركز القلب في إفريقيا ، لذلك وقع عليها الاختيار
التصديري المندفَع لتركيز مواقع الأقدام فيها ، وقد أدركت بريطانيا
هذه الحقيقة منذ أن عدلت عما خطته وقتها من تثبيت كيان قومي
يهودي في أوغندا ، وقد سعت جهدها في إقصاء المسلمين عن دينهم
وذلك بما فرضته عليهم من نظام تجهيل وإبعاد عن البلاد الإسلامية ،
ولكن شعب أوغندا صمم تصميماً أكيداً رغم بذور الشقاق التي بذرها
المستعمر ، على وضع حد للحكم الاستعماري وإنهائه ، وقد نجحت
المقاومة الإسلامية في مساعيها وتمكنت من طرد المنصرين من
أوغندا .

وأيضاً عالج الفصل المقاومة العربية الإسلامية في أعالي نهر الكونغو ونياسا لاند ، حيث شهدت فترة استعمار الألمان والإنجليز لنهر الكونغو مقاومة عنيفة من جانب الأهالي ، وفي مناطق متعددة من القارة الإفريقية ، تجاه توغل العناصر الأوروبية ، كما انتشرت المقاومة تجاه الألمان والإنجليز على سواحل شرق إفريقيا .

وأخيراً شرح الفصل موقف العلماء والدعاة في الساحل وزنجبار من الغزو التصيري في المجتمعات العربية الإسلامية إذ إن رجال الدعوة لم تضعفهم عن أداء واجبهم الحوادث الشرسة من الدول الاستعمارية ، فانغمسوا مع الأهالي في الكفاح واستمروا في الدعوة ، وقد انتشر الإسلام في عامة مدن الساحل ، ولما كان للدعاة جانب كبير من الخبرة الواسعة بعادات الوثنيين وحياتهم ولغاتهم كان تأثيرهم كبيراً ، فزاد ذلك في رغبة الوثنيين في الإسلام فقد كانت الدعوة تتم بالحكمة والموعظة الحسنة وعدم المساس بالعادات المألوفة في مجتمعاتهم القبائلية كل ذلك مما حبيب إليهم الإسلام .

وأما خاتمة الرسالة فقد تناولت أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي كثيرة ولكن كانت أهمها هي :

أن انتشار الإسلام هو أهم الظواهر في حياة الناس في شرق أفريقيا ، وقد كانت إنتشاره تدريجياً ، ابتداءً بالساحل وسكانه ، وكلما ابتعدنا عن الساحل اختلفت درجات إنتشاره .

وكان تغلغل الإسلام بالمخالطة في نفوس الأهالي ، ولم يتخذ وسيطاً له في ذلك بل خاطبهم بنفسه ، ولم يلجأ إلى التعبير العنيف ، بل كان حكيماً حليماً ، تعايش مع العادات والطقوس القديمة ، وأبقى ما لا يضر منها وعدل ما يتنافى مع مبادئه وأسسهِ تدريجياً ، بل وترك الناس أنفسهم يقيمون طقوسهم وشعائِرهم ، ويتخلون عما لا يفيدهم ، وما يتعارض مع إسلامهم فعمت بذلك عملية التحول إلى الإسلام .

وأشتمل على ملحق لنماذج من الوثائق التي اسنعت بها الدراسة وعلى عدة خرائط توضح المدن العربية الإسلامية المطلّة على الساحل الشرقي لإفريقية ، وأيضاً خريطة التوزيع الإداري في كينيا حتى عام ١٩١٢م وأيضاً خريطة توضح نشاط المنصرين والشركات الإمبريالية في نهاية القرن التاسع عشر . وأيضاً عن العرب ونشاطهم في شرق أفريقيا .

أرى أن من واجبي هنا أن أنوه بكل الذين ساعدوني في اجتياز هذه المراحل وأخص بخالص شكري وأمتناني أستاذي

المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور / محمد سيد محمد الذي لم
يخل على بإرشاداته القيمة ، والذي كنت القى منه باستمرار خير
دعم، وخصني طيلة مراحل البحث ، غير مقتصر على الزمن
والمكان الرسميين .

فإليه أقدم خالص شكري والعرفان بالجميل جزاء الله عن خير
الجزاء .

وختاماً لا يسعني إلا أن أقدم شكري الجزيل لكل من مد يد
المساعدة لي ، لإظهار هذا الجهد العلمي المتواضع إلى حي الوجود
خاصة الجامعة الفتية التي أنتسب إليها ، جامعة أم القرى وكلية
الشريعة والدراسات الإسلامية ، وقسم التاريخ الإسلامي وقسم
الدراسات العليا للتاريخ والحضارة الإسلامية والأستاذين الفاضلين
عضوي لجنة الفحص والمناقشة .

راجياً من الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه
تعالى ، وأن تكون هذه الدراسة قد أضافت شيئاً جديداً على فترة هامة
وغامضة في تاريخ شرق إفريقية الإسلامي الحافل بالبطولات .
والله من وراء القصد إنه نعم المولى ونعم النصير ...

تمهيد

الوجود العربي الإسلامي في شرق أفريقيا حتى القرن الثالث عشر الهجري

- أ- العلاقات بين الجزيرة العربية وبين الساحل الشرقي
لأفريقية .
- ب- الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا .
- ج- الإمارات الإسلامية التي قامت في شرق إفريقيا .

(أ) العلاقات بين الجزيرة العربية وبين الساحل الشرقي لإفريقية منذ أقدم العصور .

يقصد بتعبير شرق إفريقية المنطقة التي تشغل في الوقت الحاضر دول كينيا وتنزانيا وهي مساحة هائلة تبلغ حوالي ١,٨ مليون كيلو متر مربع ، وتمتد من دائرة عرض ٤ درجة شمالا حتى دائرة عرض ١٠ درجة جنوبا كما يبين خطي الطول ٣٠ و ٤٠ درجة شرقا، وسميت المنطقة بشرق إفريقية لأن الطابع الذي يميزها تستمدته من موقعها الجغرافي في شرق القاهرة (١) .

ولعل دراسة بعض العوامل الجغرافية والبشرية والاقتصادية لكل من شبه الجزيرة العربية وساحل شرق إفريقية توضح لنا قدم العلاقة بين المنطقتين . فضلا عن النظرية الجغرافية القديمة التي تقول أن شبه الجزيرة العربية كانت امتدادا متصلا لقارة إفريقية في العصور القديمة ، فإن مضيق باب المندب ضيق وتكتفه الجزر ، وأغلب الظن أنه كان في العهود البشرية الأولى أصغر مساحة كما كانت القارتان أشد تقاربا (٢) ، والمسافة التي تحول دون اتصالهما لا

(١) إبراهيم زرقانة : العائلة البشرية ، ص ٢٩٥ ، القاهرة ١٩٥٠ م ، محمد عبد الغني سعودي : إفريقية . دراسة في شخصية الأقاليم ص ٢٤٥ .

(٢) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الإفريقية ، ص ٩ .

تزيد عن خمسة عشر ميلا (١) ، إذن لم يكن هذا المضيق في يوم من الأيام مشكلة تعوق انتقال الجماعات الأولى من جنوب الجزيرة العربية إلى الجانب الغربي لهذا المضيق فقد كان باب لدخول سلاطات وثقافات وموجات بشرية متتالية عبر القرون (٢) .

ويرى علماء الجيولوجيا أن الجزيرة عبارة عن تكملة طبيعية لصحاري إفريقية التي يفصلها عنها الآن منبسط وادي النيل ومنخفض البحر الأحمر والذي تجزم به الدراسات لعصور ما قبل التاريخ حيث أثبتت هذه النظرية إثباتاً قائماً على الدقة والتمحيص .

ورواه التاريخ وثقافته من شرقيين وغربيين يرون أيضاً دلائل على الصلات التي قامت بين البحيرة العربية وإفريقية منذ آماذ سحيقة في القدم (٣) ، وقد انفصلتا في العصور السحيقة إلى حالهم اليوم وذلك بفعل العوامل الطبيعية من الهزات الأرضية والزلازل (٤) .

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب ، ص ٤٠ .

(٢) نوال علي محمد عبد العزيز : العرب في شرق إفريقية منال قرن الثامن الميلادي حتى تدخل البرتغال في القرن الخامس عشر الميلادي ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، في جامعة القاهرة ، ص ٣١ .

(٣) محمد أحمد مشهور الحداد : حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقية الشرقية ، ص ١٥١ .

(٤) صالح محمد علي بدوي " شيخ باحسن " : الرياض بين ماضية وحاضرة ، ص ٦ ويقصد بـ " الرياض " مسجد في جزيرة لامو الذي بنى قبل ١٠٠ عام وقد بناه الشيخ باحسن ، وهو من حي الرياض في حضرموت ولذلك سمي الكتاب بالرياض .

وتلتحم إفريقية بالجزيرة العربية عن طريق البحر الأحمر الذي يمثل حلقة اتصال أكثر من كونه مانعا طبيعيا ، لذا لعب دورا هاما في التنقل البحري ومازال دوره غير خفي ، وأخذ أسماء عربية مثل بحر الجار ، وبحر القلزم ، وبحر جدة ، وبحر ينبع ، وبحر اليمن ، ولقد سهلت معابر البحر الأحمر انتقال الإسلام إلى شرق إفريقية (١) .

ومن ناحية دراسة الإنسان الطبيعية في شرق إفريقية ، نرى أن سكان الساحل والجزر التي تمتد عليه من عدد كبير من زعماء القبائل وعائلاتهم في الداخل قد امتزجوا بالدم الآسيوي ، كما نجد السواحليين الذين يعتبرون إحدى السلالات الفرعية في إفريقية يدعون بأن أجدادهم جاءوا من بلاد فارس في القرن الثامن قبل الميلاد ، حيث تزوجوا بنساء البلاد ولاحظ في لغتهم الكثير من الكلمات العربية ، كما انتشرت لغتهم هذه في جميع أنحاء إفريقية الشرقية (٢) .

أن صلة العرب بالسواحل الشرقية لإفريقية أقدم وأغرق من صلتهم بغربي القارة ، وترجع الصلة إلى ما قبل الميلاد (٣) ، فقد كان

(١) سيد عبد المجيد بكر : دعوة الحق ، الأقليات المسلمة في إفريقية ، الجزء الثاني ، ص ١٢ - ١٣ .

(٢) ديس بولم : الحضارات الإفريقية ، ترجمة ، عي شاهين : ص ٩٧ .

(٣) أحمد إبراهيم دياب : لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث ، ص ٦٥ .

لقيام دول عربية في اليمن ذات حضارة زاهرة منذ القرن ١٤ ق.م وهي دول معين وسبأ وحمير ، والتي قامت حضارتها وثروتها أساسا من العمليات التجارية البرية والبحرية ، أثر كبير في ازدياد الاتصالات بساحل شرق إفريقية ، فقد كان أهلها يجلبون السلع من الهند وساحل إفريقية ، ثم تنقلها القوافل إلى الشام والعراق ومصر ومع ازدياد التجارة ، وتقدم فنون الملاحة زاد اتصال العرب بالساحل الشرقي لإفريقية (١) .

ولم يستطيع المؤرخون تحديد تساريخ لبدء وصول العرب إلى شرق إفريقية ، ولكن اتفقت آرائهم على قدم معرفة العرب بساحل شرق إفريقية وترجع الأساطير هذه العلاقة إلى زمن قديم ، فتروى هذه الأساطير أن هناك ملكة تسامح عنها الناس في جميع أنحاء العالم في ذلك الوقت ، فتروى هذه الأساطير أن هناك ملكة كانت تدعى ماكيدا ، كانت تحكم الحبشة واليمن التين كانتا تكونان مملكة عظيمة تسامح عنها الناس في جميع أنحاء العالم في ذلك الوقت (٢) ، وإن

(١) سليمان عبد الغني مالكي : سلطنة كلوة الإسلامية ، ص ١١ .

(٢) في تلك الفترة كان العرب يطلقون اسم الحبشة على المنطقة التي تعرف حاليا باسم إثيوبيا وأريتريا والصومال وكينيا ، وكانت حدودها يعوزها الاستقرار سواء من ناحية الشمال أو الجنوب ، مواد كامل : مقدمة كتاب سيرة الحبشة ، ص ٦٥-٦٤ ، وأيضاً محمد محمد أمين : تطور العلاقات العربية الإفريقية في العصور الوسطى ، ص ٣٣ .

هذه الملكة قامت بزيارة سليمان الحكيم ملك بيت المقدس حوالي عام ١٠٠٠ ق.م (١) وانتهت هذه الزيارة بزواجهما منه ، وكانت نتيجة هذا الزواج إنجابهما ولد سمى " ابن الحكيم " أي ابن الحكيم سليمان أو سليمان ابن ملكة سبأ من الملك سليمان (٢) ، وقد ربط الأحمش بين الملك هذا وبين مؤسسي الأسرة الملكية في بلادهم وزعماء أنه هو مؤسس دولة أكسوم في القرن العاشر قبل الميلاد (٣) ، ويكن الأحمش لهذه الملكة احتراماً كبيراً ويعتقدون أنها المسماة " بلقيس " عند العرب (٤) وأسطورة انتساب الأسرة الملكية الحبشية إلى سليمان وبلقيس تدل على قدر هذه العلاقة والاعتزاز والفخر بها ، فعلاقة منطقة الحبشة " شرق إفريقية " بشبه جزيرة العرب ، وبصفة خاصة منطقة اليمن يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ ، فلا يفصل بينهما سوى البحر الأحمر ، والذي يضيق كلما اتجهنا جنوباً حتى يكاد شاطئاه أن يلتقيا ولذلك فإن قيام علاقات بين منطقة اليمن والحبشة أمر طبيعي ، وفي هذا المجال يذكر بعض الباحثين أن كلمة الحبشة ومنها الأحباش يرجع أصلها إلى قبيلة " حبش " العربية وهي أقوى القبائل

(١) Augustus , BURN. :Modern , PATIENTS. 15-16.

(٢) فحي غيث : الإسلام والحشة ، ص ٣٣ .

(٣) عبد المجيد عابدين : بين العرب والحشة ، ص ١٧٠ .

(٤) زاهر رياض : تاريخ إثيوبيا : ص ٣٢ - ٣٣ .

العربية التي هاجرت من جنوب بلاد العرب في الفترة بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد واستقرت في إفريقية ولم يأت القرن الرابع الميلادي حتى غلب اسم هذه القبيلة العربية على المنطقة التي استوطنتها في شمال الحبشة ، بل وعلى الوطنيين أنفسهم (١) ثم أطلق العرب اسم " الحبشة " على جميع المنطقة الممتدة بين النيل غربا والبحر الأحمر شرقا ، ومن النوبة شمالا إلى ما وراء خط الاستواء جنوبا (٢) . كما أن غلة الجعز أو لسان جعز وهو الاسم الذي عرفت به اللغة الحبشية القديمة فتنسب إلى قبيلة الأجاعز وهو الاسم الذي عرفت به اللغة الحبشية القديمة فتنسب إلى قبيلة الأجاعز وهي غحدي القبائل العربية التي هاجرت من اليمن إلى الحبشة واستقرت في الجنوب ولم تثبت أن بسطت نفوذها على سائر البلاد (٣) .

ولم تتقطع صلات الحبشة ببلاد العرب طوال العصور التاريخية ، بل كانت الأيام تزيدها توطدا لأنها علاقات أملتها

(١) Dudge , E.A.W., : A History of the iopia, Nubia and abyssinia, (١)

Vol. I, PATIENTS. 122. عبد المجيد عابدين : مرجع سابق ، ص ١٢ وأيضاً :

(٢) Trimingham , J.S. : Islamin Ethiopia, P.1.

(٣) Budge : op. cit , PATIENTS. 194.

بالظروف المتبادلة وقد توطدت الصلات التجارية إلى أبعد الحدود (١).

من المؤكد أن العرب كان لهم تأثيرهم الواضح في ساحل شرق إفريقية ويدل على ذلك أن الإغريق والرومان أطلقوا عليه اسم عزانيا نسبة إلى إحدى الممالك العربية القديمة وهي مملكة عزام التي يقال : إنها وجدت في منطقة ما من جنوب الجزيرة العربية في فترة سابقة على ظهور الإسلام لم تحدد تحديدا واضحا ، وانتقل سكانها إلى شرق إفريقية حيث نسب الإغريق والرومان الساحل الشرقي لإفريقية لهم فيما بعد ، ولكن مما هو جدير بالذكر أنه على الرغم من معرفة الإغريق والرومان بالساحل الشرقي إلا أنهم لم يتصلوا به كاتصالات العرب ، ثم حدث أنه تعرض العزانيون لغزوات من الشمال وهجرات قبلية غيرت من معالم حضارتهم خاصة حينما وفدت إلى الساحل قبائل الجالا والصومال وغيرهم من الشعوب القرن الإفريقي وأخضعوا المنطقة لنماذج حياتهم وأزالوا ما وجدوه من حضارة قائمة (٢) ، ومع ذلك فقد ظل الاتصال التجاري ينمو ويتسع قبل

(١) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ، ص ٣٨٦ .

(٢) بازل دافيد سون : إفريقية تحت أضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد ص ٣١ .

الإسلام بين الجزيرة العربية وبين موانئ الساحل الشرقي
لإفريقية (١).

كان السبئيون عرب جنوب شبة الجزيرة أول الشعوب العربية
التي وفدت على الساحل الشرقي لإفريقية بغرض التجارة لا للغزو ،
وعلى الرغم من أنهم وفدوا في أعداد قليلة ، إلا أنهم داوموا في
تجارتهم ، اختلطوا بأهل الساحل وتزوجوا منهم ، وأقاموا محطات
تجارية ، في منتصف الألف سنة التي سبقت ميلاد المسيح عليه
السلام ، بدأ الطابع العربي يظهر على طول الساحل ، ولم يفقد هذا
الطابع شخصية المميّزة ، إذ كان يدعم بالوافدين من جزيرة
العرب (٢) ، وكان من الطبيعي أن يؤدي ارتياد التجار العرب ، مناطق
ساحل شرق إفريقية قبل ظهور الإسلام إلى استقرار جماعات منهم
في تلك المناطق لتسهيل عملياتهم التجارية مع السكان الوطنيين ،
وتأسيسا على ذلك نشأت بعض المستوطنات العربية في أنحاء متفرقة ،
لم تأخذ طابعا سياسيا ، وبعبارة أخرى لم يكن لها أي نفوذ على سكان
الساحل ، ولا شك أن أولئك التجار لقوا أحسن استقبال من السكان

(١) جمال زكريا قاسم : الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار ،
ص ٨ .

(٢) بازل دافيد سون : إفريقية القديمة تكشف من جديد ترجمة : نبيل بدر ، ومحمود شوقي الكيال ،
ص ٨٢-٨٣ ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الأصليين ، فطابت إقامتهم معهم ، وأنعقدت بينهم صلات مودة وحسن جوار ، ويدل على ذلك مخطوطة لمؤلف مجهول بعنوان "تاريخ الزنج" أو "كتاب الزنوج" وقام بتحقيقها المؤرخ الإيطالي الأستاذ تشيرولي "Cerulli" حيث تروى هذه المخطوطة أن المهاجرين العرب من شبه الجزيرة العربية ، قد أقاموا عددا من المستوطنات أو المحلات على الساحل ، وزادت الروابط بينهم وبين السكان الأصليين^(١) ، وقد انتقلت التجارة الواسعة في عهد مملكة سبأ من دولة عربية ، إلى مناطق الساحل الشرقي لإفريقية ، ففي القرن الأول الميلادي وهو الوقت الذي تتوافر فيه الشواهد المكتوبة عن حضارة ذلك الإقليم وثقافته ، كان الساحل الذي تقع عليه أراضي كينيا وتتجانيقا يسمى بساحل أوزان عند البحارة^(٢) .

وكانت قد قامت في بلاد العرب الجنوبية حضارات أوزان وقتبان وحضرموت ثم سبأ ومعين وحمير ، وامتد أثر هذه الحضارات عبر باب المندب إلى شرق القارة ، وشملت المنطقة حضارة واحدة ، وسرعان ما سمي الساحل الشرقي بساحل "أوزان وأثيوبيا" وأصبح

(١) مجهول المؤلف : تاريخ الزنج ، مجلة نهضة إفريقية ، العدد ١٢ ، ١٣ لسنة ١٩٥٨م ، ص ٥٧-٦٠ ،
وأيضاً . Oliver and Methew : History of East Africa , PATIENTS .

102-103.

(٢) بازل دافيدسون : إفريقية تحت أضواء جديدة ، ترجمة : جمال محمد أحمد ، ص ٢٤ .

جزءاً من بلاد اليمن ، التي كانت تجمع الأرض الشاسعة من
حضر موت وعدن إلى إثيوبيا ويمتد تأثيرها إلى أجزاء كبيرة من
الساحل الإفريقي الشرقي (١) .

ولعل أقدم المصادر التي تحدثنا عن حالة العرب في ساحل
شرق إفريقية كتاب وضعه أحد الملاحين الإغريق وقد عرف بإسم
الدليل الملاحى للبحر الأريتري " Perplus Maris Erythraci "
والبحر الإريتري كان يطلق على الجزء الغربي من المحيط الهندي
وعلى وجه التحديد الجزء الملامس لسواحل شرق إفريقية (٢) ،
والكتاب من المصادر الهامة في موضوعه الفريد وقد كتب منذ أكثر
من تسعة عشر قرناً وإن كان مؤلفة غير معروف فإنه من المحتمل
أن يكون أحد الإغريق الذين عاشوا في الإسكندرية في القرن الأول
الميلادي " ٦٠ م " (٣) وقد حفل الكتاب بوصف شيق للساحل الشرقي
لإفريقية ووصف حالة العرب وتجارته في المنطقة (٤) ، وأكد أن

(١) عبد الله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٧٠ .

(٢) الترجمة الإنجليزية لذلك الكتاب نشرة Schoff بعنوان :

Periplus of the Erythrean Sea

Oliver , R. The Dawn of African History ,

أنظر :

PATIENTS. 15.

(٣) جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ص ٥٢ .

(٤) بازل داليدسون : إفريقية تحت أضواء جديدة ، ص ١١ .

بعض زعماء الساحل كانوا يدينون بالولاء لدولة حمير في اليمن وتحدث عن العرب فقال أنهم " يالفون أهل البلاد ويتزاجون معهم ويعرفون الساحل واللغة (١) ، وتجيئ سفنهم من الجزيرة العربية ومن كل صوب في المحيط الهندي بالخناجر والرماح والزجاج ، وتقلع من الساحل الشرقي تحمل العاج وقرون الخريت وجلود السلاحف ، ولم يكن اتصال العرب بإفريقية مقصوراً على ساحلها الشرقي ، بل كان أقدم عن طريق سيناء أو المدخل الشمالي الشرقي لإفريقية ، وهكذا شهدت العصور الأولى من فجر التاريخ شعوباً وبطوناً عربية تنطلق من شبه الجزيرة العربية إلى شرق إفريقيا " .

وبعد ظهور هذا الدليل بمئات السنين بقيت المعلومة التي نشرت حول شرق إفريقيا ضئيلة ، ولكنه كان هناك من الشواهد ما يكفي ليروى أن حركة التجارة فيدخل القارة كانت مزدهرة ونشطة حيث كان العرب أول من عرف إفريقيا الشرقية وأول من اتصل بالجماعات البشرية المقيمة على سواحلها وكان مضمون هذا الإتصال التبادل التجاري وتصريف منتجات سكان إفريقيا الشرقية وربطها بأهم مصادر الإنتاج العالمي في الشرق الأقصى ، وقد ساعد على

(١) Coupland R , : East Africa and Its Invaders , PATIENTS. 19.

ذلك عوامل الجوار والتوجيه البحري والتجاري أو بمعنى آخر
المواجهة المكانية للجزيرة العربية أمام إفريقية (١) .

وقد ظهرت التأثيرات العربية بوضوح في المنطقة التي أطلق
عليها العرب ساحل الزنج أو زنجبار حيث كان التجار أقدم من وطئها
وعلى الرغم من أنهم كانوا قلة من الناس يأتون في فترات محدودة إلا
أنه بمضي الزمن بدأ اختلاطهم يشتد بالسكان فتزوجوا من نساء
القبائل وأقاموا عدة مراكز تجارية على الساحل .

ولقد تعاونت القبائل الإفريقية مع العرب في التجارة وشاركوا
في إزدهارها بنصيب ، فكان الرؤساء وزعماء القبائل يأتون إلى
المراكز التجارية التي أنشأها العرب على الساحل ، ومعهم الرقيق
والعاج والذهب ، حيث يقايضون التجارب العرب بما يحملونه من
بضائع ، ونشطت تجارة العرب مع شرقي إفريقية وأزدهرت وأضحت
مراكزهم التجارية التي شيدها على الساحل الإفريقي تموج بالحركة
والحياة وترسو بمرافئها الأساطيل التجارية العربية .

وعلى هذا فقد وصل أهالي الجزيرة إلى شواطئ شرق إفريقية
وأقاموا إقامة مؤقتة في الموانئ بقصد إتمام العمليات التجارية ،
ووصل معهم البحارة ورجال البحر الذين كانوا يعملون في السفن

(١) جمال زكريا قاسم : الروابط العربية الإفريقية الخ ص ٩ .

الشراعية ومن جانب آخر تم الإتصال مع زعماء القبائل ورؤساء الجماعات البشرية المقيمة على السواحل ، وكان مضمون هذا الإتصال هو تداول منتجات النباتات والغابات والحيوانات وأنواع من المعادن كالذهب ^(١) . وفي ذلك يقول بطليموس : إن العرب في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي كانوا قد بدأوا يتجرون مع شرقي إفريقيا بالعاج والعبيد ويصلون بقوافل تجارتهم إلى حدود موزمبيق ^(٢) ، حيث إستقروا في الساحل الشرقي من مقديشيو في الشمال إلى مدينة سفالا جنوبا في موزمبيق ، غى بالتحديد الجغرافي من رأس غوارد إفوي شمالا إلى خليج دلجاو جنوبا وهي المنطقة التي أطلق عليها العرب ساحل الزنج أو زنجبار ^(٣) .

إن الصلات بين سفالا وشبه الجزيرة العربية ترجع إلى زمن بعيد موغل في القدم ، وقد كانت سفالا هي الميناء الوحيد في الساحل الذي يقوم بتصدير الذهب ، حيث كان التجار العرب يأتون إليها للحصول على هذا المعدن النفيس ، مقابل ما يحملونه من سلع ، ثم

(١) جمال زكريا قاسم : الروابط العربية الإفريقية ... الخ ص ٩ .

(٢) محمد عبد الله النقرة : إنتشار الإسلام في شرقي إفريقيا ومناهضة الغرب له ، ص ٢٩ .

(٣) أحمد إبراهيم دياب : مرجع سابق ، ص ٦٦ .

يعودون إلى أوطانهم في شبه الجزيرة العربية (١) ، ثم فضلت بعض الجاليات العربية إستيطان الساحل وإكتفوا بالحزام الساحلي ، وكانت علاقة مميزة ، وكان العرب ذوي نفوذ وسيادة طبيعية ، ولم يسجل لنا التاريخ إحتكاكا دمويا بين العربي والإفريقي عبر القرون الطوال إلا في النادر الشاذ ، والعرب هم أول من إستكشفوا أدغال شرق إفريقيا ، وأول من عرفوا وادي النيل والبحيرات التي تمتد النيل (٢) ، وفي ذلك ذكر جيان " أن بلاد العرب كانت مركز التجارة بين المشرق والمغرب ، وأن العرب هم الذين إستكشفوا لأول مرة تلك البلاد الكائنة جنوبي بوغاز المندب أو لغاية سفالة على الأقل ، ثم أن باقي الأمم لم تصل إلى هذه البقاع إلا بعدهم وبواسطتهم ، كما أن حلول غيرهم كان مؤقتا ، أما العبر فقد تواصل وجودهم بها ، واتجروا مع سكانها واستقر بعضهم في أماكن عرفت كمراكز تجارية مشهورة واتسعت بذلك آفاقهم التجارية ، وكثرت مصادر مواد التجارة ، وتطورت صناعة السفن عندهم وأضحى سفنهم تتخر عباب المحيط الهندي ، حيث تعود محملة بالتوابل من الهند ، والحرير من الصين فيأخذون من كل ذلك حاجتهم في جنوب شبه جزيرة العرب ، وتذهب

(١) Chitick : The East Coast Madagascar and the indian Ocean in Cambridge

Oliver and Mathew : Op. Cit., patients. 102 ; Hist of Africa , P. 201.

(٢) محمد شريف سعيد البيص : طي المراحل في تاريخ السواحل ، ص ١١ .

سفنهم بالباقي إلى أسواق شرقي إفريقية ، لأستبداله باللبان والبخور
وسن الفيل والبن وتراب الذهب من شرقي إفريقية (١) .

وإذا كان الباحثون قد اختلفوا فيما بينهم بشأن حجم الهجرات
العربية إلى الحبشة ، فقد إتفقوا جميعا على أن هناك هجرات عربية
شملت أعدادا من التجار إستقروا على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر ،
في منطقة الحبشة ، وبمرور الزمن تزايدت أعدادهم ، وكونوا مراكز
تجارية في مناطق متفرقة بطريقة تشبه إلى حد كبير ما حدث في
ساحل الزنج ، فتكونت مراكز حضارية عربية ظلت لفترة طويلة على
صلة بالوطن الأم ، وبمرور الزمن إختلط العرب بالمواطنين
الأصليين (٢) ، وكان من نتاج هذا الاختلاط مواطنوا مملكة أكسوم
التي إزدهرت فيما يبدو منذ منتصف القرن الأول الميلادي (٣) ، كما
تدخلت مملكة أكسوم منذ القرن الثالث الميلادي في الصراع الدائر
على السلطة في شبه الجزيرة العربية ، وإلا أن سيطرة أكسوم على
بعض مناطق اليمن كانت منقطعة ، كما أنها واجهت مقاومة محلية

(١) جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقية الشرقية ، ص ٢٦ نقله إلى العربية الأمير يوسف
كمال ، طبعه عام ١٩٢٧م .

(٢) فوزي مكاي : مملكة أكسوم " رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد الدراسات الإفريقية - جامعة
القاهرة " ١٩٧٤م ، ص ١٠ .

(٣) مراد كامل : المرجع السابق ، ص ٣٦-٤٦ ، زاهر رياض : تاريخ إثيوبيا ص ٢٦-٣٤ ، عبد المجيد
عابدين : مرجع سابق ، ص ١٦، ١٧ .

شديدة ، أتخذت في بعض أوقاتها صورة صراع ديني بين اليهودية والنصرانية (١) ولقد إستفاد العرب المسلمون من ضعف مملكة أكسوم، فاستولوا على ميناء مصوع وجزر دهلك المجاورة ، وتروى لنا كتابات العرب أنه في تلك المدة كانت الحبشة تصيطر على معظم ساحل البحر الأحمر ، ولقد إمتد هذا التأثير حتى شواطئ خليج عدن وحتى زيلع على الساحل الشمالي للصومال ، وقد تمكنت جماعة من التجار المسلمين أن تستقر في الأجزاء الساحلية خاصة عند الموانئ (٢) ، وهذا يدل على سهولة الإتصال بين الجزيرة العربية وشرق إفريقية في تلك المنطقة ، وخاصة مع صغر المسافة التي يعبرها المسافر ويقطع بها بوغاز باب المندب (٣) ، وإكتفى العرب بإنشاء المراكز التجارية لتصدير العاج والرقيق ، وقد تعاونت القبائل الإفريقية مع العرب في تلك التجارة حيث كان الرؤساء وزعماء القبائل يأتون إلى الساحل بالعاج والرقيق ، فيقايضون التجار العرب المتعاملين معهم بما يحملونه (٤) .

(١) فوزي مكاي : المرجع السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٩ .

(٢) رولاند أوليفر وجون فيج : موجز تاريخ إفريقية ترجمة د. دولت أحمد صادق ، ص ١٠٣ .

(٣) جلال يحيى : تاريخ إفريقية الحديث والمعاصر ، ص ٢٦ .

(٤) Pearce, Zanzibar : The Island Metropolis of Eastern Africa , London 1920, patients. 34.

وقد كان في شرق إفريقيا ما أغرى العرب بالتردد عليه
بالتجارة من كثرة الخيرات ووفرة مواد التجارة المتنوعة ، والتي
كانت الدول القديمة تلح في طلبها ، ومن يسر الحياة وإعتدل
المناخ (١).

ومن الأسباب الرئيسية أيضاً التي دفعت سكان السواحل
العربية للخروج من شبه الجزيرة العربية وخاصة العمانيون
والحضارمة هو أنهم نشأوا في بيئة بحرية مثالية في جنوب الجزيرة
العربية ، وكان طبيعياً أن يدخلوا إلى شرق إفريقيا في جموعات
صغيرة إنتشرت في المبدأ في بعض الجزر الساحلية الصغيرة مثل
مافيا Mafia وزنجبار Zanzibar وبمبا Pemba وماليندي
Mambassa وممباسا ودارس السلام واستطاعت هذه المجموعات أن
تطبع مناطق واسعة من شرق القارة بلغتها وديانتها وأن تندمج مع
السكان الوطنيين (٢) .

ويذهب الباحثون فيما يختص بالحركة الواسعة لانتشار
الحضارمة في شرق إفريقيا إلى القول بظهور دورة جفاف أو على
الأقل تغيير نسبي في الظروف المناخية إتجهت بالأقاليم نحو أحوال

(١) صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم : زنجبار ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٥ .

(٢) صفى الدين محمد صفى الدين : إفريقيا بين الدول الأوربية ، ص ٥٢ القاهرة ، ١٩٥٩ م .

أكثر جفافاً في الجنوب العربي كما يفترض هنتجتون Huntington أنه بسبب أزمة القسم الشمالي والموسميات في الجنوب العربي تأثرت فيها بدرجة كبيرة توزيعات الضغوط وأنواعها فوق الجنوب العربي ، وأي تغيير في هذه التوزيعات لابد وأن يتبعه على الأقل ضعف أو تحول ولو بسيط في الموسميات الهابة على البحر العربي ، وهذا التغيير أدى إلى نوع من الجفاف في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية مما دفع بالسكان إلى أن يولوا وجوههم نحو البحر إلى شرق إفريقيا (١) .

وهذا الانتشار العربي ما هو إلا طور من أطوار الاتساع العربي الإسلامي ، وإن كان يختلف بعض الاختلاف عما حدث في عصر الفتوح الإسلامية التاريخية إذ لم يكن من عمل دولة إسلامية أو خلافة إسلامية بل كان نتيجة نشاط جماعات عربية على ساحل حزموت (٢) .

وننتج عن إنتقال العرب من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى شرق القارة الإفريقية أن تزايدت المؤثرات العربية في المناطق الإفريقية التي سكنها العرب حتى إنه عندما ظهر الإسلام في شبه

(١) Huzayyin , : Arabia and the Far East , patients. 36.

(٢) Johnston , H.H. : The Opening up of Africa , London 1928 , patients. 146.

جزيرة العرب ، كانت تلك المناطق الإفريقية شبه عربية ، وقطعت في طريق عروبتها شوطا طويلا وتجاوزت ما يمكن أن يطلق عليه المرحلة الاعدادية في طريق العروبة (١) .

ودخل الإسلام منذ فجره إلى طرف القارة الشرقي كما هبط شواطئها دون غزو وعنف بل عن طريق التجارة والهجرة وتم التفاهم مع رؤساء القبائل بالحسنى ، وتبادل المنافع وقوافل التجارة ، وظل كل على طابعة ومعتقدة دون إجبار على إعتناق رسالة القادمين والتقييد بأفكارهم مما شجع القبائل في شرق القارة على مواصلة التعامل مع القادمين كناشرين وداعيين للإسلام ونظمه الإجتماعية ، التي سرعان ما صادفت قبولا لدى القبائل التي تعيش على الفطرة تبعاً لعدالتها وبساطتها ، وتمشياً مع حاجات هذه القبائل وروحها القائمة على المساواة بين الناس مع القناعة (٢) .

ولا شك أن العرب الذين هاجروا إلى ساحل شرق إفريقيا قد إرتبطوا بالسكان الأصليين وصاهروهم ، وتركوا تأثيرات حضارية وسلالية ودينية لازالت حية حتى اليوم ، وتكشف لنا الحفريات التي إقيمت في مناطق متفرقة من الساحل عن الصورة الرائعة التي كانت

(١) محمد خير عيسى : العلاقات العربية الإفريقية ، ص ٣١ .

(٢) أحمد سويلم العمري : الإفريقيون والعرب ، ص ٥ .

عليها تلك المدن والمستوطنات ، ويؤكد ذلك أنه كانت هناك مستوطنة غنية في ماندا بالقرب من لامو (١) ، وأيضاً في زنجبار حيث دخل الإسلام منذ أيامه الأولى تلك المناطق ، على أيدي التجار المسلمين حيث استقر بعضهم فيها ، واختلطوا بأهلها ، الأمر الذي جعلهم دعاة للدين الإسلامي والثقافة العربية ، ورغم أن المعلومات عن زنجبار مازالت تنقصنا خلال القرون الأولى من ظهور الإسلام ، إلا أن الآثار القليلة التي عثر عليها تشير بوضوح إلى الرخاء الذي نعمت به هذه المدينة ، فقد بنى المسلمون بها أبنية من الحجر (٢) .

وإذا علمنا أن المسافة بين " زنجبار " " الوثائق " عدن " لا تتجاوز ١٥٠٠ ميل أدركنا أن الإمتداد العربي لهذه الجهة في شرق إفريقيا كانت شيئاً طبيعياً ، فالقبائل العربية القريبة من الساحل الإفريقي الشرقي أو كما عبر عنها كوبلاند Coupland بالجيران Next door neight bours كان لابد لها من أن تمتد نشاطها وتجارها وتنقل حضاراتها إلى سواحل إفريقيا الشرقية (٣) .

(١) Marsh , Z., and Kingsnorth, G.W: A History of east Africa , An
Introductory Survey, Cambridge 1961, P.22.

(٢) رولاند أوليفر ، جون فيج : تاريخ أفريقيا ، ترجمة عقيلة محمد رمضان ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٤٠ .

(٣) Coupland , R. : East Africa and its Invaders , patients . 155

فانتشار الإسلام إذن جاء نتيجة رحلات كانت التجارة هدفها وغايتها ، ولم يكن له مبشرون يسكرون في البلاد ، ومع ذلك فقد تغلغل بالمخالطة إلى نفوس الأهالي والسكان من الوطنيين ، وأصبحنا نرى أمثلة من الورع والتقوى التي لا تقوم إلا في نفوس شربت الذين في طفولتها ، وروعته تكمن في أنه لم يتخذ وسيطا إلى نفوس الأفارقة ، ولم يجعل لنفسه داعية إلى أفئدتهم ، بل خاطب بنفسه أهل الفطرة ودخل قلوبهم ، ولم يلجأ إلى التغيير العنيف حتى لا ينفر الأهالي منه ، فقد كان حكيما حليما في أنه تعايش مع العادات ، وترك من يريد من الأفارقة يحتفظون بما يشاءون من عادات (١) .

لقد أحدثت سماحة الإسلام إنتعاشا كبيرا في ساحل شرق إفريقية وتوطدت الروابط التي توثق عراها بين الساحل الشرقي والجزيرة العربية ، يدل على ذلك كثرة الزنوج في البلاد العربية ، حيث وقع حكم الخليفة أبو العباس المنصور الملقب بالسفاح حادث ، وهذا الحادث دليل واضح على وجود صلات في ذلك العهد بين العرب وسواحل شرق إفريقية ، ذلك أنه لما ثار أهالي الموصل على العباسيين أمر أخاه بقمع الثورة وكان في جندة نحو أربعة آلاف جندي

(١) سنسر ترمجهام : الإسلام في شرق إفريقية ، ترجمة محمد عاطف النواوي ص ٢٠ .

من زنجبار (١) .

وقد نشرت إحدى الصحف الكينية في ٣/٨/١٩٨٨م مقالا نسبت فيه إلى رئيس قرية " واسيني " في كينيا السيد حميد جمعه إنه يعتقد بأن أصل تاريخ جزيرة "واقومبا" يرجع إلى عام ١٠٠٠م وقد حكم المنطقة في فترة من فترات التاريخ الحاكم مواتا شامبي شيانشي ، الذي شجع سكان الجزيرة على تقبل الدين الإسلامي من التجار العرب الذين أتوا من الجزيرة العربية ، وهناك دلائل تشير إلى استخدام سكان الجزيرة لأدوات منزلية عربية حيث إكتشف وجود الخزف والعملات العربية القديمة (٢) .

ويستفاد من تاريخ ساحل شرق إفريقية منذ القرن العاشر الميلادي حتى القرن الثالث عشر أن مناطق هذا الساحل صارت مألوفة تماماً لعرب شبه الجزيرة العربية ، وفي خلال تلك المدة كان معظم الوافدين إلى الساحل من أهل عمان ، وذلك لأن الصحراء تحدها من الغرب والبحر من الجنوب والشرق وليس لها وسيلة للرزق

(١) Coupland : Op. Cit. P.31.

(٢) Kauli Mwembe : The Island That Resisted Change , in " The Standard, 3 August 1988 , P.P.12-13.

تقع جزيرة واقومبا على الساحل الشرقي لأفريقية ومواجهة للمحيط الهندي .

إلا عالم البحار الواسع ، حيث الملاحة والتجارة البحرية (١) ، على أي حال كانت سفن عام وسيراف التجارية تتردد على ساحل شرق إفريقيا في أوائل القرن العاشر الميلادي ، ويتضح من وصف المسعودي للحركة الملاحية بين عمان وهذا الساحل ، أن عرب الأزدي والسيفيين ، كانوا على دراية تامة بمياة المحيط الهندي ، وأيضاً وصف المسعودي (٢) مياة ذلك المحيط وسكان ساحل شرق إفريقيا قائلاً : " وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى خليج قنبلو (٣) من بحر الزنج ، وفي هذه المدينة مسلمون يعيشون بين الكفار من الزنج ، والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربري ، وهم يعرفونه ببحر بربري ، ... وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب الأزدي ، وينتهي هؤلاء في بحر الزنج إلى جزيرة قنبلو ، وإلى بلاد سفالة ويقطع هذا البحر السيراقيون وهم أرباب المراكب .

(١) Wilson , Arnold , T; The Persian Gulf , London 1973, patients.77.

أنظر أيضاً : جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية : الخ ص ٨٣ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الأول ، ص ١٢٢-١٢٣ ، بيروت ١٩٧٣ ، أنظر أيضاً .

Oliver Mathew : Op. Cit, patients . 106.

(٣) يرجع جيان في كتابة وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقيا الشرقية ، ص ٨٠-٨١ . أن المقصود بجزيرة قنبلو هي إحدى جزر القمر .

ويذكر المؤرخون أن أهل الساحل الشرقي لإفريقية تطلعوا إلى عون الدول الإسلامية ضد الغزو البرتغالي المتكرر على شواطئ البلاد ، فأرسلوا رسالة سرية إلى أمام عمان ، يشرحون له فيها أحوالهم السيئة ، وما يعانونه من غزو المسيحيين الأوروبيين ويطلبون منه أن يمد لهم يد العون ليحرروا ويحما أرضهم وتراثهم ، وكان طبعيا أن يستجيب أمام عمان (١) ، وأن يقدم لهم المعاونة عن طيب خاطر ، قد بعث سلطان بن سيف بالسفن إلى ممباسا لحصارها فلم يوفق إلا بعد جهد طويل حينما أرسل اسطولا غادر مسقط ، وهاجم المستعمرات البرتغالية على الشاطئ ، ولاسيما ما كان منها في زنجبار الوثائق باتا ، ثم وقع في يده حصن ممباسا ، ونصب عليه حاكما هو محمد ابن مبارك (٢) ، واستقر حكم العمانيين في شرق إفريقية وازدهرت التجارة وانتشر التعليم حتى أصبحت زنجبار من أكبر المدن الإسلامية ، وأثرها استقرارا وحيوية ، ولقد نشطت الدعوة الإسلامية بين القبائل الساكنة في الأراضي المجاورة للساحل حيث نجحت الدعوة وكسبت شعوب إفريقية تحولت بعد ذلك إلى جزء

(١) سيد أحمد يحيى : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، ص ٣٢ .

(٢) عبد الرحمن زكي : الإسلام والمسلمون في شرق إفريقية ، القاهرة سنة ١٩٦٥ ، ص ٨٩ .

أصيل من الشعوب الإسلامية (١) .

وبعد أن نجح سلاطين عمان في طرد البرتغاليين من معظم المدن العربية في شرق إفريقيا ، وأصبح العرب آثار عظيمة في تلك المنطقة والتي لا تزال واضحة إلى اليوم ومن أهم تلك الآثار :

١- تطور أحوال أهالي الساحل فقد أخذ العرب بأيدهم في مسالك الحضارة ، وأضفى الإسلام على حياة الذين إعتنقوه طابعاً اجتماعياً واضحاً بعد أن أستعربوا على عكس أهالي المناطق الداخلية الذين ظلوا وثنيين وكان التزاوج المستمر سبباً في ظهور جماعات كثيرة إختلطت دماؤهم العربية بالدماء الزنجية ويمثل هذا الخليط الخيسى " السواحليون " .

٢- كان من تأثير إزدهار التجارة أن عم الرخاء سكان تلك المناطق الساحلية فارتفعت مستويات حياتهم ، وقد بذل العرب جهوداً طيبة في تطوير الزراعة وبعض الصناعات كصناعة التعدين والحلي .

٣- إختلطت اللغة العربية بلهجات قبائل البانتو وتولدت لغة

(١) علي الشيخ أحمد أبو بكر : الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي ، دار أمين ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٦٩ .

السواحلية (١) ، وكانت المستوطنات العربية التي أنشأها العرب على إمتداد الساحل الشرقي لإفريقية أسواقاً نافعة يغشاها الإفريقيون بقصد التبادل التجاري ، وقد إمتدت في كل أجزاء المنطقة (٢) .

وهؤلاء العرب الذين وفدوا على ساحل إفريقية الشرقي كانوا يستمعون بخطوة كبيرة بين الإفريقيين ، حيث تم عن طريقهم إنتشار الإسلام ورسوخه على ساحل القارة ، وقد بقيت للعرب شهرتهم وعلو كعبهم في الحياة العامة على ساحل كينيا ، وفي زنجبار كان السلطة نفسه من العرب العمانيين وكذلك معظم ذوي المكانة والجاه في الجزيرة العربية (٣) .

لذلك تبين لنا في النهاية مدى العلاقة القديمة المتينة التي تربط بين الجزيرة العربية وبين الساحل الشرقي لإفريقية .

(١) عبد الرحمن زكي : نفس المرجع ، ص ٩١ .

(٢) محمد عبد الله النقيرة : إنتشار الإسلام في شرق إفريقيا ... الخ ، ص ٦٣ .

(٣) Sillery , A. , Op. Cit. P. 196 .

(ب) الهجرات العربية إلى شرق إفريقية :

تعرضت شرق إفريقية لسلسلة من الهجرات منذ أقدم العصور ، ومن أشهر تلك الهجرات القديمة موجات العرب الأولى قبل الإسلام إلى مناطق السواحل الشرقية ، وقد تركت هذه الموجات آثارها البارزة في تلك المناطق حتى اليوم ، حيث إصطبغت السواحل الشرقية بالصبغة العربية (١) .

وتدل الشواهد على أن المهاجرين الأول إلى تلك المنطقة كانوا من الحاميين ، الذين نزحوا إليها في موجات متتالية عن طريق باب المندب في حقب غير معروفة قبل الميلاد وطرّدوا الزوج إلى الداخل وإلى الجنوب ، وإمتزج بعضهم بهم ، وعرف هؤلاء الحاميون باسم Kushites (٢) ثم هاجر الساميون إلى تلك المنطقة من شبه جزيرة العرب التي شبهها علماء تاريخ الأجناس البشرية بمستودع بشري ضخم ظل يفيض بهجرات بشرية على مدى التاريخ ، وهاجروا منها على أثر الجفاف بعد إنتهاء العصر المطير وذلك منذ عشرة آلاف سنة (٣) .

وأول موجه من الجاليات العربية قدمت من جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وقد إستوطن هؤلاء العرب الحزام الساحلي وبالأخص لامو ،

(١) محمد عبد العزيز : نهضة إفريقية ، ص ٤٥ .

(٢) . Budge : Op. Cite., Vol. 1 , pp. 129 - 130 .

(٣) محمد عبد الله النقرة : إنتشار الإسلام في شرق إفريقية ص ٣٦ .

ثم بنوا مدنا عديدة تلت لآمو ، ويذكر أن يومبي أقدم بطن قدم إلى لآمو قبل الإسلام وقد جاءوا من ينبع الحجاز بطريق البحر .

ثم جاءت بنو صمصعة بن مالك ثم بنوا مَخْزُوم وهؤلاء يسمون " وكن ميّتي " لأنهم جلبوا الحبوب والبذور من الجزيرة العربية ، ويبعدوا من الوجهة النظرية أن جميع سكان إفريقية ينتمون إلى أصول عربية (١) .

وإذا كانوا المؤرخون لا يختلفون على أن الشرق الإفريقي كان مهجرا للعرب قبل ظهور الإسلام ، فإنهم لا يختلفون كذلك على أن نقاط الارتكاز المهجرى هذه قد تحددت في الفترة السابقة للإسلام ، بحيث أصبحت هذه النقاط تمثل ما اصطلح عليه تاريخيا باسم " دول المدن " .

ذلك لأن نقاط الارتكاز هذه كانت تمثل أرستقراطية تجارية محافظة .

وأول ما يطالعنا من نقاط الارتكاز هذه تلك النقطة التي تحددت بالإسلام ، والتي سميت : يتي ، ومنند ، وبساسة ، وزنجبار ، وكلوا ، والتي كانت تتركز جميعها في تلك المنطقة الجغرافية في الشرق الإفريقي ، وبالتحديد في الجانب الغربي من البحر الأحمر (٢) .

(١) صالح محمد علي بدوي " شيخ باحسن " المخطوط السابق ص ٦ .

(٢) عبده بدوي : مع حركة إسلام في إفريقية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، سنة ١٩٦٧ م ،

ولم يكن البحر الأحمر يمثل عقبة أمام الإتصال بين الجانبين ،
وعبره في كل جزء من أجزائه لكي يكون في يوم من الأيام أمرا صعبا ،
وكانت بلاد اليمن وما يليها في الجنوب والشمال مصدرا لهجرات عديدة أثرت
تأثيراً بالغاً في الهضبة والحبشة وسواحل شرق إفريقيا ، وكانت المؤثرات
السامية تتدفق من الجزء الجنوبي لجزيرة العرب أكثر من تدفقها من وسطه
وذلك لوفرة سكان بلاد اليمن ، وما يليها إلى الجنوب والشمال من جهة ،
ولبراعة السكان في الملاحة من جهة أخرى .

ومن المعروف تاريخياً أيضاً أن عرب اليمن قد هاجروا إلى شرق
إفريقية ^(١) ، وذلك على أثر انهيار سد مارب ^(٢) باليمن سنة ١٢٠م ، حيث
خرجت من جنوب شبه الجزيرة العربية هجرات عربية إلى مختلف الأنحاء
سواء شبه الجزيرة أو خارجها ، وكان من الطبيعي أن يتجه جزء من
الهجرات إلى الساحل الشرقي لإفريقية ، حيث القرب الجغرافي ، والمعرفة
السابقة بالساحل ، مما زاد من التأثير العربي في سكان الساحل من قبائل
البانتو ، ويرى بعض الباحثين أن ازدياد اختلاط العرب بالقبائل الإفريقية منذ
تلك المدة القديمة ، كان بداية لظهور ثقافة مميزة المعالم أخذت من كلا

(١) محمود خيري عيسى : المرجع السابق ص ٣ .

(٢) Pearce , Op., cit ., p 36 .

وهاجرت القبائل العربية التي كانت تتصوي تحت لواء مملكة عزان
بجنوب شبه جزيرة العرب إلى شرقي إفريقية وإستقرت ، وقامت بنشاط جم
في التجارة وغيرها من الحرف حتى عرف ساحلا كينيا وتجنانيقا بساحل
عزان ، كما هاجرت جماعات عربية من تلك القبائل إلى جزر كلوة وبمبة
وزنجبار ، وقد عثر المنقبون في جزيرة زنجبار على عملة من العملات التي
استعملت في عهد قسطنطين الأول في مطلع القرن الرابع الميلادي (٢) ،
ولاشك أن القبائل العربية جلبتها معها ، وشيد هؤلاء المهاجرون العرب
مراكزهم التجارية على إمتداد الساحل ، وجزرة على غرار مدنهم التي أتوا
منها ، فقد عثر الأثري " جارفس ماثيور " في الجزر الكثيرة التي نقب فيها
قريبا من ساحل تنزانيا الجنوبي على كثير من الآثار التي تؤكد إستيطان
العرب من تلك الإنحاء ، من ذلك ما وجدناه في جزيرة " سنجي ياكاتي "
بالقرب من تانزانيا من " منازل صغيرة مستطيلة الشكل من الحجر المتقن
الرصف ، تجمعت كلها منزلا جنب منزل حول قلعة مازالت جدرانها ترتفع

(١) ترمنجهام : أفسلام في شرق إفريقية ، ترجمة محمد عاطف النواوي ، ص ٤٠ .

وأيضاً : جمال زكريا قاسم : إستقرار العرب في ساحل شرق إفريقية ، بحث منشور في حوليات كلية
الآداب جامعة عين شمس ، العدد العاشر ١٩٦٥ ، ص ٢٨٦ .

(٢) Oliver and Mathew : Op. Cit. p.102.

سنة عشرة قدما فوق الأرض وهي أقدم المنازل التجارية في تلك الجزر عشر عليها حتى الآن (١) .

كان الغرض التجاري هو الصفة الغالبة للإستقرار العربي ، وهذا الغرض هو الذي دفعهم إلى اللجوء للساحل والجزر المجاورة له ، وإختيار نقط ممتازة تخدم هذا الغرض التجاري ، ولذلك فاختيار هذا النقط قام على أساس مالها من مزايا تجارية كثغر من الثغور سهل الإتصال بداخل القارة لتقل حاصلات بها إلى هذه الثغور للمتاجرة بها ، وكذلك سهل الدخول إليه من الجزيرة العربية المقابلة للساحل (٢) .

ولقد تبع ظهور الإسلام وإنتشاره خارج الجزيرة العربية في بداية القرن السابع الميلادي أن إندفعت جماعات من العرب من سواحل الجزيرة العربية إلى سواحل شرق إفريقية لا للتجارة بل للإقامة الدائمة ، وبدأ هؤلاء يقيمون المدن على الساحل ، وقد صادفوا جماعات من العرب سبقتهم إلى هناك منذ أزمنة بعيدة ، كما لقوا شعبا سواحليا أسهمت العناصر الوافدة على الساحل في تكوين سماته (٣) .

(١) بازل دافيدسون : إفريقية تحت أضواء جديدة ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٢) بازل دافيدسون : إفريقية تحت أضواء جديدة ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٣) Coupland : East Africa and its Invaders , Patients . 21 ;

وأيضا : جمال زكريا قاسم : إستقرار العرب ، ص ٢٩٩ .

والعرب السواحليون هم مجموعة من السكان تدعى إنتسابها إلى أصول عربية ، وينقسمون إلى مجموعتين ، بالنسبة لمدتيين من أزمان الهجرة، فالمجموعة الأولى تتكون ممن ينتسبون إلى العرب الذين إستوطنوا المنطقة قبل وفود العمانيين ويدخل فيهم الشيرازيون الذين إختاروا الإنتساب إلى العرب ، ومن هؤلاء حكام " باتا " Pata والمجموعة الثانية تتكون من ينتسبون إلى المهاجرين العمانيين الذين وفدوا إلى ساحل شرق إفريقية ، ومن أشهر عائلاتهم ' آل المزروعى ، وآل بو سعيد ، وآل باعلوي ، وآل بافقيه ، وآل جمل الليل " ، وكثير منهم لا يزال له إرتباط بحضرموت ، وخاصة مدينة تريم مركز الدراسات الدينية في حضرموت (١).

وهناك عاملان أساسيان أديا إلى إستقرار العرب في الساحل دون الداخل : الأول : أن أولئك العرب لم يصادفوا على الساحل تنظيمات فبائية متماسكة ، ولذلك سهل عليهم الإستقرار وبناء وحدات تجارية ، العامل الثاني: أن إستقرار العرب في الساحل كان له أثر كبير في ظهور سمات مميزة لشعب جديد أسهم العرب ومن توافد من غيرهم من عناصر إسهاماً كبيراً في

(١) عيد الله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، مطبعة الفجر الجديد ، ص ٦٤ - ٦٥ .

بنائه ، ونقصد به الشعب السواحلي ، الذي هو مزيج من القبائل الإفريقية
الخالصة (١).

وفي عام ٦١٠ بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى
الإسلام سراً بين أقرب المقربين إليه ، وفي عام ٦١٣م أمرة الله سبحانه
وتعالى بالجهر بالدعوة ، وبدأت الجماعات الإسلامية الصغيرة التي اعتنقت
الإسلام تتعرض للمحنة من إجتماع كلمة قريش على إيذاء المسلمين ، فلما
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء الذي نال
هو منه (٢) أشار على أصحابه بالهجرة من مكة إلى الحبشة ، ليسلموا من
أذى مواطنيهم ، وقال لهم : أن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض
صدق ، حتى يجعل الله لهم فرجا مما هم فيه (٣) .

وكان من أسباب إختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض
الحبشة دون غيرها من البلاد لهجرة أصحابه أن ملك الحبشة اشتهر بعدم
التعصب لفريق دون فريق ، أو ديانة دون ديانة (٤) ، ولذلك فإن هذه

(١) جمال وزكريا قاسم: دولة بو سعيد في عمان وشرق إفريقيا " ١٧٤-١٨٦١" القاهرة ، سنة
١٩٦٧، ص ١١

(٢) نوال على محمد عبد العزيز : المرجع السابق ، ٣٥ ، وأيضاً ، جمال زكريا قاسم : استقرار العرب ،
ص ٢٩٩ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، الجزء الثاني ، ص ٣٣٣ .

(٤) الطبري : نفس المصدر ص ٣٣٠ ، وأيضاً : عبد السلام هارون : تهذيب سيرة بن هاشم ، ص ٩٢ .

الجماعات الإسلامية لن تلقى أي نوع من الإضطهاد في أرض الحبشة ، وقد وجدوا بها الأمن والسلام ، وقالوا وفدنا أرض الحبشة وجاورنا بها خير جار ، أمنا على ديننا ، عبدنا الله لا نؤذي ولا نسمع شينا نكرهه (١) ، وكانت الحبشة أحب إلى رسول الله ، فعندما بدأت قریش في تعذيبهم ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه " تفرقوا في الأرض " ، فقالوا أين نذهب يا رسول الله فقال : ههنا - وأشار إلى الحبشة (٢) ، وكانت الحبشة معروفة للعرب فقلما كان يخلو بيت عربي في مكنة من عبد حبشي ، وكان التجار العرب يستعينون بهم بكثرة في حروبهم القبلية وفي حراسة قوافلهم ، ويطلقون عليهم اسم العسكر تمييزا لهم عن العرب ، وقد إختلط هؤلاء الأحباش بالعرب وأنتجوا نسلا عرف بشجاعته ، وأطلق عليه عزبان العرب وكان من أشهرهم عنتره العبسي ، وأم أيمن التي أعتقها الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجها زيد بن حارثة ومنهم بلال بن رباح مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأول مؤذن في الإسلام والذي أعتقه أبو بكر الصديق ، وليس من المستبعد أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عرف منهم الحالة في الحبشة وعرف صلاحيتها كماوى للمضطهدين من أصحابه (٣) .

(١) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ، الجزء الأول ، ص ١٣٦ .

(٢) محمد بن سعد : المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٣) زاهر رياض : الإسلام في إثيوبيا ، ص ٣٦ - ٣٧ .

ذكر أحد المؤرخين أن أرض الحبشة كانت متجراً لقريش يتجرون فيها ويجدون فيها رفاغاً (١) من الرزق ، فلم تكن الحبشة إذا بلداً غريباً على قريش ، لذلك كانت أول هجرة في الإسلام للحبشة ، وتمت هذه الهجرة في شهر رجب من السنة الخامسة من البعثة عام ٦١٥م حيث خرجوا سرا كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، حتى وصلوا إلى ميناء الشعبية منهم الراكب ومنهم المترجل وقد حملتهم سفينتان للتجار إلى أرض الحبشة ، وقد خرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر بعد أن ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً (٢) .

ويبدو أن هؤلاء المهاجرين وجدوا مقاماً سهلاً هناك ، إذ أن توالي الهجرات وبقاء معظمهم لمدة ستة عشر عاماً دليل على ذلك حيث كانوا ضيوفاً على النجاشي الذي أحسن معاملتهم (٣) ، وعند موت النجاشي سنة تسع هجرية صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه صلاة جنازة الغائب ، وهذه أول صلاة جنازة للغائب (٤) .

(١) كذا في الطبري : ترفع الرجل : تومع ، نواته لقي رفاغه ورفاغية من العيش ، انظر الطبري : المصدر السابق ، الجزء الثاني حاشية صفحة ص ٣٢٨ .

(٢) محمد بن سعد : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

محمد حسين الزبيدي : هجرة العرب المسلمين إلى شرق إفريقيا ، مجلة المورخ العربي العدد الثالث والعشرون ، سنة ١٩٨٣ ، ص ١٠٤ .

(٣) زاهر رياض : الإسلام في إثيوبيا ، ص ٤٢ .

(٤) القتاني : الجواهر الحسان في تاريخ الحبشة ، بولاق ، ١٣٢١هـ ، ص ١١١ .

وبلاحظ أن المراكز العربية الإسلامية بالحبشة ، شأنها في ذلك بقية المراكز العربي ةعلى طول الساحل الشرقي لإفريقية فقد إتسمت بالطابع السلمي التجاري بصفة عامة ولم تكن في نشأتها وتوسعها عسكرية أو سياسية ، والواقع أن الأوضاع السياسية والإقتصادية في الدولة العربية الإسلامية دفعت الكثيرين إلى الهجرة ، وإتجهت بعض هذه الهجرات إلى سواحل إفريقية الشرقية ، وخاصة الحبشة بمفهومها الجغرافي في العصور الوسطى ، وكانت هذه الهجرات العربية تحدث بصفة مستمرة وفي أعداد يسيرة ، ولما كانت هذه الهجرات ليس لها طابع الغزو ، فإن السلطات الحاكمة في الحبشة لم تهتم بهم وكان لاستقرار العرب السلمي أثر كبير في قيام العلاقات بينهم وبين السكان الوطنيين على أساس من الود والصداقة ، ووجد أهل البلاد في هؤلاء القادمين نوعاً من الحماية ، فازداد تقربهم إليهم وإندماهم فيهم ، وإرتبطوا معهم برباط المصاهرة (١) .

ولاشك أن الهجرات العربية في القرن السابع الميلادي كانت أبرز الهجرات التي شهدتها الساحل وأهمها تأثيراً في تاريخه ، بحكم العامل الجغرافي الذي يتمثل في قرب شبه الجزيرة العربية من سواحل شرق إفريقية ونتيجة لذلك لعب العرب الدور الحاسم في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ، في ساحل شرق إفريقية إذ نشأت بجهودهم مدن ومراكز تجارية ،

(١) محمود خيرى عيسى : مرجع سابق ، ص ٣٨ - ٣٩ .

فترك إنطباعاً طيباً في نفوس الأفارقة جعل الكثير منهم يقبلون على الإسلام^(١) .

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم جد من الأحداث السياسية والكوارث الإقتصادية كعام الرمادة في عهد عمر بن الخطاب مما دفع بعض المسلمين إلى الهجرة إلى شرق إفريقية ، حيث الخير عميم والحياة أمان^(٢) . والمقطوع به هو أن العرب كانوا هم الأغلبية الساحقة لتعمير الساحل الشرقي لإفريقية ، ويدعى القمريون بأنه سافر ثلاثة منهم إلى البلاد العربية في زمن الخليفة الرشاد عثمان بن عفان رضي الله عنه وعادوا بأحد أولاده^(٣) .

وعقب مقتل عثمان ، انقسم المسلمون إلى شيع في أثناء خلافة علي بن أبي طالب ونشبت المعارك بين الأحزاب المختلفة ، كل منهم ينتصر لمبذنه ولما كان النضال مريراً ، فقد لجأ بعض المتشيعين إلى الفرار والهجرة من مواطنهم العربية إلى شرق إفريقية ، وقد أستطاع العلماء بواسطة آثار المدن القديمة المبعثرة على الشاطئ الأمتداء بمعالم الحضارة العربية التي

(١) محمد محمود الحويري : ساحل شرق إفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، ص ٤١ .

(٢) محمد عبد الله المغيرة : مرجع سابق ، ٨١ .

(٣) حسن أحمد بدوي : مرجع سابق ، ص ٤ .

أزدهرت هناك ، وقد كان لما دونه الرحاله العرب فيما بعد أهمية كبيرة في معرفة أحوال المجتمع العربي في شرق إفريقية (١) .

وكان من نتيجة الإضطرابات السياسية التي شهدتها الدولة العربية الإسلامية بعد عهد الخلفاء الراشدين ، ولا سيما في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٦٨ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م) أن حدثت هجرات قبائلية من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي لإفريقية (٢) وذلك على إثر سياسة البطش والتكيل بالقائمين بالحركات المناوئة بالدولة الأموية ، فخرجت هجرات عربية بأعداد كبيرة إلى ساحل شرق إفريقية ، وانضمت إلى من سبقوهم إليها ليدعموا تأسيس المدن العربية هناك والتي أصبحت نواتها لأمو والمناطق التي حولها (٣).

وتذكر بعض الروايات أنه عندما علم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بأخبار هجرة تلك الجماعات أرسل أخاه حمزه إلى شرق إفريقية لنشر الدعوة الإسلامية / ومد نفوذ الأمويين إلى هناك ، وفي رواية أخرى أن أبنه جعفر هو الذي هاجر إلى شرق غفريقية وحكم في منطقة كيابو جنوب مقديشيو

(١) عبد الرحمن زكي : مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٢) السي رجب حراز : إفريقية الشرقية والإستعمار الأوروبي ، دار النهضة ١٩٦٨ م ، ص ٣ .

(٣) Reushc : Op. Cit., patients. 74.

في أرخبيل لامو (١) .

وفي هذا الصدد هناك وثيقة عثر عليها المؤرخ الإيطالي " تشيرولي " تحت اسم " تاريخ الزنوج " حيث تقول : " سنة ٧٥هـ جاء العرب من الشام وهم جنود أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .. ووصلوا إلى كلوا ، وكان لهم أمير يقال له " مولى بن زبير الخثعمي " وكان أهل البلاد له طائعين من أولهم إلى آخرهم ، ثم جاء المرسول من الدولة العباسية إلى السلاطين في مقدشوه ، وبساسة ، وزنجبار ، ... وكان الوزير يقال له يحيى بن عمر الغزى ، ونال من السلاطين مراداً ، ورجع إلى بغداد بخير ، وأخبر أخليفة بكون أهل بلادنا في الطاعة ، ذلك هو جانب من الوثيقة الهامة الذي يؤرخ للوجود العربي الإسلامي في إفريقية الشرقية (٢) ، ثم هاجر إلى شرق إفريقية جماعة من أهل الشام لم يرضوا عن سياسة الحجاج بن يوسف السقفي فرحلوا سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م إلى الجنوب في أعداد كبيرة مولين وجوهم شطر الساحل الشرقي لإفريقية ولما وصلوه إقتحموا ميناء " ديوني " وأخضعوا سكانه الأصليين ، وكان به جالية تزيد عن عشرة آلاف من الرجال المسلمين ،

(١) شيو فرج بن حمد الباقرى : خبر لامو Trans : WHICH., Hichens

Witwaters and press , Johannesburg , 1938 .

Translated and edited by which . Hichens , Bantu studies , pp. 1-33.

وأيضاً : حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ، ص ٣٩٨ .

Reusch : Op. Cit , P.77.

(٢) عبده يدوي : مرجع سابق ، ص ١١٦ . وأيضاً مجهول المؤلف : تاريخ الزنج : نهضة إفريقية ، العدد

١٢ ، ١٣ ، السنة الثانية أكتوبر ، ونوفمبر ، ١٩٥٨م ، ص ٦٠ .

إذ إن الإسلام ، قد وصل المراكز التجارية التي أنشأها العرب بشرقي إفريقيا عقب ظهوره في ركاب التجار المسلمين (١) .

وكثرة حروب عبد الملك بن مروان ضد مخالفيه فتعددت الهجرات العربية الإسلامية إلى شرق إفريقيا في عهده وبصفة مستمرة ، وقد إنتشروا على طول الساحل الشرقي وبنوا المدن العربية ، ولم يلبث هؤلاء المهاجرون أن دخلوا في أنحاء القارة الإفريقية المتاخمة للساحل ، فشقوا طريقهم إلى أوغندا وتجانيقا وإلى نياسالاند (٢) .

لقد حملت الهجرات العربية التي وفدت إلى ساحل إفريقيا الشرقي بذور الحضارة الإسلامية ، وقد إنفردت تلك الحضارة بخلاف سائر الحضارات القديمة والحديثة بخلوها من نظام العتات اليغيز أو الحاجز اللوني الشائن بل تنزهت عن شرور الحضارات التي تنادي بتقسيم البشرية إلى أجناس يعلو بعضها فوق بعض طبقات ، والتي وضت الحاجز اللوني الذي يسمح للرجل الأبيض بأن يندمج ويختلط مع قرينه صاحب البشرة السوداء ، وكان لسمو وترفع الحضارة الإسلامية في هذا المضمار ، والتي حملت

(١) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٣٩٨ . وايضاً عبد الرحمن زكي : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

وايضاً : Coupland : Op. cit. P. 22 .

(٢) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، المطبعة المحمدية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٤م ، ص ١٧٥ .

الهجرات العربية بذورها إلى ساحل الإفريقي الشرقي ، أكبر الأثر في إنتشار الإسلام بين القبائل والشعوب الإفريقية (١) .

ومن المعروف أن أولى الهجرات العربية الجماعية إلى لامو كانت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وذلك على أثر سياسة التتكيل بالمعارضين للدولة الأموية ، وتذكر الروايات المحلية في باتا أنه عندما علم عبد الملك بأخبار تلك الهجرة ، أرسل حملة إلى ساحل شرق إفريقية لنشر الدعوة الإسلامية ، حيث إستقر في أرخبيل لامو والمناطق التي حوله (٢) .

وبعد أن قضى الأمويين على مناوئتهم واستعادوا سيطرتهم على الأقاليم الإسلامية إهتموا بإستعادة نفوذهم في عامن ، وقد ظل أهل عمان بقيادة آل الجلندي يقاتلون الامويين ، وكان عبد الملك بن مروان قد إستخدم على العراق عاملة الحجاج بن يوسف السقفي ، ومع أن عمان كانت تابعة لأمير العراق ، إلا أن المصادر لم تذكر اسم أي وال عليها ، الأمر الذي يدل على أن الخلفاء لم يعينوا أحداً عليها ، وأن آل الجلندي ظلوا يديرون شئونها (٣) ، غير أنه لما إضطربت أحوال الدولة الأموية بعد وفاة يزيد

(١) السيد رجب جزار : مرجع سابق ، ص ٦ .

(٢) Chitt , Ck : Op. Cit . Vol. II , patients , 1980 ;

Knapert : Swahili Islamic Poetry London , 1971 , Vol., I , pp. 5-6.

(٣) عبد الرحمن عبد الكريم العاني : عمان في العصور الإسلامية الأولى ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الإسلامية ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٨٦ - ٨٧ .

وقويت شوكة الخوارج في شبه الجزيرة العربية وسيطر نجدة بن عامر الحنفي من الخوارج على البحرين ، أرسل جيشا إلى عامر بقيادة عطية بن الأسود الحنفي وكان يحكم عمان آنذاك عابد بن عبد الله بن الجندي ويعوانه أبناءه سعيد وسليمان ، فقتل عباد وأستولى على عمان ، بذلك صارت تحت سيطرة الخوارج الذين كانوا من أعنف خصوم الأمويين .

وثار الأخوان سليمان وسعيد أبناء عباد الجندي في وجه الخليفة عبد الملك بن مروان ، ولكن قوات الحجاج بن يوسف السقفي تغلبت على الأخوين^(١) وأستطاعت إلحاق الهزيمة بهما والقضاء على نفوذ اهل عمان ، وذلك بالأسلوب الذي لجأ إليه عبد الملك بن مروان ، إذ اتبع سياسة قبلية في شبه الجزيرة العربية واستعان ببعض القبائل على البعض الآخر ، وبمعنى آخر إستعان بقبائل نزار ضد قبيلة الأزد العمانية ، وفي المعارك العنيفة التي دارت بين هذين الفريقين إنهزم الأزد تحت قيادة سليمان وسعيد الجنديين ، فحملا ذرايرهما ومن معهما من قومهما ، ولحقا ببلد من بلدان الزنج (ساحل

(١) . Coupland : Op. Cit ., pp. 20 - 22 .

محمد محمد أمين : تطور العلاقات العربية الإفريقية في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٤٧ .

جمال زكريا قاسم : الروابط العربية الإفريقية ص ١٥ - ١٦ .

عبد الله بن خلفان بن قيعر بن سليمان : سيرة الإمام ناصر بن مرشد وتاريخ عمان " مخطوطة مصورة بالميكروفيلم برقم ٣٤٣ ، في المتحف البريطاني بلندن سنة ١٨٦٠م .

شرق إفريقية (١) .

والواقع أن هجرة العمانيين إلى ساحل شرق إفريقية حدثا هاما في تاريخه ، إذ توضح لنا أن العمانيين لمدة طويلة من العصور المظلمة حتى اكتشفت ذلك الساحل ، كانوا يترددون عليه ، وأنه كان معروفا تماما لديهم وخاضعا لفنوذهم إلى حد ما ، ولهذا السبب لم يلجأ الأخوان الجلنديان إلى أي مكان آخر في شبه الجزيرة العربية ، وآثرا التوجه إلى الساحل ليقينهما من أنهما سينالان استقبالا طيبا (٢) ، وقد ألقى الأستاذ هنشنز " Hichens " المزيد من الضوء على تلك الهجرة حين عثر على كتاب ألفه شيبو بن فرج حمد الباقرى وعنوانه أخبار لامو (٣) يعرض فيه لتاريخ هذا البلد والهجرات الأولى التي وفدت إليه ، فقد ذكر أن تلك الهجرة الولى إستقرت في مدينة لامو شمال ممباسا ، وكانت السبب في ظهور غمارة إسلامية في ذلك الوقت ، وبذلك كانت لامو أقدم الإمارات العربية الإسلامية ظهورا في ساحل شرق إفريقية (٤) .

(١) الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٧٠ - ١٧٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ، ص ٢٠٥ .

السالمي : تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان ، ج ١ ، ص ٥١ - ٥٩ .

(٢) Ingrams . w.h. : Zanzibar its history and its people , hiiand 1967 , p. 73 .

(٣) خير لامو : لشيبو بن فرج بن حمد الباقرى :

Trans : w, hichens witwaters and press , johannesherg , 1938.

(٤) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

ثم شيدوا عدة مدن على طول الساحل الشرقي لإفريقية ، وقد كان العرب يطلقون على هذه المنطقة في ذلك الوقت بر الزنج ، ثم توالى الهجرات الواحدة تلو الأخرى ، أسس المهاجرون فيها عدة مدن بعضها قد إندثرت ولا يوجد لها أثر إلا الأثر القليل حيث توجد تلك الآثار من البيوت المهدمة تغطيها الغابات الساحلية وبعضها مدفون تحت الرمال ومنها ما هو شبه مهجور فيها إلا بعض البيوت المهدمة السقف (١) .

وللهجرات العربية الإسلامية إلى الساحل الشرقي لإفريقية آثار بعيدة المدى في تطور العلاقات العربية الإفريقية ، وسوف أقسم هذه الآثار من أجل الدراسة إلى قسمين : الأول ما يتعلق بالآثار المباشرة للهجرات العربية في الساحل الشرقي لإفريقية ، والثاني ما يتعلق بهذه الآثار في مجال العلاقات بين العرب وبين منطقة الساحل الشرقي لإفريقية .

وبالنسبة للآثار المباشرة فإننا نجد في مختلف مجالات حياة السكان ، فقد قام العرب بنقل حاصلات المنطقة مثل العاج والذهب وريش النعام والجلود والموز والؤلؤ والصمغ واللبان إلى البلدان المطلة على المحيط الهندي ، كما ظهرت هذه السلع في الأسواق العربية ، وكانت بيوت سيراف

(١) تقرير بخط يد مبعوث رابطة العالم الإسلامي في نيروبي الشيخ علي محمد صالح كيني الجنسية من مواليد ١٩١٥م ، وقد تم إجراء مقابلة عه في نيروبي أثناء رحلتي العلمية في كينيا وذلك يوم الجمعة الموافق ١٤٠٨/١٢/٢٣هـ .

على الساحل الشرقي للخليج الرقيق من أسرى الحروب الوطنية ، فشكل الزنج عنصرا هاما من عناصر السكان في الدولة العربية الإسلامية (١) .

وكان لظهور القرامطة أحدثت قلقا واضطرابات في شبه الجزيرة العربية ، وذلك أن عمان كانت من بين الولايات الإسلامية التي تدين بالطاعة للعباسيين في أواخر القرن الهجري ، وقد تزكم الحكم فيها في عهد الخليفة المعتضد بالله " ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢ م " بنو شامة بن لوعى بن غالب ، ففتح محمد بن القاسم الشامي عمان بمعاونة هذا الخليفة ثم وليها من قبله ، على أن الضعف والانحلال ما لبث أن أصابا عمان بسبب المنازعات التي قامت بين أبناء محمد بن القاسم سنة ٣٠٥ هـ وظل الاضطراب سائدا فيها حتى تغلب عليها سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ أبو طاهر القرمطي (٢) ، وقد جاء القرامطة إلى عمان في عهد إمامها عمر بن محمد بن مطرف فاعتزل عن بيت الإمامة ، ورجع القرامطة إلى البحرين فلم يرجع عمر إلى بيت الإمامة (٣) ، وباعتزله أعقب ذلك فترة ظل فيها منصب الإمام شاغرا حتى عقد أهالي عمان الإمامة لمحمد بن يزيد الكندي ، بيد أن الخلافة العباسية لم تلبث أن تغلبت على عمان ، وهرب محمد بن يزيد منها إلى زنجبار (٤) ،

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر : طبعة مصر ١٢٨٦ هـ ، ج ٢ ، صفحات ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٢ .

(٢) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ص ٥١ .

(٣) ابن رزيق : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين ، تحقيق : عبد النعم عامر ، القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ٢٣٨ .

(٤) Miles , S.B: The Counties and tribes of the persian Gulf , London 1966. pp. (٤)

على أن النفوذ العباسي لم يلبث أن ضعف أمره في عمان ، وسادتها الفتن والإضطراب الامر الذي لا نستبعد معه أن كثيرا من أهالي عمان وجدوا في ساحل شرق إفريقية الأمن والاستقرار .

والواقع أنه يمكننا أن نربط بين الوضع العام في العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، وبين تتابع الهجرات والقادمين إلى منطقة ساحل شرق إفريقية ، فمنذ مستهل هذا القرن إزداد ضعف الدولة العباسية في بغداد ، وليس أدل على ما بلغه العالم الإسلامي من ضعف ووهن إبان ذلك القرن وجود ثلاث خلافت ، الخلافة العباسية في بغداد ، والخلافة الفاطمية في بلاد المغرب ثم في مصر ، والخلافة الأموية في الأندلس ، ونتيجة لذلك فإن بعض الجماعات الإسلامية التي هالها تمزق العالم الإسلامي، أثرت الإبتعاد عن أحداثه ملتزمة النجاه فهبطت من بين ما هبطت ساحل شرق إفريقية متخذة منه دار غربة ووطنا ، وعلى هذا الأساس ظهر العديد من المدن العربية الإسلامية على طول الشريط الساحلي ، ويؤكد ذلك وصف المسعودي زار منطقة الساحل الشرقي لإفريقية في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي (١) .

وفي أوائل القرن العاشر الميلادي وبالتحديد سنة ٢٩٦هـ - ٩٠٨م خرج سبعة أخوة في ثلاث سفن من الأحساء خلال الصراع بين الخلافة

(١) المسعودي : نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٢٣ - ١٢٥ .

العباسية والقراطمة ونزلوا ساحل البنادر (في الصومال حالياً) وشيدوا مدينة
مقديشيو وبرأوة (١) .

ومع أن هناك إختلافاً حول تاريخ هذه الهجرة التي ترتب عليها
تأسيس مدينة مقديشيو وبرأوة فإن " جيان " يؤكد أن مقديشيو قد تأسست في
أوائل عهد الدولة الفاطمية حوالي عام ٢٩٦ هـ (٢) .

ومن الآثار التي ترتبت على وصول الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر
ذلك الصراع الذي نشأ بينهم من ناحية وبين الهجرة الزيدية السابقة عليهم
بسبب الإختلاف المذهبي ، فبينما كان الإخوة السبعة وأنصارهم من أتباع
المذهب الشافعي ، كان الزيدون شيعة ، وإنتهى الصراع بين الفريقين
بإنتصار هجرة الإخوة السبعة الزيدية إلى الداخل (٣) .

وفي القرن العاشر الميلادي وفد السادة آل الأهدل وأستوطنوا لامو
وأول من جاء هو الشريف أبو بكر بن أبي القاسم بن محمد الرمحي ، وهو
الجد العشرين لآل الأهدف (٤) ، ثم أنتقلوا إلى الأصقاع الدانية والنائية حتى
بلغ بعضهم أوغندا وكان جل همهم نشر السلام حيثما حلوا وإرتحلوا ثم تلاهم

(١) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٤٣٧ .

(٢) جيان : مصدر سابق ، ص ٤٨١ .

(٣) ابن بطوطة : تحفة النظائر ص ١٩٣ ، جمال زكريا : استقرار العرب ص ٢٧٧ ، وأيضاً

Freeman - Gerville : The Medieval History of the Coast of Tanganyika ,
patients . 31 London 1962.

(٤) لا يزال أحفاد آل الأهدل يعيشون حتى اليوم في مكة المكرمة .

السادة آل جمل الليل باهارون واستوطنوا باتا ثم ويتو والقرى الداخلية ثم آل السقاف وآل السكران واستوطنوا سيو وواسيني وزنجبار وبلدان عديدة في الساحل .

وجاء المشايخ آل العمدي وأستوطنوا طاقة ومالندي وزنجبار ، ووفد السادة آل باحسن واستوطنوا باتا ثم إنتقلوا إلى انجزية المعروفة الآن باسم جزر القمر ، ونزلوا في الكوني في كينيا ، ثم إنتشروا في كل أنحاء جزر القمر ، ثم عادوا إلى لامو وزنجبار ، ثم آل الشيخ أبو بكر بن سالم آل الحسيني حيث أقام بعضهم في لامو وزنجبار .

كل هؤلاء المذكورين قدموا الساحل في أوائل القرن العاشر الميلادي وإليهم يرجع الفضل بعد الله سبحانه وتعالى ، في تقديم الإسلام وتنمية الثقافة والحضارة العربية والإسلامية في كافة الساحل الشرقي الإفريقي (١) .

ولم تقتصر هجرات المسلمين إلى شرق إفريقية على العنصر العربي وحده ، بل أسهمت العناصر المسلمة الأخرى فيها بنصيب ، فقد هاجر حسن بن علي ، أو علي ابنه على إختلاف الروايات ، وهو ابن حاكم شيراز بفارس مع أهاه وكثيرين من رعيته ، هاجروا إلى شرق إفريقية لأنه كان من أم حبشية فعيرة إخوته الستة الذين كانوا من أم فارسية بأمه ، فهاجر بأتباعه

(١) صالح محمد علي بدوي " شيخ باحسن " المخطوط السابق ، ص ٣ .

وحاشيته سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٦م وطبقا للرواية العربية لحوليات كلوة كانت الهجرة بزعامة الحسن بن علي (١) ، أو علي بن الحسن طبقا لرواية المؤرخ البرتغالي دي باروس J. De Barros وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي (٢) .

ويذكر هشنز Hichens إن الذي هاجر هو حسن بن علي الشيرازي حاكم شيراز بفارس مع أهله وكثيرين من رعيته ، وذلك قرارا من طغرل بك السلجوقي وجيشه الذي عزا شيراز عام ٤٤٧هـ / ١١٠٠م وأن هجرتهم قد تمت في المدة ما بين التاريخ السابق ، وبين عام ٤٩٣هـ / ١١٠٠م حيث هاجروا جميعا في سبع سفن من جزيرة هرمز متوجهين إلى إفريقية (٣) وفي أثناء إبحارهم حول الساحل توقفت بعض السفن في مناطق صغيرة مثل ممباسا وزنجبار ، وظل حسن بن علي يبصر حتى وصل إلى كلوا فأعجبته فقرّر هو ورجاله الإستيطان بها ، وكانت المدينة صغيرة في بداية عهد إنشائها وقابل مسلما يدعى منيري وإباري وأبلغه أنه يرغب في شراء الجزيرة القريبة ، فاتصل منيري برئيس القبيلة الذي وافق على بيعها مقابل أطوال من

(١) جيان مصدر سابق ، ص ٨٦ - ٨٨ .

(٢) Oliver and Mathew : Op. Cit. Vol. I, 102-103. (٢)

Hichens : Islam To - day , patients. 17 (٢)

Marsh and kingsnorth : Op. Cit. pp . 21-22 . وأيضا : جمال زكريا : الأصول التاريخية

، ص ٦٩ .

القماش تكفي لإقامة سور حولها ، فأعطاه حسن بن علي ما طلب ، وبدأ
إستيطانه فوق الجزيرة التي أطلق عليها اسم " كلوا اكيسيواي " وكانت هي
النواة لمدينة كلوا المزدهرة ، وفي ذلك الوقت قوى المستوطنون العرب فوق
جزر أخرى حول الساحل مثل ممباسا وزنجبار وكانوا يفضلون الجزر لسهولة
الدفاع عنها حيث لا يستطيع السكان المحليون مهاجمتها إلا بعد عبور البحر
بين الساحل وتلك الجزر ، وكانوا بحارة مهرة يسهل عليهم هزيمة المهاجمين
من السكان الوطنيين ، وقد أصبح حسن بن علي صديقا لأهالي الجزيرة
المحليين وتزوج من إينة منيري (١) .

وهناك مخطوطة عربية ترجع إلى عام ١٨٧٧م وقدمها السيد برغش
بن سعيد سلطان زنجبار هدية إلى السير جون كيرك John Kirk القنصل
البريطاني العام في زنجبار ، وهذه المخطوطة تشتمل على سبع عشرة ورقة
وقد أهدى كيرك Kirk بدوره هذه المخطوطة التي إعتبرت فريدة في نوعها
إلى المتحف البريطاني بلندن والتي حملت رقم ٢٦٦٦ ، وتشتمل على حوادث
من وصول فرس شیراز إلى ساحل شرق إفريقية في القرن العاشر الميلادي
حتى الغزو البرتغالي لكلوة ، والمخطوطة تحمل إسم السلوة في أخبار كلوة ،
فهي تتناول مقدمتها بعض أمور فلسفية ودينية ، والفصل الأول يتناول تأسيس

(١) سنسر ترمنجهام : الإسلام في شرق إفريقية ، ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوي الطبعة الأولى

مدينة كلوة وأول من وفد إليها ، حيث يبدأ بنواحي تفصيلية بها أشياء كثيرة عن الهجرة قامت من شيراز على الساحل الشرقي من الخليج العربي إلى كلوة وهي جزيرة صغيرة تقع على مقربة من ميناء دار السلام الحالي^(١) .

ويعلل صاحب السلوة في تاريخ كلوة أن سبب هذه الهجرة ، أن السلطان حسن بن علي رأى في الحلم أن فارة خرطومها من حديد تتخر في الجدران بخرطومها وقد فسر حلمه هذا أنه إلى خراب مدينتهم وأخير أولاده وأفهمهم أنهم لن ينجو من الخراب والهلاك وسألهم المشورة " فقالوا جميعا الأمر إلى الله ورسوله ثم إليك ، فقال لهم : إنني أرى الانتقال من شيراز وكانت هذه الهجرة تضم نحو ألف ومائتي رجل وصلوا إلى شرق إفريقية في سبع سفن ونزلوا في عدة أماكن على الساحل وذهب كل واحد إلى مكان^(٢) ، واستطاعوا تكوين إمارة لهم على الساحل وبعض الجزر حملت بعض التأثيرات الآسيوية ، ولكن الشيرازيين تخلوا بالتدريج عن ثقافتهم ، وإصطبغوا بصبغة إفريقية عربية ، على الرغم من أن لفظ " شيرازي " كان يستعمل للتمييز بينهم وبين العرب السواحليين ، وقد نشأت تلك المجموعة على ساحل لامو ، ثم امتدت إلى الجنوب ، ومنه إلى جزر زنجبار وبمبا

Strong , A. : history of kilwa , jornal of the roya asiaite société , 1885 , p. (١)
411.

Arthurs Strong in Journal of the royal : نص مخطوطة السلوة في تاريخ الكلوة نشرها : (٢)
Asiatic Socceity , 1885, pp. 411 - 412 .

ومافيا ، حيث طرأت عليهم بعض التغيرات بتأثير العرب الوافدين من الجزيرة العربية ، وهم يشكلون قلة بين السواحليين في المدن والقرى (١) ، بل إن بعضهم بل إن بعضهم ينسبون أنفسهم إلى العرب المهاجرين وأهم مجموعاتهم التمباتيون الذين يعيشون في جزيرة تومباتون Tumbatu في جنوب جزيرة "مبا" وفي جزيرة زنجبار (٢) ، وأن أصل المواطنين في جزيرة تومباتو خليط مع مقيمين إيرانيين هاجروا منذ حوالي ٨٠٠ سنة وآثار حطام الإيرانيين ممكن أن نجده في تلك الجزيرة (٣) .

ولم يقتصر الأمر على هجرة المسلمين إلى شرق إفريقية للمنزعات السياسية أو المذهبية ، بل إن الكوارث الاقتصادية التي كانت تحل بالعالم الإسلامي عامة العرب بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة يشدون الرحال إلى شرق إفريقية التماسا لمهجر جديد يطيب فيه المقام وتقسيم الحياة (٤) ، كما كان للأحداث الخطيرة التي اجتاحت العالم الإسلامي أبلغ الأثر في هجرة المسلمين إلى شرق إفريقية ، ومن ذلك سقوط الخلافة العباسية على أيدي

(١) في تعداد السكان في تنجانيقا عام ١٩٤٨م نسب ١٤٠٥ نسمة أنفسهم للشيرازيين ويعتبرون الشيرازيون أساسا في مقاطعتي "تانجا" و "مافيا" ويضم هذا العدد مكان جزيرتي كلوا وإحداهما شمال تانجا والأخرى بالقرب من كيسجو Kisiju وكذلك مجموعات مثل Matangata ومكوجا Mkzaja على الساحل .

(٢) عبد الله نجيب محمد ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٦٣ .

(٣) Ernest Loftus : Avisual History of East Africa , P. 42 .

(٤) جيان : مصلدو سابق ، ص ٧١ .

المغول ، ودخلهم مدينة بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وغزو تيمور لانج
لفارس ، وقد أدى ذلك إلى إزدياد موجات الهجرة إلى ساحل شرق إفريقية ،
حيث أصبح الساحل هو المنطقة المألوفة بالنسبة للمهاجرين الذين طردوا أو
أجبروا على الهجرة من مواطنهم نتيجة للصراعات الدينية والسياسية التي
تعرضوا لها (١) .

وكانت منطقة شرق إفريقية هي المنطقة المألوفة للمهاجرين وذلك
ليسر الحياة فيها ولبعدهم عن تسلط الحكام ، وحيث ينعم بالحياة فيها إخوان
لهم يجدون منهم كل عون ، وفي جوارهم وحماهم كل طمأنينة وأمن ، كما أن
العرب مهنتهم التجارة ، وكان مزدهرة بأسواق شرقي إفريقية ، التي كانت
تفيض بشتى المتاجر والبضاعات التي أتى بها العرب وغيرهم إليها من كل
مكان (٢) ، وفي أوائل الثاني الهجري / الرابع عشر الميلادي ٧٠٣هـ /
١٣٠٣م ، قام من عمان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني ، صاحب
عمان على رأس أتباعه الكثيرين واتجهوا إلى جزيرة باتا ، وقد آلت السلطة
إليه بعد ذلك ، وأصبح أميرا شرعيا ، ثم نقل بلاطه من عمان إلى شرق
إفريقية ، وأسس الأسرة النبهانية في مدينة باتا ، التي تولت حكم شطر كبير

(١) . Reush , R : op. Cit , pp. 249 - 250 .

Pearce : Op. Cit , patients. 34.

(٢) جمال زكريا قاسم : الاصول التاريخية ، ص ٥٦ .

من الساحل الإفريقي ، وكان لهذه الإمارة دور بارز في تاريخ الإسلام في شرق إفريقيا^(١) .

ويلاحظ أن بعض الكتاب الأوروبيين وخاصة من الأنجليز ، يحاولون التركيز على الهجرات الفارسية بغرض إضعاف النفوذ العربي على الساحل وإعطائه مسحة فارسية ، فشجعت بريطانيا خلال سنوات حمايتها لزنجبار قيام الحزب الأفروشيرازي ، الذي تأسس في زنجبار لمناهضة الحرب الوطني ، وقد عرف عن الحزب الأفروشيرازي الادعاء بأن مسلمي الساحل ينحدرون أصلاً من فارس وليس من الجزيرة العربية ، والهدف من ذلك واضح وهو القضاء على المقومات والتأثيرات العربية^(٢) ، رغم أن كوبلاند Coupland يذكر أن العرب في السواحل الإفريقية كانوا بمثابة أرسوقراطية تمثل الطبقة الحاكمة التي لها السيادة ، ولم يكونوا بعيدين عن السكان أو متباعدين عنهم ، فقد كان هناك تقارب وتجانس أدى إلى الاختلاط والتزاوج ، واعترف في أكثر من موضع في كتابه بروح المحبة التي سادت بين السكان الأصليين وبين المهاجرين والتي ترتب عليها تزاوجهم وكانت نتيجة ذلك جنس بدت فيه الصفات الزنجية المعدلة كما بدت فيه الكثير من العادات والصفات العربية^(٣) .

(١) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٤٣٨ .

(٢) إبراهيم العدوي : العروبة في شرق إفريقيا ، مجلة نهضة إفريقيا العدد ١٨ ، مايو ١٩٥٩ م ، ص ١٩ .

(٣) Coupland : Op. Cit , patients. 27

وفي النهاية يتضح لنا مما سبق ذكره أنه من الطبيعي أن تأتي الهجرات من شبه الجزيرة العربية إلى شرق إفريقيا ، فالدور الذي لعبته إفريقيا ، في إستقبال المهاجرين كان أبرز من الدور الذي لعبته في إرسال المهاجرين (١) ، فعلى مر العصور كانت شبه الجزيرة العربية مستودعا بشريا عظيما ولموجات بشرية متدفقة في تيارات على مدى العصور والأجيال، ولذا تدافعت الهجرات من شبه الجزيرة العربية إلى المناطق المجاورة ، ولما كان الساحل الشرقي لإفريقية أقرب تلك المناطق لذا كان منطقة إستقبال للمهاجرين من جنوب بلاد العرب موجه إثر موجه .

(١) محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشري ، طبعة رابعة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٧٠م ، ص ٢٨٣ .

(ج) الإمارات العربية الإسلامية التي قامت في شرق إفريقيا

كان للعرب قبل الإسلام إتصالات بشرق إفريقيا ، لكنها كانت تقتصر على عمليات التبادل التجاري وما يتبع ذلك في بعض الأحيان من استقرار مؤقت في المراكز التجارية التي أقامها العرب لغرض التجارة (١) .

وعنى التجار العرب بتأثيث عدة محطات أو مراكز تجارية كانوا يعتمدون عليها في أسفارهم الطويلة ولذلك قامت العديد من المستوطنات العربية على طول طرق القوافل ، وكانت الأنظمة التي وضعتها سلطنة زنجبار لحكم المقاطعات التي سيطرت عليها تتمشى إلى حد كبير مع الرغبة في إنعاش النواحي الاقتصادية ، ومن ثم كان اتجاه السلطنة العربية إلى تنشيط حركة التجارة بين الداخل والساحل ، عن طريق فرض أقل المكوس الجمركية كما يرجع للسلطنة العربية الإفريقية فضل تشجيع الزراعة خاصة زراعة القرنفل ، وذلك باستغلال خصوبة بعض الجزر المقاطعات الإفريقية وعلى الأخص جزيرتي بمبا وزنجبار (٢) ، وتحولت زنجبار من ميناء صغير إلى أعظم ميناء في ساحل شرق إفريقيا (٣) .

(١) جمال زكريا قاسم : استقرار العرب في ساحل شرق إفريقيا ، بحث منشور في حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، العدد العاشر ، ١٩٦٦م ، ص ٢٨٩ .

(٢) Burtin : Zanzibar , City Iskand and Coast London 1886 , Vol. II , P. 295 .

(٣) Coupland : Op. Cit . , Patients. 336 .

وتعرف جزيرة زنجبار بجزيرة التوابل Spices ، وهي تقع على مسافة ٤٠٠ ميل نوب خط الإستواء وعلى بعد ٢٠ ميلا من ساحل تنجانيقا ويبلغ طولها ٥٠ ميلا وعرضها ٣٤ ميلا ، ومن أهم محاصيلها القرنفل الذي يبلغ عدد شجراته أربعة مليون شجرة في ذلك الوقت ، وتمثل نسبة إنتاجها من هذا المحصول سبعة وخمسون في المائة بالنسبة للإنتاج العالمي ، وتبلغ المساحة المزروعة منه ٨٠ ألف فدان ، وتصدر زنجبار أيضاً الأخشاب (١) ، وكان التجار العرب في شرق إفريقية على درجة من الثراء ، الأمر الذي أدى بهم إلى تكوين اسقراطية تجارية في المواقع التجارية المختلفة على الساحل الشرقي لأفريقية ، وظهرت المدن في شكل وحدات مستقلة أو شبه مستقلة الواحدة فيها عن الأخرى ، وذلك على شكل حبات عقد طويل على ذلك الشريط الساحلي في شرق أفريقية (٢) .

وأحدث الإسلام أثره في ساحل شرق أفريقية وأثرت التجارة العربية وما تلاها من إستيطان عربي إسلامي على الساحل تأثيراً كبيراً ، فكثر المنازل العربية من الجزيرة العربية ومن الخليج العربي ، ولعبت الحروب الأسرية والدينية في الدولة الإسلامية دوراً كبيراً، بالإضافة إلى هذا الأثر

(١) فليب رقلة : الجغرافية السياسية لإفريقية ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٣٣٣ .

(٢) جلال يحيى : تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ٢٨ .

تحولت المراكز التجارية إلى إمارات عربية إسلامية يسكنها المهاجرون العرب (١) .

كان أول من وصل من المسلمين إلى ساحل شرق إفريقية تجار من العرب والفرس ، ولقد أقاموا في الساحل وكونوا مدناً صغيرة امتدت إلى ما يعرف باسم ممباسا ولامو وياتا وزنجبار وبمبا ، وكان العرب في ساحل شرق إفريقية يطلقون على تلك المنطقة " أرض الزنج" ، وقد اختاروا جزراً مناسبة وأقاموا تجارة حول الموانئ ، وقد كانوا على علم بالظاهرة الطبيعية وهي الرياح الموسمية Mon Soon والتي تمكنهم من إحار سفنهم الشراعية من سواحل الجزيرة العربية وتوصلهم تلك الرياح الموسمية القوية إلى الساحل شرق لأفريقية في الشتاء (٢) .

والواقع أن قدوم العرب إلى ساحل أفريقية الشرقي وإقامتهم إقامة دائمة ، كان بمثابة بدء لعهد جديد في تاريخ أفريقية الشرقية وهو عهد إنسم بظهور تخيرات واسعة في علاقات الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المنطقة ، فمن المعروف أن الهجرات والجماعات أن تؤسس إمارات وسلطنات سواحلية ، قامت نظم الحكم وعلاقات السلطة فيها تحت

(١) جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ص . ٥٧ .

(٢) Joseph Kakai Wakhugu : An Attempt at Fostering Mutual Understanding Between Christians and Muslims Kenya 1980, p. 53.

رئاسة هؤلاء الوافدين (١) ، على طول الساحل الشرقي ، حتى مدار الجدي جنوبا وكان العرب يطلقون عليها ساحل ، أو بلاد الزنج ، كما أن هذه الإمارات كانت مسرحا لنشاط تجاري واسع وقد كان العرب ينتقلون من وإلى الجزيرة العربية (٢) .

ويرى هشنز Hicheans أن ثمة هجرة حدثت في القرن السابع الميلادي ، وفي سنة ٦٦٥م على وجه التحديد ، وقد إبقى المزيد من الضوء على أخبار هذه الهجرة ونتاجها ، حتى عثر على كتاب عنوانه " أخبار لامو " ألفه شيبو فرج بن حمد الباقرى يعرض فيه للهجرات الأولى التي تدفقت على هذه المدينة ، فيذكر أن فريقا من أهل الشام لافارين من وجه الأمويين ، وكانوا يزدون على العشرة آلاف رجل ، رحلوا إلى الجنوب ونزلوا بالساحل الشرقي لأفريقية وأستولوا على ميناء " وبونى " ثم تبعهم فريق من أهل عمان الذين هزمهم الخليفة الأموي " عبد الملك بن مروان " نزلوا مدينة لامو شمال ممباسا ، واستطال عاحاج سعيد في مستهل القرن الثامن الميلادي أن يؤلف حكومة ديموقراطية تطبق تعاليم مذهب الخوارج ، الذي كان سائدا بين أزد وعمان ، ثم بايعه أهل مدينة " وبونى " فقام بوضع تخطيط للمدينة وجعل لها

(١) السيد رجب حراز : مرجع سابق ص ٥ .

(٢) أحمد إبراهيم دياب : مرجع سابق ، ص ٧٢ .

مجلساً إستشارياً من شيوخ الأحياء ، يشاركونه مسئولية الحكم (١) ، لذلك يعتبر هؤلاء العثمانيون سبب في ظهور أقدم إمارة إسلامية في لامو " شمال ممباسا " على ساحل شرق إفريقيا ، وأقاموا بها في مستهل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي حكومة ديموقراطية تعتق مذهب الخوارج الذي كان منتشرًا في عمان (٢) .

وفي أثناء فترة حكم بعض الخلفاء الأمويين هبت ثورات الشيعة والخوارج في العراق وما وراء النهر ، لذلك هرب الكثير منهم إلى سواحل شرق إفريقية (٣) وكونوا إمارات على هذا الساحل . واستقروا فيها ويحكمها مسلمون من العرب أو الفرص أو الإفريقيين المسلمين منذ القرن الأول الهجري (٤) ، ولقد نشأت هذه الإمارات صغيرة أولاً ثم كبرى بمضي الزمن ، وكانت الحكومات الإسلامية المترتبة على عروشها تسوس رعية بعضها من المسلمين وبعضها الآخر من غيرهم ، ومن هنا كان دورها في تحويل هؤلاء الرعايا إلى الإسلام ، بل وشمل كل من يتردد على تلك الممالك من غير المسلمين للإتجار مع رعاياها أو للعيش بينهم من القبائل المجاورة (٥) .

(١) . 10 . Op. Cit ., patients Hicgeans وأيضاً : عبد الله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٧١ .

(٢) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٤٣٦ .

(٣) زاهر رياض : الإسلام في إثيوبيا : ص ٥٤ - ٥٥ .

(٤) محمد عبد الله النقرة : مرجع سابق ، ص ١٧٩ .

(٥) محمد عبد الله النقرة : مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

وبدأت الإمارات الإسلامية تظهر على الساحل الإفريقي إلى الجنوب من لامو ، فكلما تقدمت هجرة إسلامية ظهرت إمارة جديدة .

فظهرت إمارات ماليندي وأوزي وشاكة قرب دلتا نهر تاتا في كينيا ، وكان هذا في مستهل القرن الثاني الهجري ، وفي تلك المدة ظهرت إمارة كلوا الإسلامية التي تود على ساحل تنجانيقا ، وقد إزهدت ولا يزال بها أطلال مسجد يعود إلى تلك الحقبة ، وهكذا وصل الإسلام إلى الساحل الجنوبي من تنجانيقا في مستهل القرن الثاني الهجري (١) .

إن الأصل في تأسيس إمارة باتا يرجع إلى حكم الخليفة عبد الملك بن مروان ، الذي شهد عهده تأسيس العرب لعدة مدن على الساحل الشرقي لإفريقية ، كالميندي وزنجبار ومباسا ولامو ولكوة وباتا ، وعندما سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية اعتمد الخليفة هارون الرشيد على ما كان للدولة الأموية من ممتلكات في شرق إفريقية ، فعزم على تدعيمها ومن أجل ذلك شجع الكثير من العناصر وخاصة من الفرس على الإقامة في تلك الإمارات الإسلامية (٢) .

(١) سيد عبد المجيد بكر نفس المرجع ، الجزء الثاني ، ص ١٠٧ .

(٢) Warner : A Swahili History of pate , Lonodn 1913 .

وكانت إمارة باتا عظيمة ، حيث كانت أولاً إمارة أهله بالسكان من قبائل أصيلة ثم أتت القبيلة النبهانية (١) بقيادة سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني الذي تزوج من أميرة سواحلية هب إينة إسحق حاكم باتا ، ثم ورث الملك وأصبح أميراً شرعياً ، ثم نقل بلاطه إلى شرق إفريقية وتأسست الأسرة النبهانية في مدينة باتا وقامت هذه الإمارة الإسلامية في ظلهم بدور بارز في تاريخ الإسلام في شرق إفريقية (٢) .

كان أهل باتا أهل حروب وغزوات ، وكان لهم جيش قوي وجل همهم السطيرة على جميع بلاد السواحل ، وقد إستطاع أهل هذه الإمارة في يوم من الأيام إخضاع جميع الساحل (٣)

وقامت إمارة إسلامية في منطقة شوا في الهضبة Shoa في الهضبة الحبشية ، حيث عملت على توطيد العقيدة الإسلامية في شرق إفريقية ، وقد ألقى ضوء جديد على تاريخ هذه السلطنة حينما عثر المؤرخ الإيطالي تشيروللي Cerulli على مختصر لتاريخ سلطنة شوا الإسلامية ، وقد تبين أن هذه السلطنة أسستها أسرة عربية تسمى بأسرة بني مخزوم ، وليس من شك في أن بني مخزوم هؤلاء كانوا من المهاجرين العرب الذين أنفذوا إلى هذه

(١) حسن أحمد بدوي : تاريخ شرق إفريقية ، ص ٧ .

(٢) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٣٩٩ .

(٣) حسن أحمد بدوي : مصدر سابق ، ص ٧ .

الجهات ، وليس بعيدا أن يكونوا قد نزلوا أول الأمر في ضيافة إمارة محلية ، ثم اختلطوا بالأمرء عن طريق المصاهرة ، حتى آل إليهم الملك آخر الأمر ، ومما يؤسف له أن هذه الوثيقة التي نشرها تشيروللى لا تعرض إلا للمرحلة الأخيرة ، وهي مرحلة إضمحلال هذه الإمارة ، حينما مزقتها الفتن الداخلية والصراع مع الإمارات الإسلامية الأخرى (١) .

ومن المرجح أن هذه الإمارة العربية الإسلامية قامت في نهاية القرن الثالث الهجري وبالتحديد في عام ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م ، واستمرت حوالي أربعة قرون حتى سقطت على يد سلطنة أوفات الإسلامية التي ورثت مركز الزعامة بين المراكز العربية الإسلامية في شرق إفريقية .

أما إمارة أوفات فقد تكمت في الطريق التجاري بين ميناء زيلع والداخل وقد أسسها مهاجرون من قريش ، من بنى عبد الدار أو من بنى هاشم قدم أسلافهم من الحجاز ، واستوطنوا مدينة أوفات ، واشتهر قوم منهم بالصلاح والتقوى ، إلى أن كان منهم عمر الملقب " ولشمع " أحد تجار أوفات الأكوياء ، فولاة السلطان مدينة أوفات وأعمالها فحكم بها مدة طويلة ، وشكرت سيرته وصارت له بها شوكة قوية (٢) ، وكان سلطان أوفات أقوى

(١) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٣٩٩ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، الجزء الخامس ، طبعة دار الكتب سنة ١٩٣٩ م ، ص ٣٢٥ وأيضاً : ترمجهام : الإسلام في إثيوبيا ، ص ١٦٧ .

سلاطين المماليك الإسلامية ، وكانت تتبعه إمارتان صغيرتان هما عدل وموا ،
وملك سكانها السفن ، فحملت متاجرهم عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي
السلاح الوفير ليحموها من القراصنة ، وكان لتفوقهم المادي والحضاري على
بقية السكان أن أقوى شأنهم ، فانتشر الإسلام بين السكان غير المسلمين .

وقد ذكر القلقشندي أنها كانت خصبة التربة موفرة الماء ، تنتج
الحبوب والخضروات والفاكهة ، والظاهر أن تاريخ أوفات لم يتضح إلا بعد
أن مات ولشمع ، وترك أربعة أو خمسة أبناء تولوا عرشها واحد بعد الآخر
إلى أن تولى آخرهم صبر الدين محمد بن عمر بن ولشمع عرشها (١) .

واستطاعت أوفات في ظل بنى ولشمع أن تبسط نفوذها حتى ساحل
البحر الأحمر ، بل غمدت نفوذها إلى سهل أوسا ، ودان لها الأعفار بالطاعة
والولاء ، وتحكمت في رقعة فسيحة من الأرض متنوعة الموارد كما تحكمت
في كثير من الطرق التجارية الفنية (٢) .

وقد وصف الشيخ عبد الله الزيلعي مملكة أوفات فقال إن طول
مملكته خمسة عشر يوما وعرضها عشرون يوما بالسير المعتاد ، وكلها
عامرة أهله بقرى متصلة ، وهي أقرب أخواتها إلى السواحل وهي أوسع

(١) تقي الدين المقريزي : الإمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الإسلام ، طبعة مصر سنة ١٨٩٥ ،
ص ٩ .

(٢) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٤١١ .

المالك أرضاً ، والا جلاب إليها أكثر لقربها من البلاد ، وعسكرها خمسة عشر ألفاً من الفرسان ويتبعهم عشرون ألفاً فأكثر من الرجال (١) .

وقال المقرئ عن حاكم أوفات " فمضى على سيرة أخيه في جهاد أمحوه الكفرة ، لكن بتؤدة وسياسة حسنة ، فكثرت عساكره وتعددت غاراته واتسعت مملكته " ثم قال عنه أيضاً : " ومضى من فورة إلى زلان ، وفتح تلك البلاد وغنم أموالها فبلغت حصّة السلطان الخاصة نفسه أربعين ألف بقرة ، فرقها بأجمعها على الفقراء والمساكين والعسكر ، حتى لم يجد ما يأكله ، إلى أن أطعمته إحدى زوجاته ، وحصل لسليم بن عباد زوج إبنته اثنتا عشرة ألف بقرة ، فأمره أن يخرج زكاتها فأمتنع فتغير عليه " ، وقال أيضاً عن مظاهر تمسكه بأهداب الدين هو ورعيته : " فعندما تلاقى الجمعان توضاً هو وأصحابه وصلوا ركعتين ، وسأل الله تعالى النصر ، ثم ركب بمن معه وقاتلهم فهزمهم الله ونصره عليهم (٢) .

وسجل لنا التاريخ أنباء الإمارات العربية على طول الساحل الشرقي لإفريقية فهناك مثلاً كلوة Kilwa في تنزانيا الحديثة التي أصبحت مركزاً تجارياً هاماً في شرق إفريقية ، وما من شك في أن العمل التي ضربني في كلوة تسبق التي ضربت في الهند وفارس ، وكانت كلوة تتحكم في تجارة

(١) القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٥ ، ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ص ١٢ - ١٣ .

المواد الخام ، ولاسيما النحاس والذهب ، مما جعل المجتمع في كلوة يتبوأ مركزاً إقتصادياً وسياسياً هاماً ، وقد نمت كلوة وبعض المدن الساحلية ، وكانت تجمعها بها صفات وخصائص هامة ومما لا شك فيه أيضاً أن الهجرات العربية قد أثرت في نظام الحكم في كلوة والمدن الساحلية الأخرى مثل لامو ومباسا^(١) .

ومع كثرة تتابع الهجرات إلى شرق إفريقية ، فلم يشهد الساحل قيام دولة سياسية موحدة ، تسيطر على مقدرات الساحل كله ، وإنما كان يحكمه عدة إمارات عربية إسلامية ، وتستقل كل منها بميناء أو أكثر على الساحل أو جزيرة من الجزر ، وتتنازع على السلطة فيما بينها للسيطرة على الساحل ومصادر التجارة ، ومع ذلك فقد قامت في تلك المنطقة دولة الزنج ، وكانت عاصمتها كلوة ، ومع قيام هذه الدولة فإن الصراع استمر بين الحكومة المركزية في كلوة وبين حكام الموانئ الذين حاولوا الإستقلال بمدينتهم ، وإنشاء إمارات صغيرة على الساحل^(٢) .

وينبغي أن نلاحظ أن تلك الإمارات إفتقرت إلى التنظيمات العسكرية ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أنها لم تقم بنتيجة لفتح أو توسع عسكري ،

(١) أحمد طاهر : إفريقية ، فصول من الماض والحاضر ، دار المعارف يناير ١٩٧٥ ، ص ٦١-٦٢ .

(٢) جمال زكريا قاسم : استقرار العرب .. الخ مرجع سابق ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

وايضاً : نوال علي محمد عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٤ .

وإنما أساسها تجار أو مهاجرون^(١) ، وهؤلاء جميعا كانوا مضطرين بحكم ذلك أن تكون علاقاتهم سلمية إلى حد كبير مع الأهالي الذين إستقروا في أوطانهم ، وما كاد القرن العاشر الميلادي يولى حتى كانت هذه المدن قد إستكملت مقوماتها وسماتها العربية ، وهذه المدن من الشمال إلى الجنوب هي : براوة ، سيوة ، باتا ، لامو ، زنجبار ، مافيا ، كلوة ، سافلة . وفي خلال القرن العاشر الميلادي كانا لإسلام في تلك المراكز قد إنتشر وأصبح لكل مدينة مسجدها^(٢) .

وفي ذلك ذكر العمري أن لمسلمي الإمارات الجوامع والمساجد التي تقام بها الخطب والجمع والجماعات ، وعند أهلها محافظة على الدين^(٣) . ويمكن القول بأن حقبة التوسع المنظم للإسلام في إفريقية الشرقية تقع بين القرنين العاشر والثاني عشر للميلاد ، ويلاحظ أيضاً أن الرقعة الإسلامية قد أحاطت في شمال شرق أفريقية بالهضبة الحبشية من الناحية الشرقية وقد نعتها المؤرخون بمنطقة الطراز الإسلامي ، لأنها على جانب البحر كالطراز له ، وقد إشتهر من تلك الإمارات .

أوقات : التي تم الإشارة إليها سابقاً بالتفصيل .

(١) السيد رجب حراز : مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٢) جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية ... الخ مرجع سابق ، ص ٧٢ .

(٣) القلقشندي : مصدر سابق ، شبه الجزيرة العربية ٥ ، ص ٣٢٤ .

داورو : التي تقع جنوب شوا ، وتمتد حدودها حتى الضفة اليمنى
لنهر جواش ممتدة جنوبا حتى نهر ويبي وكانت من أقوى الإمارات الإسلامية
وطول مملكتها خمسة أيام وعرضها يومان ، وبالرغم من ضيقها في ذات
عسكر جم ، وأهلها مسلمون على المذهب الحنفي .

أرابيني : التي يبلغ طولها أربعة أيام وعرضها كذلك ، ويناhez
عسكرها عشرة آلاف فارس ، أما الرجالة فكثيرة للغاية ، وأهلها مسلمون
على المذهب الحنفي .

وشرخا : يبلغ طول مملكتها أربعة أيام وعرضها ثلاثة أيام ،
وعسكرها ثلاثة آلاف فارس ، وأما الرجالة فضعفهم أو أكثر وأهاها مسلمون
أحناف (١) .

أما مملكة هدية : فتقع جنوب أوفات ويبلغ طول مملكتها ثمانية أيام
وعرضها تسعة أيام، وتتكون من ثماني مقاطعات ، وصاحبها أقوى إخوانه
من ملوك الإمارات السابقة وأكثرهم خيالا ورجالا ، وأشدّهم بأسا (٢) ، وله
من العسكر نحو أربعين ألف فارس ومن الرجالة ضعفهم أو أكثر .

(١) عبد الله حامد الحبيد : محاضرات في تاريخ دول الطراز الإسلامي لطلاب السنة التمهيدية بالدراسات
العليا التاريخية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية لعام ١٤٠٤ هـ .

(٢) القلقشندي : مصدر سابق ، ص ٣٢٧ .

وكانت هناك إمارات وممالك إسلامية أقل من تلك كعدل التي
إشتهرت كميناء تجاري بالساحل الشرقي (١) ، ومورة وهويت ، وجداية
ولكنها لم تعمر طويلا ، لما كان بينها من خلاف وتناقض فسرعان ما ضمتهم
مملكة أوفات القوية ، واتسم تكوين تلك الإمارات والممالك بالطابع السلمي
التجاري أو الإقتصادي عموما ، إذ إمتلك المسلمون ناصية التجارة الداخلية
والخارجية ، ولم تصطبغ في نشأتها وتوسعها بصبغة سياسية أو عسكرية (٢).
وهناك سؤال يطرح نفسه بعد الشرح التفصيلي عن الإمارات
الإسلامية التي قامت في شرق إفريقية وهو :

ما هو الدور التي قامت به هذه الإمارات الإسلامية لنشر الإسلام ؟
والجواب على ذلك هو أن معظم هذه الحكومات المسلمة كانت تحكم
طبقا لشريعة الإسلام ، وكان معظم حكمها يترسمون هدى الإسلام
ويسترشدون بتعاليمه ، وكان معظم أفراد رعيته المسلمين صورة مجسدة
للمجتمع المسلم ، حيث عيّنت الإمارات الإسلامية بإنشاء المدارس الدينية
لتحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين والشريعة الإسلامية واللغة العربية ، وكان
بها القضاة والفقهاء والعلماء الذين كانوا يرحلون إليها من سائر أنحاء العالم

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور : بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى ،

مقال في المجلة التاريخية المصرية العدد ١٤ سنة ١٩٦٦ - ١٩٦٧ ، ص ٣ .

(٢) القلقشندي : المصدر السابق ، صفحات متفرقة .

الإسلامي (١) ، وهو ما شهد به الرحالة والمؤرخون الذين كتبوا عن تلك الممالك أمثال المقرئزي والقلقشندي وابن بطوطة وغيرهم ، الذين أروا الإمارات العربية في شرق إفريقية وتحدثوا عما رأوه في هذه الإمارات الإسلامية كانت تقوم صناعة نوع من الأقمشة الدقيقة (٢) ، كما أن العرب المهاجرين أدخلوا في تلك الإمارات زراعة الفواكه الأخرى بالإضافة إلى البلح والبقول والأرز ، فكانوا يزرعون هذه الفواكه والخضروات بجوار مجاري المياه في المدن الحديثة التي أنشأوها ، هذا بالإضافة إلى تربية الماشية ، وقد زار ابن بطوطة ممباسا سنة ١٣٠٠م ودهش مما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة الرخاء السائدة في تلك المناطق ، ووصف الشوارع المنظمة التي رآها ، ومنازل العرب المبنية هناك من الحجارة ذات النوافذ الخشبية المزينة بالنقوش المحفورة ، كما كانت للمنازل حدائق غناء ، ويذكر أنه شاهد في كل مدينة زارها من مدن الساحل الأفريقي الشرقي مسجدا مزينا بنقوش (٣) .

وكذلك نوه الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الإمارات العربية بشرق أفريقية بما كانت عليه من حضارة ورقية فقد لمسوا فيها - كما يقول أحدهم إنه وجود مجتمعا متحضرا لا يقل عن المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت في

(١) سبنسر ترمينجهام : الإسلام في إثيوبيا ، لندن ١٩٥٢ ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) Sillery , A. Op. Cit. , patients . 55 .

(٣) مهذب رحلة بن بطوطة : تهذيب أحمد العوامري بك ، ومحمد جاد المولى مطبعة بولاق ، ص ٢٠٠ .

حضارته فقد شاهد فاسكو داجاما الذي اشتهر برحلته حول أفريقية ، الناس يرتدون الملابس الحريرية الموشاة بالذهب وكانت سيوفهم وخناجرهم مرصعة بالفضة كما شاهد المنازل العليا والقصور في وسط المدينة .

كما شهد نفس الشهادة دوراتي بربوسا Duarte Barbosa وهو رحالة زار ممباسا وماليندي وبمبا وزنجبار ، وتحدث البرتغاليون الذين استقروا بعد ذلك في هذه الجهات عن مظاهر هذه الحضارة الزاهرة ، ويعلق Coupland على هذا يقول إننا يجب الا نندهش لما يذكره هؤلاء الرحالة من مظاهر الحضارة التي نقلها العرب لشرق أفريقية فإن العرب كانوا في ذلك الوقت حملة لواء الحضارة ، وحتى القرن الثالث عشر الميلادي تفوق التي في أكسفورد أو التي في أية مدينة مسيحية أخرى (١) .

وتغنيينا هذه الشهادة من أجنبي إستعماري متعصب عن كل تعليف آخر .

(١) Coupland : East africa and Its Invaders , P. 39.

الفصل الأول

الإرسالات التنصيرية في شرق إفريقيا

أ- البروتستانت :

- ١- جمعية الكنيسة التنصيرية البريطانية .
- ٢- الإرساليات الجامعية لوسط أفريقية .
- ٣- جمعية لندن التنصيرية .
- ٤- إرسالية الكنائس الحرة المتحدة الأسكتلندية.

ب- الكاثوليك :

- ١- جمعية الروح القدس ومركز الآباء السود في زنجبار .
- ٢- إرسالية الآباء البيض في منطقة بحيرة فكتوريا وبحيرة تنجانيقا .

(١) جمعية الكنيسة التنصيرية البريطانية :

بدأت أولى مراحل النشاط التنصيري في افريقية على الشاطئ الشرقي، فبعد ان تفرق حواريو السيد المسيح في أقطار البحر الأبيض المتوسط، تبلورت الدّعوة في نهاية القرن الثاني الميلادي في ثلاثة أقطار أفريقية : مصر، والشمال الأفريقي، وأثيوبيا، وظهرت بعد ذلك ممالك مسيحية في الإقليم المتأخم لأثيوبيا والواقع بينها وبين مصر وكان يسمى بلاد النوبة Nuba وقد حافظت شعوب هذه الاقاليم على عقيدتها المسيحية تلف كل منها حول تنظيم كنسي قوي إلى أن دخل الإسلام في تلك الاقاليم الساحلية، ولم يبق إلا الكنيسة القبطية في مصرن كما بقيت الكنيسة الحبشية في شبه عزلة عن العالم الخارجي، ولقد اختفت كنيسة الشمال الافريقي، لأنها لم تتعمق في القارة، ولم يحاول دعاة المسيحية دخول أفريقية من الشمال بعد ذلك ، رغم أن الإسلام قد دخل من هذا الباب وانتشر انتشاراً بعيداً إلى الغرب والجنوب، وربما كان السبب في وقوف المسيحية حينئذ على الساحل هو أن قبائل الصحراء الرُّحْل عرفت عن الدخول في تلك العقيدة، في حين أن تلك القبائل حينما اعتنقت الإسلام حملته في كل صوب واتّجاه^(١) .

لقد تعرضت اقطار شرق أفريقية لأحداث عديدة سلبتهم أكثر مما وهبت، وكان المسلمون أكثر الناس تعرضاً للأذى والبلاء، ولذا فقد تعثرت بعض الخطوات وأتخذ بعضها الآخر سبيل الارتباط بالحركات

(١) محمد عبد العزيز إسحاق: نهضة أفريقية، ص ١٠٨، الهيئة المصرية للتأليف ١٩٦٤م.

التنظيمية السياسية، فنجمت عن كل ذلك عوامل ضاعفت من خطورة التحديات التنصيرية (١)

وقد وفد رجال الكشف الجغرافى على مناطق الإسلام فى شرق أفريقية، ثم تلاهم المبشرون، وكان فى كل ذلك ما يكفى لزحف الغزو الاستعماري، وتكاتف الجميع باسم المسيحية على حصار الإسلام فى شرق أفريقية، فتنادوا من كل ارجاء أوروبا وخطط الجميع لمؤتمرات دولية اشرفت عليها الكنيسة (٢) .

ولقد ركز اقطاب التنصير سابقاً ولاحقاً على قواعد ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، وإنما هي دائما وابدا معالم تضى لهم سبيل التنصير.

فقاعدة المنصر القديم "لورانس براون" بقيت قاعدة ثابتة اصيلة فى عرقله الإسلام وتقدم خطوات المسيحية وذلك فى قوله : إنه لم يحدث انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية فى قطر ما إلا بعد ان يخضع ذلك القطر لحكومة غريبة مسيحية، وذلك فقط إذا كانت الحكومة الغربية المسيحية تنتهج سياسة "فعالة" فى مساعدة الإرساليات.

أما قاعدة القس "سيمون" فهي تتركز على اساس إذا كان الدين الاسلامي قد اثبت وحذته التى تجمع آمال الشعوب، فيجب فوراً أن يكون التنصير عاملاً مهماً فى كسر شوكة المسلمين وأياً كان فى أفريقية، وتطالب القاعدة الثالثة وهي قاعدة المنصر العالمي المسيحي

(١) محمد أحمد مشهور الحداد: أفريقية بين التوحيد والتثليث، ص ٩٢.

(٢) محمد أحمد مشهور الحداد: المرجع السابق، ص ٢٥.

"وطنسون" فتتصب على أن تتعاون الحكومات الغربية فى سبيل منع انتشار الإسلام بين القبائل فى شرق أفريقيا، حتى تكون مهمة المنصر أهون لفقدان المنافسة^(١) .

لذلك استعمرت الدول الأوروبية المسيحية والمبتنية لحركة التنصير أفريقيا واستنزفت ثرواتها، واستولت على خيراتها، وأنزلت بها العذاب والنكال وكان المنصرون أداة الدول المستعمرة يحدرون الشعوب الأفريقية بمبادئ الحب والتسامح والخضوع، ليتسنى لدولهم الاستعمارية المسيحية استعبادهم واستعمارهم والاستيلاء على ثرواتهم^(٢) .

ولم يتقصر اهتمام الأوروبيين بالسلطنة العربية الأفريقية على النواحي الاقتصادية وحدها، وإنما استخدمت منافذها الساحلية بمثابة قواعد للانطلاق إلى المقاطعات الداخلية، حيث قام المنصرون بتأسيس الكثير من المراكز التنصيرية، فى مقاطعات الشرق الأفريقي، ومن المهم أن نؤكد أن هذه الطلائع الأولى من المنصرين الأوروبيين كانوا بمثابة المقدمات الرئيسية للحركة الامبريالية، التى اجتاحت القارة الأفريقية^(٣) .

وقد واكبت الحملات التنصيرية فى شرق افريقية بداية الاستعمار الأوروبي لتلك المنطقة، إذ كانت الكنائس، وهيئاتها التنصيرية تمهد

(١) نفس المصدر، ص ٢٥.

(٢) محمد عبد الله النعمرة: انتشار الإسلام فى شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، ص ١٣٠، الرياض، ١٤٠٢ هـ.

محمد عبد المنعم يونس : أوغندا بين الاستعمار البريطانى والكفاح الوطنى، القاهرة: ص ١٩٧.

(٣) Krapf: Travels and Missionary labours in East Africa, London 1860, p.27.

الطريق لاستعمار البلدان الافريقية ولتجارب العقائد والديانات السائدة فى المنطقة، وتنفيذاً لهذه الغاية ووصولاً إلى بسط السيطرة على القارة الافريقية شكّلت عدّة تنظيمات وهيئات تنصيرية تسعى في ظاهرها إلى تقديم خدمات إنسانية لأهالى المنطقة، وفى باطنها إلى بثّ السموم التنصيرية فى نفوسهم، فالكنائس الأوروبية رغم تباين مذاهبها واعتقاداتها الروحية، تتحد فى غايتها المنشودة، ألا وهي تنشر المسيحية فى المناطق المستعمرة بغية رضوخها للسيطرة الاستعمارية، وما أن تأسست تلك الجمعيات التنصيرية فى الغرب حتى نشطت فى بثّ مفاهيمها ومعتقداتها فى أبناء القارة، فالمذهب البروتستانتي Protestant كان له قصب السبق فى تأسيس أول جمعية تنصيرية^(١).

ويرجع ظهور المذهب البروتستانتي إلى حركة الإصلاح الدينى التى قادها الراهب الالماني مارتن لوثر ١٤٨٢م - ١٥٤٦م وتعتمد حركته على الاخذ بتعاليم الكتاب المقدس وحده، كمصدر وحيد للمسيحية فانشأ مقتنعوا هذا المذهب كنائس لا تعترف لكنيسة روما بأيّ نفوذ ديني، وسموها بكنائس إنجيلية، أى لا تخضع إلا لحكم الكتاب المقدس، وقد لقي هذا المذهب ذيوعا هائلا فى ألمانيا وانجلترا ثم انتقل إلى افريقية، والحقيقة أن كنائس المذهب البروتستانتي لم تقم عملياً بنشاط محسوس فى نشر تعاليمها إلا بعد قرنين من بداية حركتها، ويعود ذلك إلى تخوفها من السلطات الحاكمة فى بعض الدول الاوروبية المناهضة لهذه الفكرة، وهو السبب الذى يعزى إليه عدم نشر مذهبها فى المستعمرات الأفريقية، التى كانت خاضعة لدول أوروبا

(١) سيد أحمد يحيى : التنصير فى القرن الأفريقى ومقاومته، ص ٦٩، طبعة دار العمير - الرياض، ١٩٨٦م.

الكاثوليكية (١) .

ولم يكن ذلك الصراع المذهبي بين المسيحيين والذي كان أحد الأسباب في تحول الناس عن المسيحية إلى الإسلام، آخر صراع من نوعه، بل كان بداية للصراع الذي نشب بين إرساليات التنصير، والتي جاءت إلى شرقي افريقية لنشر المسيحية هناك، فنشب بينها صراع طويل لاغتصاب تلك البلاد وضمها إلى مناطق النفوذ للدول الاستعمارية التي قدمت منها الإرساليات، ومما يؤكد ذلك أن الروتستات الذين قدموا من بريطانيا للتبشير بالمسيحية في "أوغندا" حاولوا اكتساب عطف ملكها موتيسا Mutesa، وآلفوا جماعة من الموالين لهم من أهالي البلاد، أطلقوا عليها Ba Ingleza كما عمل الكاثوليك الفرنسيون على تنظيم المناصرين لهم في جماعات أخرى أطلق عليها اسم Ba franza للعمل على ضم هذه البلاد للمستعمرات الفرنسية ونشب بين الطائفتين صراع عنيف وما حدث في أوغندا حدث مثله في سائر جهات شرف افريقية (٢) .

وقد تعددت الإرساليات البروتستانتية إلا أن أهم هذه الإرساليات هي جمعية الكنيسة التبشيرية "The Church Missionary Society" ويرمز لها بالحروف "C.M.S" وبالرغم من أن إنجلترا دولة علمانية إلا أن تلك الجمعية كانت تعبر بصورة أو أخرى عن سياسة الحكومة البريطانية فيما يختص بنشر المسيحية وراء البحار (٣) .

(١) سيد أحمد يحيى: المرجع السابق، ص ٦٦.

(٢) محمد عبد المنعم يونس: مرجع سابق، ص ٢٥.

(٣) محمد عبدا لله النقيرة: مرجع سابق، ص ١٣٤.

وكانت جمعية الكنيسة التبشيرية قد تأسست فى لندن عام ١٧٩٩م باسم جمعية الإرساليات إلى أفريقيا والشرق: Society for Missions to Africa and the East^(١) وهى أول الهيئات البروتستانتية الإنجليزية التى اهتمت بالتنصير فى شرق أفريقيا.

وكانت سياسة بعثة الكنيسة التبشيرية هي العمل بسرعة تجاه عملية الاعتماد الذاتى مالياً، وإقامة حكومة وطنية للكنائس، وهذه السياسة تم اعتمادها من فن Venn سكرتير بعثة الكنيسة^(٢).

وكانت أهداف هذه الجمعية تتركز فى الحصول على أحسن الوسائل التعليمية لنشر المسيحية بين السكان، وايضا طبع الكتاب المقدس لاستعمال الدولة^(٣)، وقد أدرك الكارينال لافيجيرى Lavigerie رئيس جماعة الآباء البيض أن الأفريقى يحتاج إلى المساعدة فى ثلاث نواح وهي التعليم والزراعة والعلاج الطبى، وهذه النواحي لاتقل أهمية عن الناحية الدينية وإذا لم يبذل مجهود فى هذه النواحي فلن يحدث تقدم على الإطلاق، وأن من واجب المدنية المسيحية - كما يراها لافيجيرى - هو مساعدة الناس على أنفسهم^(٤)، ونصح لافيجيرى بالاجبار الأفريقيين الذين سيستمررون فى اتباع عاداتهم على التغير، وكان أوائل المبشرين الذين وصلوا إلى شرق أفريقيا من الالمان، حيث حضروا لغرض خدماتهم كموظفين فى

(١) Stock: History of the Church Missionary Society, London 1899, vol.I, p.71.

(٢) A.J. Tu;U : British Protestant Missions, London, 1972, p.74.

(٣) Groves: The Planting of Christianity in Africa, London 1948, p.197.

(٤) Kittler: The white fathers, New York, 1957, p.109.

جمعية الكنيسة الإنجليزىة للتبشير ولقد اتصلوا بأوربيين آخرين لاتباع خطواتهم ، وكنتيجة لذلك وصلت العديد من بعثات التنصير لنشر المسيحية بين الناس، ومن أوائل المنصرين "كرايف" Krapf^(١) الذى ولد فى ١١ يناير ١٨١٠م وهو ابن مزارع وقال عن نفسه : والدي كان مزارعاً وكانت ظروفه سهلة ومارس الزراعة وعاش فى قرية "دريندنجن" Derendingen بالقرب من تيونجن Tuningen والذى تلقى تعليمه منها حيث اظهر تفوقاً عظيماً كطالب، ولقد قاسى كثيراً عند مروره بفترة الشك الفلسفى، وعندما هدأت تفاعلاته العقلية قرر تكريس حياته لخدمة البعثات التنصيرية^(٢) إذ بينما كان يفحص الخرائط الخاصة بأفريقية لاحظ صحارى لا توجد فيها أحياءن سوى الضياع، وعرف هذه الأشياء التى ما كان يتوقعها، ومن قصة الرحالة جيمس بروس Bruce الذى تحدث عن مواجهته لاحد الضباعن وفكر كرايف فى ان يكون أحد أعضاء بعثة التبشير، ويذهب لنشر المسيحية، وعندما كبر فى السن قرر ان يخدم السيد المسيح فتوجه إلى كلية التنصير فى بازل بسويسرا، لكي يتدرب على ذلك، وعند سماعه بأن جمعية الكنيسة للتبشير فى إنجلترا تطلب منصرين عرض نفسه عليها وقبلته الجمعية^(٣).

(١) H. Okeilo Ayot: Topics in East African History, 1000-1970 Kenyatta university 1975, p.55.

(٢) J.W. Gregory: The Foundation of british East Africa, "Melbourne 1901", p.54.

J.L. Krapf: travels, Researchs and Missionary labours during an Eighteen year's Residence in eastern Africa, London 1860, pp. 121-122.

(٣) Sarrah Geraldin Stock: Missianary Heroes of Africa, London 1898. p.60..

وفى عام ١٨٣٧م عينته بعثة الكنيسة التنصيرية فى الحبشة، ووجد أن الناس يخشون من قبائل الجالا Gala الذين كانوا بمثابة خطر على الإمبراطورية المسيحية، لأن معظمهم كانوا وثنيين والبعض الآخر اعتنق الإسلام، ولقد رأى "كرابف" أن هؤلاء الناس يعدّون المفتاح إلى شرق إفريقيا عند تحويلهم إلى المسيحية، وهم بالطبع سيؤثرون فى الآخرين، وبعد زواجه فى مصر عام ١٨٤٢م، حاول "كرابف" العودة إلى الحبشة، ولكن الطريق كان مغلقاً ولذلك حضر إلى شرق إفريقيا ليجد طريقاً آخر للوصول إلى قبائل "جالا" (١)، وكان لدى "كرابف" اهتمام خاص بقبائل الجالا، الذين يعيشون فى الحبشة، لذلك وفى عام ١٨٤٣م تم إرساله عن طريق جمعية بعثة الكنيسة إلى شوا Shoa وهي مقاطعة فى الجنوب الغربى من الحبشة حيث تم استقباله بترحيب من ملك شوا (٢).

وفى ١١ نوفمبر ١٨٤٣م ابهر "كرابف" هو وزوجته فى قارب متجه إلى "زنجبارط" ولقد استغرقت الرحلة شهرين وفى العديد من الموانئ كان "كرابف" يستفسر عن الداخل الذى كان غير معروف له، وفى ٣ يناير ١٨٤٤م دخل "كرابف" ميناء ممباسا ثم ذهب إلى زنجبار (٣)، حيث تعتبر زنجبار أكبر من ممباسا، وهناك يعيش السلطان سعيد الذى يحكم معظم اراضى الساحل، كذلك توجد أنواع متعددة من الناس، عرب وأفريقيين، وهنود، وقنصل عام إنجليزى يهتم بالانجليز الذين

(١) Wiuia; B. Anderson; The Chruch in East Africa 1840-1974, p.2.

(٢) J.W. Gregory: Op. Cit, p.54.

(٣) Eugene Stock: The History of the Chuch Missionary Society, London 1899, p.459.

يحضرون إلى زنجبار^(١) .

لقد تمّ استقبال "كرافف" بنوع من الاحترام من الكابتن همرتون "Hamerton" القنصل العام الإنجليزي ومن السلطان سعيد نفسه، ولقد طلب منه القنصل البقاء في زنجبار اللوعظ، وإنشاء مدارس للعرب وغعداد الكتب، وفي الأسبوع الأول من مايو ١٨٤٤م، أعطت بعثة الكنيسة الدكتور "كرافف" تصريحاً لزيارة ساحل شرق أفريقية هو وزوجته والاقامة في "مباسا"^(٢) وقد تلقى كثيراً من عناية ورعاية السيد سعيد، فقد ذكر "كرافف" في الكتاب الذي وضعه عن شرق أفريقية مقدار ما منحه له السيد سعيد من تسهيلات ومعونات، وكيف كان يستعين بنفوذه في التوغل في مقاطعات الشرق الافريقي، وفي مباشرة نشاطه التنصيري، حيث أمده السيد سعيد بخطابات توصية للرؤساء التابعين له يطلب فيها منهم أن يعاملوا "كرافف" أحسن معاملة ن لأنه رجل يعمل على تحويل الوثنيين إلى معرفة الله، وعلى ذلك ينبغي أن يقدموا له كل ما يحتاج إليه من مساعدة^(٣).

ومما جاء في خطاب السلطان سعيد: "هذا ما جاء في خطاب السلطان "سعيد" تحية لكل الرعايا الأصدقاء، والحكام هذا الخطاب تم كتابته في صالح الدكتور "كرافف" الالمانى حيث إنه رجل طيب يرغب في أن يحول العالم إلى معرفة الله فقدموا له الخدمات في أى مكان^(٤) .

^(١) Sarrah Geraldina Stock : Op. Cit, p.63

^(٢) Eugene Stock: Op.Cit. P.460

^(٣) Krapf: op. Cit. P.127.

^(٤) Ibid., p.166.

لذلك عندما اتّصل "كرايف" بحاكم جزيرة بمبا Pemba أمده بالمعلومات عن الرياح الموسمية، وايضا قدّم له المساعدة حاكم ممباسا "على بن ناصر" (١) .

وحاول باصرار كشف طريق إلى الداخل بهدف التقدم في قلب القارة بأسرع ما يمكن، وإقامة سلسلة من المراكز التنصيرية عبر القارة تمتد من الشرق إلى الغرب، وقد نشأت فكرة "كرايف" في عمل سلسلة المحطات التنصيرية التي تربط الشرق بالغرب قبل وصول الالمانى Rebmann وفي ذلك يقول ك "تعودت أن أحسب عدد المبشرين والتكاليف المطلوبة حيث ينتشر المبشرون على طول ٩٠٠ فرسخ وإذا تأسست المحطات التبشيرية على مسافات كل منها ١٠٠ فرسخ وبكل محطة أربعة مبشرين فإن الامر يتطلب تسع محطات و ٣٦ مبشرا وتقدر التكاليف السنوية بحوالى من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ جنية إسترليني، وإذا حدث تقدم في هذا الميدان قاننى أتوقع أن تتم هذه السلسلة من المراكز التبشيرية في حوالى أربع إلى خمس سنوات (٢) .

لذلك قرر "كرايف" إقامة أول محطة لبعثته بالقرب من "ممباسا" (٣) وبعد شهرين بدأ بدأ كرايف أولى خطوات تحقيق آماله حيث استطاع أن يؤسس محطة البداية في شمال الساحل ولكن أحلامه تحولّت إلى كابوس بسبب وفاة زوجته وطفله، وبعد بضعة أيام وتحت تأثير حزنه كتب إلى جمعية الكنيسة التنصيرية في لندن "أخبروا

(١) Coupland: east Africa and its invaders, p.389.

(٢) Groves : The Planting of Christianity in Africa Vol II, London 1948, pp. 95-100.

(٣) Krapf: Op. Cit, p.129.

أصدقائكم فى الوطن بأنه يوجد فى شرق أفريقيا الآن قبر مبشرن وهذه إشارة إلى أنكم قد بدأت النضال، وحيث إن انتصارات الكنيسة أمكن الحصول عليها بخطوات فوق قبول أعضائها، وانتم ربما تكونون أكثر اقتناعاً بالتأهب والاستعداد، عندما يتم استدعاؤكم إلى تحويل أفريقيا للنصرانية من شاطئها الشرقى " (١).

وفى عام ١٨٤٦م التحق مبشر المانى آخر مع كرابف وهو جون رييمان "John Rebmman" وأصله من فرتمبورج بالمانيا ولد فى جيرلنجن "Gerlingen" فى عام ١٨٢٠م، وتم تعيينه فى إنجلترا لبعثة الكنيسة التبشيرية، ثم بدأ فى الحال مع زميله "كرابف" بتأسيس محطة حيث اختارا مكاناً يدعى راباي Rabai وهي منطقة جميلة فوق التلّ الذى يصعد من الساحل، ولها منظر جميل يطل على جزيرة ممباسا، وقد حصل كرابف على وعد صادق من قبائل وانبيكا Wanika التى تعيش فى راباي، وفى المناطق المجاورة، وذلك للإذن له بالبناء والإقامة هناك. (٢)

وفى ٢٩ أغسطس ١٨٤٦م كان يوم دخولهما منطقة راباي، وفى صباح اليوم التالى أصيب "كرابف" بالحمى ولكن أصر على الاستمرار، وقال لنفسه "سواء النتيجة الحياة أو الموت فإن البعثة يجب أن تبدأ" وركب حماراً صغيراً مع شدة الألم ليصعد تلّ المدينة، ولقد كتب "كرابف : "هل البعثة تبدأ بهذا الضعف، ولكن هكذا كان يجب أن

(١) William B. Anderson : op. Cit., P.I.

(٢) Sarrah Geraldina Stock: Op. Cit., 64

J.W. Gregory: Op. Cit. P.56.

تكون، لأننا لا نستطيع أن نفخر بقوتنا، ولا خلفاؤنا يستطيعون أن ينسوا بأن الله قد قدس حتى ضعفنا، وقال أيضا "لقد صليت باستمرار من أجل بقاء حياتي في أفريقية، حتى على الأقل لا مكان إنقاذ أرواح الآخرين، لأنني كنت متأكدا بأنه إذا أمكن إقامة حجر واحد في أي دولة، فإن الله سيبارك ذلك العمل ويستمر الإنشاء عن طريق تحويل هؤلاء الموجودين في شرق أفريقية من دينهم "الإسلام" إلى المسيحية^(١).

وقد قضى "كرابف" في راباي سنتين أخريين ثم عمل رحلة أخرى إلى يوسامبارا Usambara^(٢) ، بواسطة مرشد و ٧ حمالين^(٣)، واتخذ طريقه إلى هناك من اتجاه جبل يوسامبارا الذي يرتفع إلى حوالي ٦٥٠٠ قدم وعلى حوالي ٥٠ ميل من البحر وقد تعجب من انصباب المياه الباردة من خلال الصخور، وأيضا من خلال القرى الصغيرة التي فوق أطراف الجبل، وقال إنها أراضي جيدة عندما تستغلها جمعية الكنيسة التنصيرية ، وبعد عدة أيام من صعود التل ونزول الوادي واختراق الأنهر، وصل "كرابف" إلى فوجا Vuga ووجد أن كيمويري Kimweri ملك يوسامبارا في Salla عاصمته الثانية، وتم السماح له أخيرا بمقابلته^(٤) .

وعندما كان في "يوسامبارا" اقام صلاة من اجل أن تأتي مملكة

(١) Eugene Stock: Op. Cit, Vol II, P.125

(٢) Sarrah Geraldina Stock: Op. Cit., p.70.

(٣) J.W. Groegory: Op. Cit., p.61.

(٤) Coupland: East Africa and its invaders, p. 394.

المسيح إلى هناك، وكانت فكرته أنه يوماً ما ستوجد سلسلة من محطات البعثة وليست بعيدة لكى تساعد بعضها البعض والتي يمكن أن تبدأ من الساحل الشرقى لأفريقية^(١) .

وفى عام ١٨٤٧م قرر المبشران طكراف" و "رييمان" تجاه الغرب من ممباسا بينما اتخذ "كراف" طريقه شمالاً حتى يصل إلى الهدف القديم وهو أرض "الجالا" ، وبدأت بعثة رييمان فى أكتوبر ١٨٤٧م مع ستة من أفراد قبيلة الوا - نيكان ومسلمين سواحيليين للداخل، وقد كانت الرحلة قصيرة حيث استمرت لمدة أسبوعين وكان هدفها قمة كادياردو Kadiaro على بعد حوالى ٨٠ ميل من ممباسا، ولقد أحضر رييمان معه تقريراً هاماً عن جبال المنطقة، وعن الأحوال الصحية وعن الطقس وبذلك قرر المنصران إقامة محطة للبعثة هناك، وبعد عدة شهور بدأ رييمان التجول بالداخل مرة أخرى فى رحلة طموحة، فلقد سمع المنصران قصة غريبة عن جبل "كليمنجارو" Kilimaijaro" ولقد عزم "رييمان" على زيارة "تشاجا" Chagga وهى المحطة التجارية على الجنوب الشرقى من الجبل، ولكن حاكم ممباسا^(٢) نصحه بأن لا يذهب بالقرب من جبل "كليمنجارو" لأنه يعج بالارواح الشريرة والرجال الذين ذهبوا إلى هناك فقدوا أيديهم وأرجلهم وبعضهم هلكوا^(٣) .

وفى ٢٧ أبريل ١٨٤٨م ذهب "رييمان" إلى جبهة غير معلومة

^(١) Sarrah Geraldina Stock : Op. Cit., p.67.

^(٢) J.W. Gregory: Op. Cit., p.59

^(٣) Sarrah geraldina Stock: Op. Cit., p.65.

وكان ذلك فى موسم الأمطار وقد أعاققت تقدمه الأمطار المستمرة والغزيرة ولكن بعد عشرة ايام تمكن من أن يمر بجبل كاديوارو وأخذ طريقه فى الأرض العالية السهلة التى تقوده إلى قبائل جاجا Jagga وفى صباح ١١ مايو صعد جبل جاجا وتخيل أنه يرى قمة مغطاه بضباب أبيض^(١).

وكتب إلى جمعية الكنيسة التنصيرية لأخبارهم بما شاهد من اكتشافات ، وعجب القوم لذلك، فقد ذكر بعض أعضاء جمعية الكنيسة التنصيرية بأن البعثة قد وقعت فى خطأ لأنه من المستحيل أن يكون هناك ثلج فى أفريقية، ومهما يكن فقد اصر كل من "كرايف" وزميله "ريمان" على أنهما على حق، واولا بأول تم البرهنة على أنهما على حق، لأنه بعد عدة سنوات وفد بعض الرحالة وكشفوا الجبل، وقد وجد أنه يرتفع حوالى ٣٠,٠٠٠ قدم وهذا يعتبر أعلى من أى جبل موجود فى أوروبا^(٢)، وبذلك يعتبر Rebmann أول أوربى شاهد جبل "كليمنجارو"^(٣).

(١) Cooley : In Inner Africa . London 1852.

يرى Cooley أن وصف Rebmann لجبل الثلج أنه تخيل وذكر كرايف فى ملحق كتابه المطبوع عام ١٨٦٠م، أنه قد رأى الجبل بنفسه أكثر من مرة على بعد وأعطى دلائل أكثر لتأييد وجهة نظر رييمان ولقد نام على قاعدة الجبل وفى ضوء القمر ممكن بسهولة أن ترى الثلج وهو يختلف مع المواطنين فى الإشارة إلى الشئ الأبيض الممكن رؤيته فوق القمة مثل قمة الجبلين ولقد تم اخباره بأنه فضة، وعند احضاره فى زحاجات تبين أنه ماء، وأن العديد الذين يصعدون الجبل يموتون من شدة البرد.

Krapf: Op. Cit., PP. 543-544 "London 1860".

(٢) Sarrah Geraldin Stock: op. Cit., p.66

(٣) New: Wanderings and labours in eastern Africa, Chaps 20 "London 1873".

Dundas : Kilimayjaro and its people London 1924, p.50.

Coupland: East Africa and its invaders, p. 293.

وحيثما كان "كرابف" فى منطقة يوسامبارا Usambara ومجارى نهر تانا العليا شاهد عن كذب قمم جبلى كليمنجارو وكينيا وهى مغطاة بالثلوج^(١) ، وكانا بذلك أول أوربيين يرصدان تلك الظاهرة فى أفريقيا الشرقية ومع أن أعمال "كرابف" و"رييمان" فى ميادين الكشف الجغرافى والدراسات اللغوية الأفريقية كانت على جانب من الأهمية، إذ إنهم زودوا أوروبا ببعض المعلومات الجغرافية عن أفريقيا الشرقية ووضعوا المعاجم عن لغات السواحلية والنياسا والوانيكاف إلا أن نجاحهم من وجهة النظر التنصيرية المحضة كان ضئيلاً^(٢).

وفى ١٦ فبراير ١٨٤٩م رجع "رييمان" إلى "راباى" وبعد استشارة "كرابف" تقرر أن يذهب فى الحال إلى ماتشامى Machame وهى مقاطعة فى الجانب الجنوبى من جبل كليمنجارو، ويستغل مزايا صداقته مع سامكينجا Samkinga أعظم ملوك أرض Jagga ، وفى ١٥ مايو وصل "رييمان" إلى ماتشامى وهو متعب ومرهق من البرد، ولمدة عشرة أيام تجاهل الملك حضوره وعندما حضر أخيراً لمقابلته كان من الواضح أنه غير رايه، لأن "رييمان" لم يقدم ما فيه الكفاية من الهدايا، ثم حمل به الضعف بسبب ما تعرض له من تعب فى مسيرته، ولقد أصيب بالحمى، وفى ٦ يونيو طلب رييمان من الملك الاذن له بالعودة إلى مقره ولكن رفض هذا الطلب^(٣) .

(١) Coupland : the Exploitation of east Africa, p.109.

(٢) السيد رجب حراز: افريقية الشرقية والاستعمار الأوروبى، دار النهضة العربية ١٩٦٨، ص ١٤٤.

(٣) Coupland : East Africa and its invaders, p. 396.

ثم عاد بعد ذلك وبعد ستة أشهر من أقامته فى راباي ذهب إلى زنجبار لاستعادة صحته، وبعد ذلك قام برحلات هامة^(١) .

وفى عام ١٨٤٩م تم انضمام المنصر ايرهارت Erhardt من جمعية الكنيسة التبشيرية مع "كرايف" و "رييمان" ورغم أنه لم يقيم باى رحلات إلى الداخل فقد كان مهتما باكتشافات زملائه وقصص التجار العرب والسواحليين^(٢).

وفى خريف عام ١٨٥٠م ذهب "كرايف" إلى أوروبا، ولقد عاد إلى وطنه فى عيد ميلاد المسيح وفى بداية السنة وصل إلى إنجلترا ليس بهدف الحصول على الراحة، ولكن بهدف مناقشة مستقبل خطه للتبشير فى شرق أفريقية مع لجنة جمعية الكنيسة التبشيرية ومن الطبيعى أن بعض عدم التشجيع ممكن أن يثار كنتيجة للتخطيط الضخم الذى تحدد للتبشير فى شرق أفريقية، ولكن بعد وجهات النظر الحريصة لكل الظروف للبعثة، فإن اللجنة شعرت بأن خيبة الأمل التى واجهتها ممكن اعتبارها كمحاولة لعقيداتها، لذلك فقد عينوا الطالب بازل Basle الذى تم رساسته كقسيس من كبير اساقفة لندن، وديملير Deimler ليصطحبا "كرايف" فى عودته لشرق افريقية^(٣).

ولقد رجع إلى شرق أفريقية بأسرع وقت ممكن وأصطحب معه مجموعة من المنصرين الجدد، ولكن كان الموقف غير سار بالنسبة إليه، لأن بعضا منهم ترك البعثو، وواحدا مات بمجرد الوصول إلى

(١) Eugene Stock : Op. Cit. Vol II. P.126

(٢) Ramdas, B, Sc, B.T. History of East Africa , P.60

(٣) Eugene Stock: Op. Cit. Vol II. pp. 134-135.

"راباي" وقد بقي اثنان فقط بالاضافة إليه ريمان للقيام بالعمل، وفي الحال ذهب في رحلة إلى يوكامبانى Ukambanki على أمل أن يبدأ تأسيس محطة للبعثة هناك ^(١) وبنى كوخاً وبدأ عمله فى لاتتصير، ولقد زار صديقه القديم من أحد رؤساء القبائل ويدعى كيفوي Kivoi وكان كيفوي ينوى زيارة مدينة فى شمال تانا Tana وعرض كرايف الذهاب معه لأنه يعتقد بأنها أقرب جهة إلى "كينيا" وبالقرب من "تانا" تعرضت الحملة لهجمات من الأهالى ^(٢) فقتل "كيفوي" وترك كرايف لوحده وتم أسره من الأهالى ومهما يكن من أمر فقد تمكن من الهرب حيث اختفى فى غابة تانا ^(٣)، الا أن اهالى قبيلة كيفوي قالوا عنه إنه رجل شرير وأنه يجب أن يحكم عليه بالموت، وتمكن "كرايف" من الهرب ليلاً ووصل أخيراً إلى "راباي" بعد شهر من الضياع داخل الاحراش ^(٤).

وقد توصل "كرايف" إلى استنتاج وهو أن مؤسسته قد انهزمت، وأن فكرة البعثة الأفريقية قد انتهت، وقد قال بكل حزن "أتمنى التقدم للارض التى قاسيت من أجلها كثيراً، ورحلت من أجلها، ومارست العديد من البراهين لبقاء وحماية يد الله فى هذه الأرض، وأنا أنادى أرواح العالم باسم عيسى المسيح الذهاب إلى ولقد سجل خبرته فى كتابه : رحلات، وأعمال التبشير فى شرق أفريقية، وقد قرأها عضو من هيئة المنصرين الأجانب فى اتحاد كنائس النظاميين فى إنجلترا، وأنبهر بشدة من

(١) Sarrah Geraldina Stock : Op. Cit., P.68.

(٢) عبد الرحمن صالح: الاتصالات الأوروبية الأولى بالشرق الأفريقى، فى مجلة نهضة أفريقية، العدد ٧٣، السنة السابعة ١٩٦٣، ص ٢٣.

(٣) J.W. Gregorv: Op. Cit., p.63

(٤) Sarrah Geraldina Stock : Op. Sit., pp. 68-70.

أحلام "كرابف" فى تحويل قبائل الجالا (١) إلى النصرانية.

وأيضا قام بترجمة العهد الجديد إلى السواحلية، ووضع كتابين آخرين فى اللغة السواحلية أحدهما كان للقواعد اللغوية، والآخر كان قاموس للغة السواحلية (٢).

وفى عام ١٨٥٤م ترك "كرابف" شرق أفريقيا بعد أن فعل الكثير فى حق الديانة المسيحية، ومن جهة أخرى اعتمدت جمعية الكنيسة التنصيرية خريطة المبشر إيرهارت Erhardt فى عام ١٨٥٥م، والتي كانت متخصصة فى أفريقية الاستوائية، ومؤسسة على أساس المعلومات التى جمعها من التجار المواطنين، وقم تم إرسال هذه الخريطة إلى جرائد المنصرين، وتم تكبيرها من جمعية الجغرافيين الملكيين، وقد تم عرضها فى أحد اجتماعات تلك الجمعية، وكانت النتيجة هي قيام رحلات لكل من الكابتن برتون Burton والكابتن سبيك Speke فى عام ١٨٥٦م، وقد كتب "سبيك" ما يلى:-

كان المبشرون أول مصدر لهذه الكشف، لقد عملوا لعدة سنوات كل ما فى وسعهم لتحويل زنوج هذه الأرض للمسيحية، لقد سمعوا من العرب وآخرين عن البحيرة العظمى أو جزيرة البحر، وليس فى استطاعتهم الحصول على معلومات عن أي أرض منفصلة عن هذه المياه، وأنا أعتبر نفسى سعيد الحظ فوضع الخريطة وعليها البقعة العملاقة لجزيرة البحر والتي جذبت انتباه جغرافي العالم فى عام ١٨٥٥-١٨٥٦م قد تسببت فى إرسالنا لأفريقية (٣).

(1) William B. Anderson: The Church in East Africa "Tanganika 1970" "1840-1974", p.6.

(2) H. Okeilo Ayot: Op.Cit., p.55.

(3) Eugeno Stock: Op. Cit, Voll. II, PP

لذلك فى عام ١٨٥٦م حصل بـيرتون على موافقة جمعية الكنيسة
التنصيرية على أن يقود بعثة لكشف قلب القارة، وأسهمت وزارة الخارجية
بمبلغ ألف جنيه فى نفقات الرحلة، وكان سبيك يشاركه نفس الميول
الاستكشافية، فتعاون الاثنان لاتمام مغامراتهما المثيرة، وقبل البدء فى
رحلتهم الرئيسية زارا ممباسا وقابلا "ريمان" وفى رحلة العودة ذهبوا بواسطة
نهر "بانجاني" إلى "فوجا" وعند عودتهما من فوجا أصيب الاثنان بحمى
الملاريا، وفى يونيو أرسلوا دليلا إلى الأراضى الرئيسية بالقرب من باجامايو،
وأخيرا بدأت الرحلة فى أول يوليو عام ١٨٥٧م ورغم المصاعب التى قابلاها
فقد قطعوا ١١٨ ميل فى ثمانية عشر يوما، وفى ٢٥ يوليو وصل إلى "زونجو
ميرو" وهي محطة قوافل هامة، وفى ٧ نوفمبر وصلت الرحلة إلى "كازي"
التي كانت فى موقع تابورا الحالية (١).

وفى عام ١٨٦١م قام سبيك مع جرانت Grant برحلة مباشرة من
أجل بحيرة "فيكتوريا - نياسا" ودارا حول مياهها، وفى عام ١٨٦٢م استقروا
بضعة شهور عند متيسا Mustesa ملك أوغندا، وبعد ذلك شاهدا النيل ينبع
من البحيرة العظمى ثم تتبعا مجراه حتى وصلا إلى الخرطوم، ومنها إلى
مصر، حيث تم إرسال برقية من هناك أعلنوا فيها أن "النيل قد تم الكشف
عنه".

ومن ألمانيا كتب كرايف، ليزكر جمعية الكنيسة التنصيرية بمشروعه
حول إقامة سلسلة البعثات المخترقة لأفريقية، حيث قال: "إن الكشف شجعت
بعثة الكنيسة لأن تعد نفسها من أجل التقدم فى الداخل، لكن الرجال الذين كان

(١) عبد الرحمن صالح : الاتصالات الأوروبية الأولى بالشرق الأفريقى، فى مجلة نهضة أفريقية

العدد ٧٣ السنة السابعة ديسمبر ١٩٦٣م، ص ٣٣-٣٤.

من الممكن وضع سياسة لهم للتقدم نحو الداخل لم يصلوا بعد^(١) .

لذلك فى بداية عام ١٨٦٢ م وقع اختيار "كرابف" على اثنين من المنصرين ذهباً إلى الشمال من ممباسا إلى كاووما Kauma حيث كانا يأملان فى جعل كاووما محطة فى منتصف الطريق إلى "جالا"، ولكن واحدا منهما شعر بالمرض وكان عليه ان يعود إلى بريطانيا، والآخر ويدعى ويكفيلد Wakefield إلى رباي Ribe فى منطقة ممباسا حيث كان مركز "كرابف"، وفى الوقت نفسه كان كرابف قد سقط مريضاً وعاد إلى أوروبا، ومن ثم ترك فى الساحل الشرقى فى أفريقية منصرفاً واحداً هو ويكفيلد.

وفى عام ١٨٦٣م تم تعزيز ويكفيلد بمنصر آخر وهو نيو New الذى كان يفتقر إلى الهدوء والصبر، فكان يريد أن يرى الإنجيل وقد انتشر بسرعة فى الساحل^(٢).

وكان سبيك منذ عودته إلى إنجلترا قد راح يروج لمشروع إنشاء "مستعمرة" تنصيرية فى شرق إفريقية، فكتب فى ١٨ فبراير عام ١٨٦٤ موجهاً أنظار هيئات البروتستنتية إلى تلك الممالك قائلاً : إلى هذه الأقاليم، وعلى وجه الخصوص فى ممالك أونورو وأوغندا يجب على جميع ارساليات الكنيسة أن توجه بصفة خاصة انتباهها، لأنها سوف تجد ملوك واهوما^(٣) المنحدرين من سلالة الأحباش المسيحيين القدامى، وسوف تجد أيضاً خصوبة فى التربة تكفى لسد حاجتها"، واقترح سبيك أن ترسل الهيئات البروتستنتية رجال التنصير عن طريق النيل إلى مملكة أونورو، حيث ينتشرون من هناك

(1) Eugene Stock: Op. Cit. Vol.II.P. 139.

(2) William B. Anderson: Op.Cit.. P.6.

(3) Stanley : In Darkest Africa, Vol. I, p.354.

إلى بقية الممالك الاستوائية، ورغم الاغراءات القوية التي تضمنها نداء سبيك، فقد أعتبرت جمعية الكنيسة التصيرية مشروعاً خيالياً، بسبب المصاعب والعوائق الطبيعية التي قد تواجه المنصرين في أفريقيا^(١).

وبعد إلغاء تجارة الرقيق في عام ١٨٧٣م أصبحت مشكلة إمدادات العبيد المصّررين خطيرة^(٢)، ولذلك بدأت بعثة الكنيسة بإقامة المستوطنات في مدينة فريرتاون Freretown بالقرب من ممباسا^(٣)، وهي نسبة إلى بارتل فريير، وتحت إشراف المنصر برايس W.S.Price وبدأت المستعمرة أعمالها، وطبقاً لذلك فإن مستوطنة فريرتاون تمّ إقامتها في الأرض الأساسية (الساحلية)، وفي أول سنة تم وضع اليد على حوالي ٥٠٠ عبد من القوارب الشراعية للتجار العرب حيث تم تسليمهم إلى فريرتاون^(٤).

وقام المنصّورون يشجعون العبيد على الهرب من أسيادهم العرب والالتجاء إلى المستعمرة، التي صارت تستقبلهم وتمنحهم حماية الجمعية، المساعدة بحوالي ١٠.٠٠٠ شلن، وتبين أيضاً أسماء المدارس التي شملت منح المساعدة وهي :

مماسا	٢٥٠٠	شلن
Kaloleni	٤٥٠٠	شلن
Taita Primary	١٥٠٠	شلن
كاين للبنات		

(١) السيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الاوروبي ، ص ١٦٠

(2) H.Okeilo Ayot: Op.Cit., p.98..

(3) Ramdas, B. Cc. B.T.: Op. Cit., P.64.

(4) Ibid., P.62.

شُلتن	٣٠٠٠	Kahuhia
شُلتن	٤٥٠٠	Kahihia
شُلتن	٢٥٠٠	نيروبي
شُلتن	٢٥٠٠	Maseno
شُلتن	٩٠٠٠	
شُلتن (٥)	٣٠,٠٠٠	

وايضاً هناك وثيقة أخرى محفوظة في الإرشيف الكيني مرسله من
جمعية بعثة الكنيسة التبشيرية إلى المدير التنفيذي للتعليم في نيروبي وهي
كما يلي:

"أمل أن تضع مكتوباً يحتوي على إعادة توزيع جزء من التصور
القصير في منحتنا التعليمية لعام ١٩٣١، وفيما يتعلق بهؤلاء الذين لم يحصلوا
على منح منتظمة في نهاية عام ١٩٣٠م فسوف تقدم منح من المدخرات،
وأيضاً سوف تقدم منحة لمدرسة ممباسا للبنات حوالي ١٠٠٠ شُلتن^(١) .

وفي ١٥ نوفمبر عام ١٨٧٥م نشرت جريدة "تيلي تلجراف The

(٥) إلى مدير التعليم في ١٦ مايو ١٩٣٥م. انظر ملحق رقم (٣).

Kenya, National Archives: Ed. I/3307 C.M.S. 1 May 1935.

(١) إلى المدير التنفيذي في ١٢ / نوفمبر ١٩٣١

K.N.A : Ag 5/1558 C.M.S.

انظر ملحق رقم (٤)

Daily Telegraph خطابا من الرحالة المعروف "ستانلى" شرح فيه تحسن الاحوال السياسية فى ه تحسن الاحوال السياسية فى Buganda منذ زيارة "سيبك" وبين فى الخطاب الاحترام الذى قوبلت به البعثة من قبل الملك موتيسا Mutesa^(١). ولقد ذكر "ستانلى" بأنه قد ترك خلفه واحدا من خدمه لكى ينفذ تعليمات Mutesa وهو بذلك يخدم جمعيات التبشير الانجليزية لكى تحذر مثله فى العمل^(٢).

لذلك استجابت جمعية الكنيسة التنصيرية على الفور لدعوة ستانلى وقامت بالاعداد لارسال المنصرين إلى أوغندا بالرغم من أنها لم تستجب من قبل لدعوة سيبك للأسباب الآتية:

- (١) العقبات الطبيعية التى تواجه المنصرين على الساحل الشرقى لافريقية جعلت جمعية الكنيسة التنصيرية تعتبر المشروع غير عملي.
- (٢) تفضيل الجمعية تنمية المحطات الساحلية وعدم التقدم إلى داخل القاهرة إلا بعد التأكد من سلامة المنصرين هناك.
- (٣) موت سيبك المفاجئ^(٣).

وقد تطوع ثمانية من المنصرين للذهاب إلى أوغندا ووصلت البعثة تحت رئاسة الملازم شيرجولد سميث Shergold Smith إلى باجامويو على الساحل Bagamoyo فى يوليو سنة ١٨٧٦م، ومات نصفهم فى خلال عام

(1) Tom Kigging : A serving People, p.48 "Oxford 1974".

(2) Eugene Stock: Op. Cit, Vol. III, p.95.

Oliver, R. : The Missionary Factor in East AFRICA, "LONDON 1952", P.39.

(3) Ingham: The Making of Modern Uganda pp.31-34.

من وصولهم، وفي نهاية عام ١٨٧٧م ظل ويلسون فقط على قيد الحياة ودخل أوغندا، وانضم إليه في العام التالي أشهر المنصرين الذين ارسلوا إلى أوغندا وهو الكسندر ماكي Alemander makay^(١)، الذي يعتبر من أوائل أعضاء بعثة الكنيسة التنصيرية الفدائيين إلى أوغندا، وقد بذل المنصرون الجدد أقصى ما في وسعهم لحماية أنفسهم، ولقد أسس "ماكاي" بعثة في منطقة اوجوجو Ugogo في تنزانيا، وقد تم اختيار المكان بسبب كثرة إمدادات المياه، ثم إن موقعه مرتفع جداً ليصبح بارداً وخالياً نسبياً من الأمراض^(٢).

وبعد وصول شيرجولد سميث وويلسون إلى أوغندا بعث الأخير إلى جمعية الكنيسة التنصيرية بلندن برسالة جاء فيها مايلي : "... لقد قمت بصلاة شائقة جداً في القصر الملكي هذا الصباح، وكان الملك وكبار الشخصيات وغيرهم وهم يبلغون حوالي المائة على وجه الاجمال، حاضرين وقرأت من العهد القديم والجديد، وكان موفتا Mufta يقوم بالترجمة، وشرحت بضعة أشياء سأل الملك عنها، ثم تلونا بضعة ابتهالات، وكان الجميع راكعين، ولدهشتي وسروري كانت تنبعث كلمة أمين من القلوب بعد كل ابتهال، وخطبت فيهم بعد ذلك خطبة قصيرة عن خطيئة آدم ونتائجها، وحاجتنا من ثم لمنقذ وأخبرتهم بأن المسيح هو ذلك المنقذ، وترجم موفتا كل ذلك، وأنصت الجميع بانتباه شديد، وسألني الملك بعد ذلك عدة أسئلة، ولقد كان ذلك مشجعاً لدرجة كبيرة في الحقيقة^(٣).

(1) Marshz and King North : AN Introduction to the history of East Africa. "Ca; Bridge 1957" pp. 126-127.

(2) William B. Anderson : Op. Cit., 19.

(٣) أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية خطاب ويلسون الذي كتبه في ٨ يوليو ١٨٧٧م ومصور على ميكروفيلم في أرشيف الحكومة الكينية في ملف تحت رقم Ca 6/025.

ولم يشعر منصرو جمعية الكنيسة التنصيرية بالارتياح لدخول الكاثوليك إلى أوغندا منذ البداية، ويتضح لنا دور هؤلاء المنصرين السياسى فى تلك البلاد من تعليق بعض الكتاب على هذه الاتجاهات، حيث يقول كتلر Kittler فى فترة محاولة دخول إنجلترا شرق أفريقيا من نقط مختلفة على الساحل الشرقى - تأكدت إنجلترا من أهمية التأثير الاجتماعى للبعثات التنصيرية، وأيدت الكنيسة فى انتشارها إلى حد كبير، وأعطت لبعثاتها الدينية نفس الأهمية التى لبعثاتها العلمية والسياسية، وتوقعت أن تتبع الدول الكاثوليكية نفس السياسة، ولذلك ذهب ممثل الكنيسة الانجليزية إلى الكاردينال لافيجرى بعد رحيل القافلة الأولى من الآباء البيض مقترحا تكوين مناطق نفوذ منفصلة من أجل تجنب المنافسة الدينية، وقد أغفل هذا الاقتراح الاختلافات الأساسية بين الطائفتين، والحقيقة المعروفة من عدم تعاون الدول الأوروبية الكاثوليكية مع الكنيسة بسبب عدم سيطرتهم عليها^(١).

وحت القنصل العام البريطانى فى زنجبار بعثة الكنيسة أن تحتل موشى Moshi^(٢)، وأخيراً تمكنت بعثة الكنيسة التنصيرية فى يوليو عام ١٨٨٠م من تأسيس محطة لبعثة فى تلك المنطقة^(٣).

وهذا يدل على مدى اهتمام بعثة الكنيسة التنصيرية بانتشار الاستعمار البريطانى فى شرق أفريقيا.

(1) Kittler, G. Lenn, D. : The white fathers, "New York 2957" p.127.

جرس عريان مرقص: التنافس بين البعثات التبشيرية فى أوغندا وأثيره على استعمارها، رسالة ماجستير - جامعة القاهرة، ص ١٣١.

(٢) أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية فى لندن، من هانجتون إلى وانجرام فى ١٤/٢/١٨٨٥م، فى ملف تحت رقم A5/02

(3) Tom Kigging : Aser Ving People. p.81.

وفى عام ١٨٨٨م وصلت الشركة البريطانية الامبراطورية لشرق
أفريقية وبوصلوها أضعف الوضع السياسى للجهات التى كانت تعارض امتداد
بعثة الكنيسة، وذلك بعرضها تعويض العرب عن عبيدهم الذين هربوا والذى
تم جمعه من التبرعات للبعثة الكنيسة من المؤيدين لها ^(١)، وبذلك أصبحت
بعثة الكنيسة فى وضع يسمح لها بالانتشار، وكانت الشركة فى مبدأ الأمر
حدّدت الاتجاه الذى يجب على البعثة أن تسلكه فى انتشارها.

وفى نوفمبر ١٨٨٨م دعا رئيس الشركة البريطانية الامبراطورية
لشرق أفريقية ماكّنزى Mackenzie بعثة الكنيسة للاتحاد مع الشركة
والتوسع معها فى الداخل، والدعوة لهذا التعاون غير معروفة ولكن ربما
يكون اكّنزى قد رغب فى مراقبة نشاط البعثة، وأيضاً ربما تكون الشركة
ترغب فى الاستفادة من البرامج التعليمية للبعثة وتسهيلات أخرى تشعر
الشركة من امكانية قيام البعثة بها لصالح الشركة ^(٢).

وفى نوفمبر ١٨٨٩م طلبت الشركة من بعثة الكنيسة احتلال ماليندى
Malindi ^(٣)، وهذه الدعوة كانت هامة بالنسبة للبعثة بخصوص سياستها
التوسعية فى الداخل. وفى فبراير ١٨٩٠م دعا لوجارد Lugard وبنز Binns
وكانا يعملان لحساب الشركة لاتشاء محطة فى ماجونجين Makongeni
حيث تؤسس الشركة البريطانية هناك مخازن، واهتمام "لوجارد" بالبعثة ربما

(1) Bennet: The Church Missionary Society at Mombasa "Boston 1964"
Mombasa "1874-1894" PP.189-191.

(٢) أرشيف جمعية الكنيسة التصويرية من ماكّنزى إلى برايس بتاريخ ١٣/٢/١٨٨٨م، مصور
تصوير ميكرو فيلم تحت رقم 1888/422.

(٣) أرشيف جمعية الكنيسة التصويرية من بنين إلى لونج بتاريخ ١٨/١٢/١٨٨٩م مصور
تصوير ميكرو فيلم تحت رقم : 1890/6.

يكون متمشياً مع مشروعه لتشجيع العبيد الهاربين لشراء حريتهم بالعمل لدى الشركة، والخطوة ليس هدفها تحرير الرقيق بل أيضاً إيجاد عمالة للشركة^(١).

وفي عام ١٨٩٥م كانت إدارة المحميات البريطانية لشرق أفريقيا تقدر أهمية المنصرين لعملية فتح أفريقيا، وقد كان هاردنج Hardinge أول حاكم إداري لمحميات شرق أفريقيا يبارك أعمال منصر بعثة الكنيسة التبشيرية سميث Smith لتضحيته والقيام بواجبه ومساعدة الحاكم الإداري المحلي في 'راباي'^(٢)، وقام خليفته اليوت Eliot لتوسيع إدارته للمحميات على أساس أن فتح محطة جديدة تظهر بصفة عامة كمؤثر للتوسيع والامتداد للنفوذ الأوروبي وفتح محطات حكومية جديدة^(٣)، وبحلول عام ١٩٠٠م نمت بعثة الكنيسة بصورة مستديمة في زيادة عدد المنصرين حتى أصبحوا هيئة ضخمة في الساحل، بالإضافة إلى ١٥ منصر تم تعيينهم في شكل نصف قصر دائرة على بعد حوالي ١٥ ميل من ممباسا، ولقد أوضح بنز بأن محطة فريرتاون كانت تعج بالمنصرين بينما وجه الأسقف الإنجليزي بيل Peel انتقاده على التركيز، وطالب بسرعة الانتشار^(٤) بالإضافة إلى ذلك فإن ثمانية أوريين تم تعيينهم في Taveta وهي محطة صغيرة بالقرب من جبل كليمنجارو وهي تخدم حوالي ٤٠٠ مواطن، وقد أدرك رئيس المنصرين أن مجموعته تشعر بالخل من كثرة عددها وأضاف بأنه يجب أن نجد وسيلة للامتداد أو بالتأكد

(1) Robert W. Stryer: The making of mission communities in East Africa "1875-1935" New York 1978" pp.40-41.

(2) Robert W. Strayer : Op. Cit., PP. 32-33.

(3) Charles Eliot: The East Arica Protector ate, "London 1905" p.241.

(٤) أرشيف جمعية الكنيسة التبشيرية بلندن خطان من Binns إلى Baylis في ٢٥ مارس

١٨٩٨م وفي ملف تحت رقم 1898/63.

سندمر أنفسنا (١).

وفيما بين عام ١٩٠٠م وعام ١٩٠١م تم انشاء محطات البعثة مخترقة "الأراضي الجبلية" فيما كان يعرف باسم المجمع الكنسى لشرق أفريقية الاستوائية (٢) وقد تم تقسيم شرق أفريقية من ناحية القساوسة إلى مجمع كنسى جديد فى "ممباسا" مع الاسقف بيل Peel وأصبح شديد الحماس للدفاع عن تقدم الكنيسة الأفريقية، فضلا عن ذلك شهدت السنوات قبل تعيين بيل Peel أزمات سياسية بين موظفى بعثة الكنيسة، وفى مجهوداته لخلق مؤسسات جديدة لحكومة الكنيسة أعاد بيل Peel تنظيم الترتيبات المالية للمجموعات المحلية لتسمح بدرجة كبيرة من الدعم الذاتى، وقد أوجد الاسقف المجالس المحلية للتعامل مع أموال نظام الكنيسة وأكثر من ذلك أهمية هو تأسيس مجلس أفريقى للكنيسة والذى يعتبر بمثابة خطوة أولى نحو انشاء سلطة للأسقفية ولها مكوناتها وبالتالي انشاء مقاطعة كنسية مستقلة عن كانتربورى وهى الكنيسة المركزية لإنجلترا والمشرقة على جميع الكنائس فيها (٣).

وفى عام ١٩٠٤م بعدما بدأت بعثة الكنيسة فى التحرك من ساحل ممباسا إلى المناطق المزدحمة بالسكان فى الأراضي الجبلية فى "كينيا لتبدأ العلم مع قبائل الكيكويو Kikuyu واكمبان، أوضح Jones عدم رضاه عن البعثة بسبب فشلها فى نشر المسيحية بين قبائل النايكيا، وفى ذلك الوقت اختفى العبيد المحررون كطبة من كينيا لأن معظمهم قد تحرك إلى الداخل،

(١) أرشيف جمعية الكنيسة للتصيرية بلندن خطاب من Steggall إلى Baylis فى ١٢ مارس ١٨٩٦م وفى ملف تحت رقم 1896/127.

(2) A.J. Temu: British Protestant Missions "London 1972", p.91.

(3) Robert W. Strayer : Op.Cit., PP.67-68.

والى المدن الساحلية، وأنصهروا مع الافريقيين الاخرين، وكما واجه Jones أيضاً فشلاً فى نشر المسيحية فى قبائل النايكا Nyika والذى عمل معظم حياته فى وسطهم ^(١)، وفى عام ١٩٠٤م وهى السنة التى مات فيها، كتب Jones مايلى :-

"لمدة حوالى قرن من الزمان، ماذا عملت البعثة ليواناكا من مدينة ديجو Digo إلى مدينة جيرياما Giriama كل هذه السنوات تم ضياعها فى راباى وفريرتاون لماذا لم يتم إقامة محطات جديدة بين موامبا Mwaenba وجيلوري Jilore فطبيعة ماليندى ليس لديها دليل للطرق، وحتى عن بعثة الكنيسة فى كاوما Kauma فى أعلى تنجانيقا رغم وعدهم بالأمانى ولكن بدون نتائج جيدة، ولمدة نصف قرن كانت النتائج هى بعض المحطات فى شمبا هيل Shimba Hill حيث لم يتمكن بنز Binns من تحويل أى أحد إلى المسيحية ^(٢)

ويعصور لنا تقرير بعثة الكنيسة التصيرية لعام ١٩١٧ / ١٩١٨ حالة المنصرين والبلاد على النحو التالى :

لقد قاسوا الكثير من المتاعب، وبعض الوكلاء استمروا فى عملهم وفى العديد من الاماكن والمدارس والصلوات ليوم الأحد تم استمرارها، وهناك

(1) A.J. Temu: Op. Cit., PP. 71-72.

(٢) أرشيف جمعية الكنيسة التصيرية فى نيروبي خطاب Jones إلى البطريق Peel مصور تصوير مايكرو فيلم ومحفوظ فى أرشيف الحكومة الكينية فى قسم East Africa وهو بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٠٣م.

حالات حدثت ذات جانب خلقي، ومنزل المدرسين فى بويجيرى Buigiri قد تم حرقه، والعمل الروحي مستمر فى زويسا Zoyisa وأيضاً فى المحطات الخارجية فى المقاطعة حتى منذ قيام الحرب العالمية الأولى، ورجال الدين الذين ساعدوا أيضاً فى المدارس، ويوجد العديد من الرغبات فى أن يصبحوا مستقرين^(١).

وقد زاد عدد بعثات البروتستانت العاملين فى جميع أنحاء شرق أفريقيا بحوالى ٤٣٪ بين عامى ١٩١١م و ١٩٢٥م ولكن انخفضت بنسبة كبيرة فى عام ١٩٢٥م وعام ١٩٣٨م^(٢)، وكانت البعثات فى معظم المدة المتطورة تعمل فى تأسيس الكنائس الأفريقية، وعندما كانت المساعدات المالية للبعثات من الدول الأوروبية المتبرعة كبيرة كانت توجد رغبة وميل لتوحيد الرقابة الغربية وتأسيس مجموعة من القساوسة التابعة للمستعمرات فى شرق أفريقيا.

وكان لتصريحات البابا وحضوره مؤتمرات البعثات أن ركز على الأهمية بالاحتفاظ بقدر الإمكان بالنسيج الأهلى للمجتمع، وتشجيع تجهيز طقوس دينية متنوعة وصلوات، وبطريقة أخرى فإن لبّ أو جوهر الإخلاص فى المسيحية يجب أن تستجيب لكل من الهجوم الذهني، ولتحذير حوادث العالم، والحركة المرتبطة بجميع العالم المسيحي اقتبست الفكرة والإلهام من عناصر البعثات فى كنائس البروتستانت التى حملت كثيراً لتزود الشعوب فى أوروبا بشن الحرب ضد المسلمين فى الشرق، بواسطة التعاون بين كنائس

(1) M.L. Pirouet : The First World War-An Opportunity Missed by the missions. p.13.

(2) John R. Matt : The Decisive Hour of Christian Missions, "New York 1012", p.29.

العالم للتهيء للقتال ضد الغسلام والذي يعتبر خطراً عليهم^(١).

وإذا نظرنا إلى النسبة المئوية للمسيحيين في شرق أفريقيا بين عام ١٩١٤م وعام ١٩٤٤م نجد النسبة قليلة جداً إذا ما قورنت بعدد الهينات والبعثات التنصيرية فيها، ففي عام ١٩٣٨م كان المسيحيون في كينيا حوالي ٨٪ من تعداد السكان، وأيضاً لم تزد نسبة المسيحيين في تنجانيقا عن ١٠٪، وفي أوغندا بلغت نسبة المسيحيين ٢٥٪^(٢).

وفي ظل هذه الاحصائيات الدقيقة يمكن تقدير عمل البعثات التنصيرية في مناطق شرق أفريقيا بأنه لم يصادفه التوفيق إلى درجة كبيرة، إذ إن النسبة المئوية لعدد المسيحية بكل دولة في المنطقة قليل جداً مقابل الامكانيات والمساهمات التي وضعت تحت تصرف البعثات التنصيرية.

وأخيراً تبين لنا بعد هذا الشرح التفصيلي أنه لو كان هدف الجمعيات التنصيرية دينياً فقط لتعاونت جميعها في جهد مشترك لنشر المسيحية، وتطبيق تلك المبادئ التي جاءوا يدعون الناس إليها، وهم أبعد ما يكونون عنها، وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى نجاح الإسلام هو ما كان للمسلمين من تفوق أدبي.

ولاشك أن جهل رجال الدين المسيحيين من الأفارقة بأصول دينهم وضيق تفكيرهم صرفهم عن المسيحية إلى الإسلام، حتى إن قبائل مسيحية تحولت برمتها إلى الإسلام، وإن بقيت أسماؤها المسيحية تدل على دينها

(1) John R. Mott: Op. Cit, PP. 29-31.

Roland Oliver : The Missionary factor in East Africa, p.232.

(2) Roland Oliver : Op. Cit., P.234.

Latourette, K.A. : A history of the Expansion of Christianity. Vol. III, PP.234-237.

السابق.

وفق هذا ١ وذاك فإن سياسة المسيحيين التي اتَّبعوها في اضطهاد مخالفيهم في الدين أو المذهب، وإجبار المسلمين على التعميد، ودفع العشور، وإجبار الوثنيين على التنصر، قد بغض هؤلاء جميعاً في المسيحية، وجعلهم يتحولون إلى الإسلام اعتصاماً بعدله وسماحته، بل إن المسلمين الذين أجبروا على التنصر ظلوا على ولائهم للإسلام، واستغلوا كل ما أُتيح لهم من امكانيات لنشره (١).

(١) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ، طبعة ثالثة عام

١٩٧٠، ص ١٤٠-١٤١.

٢) أرسالية الجامعات لوسط أفريقية :

يعتبر ليفنجستون Livingstone عاملاً حماسياً مؤثراً على النشاط التبشيري بين الأفريقيين، وكانت قد تحدثت الأوساط التبشيرية عن الأفريقيين المهملين الذين يعانون من الوثنية وتجارة الرقيق وذلك لأثارة حماس المبشرين ولجذب أكبر عدد من المساهمين في البعثات التبشيرية^(١).

وظهرت آراء "ليفنجستون" في ساسيس بعثة بواسطة مجموعة من رجال الدين المسيحيين^(٢)، وكتنظيم بدأت بخطة وبطريقة مختلفة تماماً عن طريقة جمعية بعثة الكنيسة للتصوير، وبطريقة أثرت بقوة في عملها وفي نفوذها وذلك يرجع من ناحية إلى موقف الإنجليز من تلك الأرسالية^(٣) ومن ناحية أخرى إلى أن بعثة التصوير للجامعات قد ركزت نشاطها في مكان جغرافي واحد، وكان أسقف الكنيسة في الموقع يتقلد المركز الأساسي، وله مطلق حرية التصرف^(٤).

وقد تم تأسيس بعثة الجامعات إلى وسط أفريقية، كنتيجة مباشرة لمحاضرة "ليفنجستون" في جامعة كامبردج في عام ١٨٥٧م وجذبت تأييدها من الكنيسة العليا للإنجليكان، حيث أرسلت مجموعة من المنصرين برئاسة الأسقف ماكنزي Mackenzie ليبدأ نشاطه في الأراضي الجبلية في منطقة شاير Shire جنوب بحيرة "تياسا" وقد كانت تلك الأراضي الجبلية مركزاً

(1) A Pter : the Politival Kingdom of Uganda, "New Jersey 1961" P.65.

(2) William B. Anderson : The Church in East Africa "Tanganyika 1977". p.67.

(3) Eugene Stock: The Histroy of the Church Missionary Society, "London 1899" Vol. II, p. 19.

(4) Roland Oliver : The Missionary Factor in East Africa "London 1952", p.12.

للنشاطات الأوروبية التي تضاعفت منذ زيارة ليفنجستون لها في عام ١٨٥٩م
ففي السنة نفسها شهدت وصول شعب Ngoni لإقامة على تلّ يقع إلى الغرب
من بحيرة نياسا (١).

ورغم أن استعمار نياسا لاند قد تأخر زهاء عشرين عاما، حينما أسست
"شركة البحيرات الأفريقية" من أجل استثمار موارد المنطقة براسمال قدره
٢٠,٠٠٠ جنية دفع معظمه جيمس ستيفنسون J. Stevenson وهو تاجر من
جلاسجو كان مهتما بحركة الكشف الجغرافي والنشاط التنصيري في أفريقية،
فقد كانت الاستجابة الفورية لدعوة ليفنجستون هي إرسال الأسقف ماكينزي
ونفر من المنصرين التابعين لإرسالية إلى وسط أفريقية لكي يقيموا مركزاً
للتنصير في أعالي نهر شيري، وصل ماكينزي ورفاقه إلى أفريقية الشرقية
في يناير ١٨٦١م ، وأنشأوا في شهر يوليو أول مركز للتنصير يخص إرسالية
الجامعات في موجومرو Mogomero إلى الجنوب من بحيرة شيروه (٢) ،
وفي يناير ١٨٦٢م استقبل ليفنجستون زوجته ماري التي عادت إلى أفريقية
للائضمام إلى زوجها برفقة سيدات إرسالية الجامعات، اللتي كنّ قد أحضرن
معهن أجزاء من "ليدي نياسا" وهو زورق بخاري كان ليفنجستون قد طلب
بناءه في بريطانيا على نفقته الخاصة، وحين بلغت سيدات الإرسالية مصب
نهر روو Ruu أحد فروع شيري، صدمن بسماع نبا وفاة الأسقف ماكينزي
وأحد أتباعه المنصرين بالمalaria، وكانت وفاة ماكينزي بمثابة ضربة موجهة
إلى جهود ليفنجستون في تأسيس مركز تنصيري وسط أفريقية، إذ لم يلبث أن
انسحب مركز إرسالية الجامعات التنصيرية من منطقة نياسا إلى زنجبار أوائل

(1) Assa Okoth : aA history of Africa 1855-1914. "Kenya 1979" p.55.

Hokeilo Ayot : Topice in East Africa, Kenyatta University College 1975. p.56.

(2) Livingsstone. D. : Expedition to lake Nyassa in 1861. p.251.

عام ١٨٦٣م^(١).

وبعد سماع موت الأسقف ماكينزي ذهب الأسقف "جرى" إلى إنجلترا لأخذ نصيحة من اللجنة القومية، واختيار منصر ديني جديد ترك اختياره لنفسه وثقة أسقف أكسفورد "ويليرقورس" ولقد اختاروا وليم جورج توزر William George Tozer قسيس كنيسة بيرجهكم - وثثوب - Burghcum-Winthorpe في لينشير Lincolnshire وقد كان رجل أكسفورد في كلية سانت جون، وأيضاً في الكلية الدينية St. John في ويلي Wells^(٢).

ويعتبر وليم جورج توزر أسقف في بعثة الجامعات وقد تمت رسامته لمنصب الأسقف في كنيسة وستمنستر West Minster وفي عام ١٨٦٣م بواسطة رئيس الاساقفة لونغلي Longley^(٣).

قرر الأسقف توزر Tozer الذهاب إلى مورا مبالا رأساً، لأنه كان يعتقد أن ذلك يمكنه من الاتصال المباشر مع كويلمان (ميناء بشرق أفريقية على ساحل المحيط الهندي) والتي يعتقد أنه يمكن استخدامها كقاعدة للملادادات.

ومورامبالا عبارة عن جبل عظيم منعزل يقع على الشاطئ الشمالي لبحيرة نياسا وقريب من نهر شاير Shire على بعد حوالي ٣٠ ميل من اتصال نهر شاير مع نهر زابيزي، ووجد الأسقف أنه ليس من المرغوب فيه أن تنتقل البعثة إلى القرية لأنه بالاضافة إلى أصحاب العائلات كان يوجد تابعوك لهم

(1) Livinstone, D. : Op. Cit., PP. 245-251.

(2) George Herbert Wilson: The History of the universities Mission to Central Africa, "London 1935", p.19.

(3) A.E.M. Anderson-Morshaed : The History of the Universities Mission to Central Africa "1859-1909" "London 1909" p.43.

يتوقعون من البعثة أن تمدّهم بحاجاتهم، فقد قرر الأسقف أن يأخذ الأولاد إلى "مورامبالا" ولكن لم تكن لديه رغبة في اخذ النساء^(١)، لأن مورامبالا لم تكن على الاطلاق مكاناً جيّداً بسبب الضباب والدخان الذي يهب على الجبل والذي يستمر طول اليوم، وأحياناً تهب رياح عالية على الجبل، كما يوجد تغير وغير منتظم في الجون كما يوجد عدد قليل من السكان في المناطق المجاورة، وهو منتشرون على مسافات بعيدة، وفضلاً عن ذلك يتحدثون لغات ذات لهجات محلية مختلفة، لم تستطع البعثة فهمها، ولذلك وصل الأسقف إلى حلّ وهو الانسحاب الكامل من كل قرى زامبيزي، وقد كان قراراً صعباً تحمّله الأسقف بنفسه، وكانت اللجنة القومية قد وضعت فيه ثقته، على أن يتخذ قراره بنفسه عمّا إذا كان من المرغوب فيه تغيير هيكلا عمل البعثة، وإذا كان من الضروري الانسحاب بالكامل من وادي زامبيزي، وقد ردّ الأسقف حيث قال: "أنا أفعل ذلك وأنا آسف لعدم التوفيق، حيث إنّ تحرّكنا سيسبب حزناً عميقاً للقلوب في إنجلترا، وبعد قرار الانسحاب من وادي زامبيزي الذي تم اتّخاذه، فقد كان السؤال التالى وهو أين تستقر البعثة^(٢)."

وللاجابة على ذلك قام الأسقف "توزر" في ربيع عام ١٨٦٥م بشراء عقارات وأملاك عند "كيونجاني" Kiungani والتي تبعد حوالى ميل ونصف من المدينة والتي لعبت دوراً ضخماً في تاريخ البعثة وقد كان الأسقف لديه طالب في كلية "ويلز" للأهوت، وقد ساعده رجال ويلز لشراء العقارات لوضع الأساس لعمل المستقبل، فقام في نهاية عام ١٨٦٥م بشراء بعض الأراضي بعد كيونجاني، والمعروفة في ذلك الوقت باسم "شامبا Shamba" ولكن

(1) George Hernert Wilson : Op. Cit., p.20.

(2) A.E.M. Anderson- Mordhead : Op. Cit., p.44.

Herbert Wilson; Op. Cit., p.21.

عرفت فيما بعد باسم ميوبني Mbweni^(١)، ولقد شجع هيئة البعثة في ميوبني "لمضاعفة الاهتمام بالتدريب المهني، وكان يوجد بعض الطالبات اللاتي يعملن في مهن لا تتفق مع تعاليم المدرسة، ولذلك رأوا أنه لا بد أن تقدم لهنّ المهنة المناسبة، وذلك بوضعهنّ تحت رعاية الآتسه آلن Allen والآنسة بيركلي Berkeley لتعليمهنّ الكتاب المقدس^(٢).

وكانت بعثة الجامعات تهتم بالبحث عن إضافة لبعثاتهم البعيدة، وكانوا قد طلبوا بعض الموارد الأوروبية لتنمية عملهم بكفاءة، ولتقديم استثناء للشكل العام لنشاط البعثات خلال تلك المدة، وكان رجال البعثات لا يزالون يركزون على المدارس التي تقدّم العلوم الدينية، والمركزة في زنجبار و Magila و Likoma حيث يقتصر عمل المدرسة على تقديم العلوم الدينية وأداء الصلوات في الكنيسة^(٣).

وفي عام ١٨٦٦م حضرت سيدتان للعمل في البعثة وكانتا أول سيدتين تقومان بالعمل في البعثة، ويجب ألا ننسى أن الآتسه "ماكينزى" والسيدة Burtup حضرتنا إلى أفريقية بهدف الانضمام إلى هيئة البعثة في موجومرو، ولكن بعض الظروف حالت دون ذلك، والسيدتان هما الآنسة "تورز" أخت الاسقف والآنسة "جونز" ولقد وصلا في قارب شراعى^(٤)، كما كانت هناك أيضاً الآنسة فولر Vouler التي تعتبر من أكبر المنصرات في بعثة الجامعات، وقد قضت ٢٥ سنة من حياتها في الخدمة الدينية في جزيرة بمبا

(1) George Herbert Wilson : Op. Cit., p.26.

(2) Ibid., p.83.

(3) Roland Oliver: The Missionary Factor in East Africa. "London 1952", p.175.

(4) George Herbert Silson: Op. Cit., p.25.

Pemba، وكان عدد المسيحيين فى الجزيرة حوالى ٢٠٠ كما يوجد عدد من المسيحيين تمّ اعتناقهم الإسلام، وذلك بسبب بعض الاضطرابات، وغالبا بسبب الهروب من نظام واشراف الكنيسة^(١).

وبعد استقالة الأسقف "توزر" فى أبريل ١٨٧٠م، تم تعيين خليفته وهو ادوارد ستير Edward Steere الذى كان صديقه المخلص وزميله فى العمل، وقد كان هذا الرجل من أقدر رجال البعثة، ولد فى لندن وهو الابن الوحيد لمحامي فى المحكمة العليا، وقد تمّ تعليمه فى مدرسة كلية الجامعة، وبعد ذلك فى جامعة لندن، وقد حصل على درجته العلمية فى ١٨٤٧م وأصبح دكتوراً فى القانون عام ١٨٥٠م ولم يتجه لمهنة المحاماة، لأنّ اهتمامه كان فى مكان آخر، حيث فكر فى الأنشطة الدينية، وتمّ تعيينه شماساً فى أبرشية ديفون شاير Deven-Shire، وفى عام ١٨٦٨م لحق بصديقه "توزر" فى بورغ Burgh^(٢) وهناك أصبح قسيساً لكنيسة صغيرة فى لينكولن شير Lincoln Shire حيث كانت الدعوة للذهاب لأفريقية فى انتظاره، وفى يوم كان "توزر" يمشى حول الكنيسة ومعه خطاب من الأسقف "جرى" يطلب منه الاشراف على البعثة، وكان قد حضر فقط لأخذ النصيحة، فاقترحت مسز "ستير" عليه بأن دكتور "ستير" يمكن أن يصطحبه ويساعده فى الاستقرار، وهكذا قرر "ستير" الذهاب إلى أفريقية^(٣)، وشعر بأن أحسن قاعدة للعمل فى وسط أفريقية ممكن أن يكون فى بلاد الزولو Zululand أو جزيرة "زنجبار Zansibar" أما بالنسبة للأولى فكان يوجد العديد من الاعتراضات،

(1) Carl- Erik Sahlberg : Achurch Histroy of Tanzania, "Kenya 1980", p.127.

(2) George Jerbert Wilson: Op. Cit. p.35.

(3) Ibid: pp. 35-36.

فهي تقع بعيداً جداً، وبذلك تمّ اختيار زنجبار^(١)، لأن زنجبار مركز تجارى هام ، فالتجارة من الداخل يتم بيعها فى زنجبار، ويتم حملها بالقوارب البخارية إلى المحيط الهندى، وتأتى البضائع من موانئ بعيدة إلى زنجبار، ثمّ تجد بعد ذلك طريقها إلى الداخل، وتجارة العبور (ترانزيت) هذه لها أثر هام جدا فى شرق أفريقية، يحدثنا ويلسون بأنه قابل رجلاً عجوزاً ورئيساً لقبيلة من مكان بعيد من الجانب الغربى لبحيرة "تاسا" فذكر له أنه حضر خمس مرات فى شبابه إلى زنجبار لبيع العاج^(٢)، وكانت زنجبار أيضاً مركزاً لتجارة الرقيق حيث الآلاف من المخلوقات يتم بيعها فى الأسواق كل عام، ويبدو أن اختيار الأسقف لمدينة زنجبار له العديد من المزايا، فمما لا شكّ فيه أنها تعتبر قاعدة للانطلاق ضد المسلمين فى شرق أفريقية، ومما هو جدير بالاهتمام أن القنصل الإنجليزى فى زنجبار "جون كيرك" وافق الأسقف على عمل الاجراءات التى يراها لأن معلوماته عن شرق أفريقية تأتى فى الأهمية بعد معلومات "ليفنجستون" ولذلك فإن موافقته كانت مهمة^(٣).

ولقد اختار الاسقف منزلاً جميلاً استأجره من سلطان زنجبار، وقد كان القنصل العام البريطانى "بلاتير" وزوجته يقدّمان كل ترحيب ومساعدة للبعثة، وكان السلطان نفسه ديقاً لهم، ولكن الأسقف ذكر أن صداقته لم تأت عن تأييد وتعاطف مع البعثة ولكن بسبب رغبته فى التعامل الجيد مع انجلترا، ولقد قدّم هدية للأسقف عبارة عن خمسة أولاد، والذى سبق أخذهم كعبيد من قارب شرعى، لأن القارب لم يدفع الضرائب للسلطان، ومن المصادفة أن أربعة من

(1) A.E.M. Anderson-Morshead: Op. Cit., p.45.

(2) George Herbert Wilson: Op. Cit., p.22.

(3) George Hernert Wilson: Op. Cit., pp.22-23.

هؤلاء الأولاد كانوا من القطاعات المجاورة لبحيرة نياسا، وكان الأسقف يفكر في ضرورة وجود قسيس أفريقى ، وكان يأمل أن يستطيع أحد من هؤلاء الأولاد يوماً ما تعليم الإنجيل لقومه، ولم يجرؤ على اتخاذ خطوة سريعة في توسيع البعثة 'بعثة الجامعات' حتى يتمكن من الحصول على موافقة اللجنة القومية ^(١)، وعندما توجد حُجرة غير مستعملة في المنزل الذى استأجره من السلطان، ثم أعدادها ككنيسة صغيرة، وتم فتح مدرسة فيها ، وأول التلاميذ كان الخمسة أولاد السابق إهداؤهم من السلطان، ووضع ترتيب يومي منظم، وقد كان كلُّ شئ على ما يرام عدا مشكلة استخدام هيئة موظفين تجيد اللغة، ولم يكن الأسقف نفسه ضليعاً في قواعد اللغة السواحلية، لذلك أعد نفسه لتعلُّم تلك اللغة، وقد تمكن في وقت قصير من التحدث إلى المواطنين بلغتهم ^(٢).

كانت أول ثمرة للبعثة في شرق أفريقية وضع أول حجر للمدرسة الجديدة في ود ستريت Wood Street وذلك بدءاً بتسعة أولاد تم تنصيرهم، وقد كان منهم خمسة أولاد صغار السن، وإذا تتبعنا مسيرتهم في الحياة نجد الأول "جون سويدي" أصبح شماساً، وظلَّ على قيد الحياة حتى عام ١٩٣٥م، والثاني "روبرت فيروزس" من نياسا كان من أكبر المقربين عند "ستانلي" في رحلته من زنجبار إلى الكونغو، والثلاثة الآخرون كانوا من قبيلة الياو، وهم جورج فرج الله الذى أصبح مساعد شماس، ومات بعد فترة قصيرة من العمل، وروبرت سونجولو Robert Songolo وقد كان منشداً، ولكنه مات صغيراً، وفرانسيس مايروكي Francis Mabruki الذى أصبح مساعد

(1) Ramdas, B.Sc. B. T: Revision Histroy. Paper I, History of East Africa, p.62.

(2) George Herbert Wilson; Op.Cit., pp.24-25.

وفي عام ١٨٧٢م حاولت جمعية بعثة الجامعات أن تمتد في جنوب تنزانيا، حيث أحضر الأسقف Steere مجموعة مكونة من ٢١ منصرفاً إلى زنجبار، حيث قررت البعثة أن تحول عدداً ضخماً من العبيد المحرّرين من المستعمرة Mb Weni في زنجبار إلى Malawi وقد وصلت المجموعة إلى مساسي Masasi وتوقفت هناك، وقد وجد المنصرون أنططوين مجتمع مسيحي يعني أيضاً حكمه وإقامة العدالة فيه، وأيضاً المخاطرة عند التعرض إلى الغزو، لذلك أعلنت بعثة الجامعات بأن عملها لم يكن ناجحاً في نشر الانجيل (٢).

وفي عام ١٨٧٢م قام الأسقف الدكتور ستير برحلة عمل إلى تلال ياو Yao وكان يريد أن يكتشف المنطقة حول نهر رفوما Ruvuma لأخذ بعض العبيد إلى بعثته، ولكن لم يحقق شيئاً (٣).

وفي ٢٤ أبريل ١٨٧٢م هبت رياح قوية على الجزيرة، وعندما مرّ الإعصار سحب كل السفن التي في الميناء للداخل ما عدا أبيدوس Abydos وهي السفينة التي وصلت فيها كل من الأنسة "تورز Tozer" و "ستير Steere" فقد نجحت من العاصفة بسبب القيادة الحكيمة لقبطان السفينة الكابتن كومنج Cuming ولقد دمر منزل البعثة في شانجاتي، وتحطمت أجراس الكنيسة فهجرتها البعثة، وقد كتبت الأنسة "تورز" تقول: أنا أعتقد بأننا شعرنا

(1) Ibid: p.26

George Herbert Wilson; Op. Cit., p.26.

(2) Anderson : A Brief Account of Christian ityin Tanzania, p.4. Department of Regigious studies and Philosophy, Makerere University, Kampala, 1970.

(3) Ramdas, B. Sc. B. T : Op. Cit., p.61

بالأسى لتدمير الكنيسة، فلقد أعددنا أشياء كثيرة جميلة من أجل عيد الفصح، ولقد تحطمت الحديقة، وكلُّ الكتب تمزقت، وكانت الصدمة أكثر مما نتحمّله، حيث إن الأسقف كانت صحته عليه (١).

وعندما وصل الأسقف "ستير" إلى إنجلترا كان واضحاً أنه من المستحيل أن يقوم بأي عمل آخر، لذلك قرر الاستقالة من عمله في ٢٠ أبريل ١٨٧٣م (٢).

وفي عام ١٨٧٦م ذهبت أعداد ضخمة من السُمحيين إلى الجنوب للإقامة والاستيطان في منطقة مساسي Masasi وكان لهذه المستوطنات المسيحية هدفان : الأول : خلق مجتمع مسيحي، والثاني: هو تدريب المنصرّين الأفارقة، وكان John Szedi أول أفريقي تم تعيينه قسيساً في شرق أفريقية، وتمّ تعيينه شماساً في عام ١٨٧٩م وأيضاً كان هناك عبيد تمّ تدريبهم من قبل بعثة الجامعات حيث قامت البعثة برسامة قسيس أفريقي في شرق أفريقية (٣)، وفي عام ١٨٨٣م حضر منصر يدعى لوкас Lucas لشرق أفريقية في خدمة بعثة الجامعات، وعمل معظم وقته في مساسي Masasi وبعد ذلك أصبح أسقفاً في المجمع الكنسي فيها إلى أن توفي عام ١٩٤٥م.

وكان لوкас له اهتمام كبير باستخدام مجموعة الصقوس والمراسيم الدينية، وقال إن هذه الطقوس يجب أ، تعرض للمجتمع الأفريقي، والكنيسة يجب أن تهتم بخدمة كل ما يمكن جمعه عن التقاليد الأفريقية، وعن طريق كلماته وصف الطقوس الدينية المطلوبة حيث قال: "كل الأرض التي تأخذ

(1) George Herbert Wilson : Op. Cit., p.61.

(2) Ibid., p.30.

(3) William B. Anderson: The Churchin East Africa "1840-1974", p.1.

الطقوس فيها مكاناً فهي مباركة بالصلاة ورشها بالمياه المقدسة، وبذلك تحل محل خبز القربان والصلب والدعاء، والتوسل إلى القديسين من المسيحيين يحل محل الالتماس إلى أحد الاجداد السابقين للقبيلة^(١).

وفي ٢٥ فبراير عام ١٨٨٤م وصل الأسقف سميث Smythies إلى زنجبار، وقد عقد أول اجتماع كنسي بمجرد وصوله، ووجد أن هيئة البعثة تعمل في مراكز مختلفة، وكل واحد له عمله الخاص^(٢)، ففي مكينونازيني Mkunazini المنزل الذي كان في ذلك الوقت يعد بمثابة المركز الرئيسي الذي تم تدميره، كان هناك الأنسة ميلز Mills ولديها مدرسة وبها أولاد وأطفال، وكان عددهم ٣٥ وهم نواة التطوع الديني، ويوجد أيضاً حجرة لرعاية حديثي الولادة تحت رعاية الأنسة باشفورد Bashford.

وفي كيونجاني Kiungani التي تبعد حوالي ميل ونصف خارج كينيا يوجد مكان للأولاد وعددهم حوالي ٦٨ ويتولى رعايتهم خمسة أوروبيين وتتولى الأنسة برتليت Bartlett الإشراف على الطبخ والغسيل، وكان عام ١٨٨٩م عام حزن لمحطات بعثة الجامعة في يوسامبارا Usambara حيث مات جلد آرت Geldart الذي كان ضليعاً في قواعد اللغة، ولديه القدرة والصبر على التعامل مع الأولاد، وأيضاً مات بعد أسبوع الشمس جودير Good Year ، وفي سبتمبر مات نولس Knowles وتبعه آخر قبل نهاية السنة وهو سباركس C.J. Spstkd الذي تم تعيينه قسيساً قبل عدة أسابيع^(٣).

وفي عام ١٨٩٩م أصبح فرانك جورج وستون Frank George أسقفاً

(1) Carl-Erik Sahlberg: Op. Cit., P.80.

(2) George Herbert Wilson: Op. Cit., p.82.

(3) Gerge Herbert Wilson: Op. Cit. PP. 89-90.

لبعثة الجامعات^(١) وقد كتب إلى البعثة مقالاً صغيراً بعنوان : " هل توجد حاجة للبعثات " وبينما هو يعترف بما يوجد فى الديانات الأخرى من حسنات، فقد اعتبرها بمثابة إغداد وتمهيد للمسيحية، ثم ناقش المبدأ بأن الإسلام هو المناسب للعنصر البشرى، أجاب: "لا توجد ديانة تتناسب المنطقة أحسن من ديانة المسيح، وبالنسبة لكل المظاهر فإن الديانة اليهودية تعتبر موسى النور الذى منحه الله ليقودهم هم إلى طريق الله، ومع ذلك فقد برهن بأن اليهودية تعد بمثابة حالة مؤقتة تقوم الديانة فيها بخدمة اليهود، حتى يظهر المسيح بوعظه، ثم إن موسى حاول ووجد ما يريد، ولكنه لم يُعَدِّ مواطنيه لاستقبال المسيح، لذلك فلقد قتله اليهود وعند صعوده وظهوره مرة أخرى سيعطى البرهان النهائي بأن رسالته تشمل كل الديانات.. وأنا مستعد للاعتراف بكل سعادة طالما أن الكنيسة لا تستطيع شق طريقها إلى سوكونتو Sakato "فى غرب أفريقية" فإن أهل "سوكوتو" سيجدون فى الديانة الإسلامية مقياس الهداية الإرشاد الذى وهبهُ لهم الله... " (٢).

وعند إشراف الأسقف هاين Hine على بعثة الجامعات، كتب مذكرة بين فيها عدم الرضى عمّا تم إنجازه، وذلك بأنه يرى انجازات ضئيلة رغم حماس البعثات فى تحويل الآخرين بصفة عامة فى بعض أجزاء فى أفريقية، وقد استفسر عمّا إذا كان ذلك بسبب أنهم يعملون بنصف قلب.

واوصى بتخصيص بعض الأيام للاستفسارات، وذلك بجذب المدرسين والكنهة، ليروا حجم عملهم مع إصراره على ضرورة دفع مرتب ثابت

(1) A.E.M. Anderson- Morshead : Op. Cit., p.286.

(2) H. Moynard Smith, D.D.; Frank Bishop of zanzibar, life of Frank Weston, 1871-1924 "London 1926" p.98.

ومنتظم، لرجل الدين الوطنى، وقد قال: "نحن نريد رجالاً مخلصين ربما منحهم الله إلينا، والذي يسعى لرفاهية كنيسته ويحبها من كل قلبه، والذي لديه رغبة لتحمل الروح الانسانية، والتي هي روح المسيح التي تعمل فى قوتهم، ويعتمد على قوة الله جمع شمل أولئك الذين فى الظلمات (١).

وفى عام ١٩٠٠م أقام رئيس الأساقفة 'دافيس' Davies فى موسومبا Msomba التى تقع مقابل ليكوما Likoma وعلى انحدار ٢٠٠ ياردة من الشاطئ، أقام كلية وذلك لتعليم المدرسين، وكان فى كثير من الأوقات ينصح باستخدام الأدوات والمواد لعملية فى التدريس للعلوم المسيحية (٢).

وفى عام ١٩٠٥م تم انعقاد اجتماع لحوالى ٤٠ عضو من البعثة من قبل ميكلناس Michaelnas وقد قال أحد الوطنيين بأن جميع الأوروبيين بدأوا فى خلوة، فقد كانوا فى سكون، ويصلون للرب من قلبهم والبعض كان يفكر فى المخاطرة من أجل العقيدة، وبأن يكون مبنى البعثة فى ليكوما Likoma (٣)، وكانت قد اختارت بعثة الجامعات معظم أتباعها من بين رعاية رئيس قوى يدعى تشيتيسى Tshitesi الذى يحكم المنطقة الساحلية فى ليكوما ولكن هو نفسه من قبائل ماجوانجوارا Magwangeara والتي يتم اعتبارها كجزء من قبائل الزولو.

وقبائل ماجوانجوارا أصدقاء لبعثة الارسالية الجامعية لوسط أفريقية وقد

(1) A.E.M. Anderson- Morshead: Op. Cit., P. 313.

(2) A.E.M. Anderson - Morshead: Op. Cit. P.291

(3) Ibid., p.297

أسست لهم الإرسالية محطة خاصة بهم (١).

ويوضح تقرير عام ١٩٠٧م لبعثة الجامعات لنا أن هناك تسعة أعضاء وطنيين يعملون قساوسة في بعثة الجامعات، وهناك أيضاً ١٢ شماساً، و٢٦ كاهناً و٢٨٦ مدرسا من الجنسين، وبالنسبة لكفاءتهم فيمكن الحكم عليها من الأسقف هاين الذي أشار إلى حالات الفشل، وقال هل يوجد في العالم أي رجل دين معفى من المقابلات والعمل، وذلك في خطابه في مؤتمر ليكوما Likama ١٨٩٩م حيث قال: "نحن نسمع الآن وفيما بعد بعض حالات الفشل، وبعض أعمال المعصية التي يرتكبها بعض المدرسين فنحن نعاملهم بالقسوة، ونحن على حق في عمل ذلك، ولكن هل نحن مسؤولون عن فشلهم (٢)، هذا دليل من منصر على الأعمال الخاطئة التي يرتكبونها لأنهم هم عارفون أن الطريق الذين يمشون عليه هو على باطل وغير صحيح.

ورغم كل مما سبق شرحه بالتفصيل إلا أن الإسلام أصبح محل جذب للمواطنين الافارقة لأنه يتصل بالشعار الوطني دغ أفريقية للأفريقيين، ولقد أوضح ذلك الموقف الاسقف وستون Weston في أبريل عام ١٩٠٨م في جريدة الشرق والغرب.

ولقد جاء الوقت بالنسبة إلى أعضاء البعثات التصيرية لكي يفهموا أنه في وسط وشرق أفريقية تخوض الكنيسة غمار الحرب، لبُلُوغ أهدافها، ومنذ خمسين سنة كانت أفريقية الاستوائية بلاداً ميتة، كما شاهدها لينفجستون

(1) Report by Mr. H.H. Johnston, Her Majesty's Consul for the portuause possessions on the East Coast of Africa. Mozambique, 17 March 1890, F.O. 403/127.

انظر ملحق رقم ٥

(2) A.E.M. Naderson- Morshead: Op. Cit., p.14.

واليوم تعيش وأصبحت بالفعل أرض المعركة لأعداد كبيرة رموا بأنفسهم
بعنف ضد المسيحية، وزعم المنصر (فرانك) أن هناك خطرين عظيمين
يهدان أفريقية الاستوائية في تلك اللحظة وهما : تقدم التجارة، كما لا يزال
تقدم الإسلام من الشمال، وذلك لتحويل أهالي وسط أفريقية لطاعة الله
ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ولقد تقدم الإسلام إلى أبعد مما تقدمت إليه
الكنيسة في داخل أفريقية (١).

(1) H. Maynard Smith D.D. : Op. Cit., p.100. "London 1926".

(٣) جمعية لندن للتصيرية

اتَّجه نشاط الجمعيات التصيرية بصفة خاصة إلى أفريقية بعد الكشف الجغرافية التي بدأت الأضواء على داخل القارة، فكان المنصرون يسرون عادة في ركاب المستكشفين - وأن كانت بعض البعثات التصيرية قد سبقت أحيانا في كشف النقاب عن مناطق لم تكن معروفة للأوروبيين. على أن الجمعيات التصيرية التي بدأت نشاطها بالعمل على نشر المسيحية بين الأفارقة انغمست في ميدان الاستعمار (١).

وكان القساوسة الانجليز قد قاموا بتأسيس جمعية تصيرية بيد أن هذه الجمعية بدأت مهمتها في الأراضي الهندية، التي كانت تحتها بريطانيا، وذلك في عام ١٧٩٥م وابتداء من عام ١٧٩٩م بدأوا يتجهون بدعوتهم وتصريهم نحو شرق أفريقية (٢).

وكان أكثر المبشرين الأوروبيين نشاطاً في الميدان التصيري هو دافيد ليفنجستون David Livingstone حيث توجه في سبتمبر عام ١٨٣٨م إلى لندن وانضم إلى جمعية لندن للتصيرية London Missionary Society التي كانت قد تأسست عام ١٧٩٥م وبدأت أعمالها التصيرية في الشرق، وكان ليفنجستون يأمل، بعد أن حصل على إجازة الطب من كلية الأطباء والجراحين، بجامعة جلاسجو في نوفمبر عام ١٨٤٠م أن توفده جمعية لندن للتصيرية إلى الصين للتبشير بالمسيحية هناك، ولكن الجمعية قررت أخيراً

(١) شوقي عطا الله الجمل: تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلو، ص ٣١.

(٢) رولاند أوليفر وجون فيج: موجز تاريخ أفريقية، ترجمة دولت أحمد صادق، الدار المصرية

للنشر، ص ١٥٠.

إيفاده إلى شرق أفريقية (١).

فزار مركز "كورمان التصيرى الذى أنشأه المنصر موفات، وتجول كثيراً وأقنع أخيراً بأن نجاح التصير ليس بعدد المتصيرين المشكوك فى هدايتهم ، بل إخضاع أفريقية لنفوذ النصرانية، والتمكين للسيطرة الأوروبية على شعوبها، والاستحواذ على ثرواتها وتجارتها، فكرس جهوده لهذا الغرض وظل يطالب البرلمان البريطانى للعمل من أجل ذلك فقبل باستجابة وحماس شديد فى بريطانيا، لأن آراءه كانت تجمع بين الكسب المادي وبين نشر المسيحية والقضاء على الإسلام (٢).

وقد أقام ليفنجستون أول مركز تبشيري له فى وادي مايوتسا أحد منابع نهر لمبوبو إلى الشمال الشرقي من كورمان، ويبعد عنه بحوالى مائتى ميل، وأحضر إليه زوجته "مارى" ابنة المنصر موفات (٣)، ثم انتقل إلى "تشونوان" التى تبعد أربعين ميلاً شمالاً عام ١٨٤٦م حيث أسس مركزاً تصيرياً جديداً، وعمل فيه مع زوجته على جمع الأطفال الأفريقيين، وتربيتهم على مبادئ المسيحية، ولقد كان ليفنجستون من أهم رسل الجمعية التصيرية اللندنية، وأبعدهم خطراً، ولم يسبق لأحد من الرواد فى أفريقية أن اجتذب مشاعر الناس كما فعل هذا الأسكتلندي، وقد لا تتبين لأول وهلة أسباب قوة لشعبيته، لكنه كان على التحقيق علماً فى التصير، وعلى الرغم من أنه قام برحلات باهرة، فقد اكتشف أجزاء كثيرة (٤)، ففى عام ١٨٤٩م ، وبعد الدراسة الأولية

(1) Oliver. R. : The Missionary Factor in East Africa, p.7.

(2) Ibus. pp.10-13.

(3) Josephine Kamm : Explorers into Africa. 1980. p.216

(٤) محمد عبد العزيز إسحاق: مرجع سابق، ص ٦٩.

لسفوح جبال أوسامبارا Usambara Mountains ، قام برحلة كان الهدف منها هو البحث عن مواقع تستخدم للبعثة، ثم عاد بعد ذلك إلى الشمال الغربي متعقباً طريق رييمان Rebmann حتى أصبح جبل كليمنجارو على مرمى بصره، وقد عرف من رجال القبائل أنه على الرغم من أن الكثير من الرجال قد هلكوا على الجبل إلا أن عدداً قليلاً منهم قد نجح في جمع بعض المواد قريبة الشبه من الفضة والتي عندما وضعت في زجاجات تحولت إلى مياه عادية (١).

وحاول ليفنجستون الصعود في نهر زمبيرى للبحث عن مكان صحي في المرتفعات الداخلية لإقامة محطة مركزية للمنصرين، وللتجار الأوروبيين، لكنه لم يجد، ف قضى عام ١٨٥٤م في استكشاف نهر شيرى - أحد روافد الزمبيرى - ومرتفعات شيرى، فأعجب بمناخ مرتفعات شيرى المعتدل، وكتب إلى الحكومة البريطانية يحثها على إنشاء مستعمرة بريطانية فيها، وحض المنصرين والتجار الأوروبيين على المجئ إليها، فكانت الاستجابة السريعة لدعوته هي إرسال الأسقف "ماكينزى" ونفر من المنصرين ليقیموا مركزاً للتصير في الجهات التي اكتشفها ووصل مايكنزى وزملاؤه إلى أفريقية الشرقية وأنشأوا أول مركز للتبشير يتبع الإرسالية في "موجومرو" جنوبى بحيرة "شيروه" (٢).

وفي الوقت الذى كان ليفنجستون يقوم فيه باستكشاف حوض الزمبيرى كانت هناك بعثات كشفية تعمل في منطقتى تنجانيقا وأوغندا، وكانت أولاهما بقيادة الكابتن ريتشارد فرنسيس يورتون أحد ضباط جيش بريطانيا، الذى

(1) Josephine Kamm; Op. Cit., p.229.

(2) Oliver, R. : The Missionary Factor in East Africa, pp. 11-13.

حاول التوغل من بربرة لاستكشاف بلاد الصومال، وفي عام ١٨٥٦م قررت جمعية الكنيسة بلندن إرسال حملة كشفية للبحث عن البحيرات العظمى (١)، ووقع اختيارها على بورتون وزودته بالمالا لوالعتاد، فوصل إلى زنجبار عام ١٨٥٦م، وأذن له السلطان ماجد بن سعيد ليقوم بتلك الرحلة بل وزوده بخطابات توصية إلى العرب المقيمين بالمراكز التجارية الداخلية، فقام برحلة زار فيها "كيموري" ثم عاد إلى زنجبار، ولما وصل ليفنجستون زنجبار أخذ يُعدّ العدة لرحلة إلى داخل القارة، حيث بدأ رحلته هذه في ٦ أبريل ١٨٦٠ من "مكنداني" فبلغ الشاطئ الشرقي لبحيرة نياسا في أغسطس، حيث دار حولها من الجنوب ثم قصد الطرف الجنوبي لبحيرة تتجانيق، ولما وصلها اتجه صوب الغرب، حتى وصل إلى أعالي نهر الكنغو، ثم رجع إلى أوجيجي حيث قابله ستانلي المحرر بصحيفة "نيويورك هيرالد" الذي أرسلته الصحيفة لإبلاغه أن الرأي العام الأوروبي يتتبع بشغف زائد أخبار جولاته في شرق أفريقيا، وأن الجمعية تبدي اهتماماً بالمناطق المحيطة ببحيرة تتجانيق، وسلمه الرسالة التي كان يحملها له من الوطن، ثم اكتشفا معا الطرف الشمالي لبحيرة تتجانيق، ثم عادا إلى طابورة، حيث عاد ستانلي إلى الساحل وذهب ليفنجستون لاستكشاف منطقة توزيع المياه بين أعالي النيل والكنغو (٢). وكان لدى ليفنجستون حماس في ترغيب المنصرين من الشباب لكي يلحقوا به في محاولته فتح طريق للتجارة ونشر المسيحية، وقد استجاب له بعض الأوروبيين من بينهم شقيقه، وطبيب شاب، وعالم في علم النبات يدعى جون كيرك John Kirk الذي لعب فيما بعد دورا حيويا في القضاء على تجارة

(1) Coupland, R. The Exploitation of East Africa, London 1939, p.106

(2) Ibid. p. 122-124.

الرفيق العربية ، وبعبارة :-

A boranist named John Kirk who was later to play a vital part in the Supression of the Arab slave trade ⁽¹⁾.

وقامت جمعية لندن التنصيرية بفتح محطة فى أوجيجى Ujiji على بحيرة تتجانيقا فى عام ١٨٦٣م حيث قام رجل اعمال اسكتلندي اسمه ستيفنسون Stevenson بتزويد جمعية لندن التنصيرية ببعض المال وذلك لمد طريق بين البحيرات، وهذا الطريق تم تسميته طريق ستيفنسون Stevenson حيث قام بخدمة محطة بعثة لندن فى فوامبا Fwamba ^(٢) وكان هناك فى مدينة "ليدز Leeds الانجليزية رجل يدعى ارتجتون Arthington قد ورث ٢٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني عن والديه، ولكن بدلا من أن يعيش فى حياة رفاهية، عاش فى حجرة واحدة بدون أثاث وخص بأمواله جمعية لندن للتنصير، بهدف شراء مركب بخارية لبحيرة تتجانيقا ولتأسيس بعثة تبشير على شواطئها ^(٣).

أي إن الاهتمام بالتنصير لم يكن وقفا على الجمعيات ، بل تعداه أيضاً إلى الأفراد، وهذا يفسر لنا مدى تعبئة الشعور الدينى فى تلك الحقبة بحيث دفعت الناس إلى التضحية بأموالهم من أجل نشر العقيدة المسيحية، فى مقابل أنهم يعيشون عيشة الفقراء، لأنهم وهبوا كل ما يملكون من أموال للجمعيات التنصيرية ويجدون فى ذلك خلاصاً لأرواحهم وقلقهم، وكانت أحوال العمل قبل ذلك صعبة حيث أدت إلى حدوث العديد من حالات الوفاة ولكن بالرغم

(1) Josephine Kamm: Op. Cit., P.221.

(2) Assa Okoth : A History of Africa 1855-1914, Kenga 1979, p.56.

(3) Kigging Tom: A serving people, Oxford University Press, 2974, p.48.

من ذلك فإن المبشرين لم يستسلموا أو يفقدوا الأمل في تنصير الأفارقة، وأهمية نشاطات بعثة لندن للتصير كانت خليفة بأن تدفع المبشرين إلى التحرك إلى مناطق البحيرات، وأيضاً هذه المساهمات أسرعت بعمل المبشرين إلى داخل أجزاء شرق أفريقيا (١).

لذلك في عام ١٨٦٧م سافرت أول حملة عن طريق المسلك الرئيسى لطرق التجارة ووصلت أوجيجي Ujiji في أسرع وقت، وفي خلال الخمس سنوات التالية تم فتح محطات تبشير في أورامبو Urmabo التابعة لـأوجيجي Ujiji نفسها، وفي متوا Mtowa على الساحل الغربى من البحيرة، وفي خلال الستة عشرة سنة الأولى للبعثة مات ثمانية رجال، ومن الأعضاء الذين استمروا قاسى بعضهم كثيراً للمحافظة على بقاء طريق الساحل الشرقى مفتوحاً إلى المحطات الشمالية على البحيرة، ولقد فضّل البعض الطريق البحرى للوصول إلى بحيرة نياسا Nyasa كحلّ للعمل بين نياسا وتجانيقا (٢).

وكان من أبرز أعضاء جمعية لندن للتصيرية خلال أوج نشاطها في شرق أفريقية متقاعدان كانا يعملان في البحرية، هما إدوارد هور Edward Hore وسوان A.J. Swann اللذان أبحرا بنجاح تتجانيقا لمدة عشرة سنوات، فالأول أصبح مستشار "سير جون كيرك" القنصل العالم البريطانى فى "زنجبار" والآخر أصبح الساعد الأول لجونستون Johnston عندما أنشئت إدارة "نياسالاند" (٣).

(1) Okeilo H. Ayot: Topice in East African history 1000-1070, Kenyatta University College, September 1975, p.56.

(2) Lovettem R. : A History of the London Missionary Society, London 1899, pp. 69-70.

(3) Swann, A.J., : Fighting the Salve-Hunters in Central Africa, London 1910, p.44.

وفى عام ١٨٧٦م أرسلت جمعية لندن للتصيرية حملات لاستكشاف المنطقة الممتدة بين الساحل الشرقى لأفريقية وبين بحيرة تتجانيقا واختيار الأماكن التى تصلح لإقامة مراكز للتصير فيها، وقد نجح الرحالة ادوارد هور Edward Hore قائد الحملة الأولى فى الإقامة بأوجيجي وأتخذ منها محطة لأبحاثه على بحيرة تتجانيقا، وحصل على معلومات تفصيلية عن شواطئ البحيرة خلال الرحلات التى قامت بها مراكب صغيرة تخص الإرسالية ، وفضلاً عن ذلك فقد أنشأت جمعية لندن للتصيرية مراكزاً لتصيرياً فى أورامبو Urambo عاصمة مملكة أونيا موبرى الأفريقية، وفى عام ١٨٧٩م نُقِلَتْ محطة أوجيجي إلى موقع صحى فى جزيرة كافالا Kavalla إحدى الجزر الواقعة بالقرب من شاطئ تتجانيقا الغربى، وتوجت أعمال Hore بإنزال الزورق البخارى جود نيوز Good News فى مياه بحيرة فيكتوريا، وكان أول زورق بخارى يشاهد فى مياه تلك البحيرة (١).

وكانت جمعية لندن للتصيرية أول جمعية تصيرية تتسلل إلى الداخل، حيث وصلت إلى أوجيجي Ujiji على بحيرة تتجانيقا، ومن هناك تحركوا للإقامة على الجوانب الشرقية والغربية للبحيرة، ولقد عملت البعثة ما فى وسعها لكي تكون على علاقة جيدة مع العرب (٢).

وفى عام ١٨٨٠م قام الدكتور مولنز Mulins رئيس الشؤون الخارجية لجمعية لندن للتصيرية برحلة إلى شرق أفريقيا، لكنه توفى فى مبوابوا Mipwapwa وتولى قيادة الرحلة الدكتور سوثن Southon وتقدمت القافلة

(1) Lovett, R. : Op. Cit., Vol. I, PP. 650-660.

(2) Anderson , William, B. The Church in East Africa 1840-1974, Central Tanganika Press, "CTP" 1977, p.20.

مارّة بطابورة Tabora إلى عاصمة ميرابوا Mirambo أورامبوا Urambo حيث تخلف سوثن وتولى نائبه جريفث Griffith قيادة الرحلة حيث أقام محطة تنصيرية في متوا Mtowa في أوجوهو Uguho على الجانب البعيد لبحيرة تنجانيقا (١).

ولقد رسخت العلاقة بين الدكتور سوثن Southon ورئيس ينامويزي Unyamwesi وذلك باستئصال ورم خبيث كان يشكو منه الرئيس ميرامبو Mirambo وبعد ذلك أصبح للدكتور سوثن نفوذ على هذا الرجل القوي، إذ بات الزعيم ميرامبو Mirambo أقل ميلا للحرب وابدى رغبته في الحصول على جيش مترقّة بشروطٍ جيّدة ولقد شجعه سوثن على أن يهتم أكثر بالتجارة وطرد البعثة الكاثوليكية.

وعندما سمعت بعثة جمعية لندن في أورامبو Urambo عن التطور الذي طرأ على أعمال البعثة في رونجوى Rungwe طلبوا من بعثة مورافيانز Moravians أن تباشر عملها في أورامبو Urambo وينامويزي، وفي ٢ يناير عام ١٨٨٥م وصل اثنان من المبشرين وهما دالز Dahls وميرز Meiers وفي أكتوبر تم التحاق ستيرن Stern وعائلته الذي تحول من سورينام Surinam ليعمل مشرفاً على البعثة (٢).

ويتضح من رسائل مبشرى جمعية التنصير إلى القنصل البريطاني في زنجبار وإلى مركز الجمعية في لندن ، أن الموقف في منطقة بحيرة تنجانيقا إبان الثمانينات من القرن التاسع عشر ، لم يكن يختلف كثيراً عن الموقف في أوغندا ففي عام ١٨٨٩ م ألح تبوتيب زعيم الكونجو المسلم في مقابلة له مع

(1) Anderson , William, B. : Op. Cit, pp. 20-21.

(2) Erik Sahlberg-Carl : A church History of Tanzania, Kenya, 1986, p.68.

المنصر إدوارد هور E.Hore أحد مبشرى جمعية لندن للتصيرية إلى أن لدية خطة " لتصحيح الأوضاع " حول بحيرة تنجانيقا ، وفى العام التالى أبلغ مبشراً آخر من مبشرى هذه الجمعية وهو جونز D.P.Jones رؤساءه فى لندن ، بأنه قد علم بأن سلطان زنجبار قد كلف رعاياه العرب والسواحلية بالاستيلاء على كل البلاد المحيطة ببحيرة تنجانيقا ، وفضلاً عن ذلك فقد كتب مبشر ثالث وهو سوان A.J.Swann يقول إن أحد العرب أو السواحلية من أتباع تيوتيب ويدعى كابوندا Kabunda قد أطلق على نفسه لقب "سلطان أولونجو Ulungu" وفرض سلطته على كل الأقليم الواقع جنوب بحيرة تنجانيقا^(١)

وأيضاً كتب Swann عندما لاحظ قارباً شراعياً يسيروا به عبيد من الشباب ، يقول : " إنه من المستغرب أن مثل هذه المناظر والأصوات جعلتلى أتضايق من القيود التى بموجبها نحن أعضاء بعثة جمعية للتصير مجبرين عليها ، لقد شاهدت هؤلاء الناس الشباب الذين يتم حملهم بعيداً عن آبائهم ، بعيداً عن منزلهم ووطنهم ، ولقد شعرت بالخجل من لونى وأسم رحلتى وجمعيتى^(٢)

وكان لدى جمعية لندن للتصيرية ثمانية وكلاء فى بحيرة " تنجانيقا " أربعة منهم متزوجون ومعهم زوجاتهم ، اى كان هناك اثنا عشر أوريبا يعيشون معاً ، من هؤلاء تسعة مقيمون ، وثلاثة تم تحويلهم إلى تابور Unyanyembe فى Tabora عند أقصى الطرف الجنوبى للبحيرة .

(1) Oliver, R. :Some Factors in the British Occupation of East Africa, 1951, pp.54-55.

(2) Anderson: A brief Account of Christianity in Tanzania, Ufanda, 1975.

وكان وكلاء جمعية لندن التصيرية فى هذه المقاطعة شكر تيبوتيب
لإتقاذ حياتهم وثروتهم بعد النزاع مع الألمان فى الساحل ، ولم يكن العرب فى
تتجانيقا موافقين على إقامة الأوربيين فى وسط أفريقية ، واقترحوا القبض
على كل وكلاء بعثة لندن للتصير وقتلهم ، وتحويل السفينة التجارية
وقواربهم وممتلكاتهم إلى القواد العرب ، وكان من الممكن القيام بهذا
المشروع ولكن تدخل " تيبوتيب " الذى عندما سمع بالمشروع منح المبشرين
الحماية ، وعند الضرورة إعلان الحرب على العرب فى صالح المبشرين ،
وهذا العمل وضع نهاية لمشروع الاستيلاء على المبشرين وممتلكاتهم (1)

(1) Report By Mr. H.H. Jonhston, Her Majesty's Consul for the portuguse
possessions on the East Coast of Africa on the Nyasa-Tanganyika Expedition
1889-1890 Mozambique. dated 17 March 1890.

انظر ملحق رقم (٥)

(٤) إرسالية الكنائس الحرة المتحدة الأسكتلندية :

شهد القرن التاسع عشر تأسيس جمعيات تنصيرية بروتستانتية عديدة وأهمها بالنسبة إلى أفريقية إرسالية الكنائس الحرة المتحدة السكتلندية في شرق أفريقية (١)

وكان المبشر الأسكتلندي روبرت موفات قد أسس في عام ١٨٢٠ م مركز للتبشير في كورومان وفي ذلك الوقت كانت الحدود الشمالية لمستعمرة الرأس يحميها خطٌ من الحصون ، بحيث لم يجرؤ إلّا عدد قليل من البيض على اجتيازه ، لهذا بدت إرسالية كورومان في نظر الكثيرين من الناس ضربا من الجنون ، ولكن روبرت موفات كان يشعر بأن هذا واجبه ، لذلك عمل مع القبائل المجاورة بحيث كان له تأثير على زعماء المتابيلي (٢)، وكانت بعثة موفات الخطوة الأولى في نشر المسيحية بين القبائل ، وقد اقتصر نشاطها على منطقة الشرق الأفريقي ، كما أنّ موفات لم يكن له دور كشفى يستحق الذكر .

وتزامن وجود المبشرين في وسط أفريقية مع بداية الأعمال الأولية للمبشر دافيد لينفجستون من أسكتلندا ، قد كان له دور بارز في مجال الكشف وفي مجال نشر العقيدة المسيحية ومبادئ الإنجيل بين الشعوب الأفريقية .

“ Livingstone Purposes in going to Africa had been to spread the word of God amongn the African people ”

(١) رولاند أوليفر وجون فيج: موجز تاريخ أفريقية ، ترجمة دولت أحمد صادق، ص ١٥١، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(2) Elspth huxley : Encyclopaedia of Discovery and Exploration the Challenge of Africa “London 1971” pp.63-70.

حضر ليفنجستون إلى أفريقية لأول مرة عام ١٨٤٠م ليأخذ وظيفة مبشر في بشوانا لاتند Bechuana Land وقد كان ليفنجستون يعتقد بأن نهر الزمبيزى Zambezi هو طريق الله العالى إلى الداخل، وأيضاً نظر إلى الاعتقاد السائد فى أوروبا بأن الرجل الأبيض واستيطانه فى مساحات واسعة فى أفريقية ممكن أن يجعل الناس المواطنين يستفيدون من مبادئ الحضارة الغربية، بجانب ذلك فإن الاستيلاء على الأرض فى أفريقية، ممكن أن يحقق بدائل صحيّة لمساكن الفقراء المزدهمة فى مدن إنجلترا، كما أن وادى الزمبيزى Zambezi ممكن أن يقدم القطن الكافى لمصانع لنكشير Lancashire فى إنجلترا.

هذه كانت أهدافاً قوية للذهاب إلى أفريقية ولاقناعهم بدأ ليفنجستون يتجول فى أفريقية^(١)، حيث ذهب أولاً إلى جنوب أفريقية فى عام ١٨٤١م ليعمل هناك كمبشر، وقمّ تمّ إرساله إلى الشمال من مدينة "رأس الرجاء الصالح" ليعمل فى محطة البعثة فى كولوبنج Kolobeng ولقد عمل هناك لعدة سنوات ولكن كان يميل إلى السفر، ويرغب فى كشف طرق للأجزاء غير المعروفة من أفريقية، حتى يستطيع التجار والمبشرون اتّباعها، وفى عام ١٨٤٩م وصل إلى نهر زمبيزى "Zambezi" ومن هناك قام برحلات مشهورة من أجل أن يجد طريقاً سهلاً إلى وسط أفريقية، وفى عام ١٨٥٣م قام برحلة إلى الغرب وبعد ستة أشهر من أخطار السفر تمكّن من أن يصل إلى لواندا Loanda على الساحل الشرقى لأفريقية^(٢) وفى عام ١٨٥٩م اكتشف ليفنجستون الأراضى الجبلية شير Shire وبدأ له صحبة ومناسبة للاستيطان الأوروبى،

(1) Assa Okoth : A History of Africa "1855-1914" " Hien emann Kenya 1979". p.53.

(2) T.R. Batten: Africa Past and present "London 1943", p.57.

وقد كان ليفنجستون مسرورا لاكتشافه، لأنه اعتقد أن المقيمين الأوروبيين وكذلك المبشرين والتجار يمكن أن يساعدوا في القضاء على تجارة الرقيق، ولقد قام ليفنجستون بالعديد من الرحلات الأخرى إلى زمبيزي Zambezi والأراضي الجبلية وقرر ترك هذا الجزء من القارة الأفريقية، واكتشاف أرض الشمال حيث يحصل العرب على الرقيق^(١).

وفي عام ١٨٦٢م زار بحيرتي "نياسا" و"تنجانيقا" حيث بدأ الرحلى من ميكندوني Mikindoni على الساحل الغربى من بحيرة تنجانيقا، ولقد وصل إلى النهاية الجنوبية للبحيرة، وفي السنة التالية وصل إلى قبائل اوجيجى Ujiji فى الشاطئ الشمالى الشرقى للبحيرة، ومن هناك أراد أن يكتشف البحيرة ونهر لوالابا Lualaba، للبحث عن منبع لنهر النيل، ورغم أنه فشل فى هدفه فإنه استطاع أن يصل إلى نيامويزي Unyamwezi وهى المدينة التى كان يرغب ريمان Rebmman فى الوصول إليها منذ عشرين عاما^(٢)، وكانت إرسالية الكنائس الحرة المتحدة الأسكتلندية "United Free Church of Scotland" قد اتخذت من الشواطئ الغربية لبحيرة نياسا مسرحاً لنشاطها التصيرى ويعزى الذى عمل مع ليفنجستون، وقد عرض ستوارت على إرسالية الكنائس الحرة المتحدة الأسكتلندية أن تقيم محطة تصيرية ذات طابع صناعى وتعليمى فى وسط أفريقية^(٣)، وقد أختير أول موقع لهذا الغرض عند

(1) T.R. Batten: Op. Cit., P. 59.

(2) Ramadas. B. Sc. B.T. : revision History Paper I, History of East Africa, p.60.

(3) السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبى، ص ١٧٥، دار النهضة العربية، ١٩٦٨م.

محمد عبدالله النقيرة: انتشار الإسلام فى شرقى أفريقية ومناهضة الغرب له، ص ٣٥٥، دار المريخ للنشر ١٤٠٢هـ.

الطرف الجنوبي لبحيرة نياسا ومنه أخذت الإرسالية تعد نشاطها تدريجياً على طول شاطئ البحيرة الغربى، حتى اتخذت لها فى النهاية مقراً عند ليفنجستون Livingstonia على الشاطئ الغربى للبحيرة بالقرب من طرفها الشمالى، وهناك أقامت الإرسالية مركزاً لتصويرياً، ومدرسة ومستشفى ومؤسسة صناعية، وقد تولى إدارة هذه المنشآت كلها المبشر والطبيب روبرت لوز Robert Laws^(١).

وتم إرسال مجموعة من البعثات التابعة لخرسالية الكنائس الحرة بأسكتلندا تحت قيادة الدكتور "لوز" ونجحت فى الإقامة على بحيرة نياسا، ولقد سمع ويلسون من الدكتور "لوز" خبر غزو أنجونى على "أنونجا" المسالمة والذى يبين لنا مدى خبرة أول بعثة إنجليزية فى "ماجد ميرى" بسبب تأييدها من إنجلترا وبالذات من لورد "أوفرنون" حيث أصبح العلم الإنجليزى يرفرف على نياسا لاند^(٢).

وفى عام ١٨٦٦م بدأت أربع بعثات وهى واكى فيلد Wake Field ، وولنر Woolner واثنان من سويسرا لتأسيس بعثة فى شرق أفريقيا، ولقد ذهب معهم "كرابف" لتقديمهم للبلد وساعدهم على إيجاد المحطات المناسبة لبعثتهم، ولقد أخذ "كرابف" السويسريين إلى "كيوما" فى الجانب الشمالى من مدينة "وانيكا" Wa-Nyika وقد اختار هذا المكان لأنه فى الطريق إلى أرض الجالا فى الصومال، أما بعثات "واكى فيلد" و "ولنر" فقد تمّ تقديمهم إلى شعب يوساميرا، حيث توقفت البعثة، إذ إنّ الشعور المعادي للأوروبيين بدأ

(1) Roland Oliver : The Missionary Factor in East Africa, "London 1952" p.35.

(2) George Herbert Wilson : The history of the Universities Missions to Central Africa. "London 1935" p.23.

فى ممباسا بسبب معركة حدثت فى الميناء بين بعض تجار الرقيق من العرب وقوارب البعثات السويسرية، وبذلك أقامت "واكى فيلد" فى رايبا Rabai محطة حوالى ستة أميال شمال شرق رايبا، وبعد حوالى سنة تم وصول شارلس نيو Charles New لينضم إلى واكى فيلد، وفكروا فى زيادة مساحة عملهم برحلات للداخل (١).

وقد اعتبر المبشر "واكى فيلد" أن بداية العمل بين قابئل "جالا Gala وكيرسوب Kirsop الذى كان مسؤولاً عن البعثة قال بأن بعثة الاتحاد أقامت نفسها فى رايبى Ribe لا من أجل العمل بين قبائل الوانيكا Winyika وحدهم ولكن كنقطة انطلاق للوصول إلى بلاد "الجالا" وقد اعتقد (تيمو) خطأً وهو أن الفشل الذى واجهه "واكى فيلد" فى Ribe كان بسبب أن المجتمع ضئيل ومنتشر فى مسافات بعيدة (٢).

وفى عام ١٨٧٠م اقترح New على بعثته إرسال الكنائس الحرة، أن تبدأ العمل بين قابئل شاجا Chagga فى موسى Moshi ولكن لجنة البعثات الأجنبية أجلت العمل فى هذه المنطقة بسبب المشاكل، وقد واجه نيو New رئيس القبلية بالموقف وعالج الموضوع معه بخشونه، وقد ترتب على ذلك استيلاء الرئيس على كل ممتلكات نيو New وقد احتجت لجنة الشؤون الخارجية للبعثة لدى السلطان فى زنجبار ولكن بدون فائدة، وفى نفس الوقت توقف العمل مع الرئيس الصديق كيمويري Kimweri فى أوسامبارا

(1) J.W. Gregory: The Foundation of British East Africa, "New York 1901" p.66.

(2) A.J. Temu : British Protestant Missions, "London 1972" p.33.

Usambara كانت تؤيد استمرار مثل هذا العمل (١).

وفي عام ١٨٧١م وصل المبشر نيو New إلى وادي تانا Tana من Melindi على الساحل وزار قبائل جالا في قراهم على بحيرة أشكابابو Ashaka Babo (٢).

وفي ٢٦ أغسطس ١٨٧١م وضع المبشر نيو New حدا للاختلافات حول خصائص القمة البيضاء بالوصول إلى قمة كليمنجارو، وفي الحقيقة كان هذا العمل من جانب نيو New مهما لأن الشك قد تحول إلى حقيقة كما تصورها كل من "كراف" و "ريمان" في تقاريرهما، وحيث إن هناك إحدى الجمعيات انتقدت ذلك والتي كانت برئاسة ليفنجستون وكولي Cooley واستكرت احتمالات وجود التلوج (٣).

وفي عام ١٨٧٤م جاء رجال الأعمال الإسكتلنديون إلى نياسالاند فدعموا مركز الكنيسة بإنشاء شركة البحيرات الإفريقية، والتي كان هدفها إعداد البعثات التبشيرية باحتياجاتها لتوسيع رقعة النشاط التجاري وكان عليها أن تشد أزر الحكومات الدينية الصغيرة التي انتشرت حول بحيرة نياسا (٤).

وفي عام ١٨٧٥م أقامت البعثة بقيادة يونج Young من البحرية الملكية في رأس ماكليز Maclear إلى الجنوب من البحيرة على أرض تمّ تحديدها من رئيس ياو Yao وهو مبوندا Mponda والثاني في إدارة البعثة كان

(1) A.J. Temu: Op. Cit. p. 33.

(2) J.W. Gregory : Op. Cit., pp. 66-67.

(3) J.W. Gregory: Op. Cit., P.67.

(٤) محمد عبد العزيز إسحاق: نهضة أفريقية، تقديم د. عبد الملك عودة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٦٤، ص ٧٢.

الدكتور لوز Dr.Laws الذي كان في نفس الوقت يرفع المحطة التي تحولت إلى الشاطئ الغربي حيث بدأ في العمل بين قبائل تونجا Tonga والذين كانوا دائما يتم غزوهم من قبائل نجوني Ngoni واستفاد من نفوذه في تمهيد الطريق لعمل البعثة^(١).

وبعد تحريك البعثة إلى بنداوي Bandawe رفض لوز Dr. Laws أن يقبل أي رقيق هارب، وفي كل هذه المحطات التي ربما يمكن إجمالاً تصنيفها كسكان مقيمين، فإن البعثات ظهرت بمظهر خارجي لحياة الناس كان يلفت نظر أي مسافر إلى التناقض الموجود بينها وبين محطات غير المواطنين، والتي تبدو أحيانا أقل وغير مرتبة^(٢).

وكانت توجد مستوطنة مهمة في بنداو Bandawe وهي المركز الرئيسي لغرسالية الكنائس الحرة المتحدة الأسكتلندية وهي أيضاً جزيرة غير مأمونة للقوارب البخارية وعندما تكون ترتفع مياه البحيرة ويصبح الشاطئ من الصعب استعماله، ولاشك أن العمل الذي أدّته بعثة الكنيسة الحرة تحت قيادة لوز Dr. Laws كان ملحوظاً، حيث شيدت منازل للسكن مثل إنجلترا، وأقامت مدرسة وكيسة ليوم الأحد والتي تتسع لعدد ٥٠ أو ٦٠٠ شخص وأيضاً أنشأت ورشة للعمل ومطبعة وترجمة للإنجيل^(٣).

لقد استمر كل من ستيير Styeer وجونسون Johnson في العمل تجاه الشرق إلى بحيرة نياسا Nyasa وتم الإبحار فيها بواسطة كل من ستوارت

(١) Assa Okoth : A history of Africa "1855-1914" "Kenya 1979" p.55.

Sarrah Geraldina Stock : Missionary Heroes of Africa. "London 1898". p.129.

(٢) Roland Oliver : The Missionary Factor in East Africa. "London 1952" p. 60.

(٣) Report By Mr. Johnston. Her Majesty's Consul for the Portuguese possessions on the East Coast of Africa. Mozambique 17 March 1890. F.O. 403/127.

Stewart ولوز Laws من ارسالي الكنائس الحرة، وقد اكتشفوا الجزء الشمالي للبحيرة وزارو نجونى Ngoni فيما وراء الشاطئ الغربى من البحيرة^(١)، وكل هذه المساهمات تم الاعتراف بها من أعضاء الجمعية الجغرافية الملكية، ولقد أكمل هور Hore عمل كاميرون Cameron فى رسم خريطة البحيرة تتجانياً حتى نهر لوكاجا Lukuga^(٢).

وبعد سوء تفاهم خطير نشب بين أعضاء الإرسالية، اضطر المسؤولون لإحلال بلانتير Blantyre بكل من هثرويك Hetherwick وسكوت Scott، ولكن الموقع الذى تم اختياره بواسطة هندوسون Henderson كان أكثر أهمية استراتيجية لإرسالية الكنائس فى نياسا حيث إنه مرتفع، ولكن بقيت مشكلة المواسلات فى شير Shire وزامبيزي Zambezi وعندما اقترحت اللجنة المساعدة للكنيسة الحرة على إرسال سفينة بخارية^(٣)، فإن الكنيسة الحرة الأسكتلندية أرسلت باخرة ثم تسميتها باسم ايلالا Ilala ووصلت زمبيزى Zambezi وشير Shire ثم نزلت فى بحيرة نياسا، وهناك أقام الدكتور لوز Laws أول محطة بعثة على تلك البحيرة واسماها لفنجستونيا Livingstonia تخليداً لاسم لفنجستون، بينما الكنيسة أختير لها مكان فى الأرض الجلية فى شير Shire وتم تسمية المحطة بلانتير Blantyre لأنها أقدم كنيسة فى أفريقية تم بناؤها تحت رعاية المنصر "ليفنجستون"^(٤).

فى عام ١٨٧٦م تطورت بعثة بلانتير Blantyre تحت قيادة سكوت

(١) Roland Oliver: The Missionary Factor in East Africa. p.91.

(٢) Cameron: Examination of the Southern half of lake Tanganyika "1875", p.184.

(٣) Roland Oliver : The Missionary Factor in East Africa. p. 37.

(٤) Eugene Stock : The History of the Church Missionary Society. p. 79. vol. III "London 1899".

Scott، وقم تم مساعدة المبشرين الاسكتلنديين فى بلانتاير Blamtyre ولفنجستونيا Livingstonia من مبشر انجليكاني من جلاسجو Glasqow هو جيمس سيفنسون James Stevenson وهو رجل أعمال أقام شركة تجارية لتطوير تجارة منطقة البحيرة، وهدفها كان للاستجابة لنداء ليفنجستون لوقف تجارة الرقيق عن طريق انتشار التجارة والمسيحية^(١).

وفى عام ١٨٧٨م أرسل ستيفنسون Stevenson رجل الكنيسة موار Moir طاوول مدير ، فجعل مركز إقامته فى موندالا Mandala بالقرب من بلانتاير Blamtyre وقد قام بنشر مواقع للتجارة كما فعل كارونجا Karonga فى الحدّ الشمالى من بحيرة "تياسا"^(٢).

وفى عام ١٨٨٢م تمكن وليم كوى William Koyi الذى دفع قبائل الزولو Zulu للتحويل إلى المسيحية والذى كان ضمن حملة Livingstonia، تمكن من دخول حدود مومبيرا Mombera وكسب ثقتهم، وبعد ذلك انضم إلى كوى Koyi اثنان من المبشرين الأوروبيين هما دكتور المسلى Dr. Elmslie وسذر لاند Suther Land وقد تغلبوا على قبائل Mombera وتم السماح لهم لبناء مدارس والدعوة للمسيحية، وفى عدد قليل من السنوات تم بناء عدد من الكنائس والمدارس والمستشفيات^(٣).

ونظم بعض مديرى التبشير فى الشركة البريطانية الأمبراطورية لشرق أفريقية وبالذات ماكينون Mackinnon بعثة فى عام ١٨٩١م، حيث تم

(١) Assa Okoth : A History of Africa "1855-1914" p.56.

(٢) William B. Anderson: The Church in East Africa, P.62.

(٣) Roland Oliver: The Missionary Factor in East Afric, P.170.

Anderson : A Brief Account of Christonity in Tanzania. p.5

تأسيس بعثة اسكتلندا لشرق أفريقية، إذ إن مديري الشركة كانوا يريدون من البعثة أن تسعى لنشر الديانة المسيحية عن طريق التعليم والطب والصناعة، أى إن الاستعمار بدأ يدرك أهمية التصدير فى تثبيت أقدامه شرق أفريقية، فلجأ إلى توظيف الجمعيات التصديرية لخدمة أهدافه وتحقيق مصالحه، فامدّها بالمال والمساعدات الأخرى حتى يتمكن من تحقيق أهدافه الاستعمارية، وقد تم نقل دكتور ستوروات Dr. Stewart من "تياسالاند" ليقوم بتأسيس كبويزي Kibawezi ويكون أول رئيس مسئول عن بعثة اسكتلندا لشرق أفريقية، وقد منحت الشركة البريطانية لشرق أفريقية البعثة ١٠٠ ميل مربع بهدف تطوير الزراعة (١).

وهناك وثيقة محفوظة فى أرشيف الحكومة الكينية تشرح فيها أن الطلبات الزراعية الإضافية ستأخذ جزءا من وقتهم للإشراف على العمل الزراعى فى المدرسة الخارجية (٢).

وكانت البعثة الاسكتلندية فى توموتوما Tumutumu تقاثل منظمة كيكويو Kikuyu المركزية لمدة ثلاث سنوات ، وكان هذا الهجوم على سياسة البعثة للتعليم الزراعى، ويأخذ فى الاعتبار طلبهم لحديقة المدرسة كخطوة نحو التوسع فى نزع الملكية، وقد كتب أحد رجال التصدير البرسبتاريين Presbyterion يدعى فيليب يقول: "إنه كان يوجد الحكم بالأمر والنهى فى أيدي هؤلاء الناس، ولقد أصبحوا الحكام الحقيقيين للمدينة " (٣).

(١) A.J. Temu, British Protestant Missions, "London 1972", p.94.

(٢) Keny National Archives, Nairobi

الوثيقة محفوظة فى أرشيف الحكومة الكينية فى ملف رقم Ed. 11936

(٣) Robert W. Strayer : Op. Cit., P.129.

وفى بداية عام ١٩٠٧م عقد ويليس Willis مناقشة مع الاسكتلنديين من بعثة كنيسة اسكتلندا، وتم إيقاف المفاوضات جزئياً باعتراف Weston أسقف زنجبار، على طريقة إدارة المجتمع المقدس ^(١)، وكتب الأسقف بأن زيادة القساوسة المواطنين يجب أن يتحقق على مدى عدد من السنوات بحيث يدفعنا لزيادة عدد القساوسة الأوروبيين ^(٢).

وبعثة كنيسة اسكتلندا فى شرق أفريقية البريطانية لم تنصب أي أفريقي كقسيس حتى عام ١٩١٤م، فى حين كان لوز Dr.Laws فى عام ١٩٠٧م تم منحه الصلاحية لتصيب ثلاثة من الشباب الفريقى للخدمات الدينية، والذين قدموا نجاحاً ملحوظاً فى الدراسات النظرية وبعدها نصب اثنان منهم كقساوسة ^(٣).

وتمسك الأسقف ويلز من البداية بالفكرة الأولية التي رأى Willis تقديمها هي مايلي: طالما أن الكنائس الافريقية فى "كينيا" لا تزال فى دولة مسالمة وقابلة للتشكيل فإنه لا لزوم لاختلافات غير ضرورية ممكن أن تصبح عادات بين الإفريقيين المسيحيين، وعلى العكس من ذلك فإن كفاءة هذه الكنائس يجب أن تتقدم فى خطوط ملتقى من خلال الاعتراف من جميع البعثات بقاعدة واحدة لاعضاء الكنيسة، نظام موحد للعبادة يمكن استخدامه بكفاءة ليصبح نظاماً معتاداً بين الافريقيين المسيحيين، ونظاماً تدريباً موحداً للبعثات الافريقية مؤسساً على الاعتراف العام بالكتاب المقدس والعقيدة، وهذه الفكرة التي طرحها ويليز Willis بمساعدة هنرى سكوت Dr. Henry

(١) D.A. Low And Alison Smith: History of East Africa "Oxfors 1976", p.399.

(٢) W.P. Livingstone : Laws, p.309.

Oliver : The Missionary factor in East Africa, p.217.

(٣) W.P. Livingstone : Laws, p.347.

Scott رئيس بعثة الكنيسة الاسكتلندية أدت إلى سلسلة من المؤتمرات الأولية فى عامى ١٩٠٨م و ١٩٠٩م والتي انتهت بواسطة الأربع بعثات الضخمة للعمل فى الحدود المقترحة لبعثات فدرالية "اتحادية" التى تم قبولها كمرجع للسلطة المحلية للمقاطعات المختلفة فى مؤتمر كيكويو Kikuyu لعام ١٩١٣م^(١) الذى لفت أنظار جميع الناس فى كل العالم المسيحى، وهذه الحركة تمّ تدعيمها عن طريق بعثة كنيسة اسكتلندا فى كيكويو Kikuyu وذلك من أجل الاتحاد مع البعثات البروتستانتية الموجودة فى شرق أفريقية، وبهدف الوصول إلى اتحاد للكنائس، وفى الواقع أن كيكويو Kikuyu وزعت نشرات مهمة جداً فى العالم والتي بدورها أثرت فى الأنظمة الأخرى للاتحاد بين كنائس الأسقفية وكنائس غير الأسقفية، وإنه من الملاحظ بأن معظم المشاكل الدينية تتبع من نقطة انطلاق الحركة، والمعاهدة المقترحة فى مؤتمر كيكويو Kikuyu من وجهة نظر الكنيسة الإنجيلية أقل شئ يمكن تقديمه فى حقل البعثات فى شرق أفريقيه^(٢).

وفى عام ١٩١٣م تمكن سكوت Dr. Scott المشرف العام على كنيسة أسكتلندا فى بعثة كيكويو من الدخول فى اتفاق مع حوالى إحدى وثمانين مستأجراً، كانوا أساساً ملاك الأراضى قبل امتلاكها من البعثة، وقد وافق المستأجرون على العمل لدى البعثة لمدة شهرين كل سنة فى مقابل إقامتهم فى الضيعة، ولقد حصل سكوت على اتفاق بأن يدفع لهم أربعة روبيات فى الشهر، وفى السنة التالية قدم نظام الإقامة للعمال فى الضيعة، وعندما طلب من المستأجرين إرسال أطفالهم إلى المدرسة، فضل البعض منهم ترك

(١) Oliver, R. : The Missionary factor in East Africa, pp. 224-225.

(٢) Oliver, R. : The Missioanry Factor in east Africa, p.222.

الضيعة على الموافقة على هذا الطلب (١).

وهكذا رفض العملا الاستجابة لطلبات جمعيات التصير، وذلك بارسال أطفالهم للمدارس رغم ما قد يترتب على ذلك من طردهم من المساكن التي يعيشون فيها، وقررت بعثة الاتحاد بأنها سوف لا تعتمد على العمال المقيمة في أراضيها عام ١٩١٤، وايدت معارضتها لنظام العمال المستأجرين المقيمين، ولكن في بداية العشرينات ١٩٢٠، عندما شعروا بنقص العمال تحت التطور الضخم أجبروا المستأجرين للعمل لديهم، وهذا دليل على أن نقص العمالة معناه رفض العمال الاستجابة لطلبات جمعيات التصير التي تحاول تصير أطفالهم بالقوة مبدئيا لأنها فشلت في تصير الكبار بعد أن تركوا لهم العمل وفي Jilore حيث تمتلك بعثة الكنيسة ١٠٠٠ فدان من الأراضي الزراعية طلبت البعثة من مزارعي البعثة بأن يدفعوا إجار حوالى من واحد إلى خمسة شلنات في السنة، ولتشجيع الأطفال ليصبحوا مسيحين حددت بعثة الكنيسة معدل خاص للأطفال في أراضيهم، وأنشأت لهم عدة مدارس (٢).

وهناك وثائق هامة محفوظة في أرشيف الحكومة الكينية في نيروبي تبين لنا مقدار ما عملته البعثات التصيرية في شرق أفريقية على وجه العموم، ومقدار ما عملته بعثة الكنيسة الحرة الاسكتلندية على وجه خاص، فمثلا هناك وثيقة من بعثة الكنيسة الحرة الاسكتلندية إلى مدير التعليم في نيروبي تبين فيها توزيع المنحة المالية في Tumu tumu كما يلي:-

(١) A.J. Temu: Op. Cit, P.97.

(٢) Keny National Archives. Nairobi

الوثيقة محفوظة في الأرشيف الكيني في ملف رقم 2/549 وتاريخ ١٨ مارس ١٩١٥م.

جناح الأولاد فى مدرسة داخلية	٢١٠ جنيه استرليني
مطبخ الأولاد	٧٢ جنيه استرليني
أدوات دائمة "مدرسة جديدة"	١٠٠ جنيه استرليني
منزل المدرسين فى نيروبي	٦٠ جنيه استرليني
الاجمالى	٤٤٢ جنيه استرليني

وأيضاً تم استكمال المدرسة الدائمة ولكنها كانت غير كافية من ناحية
الامكانيات لذلك تم دفع ١٠٠ جنيه استرليني إضافية^(١).

وأيضاً هناك وثيقة مرسله من بعثة كنيسة اسكتلندا فى مستعمرة كينيا إلى
سعادة مدير التعليم بنيروبي بأنه سيتم تقديم الايصالات للمعونة من منح
مساعدة المدارس الإفريقية لأشهر نوفمبر وديسمبر لعام ١٩٣٠م، وأنه قد زاد
فى الصرف، وطبقاً لقاعدة ٤٪ تخصيص للمباني، و ١٠٪ من أجل المعدات
فإن ١٤٦٠ شلن قد تم زويادتها^(٢).

(١) الوثيقة محفوظة فى الأرشيف الكينى بنيروبي فى ملف رقم MAA7/406 وتاريخ ٢٢ أبريل ١٩٣٠م. انظر ملحق رقم (٦).

(٢) هذه الوثيقة محفوظة فى الأرشيف الحكومى لكينيا فى نيروبي
Kenya National Archives, Nairobi
فى ملف رقم E d I /670 وتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٣٠م . انظر ملحق رقم (٧)

(١) جمعية الروح القدس ومركز الأباء السود فى زنجبار :

ذكر كثير من المؤرخين بأ، أول انقسام حدث للكنيسة المسيحية كان فى عام ٤٥١م وقد نشب الخلاف ونتج عن هذا الانقسام ظهور كنيستين بدل كنيسة واحدة وهما الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية (١).

ولم يكن التبشير بالمسيحية غريباً بالنسبة إلى الكنيسة الكاثوليكية، غير أن النشاط التنصيرى فى أسيا وأفريقية كان مقصوراً إلى حد كبير على جهود رجال الكنيسة البرتغاليين، والأسبان فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، ثم تدهور هذا النشاط فى القرن الثامن عشر مع تدهور الدولتين الإيبيريتين، وقد حاول البابا أن يركز النشاط التبشيرى عام ١٦٣٢م فى روما وحدها، وذلك بغنشاء المجمع المقدس للتنصير، ولن نظراً لأن مصالح كل من أسبانيا والبرتغال كانت تتعارض مع قوانين الكنيسة ، ولأن هذه المصالح كانت أسبق من أي تفكير كنسى للتنصير بقرنين على الأقل، فإن هذا التركيز لم يتم ، وقد بدأت أهم حركات التنصير الكاثوليكي فى فرنسا وأما بالنسبة إلى أفريقية فقد كان أهم عمل تنصيرى هو إعادة إنشاء مجمع روح القدس عام ١٨٤٨م وكان مجال نشاط أعضائه فى الجابون والكونغو والمناطق الساحلية فى شرق أفريقية (٢).

ويعود تأسيس الكنيسة الكاثوليكية فى أفريقية إلى الوقت الذى وصل فيه الأب لويجى منتورى وفتح مدرسة صغيرة لأبناء الجالية المسيحية بالخرطوم ثم أنشاء كنيسة ، كما حصل على قطعة أرض لإقامة مقبرة مسيحية،

(١) عبد الجليل ريقا: التبشير فى أفريقية، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، المطبعة العسكرية، ص ٣٩.

(٢) رولاند أوليفر وجون فيج: موجز تاريخ أفريقية، ترجمة : دولت أحمد صادق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص ١٥١.

وتضاعف هذا الجهد بوصول دفعات من المبشرين البيض تعرضوا لنكبات المرض والموت، وحين لاحظ المسؤولون فى الفاتيكان وفاة أربعة وستين مبعوثاً أمر البابا باغلاق هذه الإرسالية والتوجه إلى الساحل الشرقى فى زنجبار^(١).

وبعد دخول البعثات الكاثوليكية فى شرق أفريقيا، قدم السير هنرى كبل Henry Keppal أميرال البحرية البريطانية فى مدينة الكاب تقريراً إلى وزارة البحرية البريطانية، جاء فيه أن الفرنسيين : إنهم يقصدون استخدامها كمستشفى، وأرسل هذا التقرير إلى وزارة الخارجية البريطانية، وبناء على هذا التقرير أعطيت التعليمات للمستز إيرل كولي Earl Cowley السفير البريطانى فى باريس بالاستفسار عن ذلك من المسيو ثوفينيل M.Thouvenel وزير الخارجية الفرنسى الذى أبلغ السفير البريطانى بأن المبنى سيكون مؤسسة دينية تضم مستشفى لرجال البحرية الفرنسية، ومدارس وورش^(٢)، وفى هذه الأثناء وصل إلى زنجبار الأب فافا Abbe Fava يصحبه اثنان من قسس الجزويت، وست أخوات مكن جمعية القديسة ماري Saint Mary، وصرح المبشرون بعد ذلك بأنهم حصلوا على منحة من حكومة جزيرة الرينيون Reunion فى المحيط الهندي قدرها ١٥٠٠٠ فرنك لتكون بمثابة راسمال لهم، وبذلك يتضح أن وصول أولى البعثات الكاثوليكية إلى أرض زنجبار كان تحت حماية الحكومة الفرنسية ومدعماً بالمساعدات المالية اللازمة، مما أزعج الحكومة البريطانية التي اعتقدت أن ذلك بداية

(١) حسن مكى محمد أحمد: التبشير المسيحي فى العاصمة المثلة، الخرطوم، ١٩٨٢م، ص ٤.

(٢) Groves C.P. : The Planting of Christianity in Africa, Vol. II, London 1948, p.285.

لمناقستها في منطقة شرق أفريقية (١).

وعلى الرغم من النفوذ الكبير الذي أصبح لبريطانيا في زنجبار نتيجة التدخل في وراثة عرش السلطنة ليها، فإن استمرار النشاط الفرنسي هناك ظل يؤرقها، ففي عام ١٨٦٠م أيضا أرسل رجبى Rigby القنصل البريطانى فى زنجبار إلى وزارة الخارجية البريطانية خطابا يعرف فيه عن قلقه تجاه قيام الفرنسيين بإقامة ثكنة فى قلب مدينة زنجبار، وأشار إلى احتمال أن تكون الحكومة الفرنسية وراء هذا المشروع، وبوصول خطاب رجبى إلى وزارة الخارجية البريطانية بادرت بارسال خطاب شديد اللّجة إلى الحكومة الفرنسية، أشارت ٠٠٠٠٠٠٠٠ فيه إلى علاقات الصداقة والتجارة الوثيقة التى تربط بينها وزنجبار منذ عهد السلطان سعيد، وأكدت أنّها لن تقف مكتوفة الأيدي أمام أي عمل من جانب فرنسا للقضاء على استغلال السلطان ماجد، أو تحويل جزء من اراضيها إلى دولة أجنبية أخرى (٢)، وعلى هذا أكدت الحكومة الفرنسية على الحكومة البريطانية بأن الهدف من المبنى الذى شيد هو هدف تبشيري فقط، وإذا لزم الأمر فإنّها على استعداد لتوقيع معاهدة مشتركة لاحترام تكامل أرض السلطان، وبالفعل قبلت بريطانيا هذا العرض وصدر بيان مشترك إنجليزي فرنسي عن هذه الحادثة تم توقيعه فى ١٠ مارس سنة ١٨٦٢م فى باريس (٣).

(١) جرجس عريان مرقص : التنافس بين البعثات التبشيرية فى أوغندا وأثره على استعمارها فى الفترة من ١٨٧٤-١٨٩٦م، رسالة ماجستير لم تنشر بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٧٥م، ص ٢٠.

(٢) Hertslet. E.: Op. Cit.. 718.

(٣) محي الدين محمد مصيلحي سليمان: الاستعمار الاوروبى فى كينيا وتطور نظام الحكم فيها، رسالة ماجستير لم تنشر بمعهد البحوث والدراسات الافريقية، ص ٥.

وقد تمت أول محاول لدخول البعثات التنصيرية الكاثوليكية فى شرق
أفريقية سنة ١٨٦٠م وذلك عندما ذهب النجتون Alington لزيارة كيمويرى
Kumweri زعيم أوسمبارا Usambara، وزار النجتون كيمويرى مرة ثانية
فى العام التالى، وقبل كيمويرى وجود المبشرين فى أراضية، ولكن فى مراكز
على الساحل، وبالفعل تأسس مركز على الشاطئ المقابل لزنجر بار فى
باجامويو Bagamoyo على طريق القوافل الذى يصل بين باجامويو
وأوجيجى Ujiki على بحيرة تنجانيقا (١).

ولكن جميع هذه الجهود لزمّت الساحل ولم تستطع التوغل فى الداخل إذ
كان بالداخل محيط غسلاىمى قوى، ولم تحقق أى نجاح طالما كان اهتمامها
متجها للتنصير الدينى فقط، ولذلك اتخذت خطوة مهمة بالتعاون مع السلطات
الاستعمارية، وهى أن تترك لهذه البعثات مجال التعليم والخدمات الطبية، ومن
هنا فتحت هذه البعثات المدارس والمستشفيات، وبذلك سيطرت بنفوذها على
غدد من البشر أصبح من السهل التحكم فيهم (٢).

ومن الوثائق التى تبين لنا الخطوة الهامة لبعثة الروح القدس الكاثوليك فى
زنجر بار الخطاب الذى تم تسليمه إلى Wall بواسطة الاسقف كومبلانج
Compling التابع لبعثة الروح القدس الذى جاء فيه " إن هناك عائلات
التحقت مع بعثاتنا وهم لم يكونوا فى عيشة راضية، لذلك نأمل تأمين
ممرضات للمحطات، مما يساعدنا بسهولة فى أداء المهمة، وأيضاً تعيين

(١) Groves C.P. : Op.Cit., Vol. II, PP. 284-286.

(٢) سيد احمد يحيى: التنصير فى القرن الافريقى ومقاومته، طبعت بدار العمير، الطبعة الأولى
١٩٨٦م، ص ٧٤.

أسقف أو رسول لبعثنا^(١).

وكان المبشرون الكاثوليك قد ظهروا أولاً في زنجبار عام ١٨٦٠م وبعد ثلاثة أعوان أسأت جمعية الروح القدس Congregation du Saint Esprit مركزاً تنصيرياً دائماً في زنجبار عرف بمركز أو محطة الآباء السود، ثم بعد ذلك أنشأ آباء الجمعية ذاتها مستعمرة للعبيد المحررين على الساحل^(٢). ولقيت هذه المستعمرة بعض النجاح، وصار مبشروها يعملون على شراء العبيد وعنتهم بعد تنصيرهم، مما أدى إلى انتعاش تجارة الرقيق آنذاك^(٣).

وهناك أشياء ساهمت في دفع جمعية الروح القدس لإقامة مستوطنات للعبيد - ولقد توجهت بعثات الكاثوليك إلى الشرق والغرب فالبعثات التي ذهبت إلى الشرق لم تصادف أي نجاح ضخم لأن بعض المبشرين حاولوا التعديل في بناء المسيحية، لكن البعثات التي ذهبت إلى الغرب حاولت استيعاب الهنود من أمريكا إلى اسبانيا، وهذه المحاولات في الغرب ظهرت بأن تكون ناجحة، وهذا أدى إلى انحدار بعثة الروح القدس عن الاستيعاب^(٤) وأيضاً من الأشياء التي ساهمت في جعل جمعية الروح القدس تقيم مستوطنات للعبيد هو أن أعضاء جمعية الروح القدس انحدروا أساساً من طبقة الفلاحين المتحدثة بالفرنسية من الساكا، وهي منطقة بين ألمانيا وفرنسا ولقد عايشوا المسيحية مع الحياة الريفية إليهم، ولقد أملوا في أن يقيموا مجتمعاً ريفياً في

(١) هذه الوثيقة محفوظة في أرشيف الحكومة الكينية بنيروبي، في ملف رقم Ed 1/529 وتاريخ ١٩٢٥/١٢/١م.

(٢) J.C. Sse Kamwa : A Sketch Map History of East Africa, London 1971, p.98.

(٣) Oliver, R. : The Missionary Factor in East Africa, p.21.

(٤) William B. Anderson : The Church in East Africa, Central Tanganyika Press "CTP" 1977, p.II.

شرق أفريقية يدين بالولاء والإخلاص للمركز، ولقد اعتقدوا بأن هذه المجتمعات ممكن أن تكون نموذجاً براقاً للاهالي المجاورين لهم ودفعهم لاعتناق العقيدة المسيحية^(١).

وفي ٢٤ فبراير ١٨٧٨م أصدر البابا ليو الثالث عشر بإنشاء اسقفيتين لتتوليا التبشير بالعقيدة الكاثوليكية في أفريقية الشرقية، وتختص إحداهما بالتبشير في منطقة بحيرة فيكتوريا، وتختص الثانية بالتبشير في منطقة بحيرة تتجانيقا، وتكونان تابعتين لأسقفية الآباء، وقد وصل أول فوج من الآباء البيض إلى زنجبار، وكان هذا الفو يتألف من عشرة مبشرين أتجه نصفهم إلى الشمال الغربي جنوبى بحيرة فيكتوريا، وأندفع نصفهم الآخر إلى بحيرة تتجانيقا حيث عمل المبشرون كل في المنطقة التي حددت له^(٢).

ولقد حصلت البعثة الكاثوليكية - إزاء تقدير البابوية لنجاحها - على تأييد واسع، فالبابا بيوس الخامس Pius قام بإصلاح هام، وذلك بتدعيم شئون البعثة وتقوية التجمعات الدينية الخاصة فأمدّها بمجموعة من موسوعات البابا بندكت الخامس عشر Bened ict والبابا وتدريب رجال الدين المسيحيين^(٣).

وفي عام ١٨٨٠م فتحت جمعية روح القدس بعثة في Mandra في منتصف Mhonda وفي عام ١٨٨٢م انشأوا بعثة في Morogoro وكان لكل بعثة مركز مسيحي كبير وبه عدد من العائلات المسيحية، وخارج البعثة يوجد عدد من القرى المسيحية، ولكل قرية كان لها رئيسها المنتخب مع معلم

(١) Anderson : A Brief Account of Christianity in Tabzania, Uganda, 1975. p.3

(٢) Attawater : The white fathers in Africa, London 1957.

Oliver R. : The Missionary Factor in East Africa, p.48

(٣) Oliver R. : The Missionary factor in east Africa, p.233.

ديني^(١) ، وكان قم تم اختيار هيلاريون Hilarion رئيسا في Mhonda وهذه كانت أول بعثة لجمعية الروح القدس في جزيرة بالقرب من Morogoro وقد كان لدى هيلاريون أنشطة دينية من مدة طويلة^(٢).

وقام المبشرون بتعليم الناس المسيحية، وكان الأب هومر Homer وراء نجاح بعثة الروح القدس، فقد كان يعتقد بأن أحوال العبيد المحررين ممكن أن تتحسن لو تم أن تتحسن لو تم تأسيس مستعمرة زراعية لهم، حيث يمكن أن يعملوا فيها كرجال أحرار وأدّى ذلك إلى الإقامة في باجامويو Bagamouo حيث تم تعليم الأفارقة، وذلك عن طريق تقديم كافة المساعدات اللازمة في فتح المدارس^(٣) وتقديم المدرسين ، ومن الوثائق الهامة التي تبين لنا تقديم المساعدات اللازمة من جمعية الروح القدس الكاثوليكية في زنجبار هي الوثيقة المرسلة من ويت P.P. Whit المفتش الرئيسي للمدارس حيث جاء فيها " لقد وجدت أنه يجب إليّ أن أنفق حوالى ١٥٠٠ شلن في إعادة تجديد مفروشات المدرسة الأولية في كابا Kabaa، وأطلب بأن تزيد منحة المدرسة الأولية ليس فقط هذا العام ولكن بصفة مستمرة، لذلك ألتمس بأه إذا كانت المساعدة لها طبيعة الدوام فإنه يجب أن تزيد بكمية حوالى ٦٣٨٨ شلن"^(٤).

ولقد أسس الأسقف المونسنيور دي كومون Mgr. de Courmont مندوبية بالساحل لهذه الجمعية في "مباسا" عام ١٨٩٠م ومحطة صغيرة في بورا

(١) Anderson B. : The Church in East Africa , p.12.

(٢) William, B Anderson : Op. Cit. P. 57.

(٣) H. Okeilo Ay ot: Topics in east African History 1000-1970. Kenyatta university College, 1975, p.56.

(٤) أرشيف الحكومة الكينية بنairobi في ملف رقم M A A 7/96 وتاريخ ٢٣ يناير ١٩٤٠م .

انظر ملحق رقم (٨)

Bura قرية من فوى Voi^(١)، وفى عام ١٨٩٩م زار نائب الاسقف الجبير Allgerer مدينة السكة الحديدية المتطورة فى "تيروبي"، وكون بعثة فى كيكويو Kikuyu على بعد حوالى ٨ أميال من الغرب منها، وعندما أدرك أن الحقل يزد من موارد المصلين فى الكنيسة، فقد قبل عرضا للمساعدة من جمعية قنصولات الإيطالية فى تورينو، وأول قسيس إيطالى وصل فى يونيو ١٩٠٢م ووضع فى محطة كيambu عام ١٩٠٢م، محطة ليمورو Limuru عام ١٩٠٣م وبقيت بعثة كينيا كما هى كزاوية اتصال للجمعيتين حتى بعد الحرب العالمية الأولى، رغم أنها انفصلت عن "زنجبار" عام ١٩٠٥م^(٢).

وكان نشوب الحرب العالمية الأولى يعنى فى درجات مختلفة بأن رجال البعثات وجدوا أنفسهم يواجهون نقصا فى هيئة الموظفين والأموال، وبعض المناطق كانت خالية بالكامل من المنصرين^(٣)، كما انقطع البعض الآخر من الخدمة عندما تم استدعاؤهم من دولهم الأم للانضمام للخدمة العسكرية، أو للخدمة كرجال دين مع قوات شرق أفريقية.

ولقد قاست بعثة الآباء والروح القدس من النقص الكبير فى الموظفين أكثر من معظم البعثات، وذلك بنسبة "٤٨%" كما أوضح جروفز Groves وأيضاً كانت نسبة النقص فى البعثات الإنجليزية حوالى ٢٠%^(٤).

ولقد عمدت الإرساليات الكاثوليكية إلى تنسيق جهودها مع البعثات

(١) John S. Mbiti : Kenya Churches hand Book, Kenya 1973, p.31.

(٢) Oliver R. : The Missionary Factor in East Africa, p.170.

(٣) Pirouet, M.L. : The First World War-An Opportunity Nissed by the Missions. 1969. p.8.

(٤) Groves: Op. Cit., P.290.

البروتستانتية المتنوعة. واتخذ هذا التعاون مظاهر شتى، كان من بينها توحيد خطط التعامل مع حكومات المستعمرات والتأقلم حسب الظروف والأحوال، فإن الإرساليات المختلفة تتعامل ماليًا مع تلك الحكومات معاملة موحدة، وهي وضع برامج التعليم في مدارسها تفرض مناهج تتضمن مواد دراسية متقاربة، ولقد كان من نتائج هذا الشعور بالمصلحة المشتركة والخطر المشترك أن اتفقت كبريات الجمعيات المسؤولة عن التصدير مع الفاتيكان على عقد مؤتمرات تنصيرية عامة في أوقات متقاربة للتشاور وعرض الجهود، ودراسة الأخطاء وتقدير النتائج وتعديل الخطط وسد الثغرات.... إلى آخر مظاهر التعاون المنسق وقد كان ذلك يستتبع العمل على أسس علمية دقيقة منظمة، حتى تستطيع كل إرسالية أن تقدم صورة واضحة لأعمالها، ونتائج جهودها، ولهذا فقد حرصت الإرساليات على تدوين إحصائيات منضبطة تبين بالأرقام كل جانب من جوانب نشاطها^(١).

ويحاول مجلس الكنائس باستمرار أن يلم شمل الكنيسة وأن يوجه حركات التبشير في العالم، وبصفة خاصة في منطقة شرق أفريقيا، ولإنجاح هذا المخطط تم الاتفاق على خلق مرتكزات لها في شرق أفريقيا على الوجه التالي:

- (١) ضرورة إنشاء مجالس وطنية لخدمة مصالح الكنيسة، وأعضاؤها يمثلون شتى الطوائف المسيحية الموجودة في أي قطر في شرق أفريقيا.
- (٢) ايقنت الحركة التبشيرية ضرورة وجود نفوذ لها داخل الحركان الوطنية في تلك البلدان.

(١) محمد عبد العزيز إسحاق: نهضة أفريقيا، تقديم د. عبد الملك عودة، الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر ١٩٦٤، ص ١٢٢.

- ٣) إنشاء قوة عسكرية في شرق أفريقية بالعقيدة النصرانية يكون لها تطلعات في إدارة شئون البلاد.
- ٤) تحليل المنظمات والهيئات والإرساليات في مساعدة الحركات بتقديم العون العسكري والغذائي.
- ٥) محاربة الفكر والحضارة الإسلامية العربية في المناطق المختلفة من شرق أفريقية بإحياء اللهجات القديمة، وابتكار أحرف الهجاء، لتصلح لتلك اللهجات ، وفي الغالب كانوا يستخدمون الأحرف اللاتينية^(١).

(١) Pirouet. M.L. : The First World War-An Opportunity Nissed by the Missions. 1969, p.8.

(٢) ارسالية الآباء البيض فى منطقة بحيرة فيكتوريا وبحيرة تنجانيقا :

فى بداية القرن التاسع عشر كونت هيئات تنصيرية متعددة فى شرق أفريقية، من أهمها وأقواها إكمانية الجمعية التنصيرية المعروفة باسم Thodist Mission Society Theme كما انشئت الجمعية البرلينية كما أسست جمعية أفريقية iety of Africa thisoc وكانت تلك الجمعية تعرف فى البلدان الأفريقية وغيرها باسم هيئة الآباء البيض white fathers وقد بدأت حملتها فى ساحل شرق أفريقية، كما ظهرت فى المنطقة نفسها هيئات عديدة تابعة للمذهب الكاثوليكي (١).

ومنذ عام ١٨٥٠م كانت تنجانيقا أكثر مناطق أفريقية تتنازعهما المشاكل، والاضطرابات. لذلك شيدت قبائل وابارى Wapare مخابئ تحت الأرض كحماية لهم ولماشيتهم تخفى فيها عن الأعين عند تعرضها لغزو قبيلة أخرى، وقد قام Kaswa بزيارة Wafipa فى جنوب غرب تنجانيقا، وتنبأ ليس فقط بالغزو الأوروبى ولكن بالإفساد الاجتماعى وتمرد الأجيال الشابة كذلك، وظهر كاسوا Kaswa مرة أمام حاكم Wa Fipq وهو رابط طفيه، ولقد فتح إحدى يديه وكان بها دودة وقال إن ذلك غشارة الفساد، وعندما فتح القبضة الأخرى ليده طار الجراد، وأوضح كاسوا Kaswa ان الجراد طار ولكن سيعود ليحذف وينظف الأرض، وساعدت تنبؤات Kaswa فى انتشار المسيحية (٢).

(١) سيد أحمد يحيى: التنصير فى القرن الأفريقى ومقاومته، طبعت بدار العمير الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص ٧٠.

(٢) William B. Anderson : The Church in East Africa 1840-1974. Central Tanganyika Press. 1977. p.51.

وكانت أولى البعثات الكشفية فى تنجانيقا بقيادة الكابيتين ريتشارد فرنسيس بورتون Richard Francis Burton، وفى عام ١٨٥٤ أصطحب بورتون الملازم جون هاننج سبيك John Hanning Speke للبحث عن البحيرة أو البحيرات العظمى التي قيل إنها تقع فى قلب أفريقية وأوضحت أن الغرض الرئيسي للحملة هو التوغل من ساحل أفريقية الشرقية سوب الداخل (١).

وسافر كل من بورتون وسبيك فى نفس طريق التجار العرب من باجامويو على الساحل ووصلا إلى بحيرة تنجانيقا عند اوجيجي (٢)، ومكثا العديد من الأشهر لاكتشاف نهايتها الشمالية، وترك سبيك Speke زميله بورتون فى تابوره Tabora وقام بزيارة سريعة للساحل الجنوبى لبحيرة فيكتوريا نيانزا، وفى عام ١٨٦٠م رجع سبيك مع جرانت Grant لاكتشاف هذه البحيرة بالسير على شاطئها الغربى من الجنوب إلى الشمال لتحديد منبع نهر النيل عند شلالات ريون Ripon Falls وجعل عودته لوطنه من شمال أوغندا حيث نزل فى النيل الأبيض (٣).

وكان بيرتون وسبيك أول أوروبيين اكتشفا أكبر بحيرة فى العالم ذات مياه عذبة، وتمثل هذه البحيرة فوهة بركانية ذات لون أزرق جميل تقع وسط صخور رملية صفراء، وفى تلك اللحظة تبدد الاندهاش من عيني سبيك، وكتب من قمة القرن الشرقى من البحيرة يقول : لا يمكن لأى فردٍ سواي أن يرى جمال وبهاء بحيرة تنجانيقا " (٤).

(١) Barer, J.N. : "Sir Richard Burton and the Nile Sources". Uganda Journal, vol. 12, 1948, p.62.

(٢) Sswkamwa, J.C. : Op. Cit. p.93.

(٣) Oliver, R. : The Missioanry Factor in East Africa, p.27.

(٤) Josephine Kamm: Explorers in Africa, 1980, p.263.

وواصل سبيك وبيرتون مسيرهما من خلال الطريق اساحلى الذى يوصل إلى بلدة تابورة الواقعة فى وسط تنزانيا فى الوقت الحاضر، وكانا قد مرا من خلال منطقة ساحلية مليئة بالأدغال الكثيفة، الموجودة فى وسطها، كما وجدا بها مستنقعا عميقا مليئا بالطمي، ومغطى بجذور سمكية للأشجار وهناك فى تابورة أكد لهما التجار العرب إشاعة مفادها أنهم سمعوا من قبل عن عدم وجود بحيرة واحدة ضخمة فقط، كما توضح خريطة رهاوت، ولكن يوجد العديد من البحيرات، منهم اثنتان كبيرتان، ومن المرجح أن تكون هذه البحيرات متصلة بنهر، ولكن لا أحد يعرف ما إذا كانت متصلة بنهر أو لا، وقد قرر بيرتون أن البحيرة القريبة خي هدفهما الرئيسى لذلك فى العاشر من شهر فبراير ١٨٦٠م سجل بيرتون خط الأفق، الذى يلامس الحافة الذهبية للبحيرة، وقد تسلق حافة التل الصخري، ورأى بيرتون شيئا ما يلعب من خلال خط الضوء الذى يقع أسفله، فسأل مرشده عن ذلك فأجاب المرشد بالقول ما نصه: "إن هذا فى رأيي هو الماء، وأضاف أنه فى الواقع بحر أوجيجي (بحيرة تتجانيا) (١).

وبذا كانت بحيرة تتجانيا أول بحيرة يستكشفها الأوروبيون من تلك البحيرات العظمى الثلاث، إذ لم يشاهد سبيك بحيرة فيكتوريا إلا بعد بضعة شهور، وعلى كل حال فقد واصل سبيك بمفرده رحلته وشاهد من قمة تل مجارو للبحيرة التى أسماها بحيرة فيكتوريا بأنها لا بد أن تكون أحد المنابع الرئيسية للنيل (٢)، حيث سار بحذاء الجانب الشرقى لخليج تونزا حتى تحققت

(١) Josephine Kamm: Op. Cit. p.261.

(٢) السيد رجب حراز : أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبى، دار النهضة العربية ١٩٦٨، ص ١٥٦.

له اللحظة التي طالما تمنّاها حين رأى البحيرة تمتد تحت قدميه، فكتب يقول:
"لست أشك لحظة في أنّ هذه البحيرة التي تمتد عند قدمي هي التي تلد ذلك
النهر المدهش الذي كان منبعه موضوعا لكثير من الأساطير... وهدفًا للعديد
من المستكشفين المغامرين"^(١). وأعد بمجهوده الخاص خريطة في شكل
كروكي، وقد ظهر على تلك الخريطة بحيرة تتجانيقا، والمجاري التي تغذيها،
والتي كانت تمثل المصدر الرئيسي للنيل، وأوضح أيضا على الخريطة الموقع
المفترض لبحيرة فيكتوريا، كما وضح أيضا نهر روسيزي The River
Rusizi الذي تتدفق مياهه من بحيرة تتجانيقا إلى جهة الشمال، وتصب في
بحيرة البرت، ومن الممكن أن يقال عن سبيك وبيرتون أنهما حاولا أن يريا
الحافة الشمالية لبحيرة تتجانيقا ولكنهما لم يتمكنوا من رؤية النهر بأنفسهما
يصب في بحيرة تتجانيقا ولايخرج منها^(٢).

وفي عام ١٨٦٥م غادر ليفنجستون إنجلترا ووصل إلى زنجبار وبدأ
رحلته إلى داخل القارة في ٦ ابريل من مكتداني^(٣)، وتألّفت قافلته من بعض
الجمالين الأفريقيين ونفر من الأرقاء المحررين، ولم تمض بضعة أسابيع
على سير القافلة حتى هرب بعض الحمالين واضطر ليفنجستون أن يطرد
البعض الآخر منهم لرفضهم تنفيذ أوامره، ولمّا وصل إلى الشاطئ الشرقي
لبحيرة نياسا حاول أن يعبرها في أحد مراكب العرب الشراعية، ولكن العرب
رفضوا التعاون معه، وبعد أن التفت حول بحيرة نياسا من الجنوب ضرب
بقافلته في الاتجاه الشمالي الغربي قاصدا الطرف الجنوبي لبحيرة تتجانيقا في

(١) عبد الرحمن صالح : الاتصالات الأوروبية الاولى بالشرق الاريقي، مجلة نهضة أفريقية ،
العدد ٧٣ السنة السابعة، ديسمبر ١٩٦٣، ص ٣٤.

(٢) Josepune Kamm: Op. Cit., p.281.

(٣) Simmons. J. : Livingstone and Africa, London 1955, p.118.

أراضى لم يستكشف معظمها من قبل ^(١).

ولقد فقدت أوروبا اتصالها مع "ليفنجستون" لمدة سنة وخشيت أن يكون قد مات لذلك تم إرسال الرحالة "ستانلى" فى رحلة لكي يجده، ولاكتشاف ما إذا كان ليفنجستون لا يزال على قيد الحياة ^(٢)، ولقد بدأ رحلته مع شعوره بالضياء، واستمع إلى نظرية اكتشاف "ليفنجستون" لنظام النهر فى وسط أفريقية، وطبقا لهذه النظرية فإن النهر يقع فى النهاية الشمالية من تنجانيقا، لذلك قرر ستانلى عملياً أن يذهب بنفسه ويرى ، فاستأجر مرشداً وسافرا معا حول البحيرة حتى نهايتها الشمالية ^(٣)، وتخيل أنه من المحتمل أن تكون هذه البحيرة مصدر النيل، ولكن لم تكن هذه التصورات كافية بالنسبة لستانلى، الذى اصدر أوامره لأفراد بعثته بأن يعيدوا تركيب أجزاء المركب ليدى أليس LADY ALICE، وفى ٨ مارس ١٨٧١م ترك ستانلى اثنين من الانجليز المسؤولين عن المجموعة الأساسية فى البعثة، وشرع هو ومعه عشرة من الأفارقة المختارين للسير على سطح مياه البحيرة، وكان هؤلاء الرجال فى حالة من اليأس بحيث أنهم كانوا يجدفون وهم على مضض، وكتب ستانلى فى هذا الصدد يقول : " لقد كان لدينا تنبؤات محزنة نقول أننا سنغرق فى البحيرة، أو ربما سنموت بأيدي الرجال المتوحشين النازلين على شواطئ بحيرة تنجانيقا وواصل رجال البعثة إبحارهم وتجديفهم على التوالى بحذاء الشاطئ الشرقى للبحيرة ^(٤)، واستطاع ستانلى فيما بين ٢٦ نوفمبر و ١٥

(١) Sykes, P.: The Story of Exploration and adventure, vol.III. p.1073.

(٢) Ssekamwa J.C.: Op. Cit., p.95.

(٣) Greogroy, J.W. : The Foundation of British East Africa. University Melbourne, 1901. p.106.

(٤) Josephine Kamm : Op. Cit., p.338.

ديسمبر من عام ١٨٧١م أن يستكشف الطرف الشمالى لبحيرة تنجانيقا، وتؤكد من أن نهر روسيزى RUSIZI يصب فى البحيرة ولا ينبع منها، ثم عاد ستانلى بصحبة ليفنجستون إلى تابورة وأقام معه هناك إلى ١٤ مارس ١٨٧٢م وذلك عندما بدأ ستانلى رحلة العودة إلى ساحل شرق أفريقية (١).

ولفهم النتائج السياسية لاكتشاف ستانلى يجب أن نتذكر حقيقة علم الانثولوجيا "السلالات البشرية" فإن المواطنين من جنوب خط أفريقية الإستوائية من الكامبيرون فى الغرب إلى جوبا JUBA فى الشرق ينتمون إلى مجموعة من الزنوج السود تعرف باسم بان্তু BANTU والقليل من القبائل مثل الزولو ZULU والميتايللى METABILI تبنت نظاما عربيا جيداً، ولكن البانتو كانت تعيش فى قبائل مستقلة فى قرى يتم حكمها مجتمعة فى قرية الرئاسة أو مجموعة الكبار، والقرى الصغيرة منعزلة، وعادة يغيرون على جيرانهم، وحيث إنه لا يوجد اتحاد بين القرى المستقلة فهم ضعاف وتحت رحمة أى مجموعة من القبائل التى تعجم عليهم، وبينما كان ستانلى يسير من "باجامويو BAGAMOYO إلى نياسا من حول مقاطعات بان্তু الأصلية لم تعرض عليه أي مساعدات متاحة (٢).

ومن أشهر الرحالة الذين خلفوا ليفنجستون وستانلى فى استكشاف المنطقة الواقعة إلى جنوب من بحيرة فيكتوريا، الرحالة والجيولوجى جوزيف طومسون JOSEPH THOMSON وكان طومسون قد جاء إلى أفريقية الشرقية لأول مرة عام ١٨٧٤م كجيولوجى فى حملة كيث جونستون KEITH JOHNSTON التى كانت تمولها الجمعية الجغرافية الملكية، وكانت مهمة

(١) السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبى ص ١٦٤.

(٢) Gregory, J.W. : Op. Cit., P.108.

الحملة فحص المنطقة الواقعة بين دار السلام وبحيرة نياسا طبوغرافيا، وذلك بهدف استكشاف طريق يصل ساحل أفريقية الشرقية بالبحيرات العظمى، وفى ١٩ مايو عام ١٨٧٥م غادرت الحملة بقيادة طومسون (بعد وفاة جونستون) حيث سار بحذاء شاطئ بحيرة تتجافقا الغربى، وحاول أن يشق طريقه إلى الكونغو ولكنه أخفق، ثم بدأ فى إبريل رحلة العودة عبر طريق القوافل العربية إلى زنجبار^(١).

وقد قام طومسون بعدد من الرحلات إلى شرق أفريقية كان منها الرحلة التى قام بها إلى الشمال من نهر الزمبىزى حتى وصل إلى المنطقة الواقعة عند بحيرة نياسا، وعقد اتفاقيات تجارية مع الشيوخ المحليين^(٢)، وإن أهم رحلة من رحلات طومسون فى أفريقية الشرقية، كانت رحلته التى قام بها لاستكشاف أسهل طريق يربط الساحل بإقليم البحيرات، ففي ديسمبر ١٨٧٥م غادر طومسون ممباسا واتجه رأسا صوب منحدرات كليمنجارو ووصل إلى بحيرة نيقاشا NAIVASHA ولم يلبث أن واصل سيرة شمالا، وزار جبل كينيا ثم اتجه غربا عبر ناندى Nandi ووصل إلى بحيرة فيكتوريا، وحاول طومسون أن يستكمل رحلته إلى النيل ولكنه عدل عن ذلك بسبب مرضه، وقد أبلغ كيرك قنصل بريطانيا فى زنجبار جرانفيل وزير الخارجية فى حكومة جلادستون الثانية. بأن رحلة طومسون قد نجحت نجاحا كبيرا وأن الطريق من ممباسا إلى بحيرة فيكتوريا قد أصبح الآن معروفا، وأن المسافرين والتجار لن يجدوا أية صعوبة فى عبوره^(٣).

(١) Tomson. J. : The Narrative of the Royal Geographical Society's East Central Africa Expedition. Vol. II, "London 1881", p.172.

(٢) Josephine Kamm : Op. Cit., P.199.

(٣) Coupland. R. : The Exploitation of East Africa. London 1939. p.370.

ولم يتخلف الكاثوليك عن اتباع تقاليدهم القديمة الرامية إلى التصير ففى عام ١٨٧٠م أنشأ كبير الأساقفة الذى صار فيما بعد الكاردينال لافيجرى معه والذى كان من أكبر المتحمسين للاستعمار الفرنسى أنشأ تنظيم "الأباء البيض" وكان لهذا التنظيم نصيب كبير فى تمهيد الطريق أمام فرنسا فى شرق أفريقيا^(١).

وقد اكتسبوا هذا الاسم من غطاء الرأس الأبيض الذين يرتدونه، والأرواب البيضاء، ووضع فى نهايتها طربوش أحمر وذلك لفرقتهم عن عرب شمال أفريقيا^(٢).

وكان لافيجيرى Lavigerie قد ولد فى بايون Bayonne فى فرنسا فى ٣١ أكتوبر عام ١٨٢٥م وكان والده ضابط جمارك كاثوليكي وجعل ابنه يلتحق بمنهج تعليمى دينى عمره ١٥ سنة، وقد كان لافيجرى طالبا غير عادى ومجتهد واستمر فى المنهج والجامعة، وتم تنصيبه كقسيس، وسنة ٢٣ سنة، وحصل على درجة الدكتوراه فى التاريخ وتم تعيينه فى وظيفة هامة فى روما وبعد سنتين عاد إلى وطنه فرنسا فى وظيفة أسقف نانسى Nancy وفى عام ١٨٦٧م تم تعيينه كرئيس للأساقفة فى المستعمرة الفرنسية بالجزائر^(٣).

ومضر المنصرون الفرنسيون فى مزاولة أعمالهم، ولقوا تأييد وتشجيعاً من الأسقف شارل لافيجرى الذى كان يعمل وقتئذ أسقفاً فى الجزائر، وفى عام ١٨٦٨م وضع لافيجرى نظام الأباء البيض التصيرى تحت اسم (جمعية

(١) محمد عبد العزيز إسحاق: نهضة افريقية، تقديم د. عبد الملك عودة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٤، ص ٧٣.

(٢) Kigging. Tom. : Serving Peple. Oxford University Press 1974. p.50.

(٣) Ibid. p.49

نوتردام الأفريقية) Societede Notre Damed' Afrique ثم راح يشن حملة صليبية للقضاء نهائيا على تجارة الرقيق في وسط أفريقية (١).

وقد كان لافيجرى يهتم بمشكلة تجارة الرقيق التي جعلها قضية عامة من خلال كتاباته، وفي الحقيقة أن دعابته ضد الرق بدأت فترة طويلة وذلك عندما تم التوقيع على القانون العام لإلغاء الرق، وقد كان بالنسبة إليه شيئا عظيما، وهو كذلك كذلك كان متأثرا بفكرة ملك بلجيكا ليوبولد لإنشاء محطات تنصير من زنجبار إلى بنجويلا Benguela بين ١٠ درجة شمالا إلى ٢٠ درجة جنوب خط الساتواء، هذه المحطات يجب أن يتم انشاؤها بواسطة المؤسسة الدولية الأفريقية، والتي من المفروض أن تكون مهمتها في الابحاث الجغرافية، ولكن أيضا لها أهداف سياسية، وقد نظر لافيجرى إلى الحماية في المستقبل التي يمكن أن توفرها مثل هذه المؤسسة المنصرين، ولذلك خطط للعمل في نفس منطقة هذه المؤسسة (٢).

وكانت طموح "لافيجرى" لكنيستته كبيرا وكان مستعدا لاستخدام أي وسيلة لتوسيعها، وطبقا لوظيفته كرئيس كنيسة فقد استخدم ذلك لمصلحة الاستعمار الفرنسي، ولقت نظر البابا بيوس التاسع Pius IX إلى الجمعية الافريقية الدولية التي أسسها الملك ليوبولد الثاني ملك البلجيك التي كانت تتابع وتسجل نتائج الاكتشافات ، وتؤسس محطة علمية على طول الخط من زنجبار إلى بنجويلا Benguela (٣).

وفي ٢ يناير ١٨٧٨م أرسل لافيجرى Lavigerie مذكرة سرية إلى البابا

(١) Attwater. D. : The White Fathers in Africa. London 1937, p.19.

(٢) Kigging, Tom : Op. Cit. p.50.

(٣) Oliver, R. : The Missionary Factor in East Africa, p.46.

بيوس التاسع Puis IV متضمنة أنه يجب على الكنيسة الكاثوليكية أن تذهب إلى وسط أفريقية قبل غلق الباب أمامها، وبعد موت هذا الباب كرر نفس النصح إلى البابا ليو الثالث عشر Leo XIII، وكانت السرية التي أرسلت بها لامذكرة ذات أهمية دبلوماسية من أجل حماية الحياة الكاثوليكية في العالم، وأصبحت هذه المذكرة فيما بعد أكثر الوثائق التي بحثت على نطاق واسع من الهيئات التي اهتمت بالتنصير، وبعد وصول المذكرة الثانية بيومين وافق عليها الكاردينال فرانكي Cardibal Franchi المسؤول عن نشر العقيدة، وقدمها إلى البابا ليو الثالث عشر الذي وافق عليها بتاريخ ٢٤ فبراير ١٨٧٨م، وكانت موافقته هي أول عمل رسمي يقوم به البابا الجديد وبعد ذلك بأسبوعين كانت أول قافلة من الآباء البيض في طريقها إلى أفريقية المدارية^(١).

وكانت البعثة مؤلفة من تسعة قسس وكان خط سيرها هو أن تدخل القارة حتى تابوره Tabora في وسط تنجانيق حيث تنقسم القافلة إلى مجموعتين أحدهما تتجه شمالاً إلى بحيرة فيكتوريا والأخرى تتجه غرباً إلى بحيرة تنجانيقا، وكانت خطة لافيغري تهدف إلى إنشاء "ابروشيات" أي كنائس صغيرة بأسرع ما يمكن في وسط القارة، وقد أعطى لافيغري رجاله تعليمات شخصية عن سلوكهم أثناء الرحلة أمراً إياهم بمراعاة تنفيذ هذه التعليمات في جميع الأوقات، وعندما كانت القافلة في طريقها إلى أفريقية ذهب لافيغري إلى بلجيكا ليخبر الملك ليوبولد الثاني عن القافلة، ودهش ليوبولد ولم يملك إلا أن يرجو القافلة حظاً سعيداً^(٢).

(١) Kittler. G. Lennd: The white fathers. New York 1957. pp. 106-109.

(٢) Kittler G. Lenn D. : Op. Cit., pp.113-115

وفى ١٦ يونيو عام ١٨٧٨م ترك رجال البعثة باجاموبو Bagamouo وبصحبتهم ٥٠٠ رجل حمالين وجنود حمالين وجنود حماية تم تأجيرهم من "زنجبار"، وتعرضت الحملة للأمراض وكل الحمالين ورجال الحماية والحراسة عانوا من العطش، وتحرك القساوسة البقون إلى أوجيجى Ujiji وفيها قابلوا هور Hore في يناير ١٨٧٩م وهو البحار الذى سبق أن اصطحب بعثة لندن إلى بحيرة تتجانيقا، ولقد تمتعوا بحسن استقباله واستفادوا من نصيحة^(١).

وكانت السيدة هور Hore آسفة لاحضار ابنها للساحل الأفريقى حيث أخذهما معا، وذلك لبدء حياة جديدة مرة أخرى على بحيرة تتجانيقا، وقد كان عمر الطفل "جاك" سنتين عندما بدأ رحلته، وبعد السفر لمدة ٢٩ يوم وصلوا إلى مدينة مبوابوا Mpwapwa^(٢)، وبعد أن استراحوا فى مبوابوا استمروا فى السير بسبب شدة الحرارة والجفاف وهم يعملون أن كل يوم يمر بعد ذلك من الصعب الحصول على مياه، ثم أصابت السيدة هور صدمة عندما رأت جثة رجل ملقى على الأرض هلك من الجوع والعطش، وبعد ترك مبوابوا مروا من سهل يوجوجو Ugogo وعلى طول الطريق كان من الصعب الحصول على طعام ، ولقد قاسوا ايضا من نقص المياه، وأخيراً وصلوا مدينة تابورة Tabora حيث استراحوا لعدة أيام ثم استأنفوا المسيرة مرة أخرى وبعد وصولهم إلى أوجيجى Ujiji كانوا قد قطعوا حوالى ٨٠٠ ميل فى ٩٠ يوما^(٣).

(١) Kigging, Tom: Op. Cit. p.51.

(٢) Stock, Sarrah Geraldina : Missionary Heroes of Africa, London 1898, p.153.

(٣) Stock, Sarrah Geraldina : Op. Cit, P. 155.

وبعد وصول كابيتين هور إلى أوجيجي Ujiji كان قلعا على زوجته وولده، ثم بحث عن مكان جميل يمكن أن يتخذة كمقره الرئيسي حيث يمكن منه الوصول إلى الاجزاء المختلفة للبحيرة، وهذا المكان كان عبارة عن جزيرة صغيرة تسمى كافلا Kavala التي تواجه اوجيجي Ujiji^(١).

ان حركة التنصير هنا وهناك متشابهة ولكنها تختلف من حيث الحجم والانتشار وما نرى بلدة أو قرية من قرى تتجانياقا إلا وفيها مركز ضخم يحتوى على كنيسة ومدرسة ومستشفى حتى إن عدد الكنائس فاق القدر المعقول ومما يثير الدهشة أن نرى قرية لا تحتوى على أكثر من عشرة بيوت نصرانية ومع هذا فيها كنيسة ومدرسة ومستشفى تابعة لها، ولذلك أشارت إحصائية لبعض الكنائس أن عدد الكنائس كان يبلغ ٣٦٠٠ كنيسة مع أن النصارى لا يتجاوزون عشرين فى المائة فى أغلب التقديرات من حجم السكان، وهذا الحجم لا يتناسب مع حجم عدد الكنائس وبخاصة إذا علمنا أن نسبة المسلمين هى خمسة وسبعون بالمائة تقريبا^(٢).

وفى عام ١٨٧٩م وصلت بعثة الآباء البيض إلى بوغنده Buganda بقيادة لافيجرى Lavigrie أسقف Nancy ومؤسس بعثة الآباء البيض^(٣). وقد باشرت إرسالية الآباء البيض مهمتها فى جهات يونيورو ثم فى تورو وفى معظم بوغندا جنبا إلى جنب الإرساليات البروتستانتية^(٤).

(١) Stock, Sarrah Geraldina : Op. Cit. PP. 157-158.

(٢) على الشيخ أحمد ابو بكر: الدعوة الاسلامية المعاصرة فى القرن الأفريقى دار أمين للنشرن الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ، ص ٢٧٨.

(٣) Kavulu, David : The Uganda Martyrs, Uganda 1969, p.13.

(٤) Johnston, H. : The Uganda Protectorate, Vol. I, London 1902, p.272.

وفي يونية ١٨٨٠م وصل بقية الأباء البيض إلى روباجا تحت قيادة الأب ليفنهاك Livinhac ولم يجد الأباء البيض ترحيبا كبيرا من أخوانهم مبشري جمعية الكنيسة التصيرية الذين ساءهم أن يزاجهم الكاثوليك في بلاد كانوا يحاولون أن يستأثروا هم وحدهم بنشر البروتستانتية فيها ، والواقع أنه بوصول الأباء البيض إلى بوغندا ، بدأ تزداد متاعب المبشرين الانجليز ، كما أن الخلافات الدينية التي سرعان ما نشبت بين الطرفين في بلاط الكاياكا ملك أوغنده ، أضعفت من مركز المبشرين البروتستانت وأستفزت طباعهم (١) ، وجعلت الأيام الأولى للمسيحية في بوغندا أياما صعبة (٢) .

ومهما يكن فانه كان يوجد في بوغندا أربع مجموعات مختلفة للتصير لها وجهات نظر مختلفة ، وهذا بدون محالة ادى إلى نزاعات ، فقد كان يوجد المسلمين والكاثوليك ، والبروتستانت ، والوثنيين والنزاع لم يقتصر على حقل الديانة وحده ولكنه شمل السياسة أيضا ، لذلك ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تم تأسيس مجموعات مختلفة في شرق أفريقية (٣) .

غير أن البعثات الجديدة التي شكلتها بعثات " الأباء البيض " لم تحدث انقسامًا ملحوظًا في حقل العمل ، ولكن وجودها ساعد البعثات الأولى على توحيد وتقوية موقفهم في الجزء الغربي من المستعمرة وبعد ذلك انتشرت في اتجاه الشمال من مكان وجودهم لسيط نفوذهم بين قبائل الباجا مويو Bagamoyo والمورجور Morogoro حتى المنطقة المكتظة بالسكان في كليمانجارو ، وعند فرض الحماية على أوغندا عام ١٨٩٤م تم تقسيم مقاطعة

^١ - أرشيف جمعية الكنيسة التصيرية بلندن ، رسالة من ماكاي في ١٤ يوليو ١٨٧٩م وهي مصورة

ميكروفيلم تحت رقم Ca6 / 016

² - Eliot , C , : The East Africa Protectorate , 190 , P. 28 .

³ - Okeilo , H, Auot : Op. Cit . , P. 57 .

اسقفية نيانزا Nyanza Vicariate القديمة ، واقتصر الاسقف هيرت Hirth على محطته حتى حدود الشاطئ الألماني لبحيرة فيكتوريا في جنوب نياسا (١) ، وكانت تتجانياقا منذ عام ١٨٨٠م حتى نهاية الحرب العالمية الأولى مستعمرة ألمانية ، حيث بدأ التسرب إليها على يد المغامر الألماني الدكتور كارل بيترز الذي استطاع أن يستحوذ على مساحة كبيرة ، وذلك ببذل سلع تافهة للزينة اعطاها لزعماء القبائل .

ولم يستكن أهل تتجانياقا للغزو الألماني منذ البداية ، بل قاموا بثورات هائلة وكان أعظم تلك الثورات ما قام به الزعيم كواوا الذي أضطر في النهاية إلى الانتحار خوفا من ذل الهزيمة بعد التسليم ، وحدثت فيما بين عامي ١٩٠٣م و ١٩٠٥م ثورة ' الماجي ماجي ' Maji Maji التي قامت بها قبيلة "أنجوني" (٢) بسبب قسوة النظام والسخرة والعمل بالقوة حيث في عام ١٩٠٣م كانت تدفع الضرائب على الذرة والماعز ولكن بشكل نقدي ، وكان من الصعب الحصول على الأموال ، وكان على الرجل أن يمشي مسافة ضخمة للعمل في المزارع الألمانية في مورجور Morogoro وإرينجا Iringa ومبوابا Mpwapwa وذلك للحصول على الثلاثة روبيات لدفع الضرائب ، كذلك بأمر الألمان كان الرؤساء مضطرين لدفع الرجال للعمل في الطرق والمزارع والسكك الحديدية وهذا العمل يتطلب منهم البعد عن مواطنهم لمدة طويلة قد تصل بضعة أشهر وكان العمل في ضيق شديد لأن الاجور المدفوعة لكل رجل تقل عن ثلاث روبيات التي يدفعها للضرائب ، وكان عصيان الضابط

^١ - Oliver , R. : The Missionary Factor in East Africa , PP. 164 - 165 .

^٢ - عبد الغني عبدا لله خلف الله : مستقبل أفريقية السياسي ، تاريخ شعوب القارة الحديث وأوجه التطور المحتملة فيه ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، الطبعة الثانية ١٩٦١م ، ص ٢٠٨ .

الألماني يعني الضرب بالسوط ، حتى الرؤساء كان يتم ضربهم بالسوط أمام الناس عند فشلهم في تنفيذ تعليمات أوامر الضابط الألماني (١) .

لذلك فإن العديد من الرؤساء الكبار ورجال الطب من الرجال والنساء استشعروا الخطر من تفكك كل القواعد للحياة الأفريقية وبالطبع فهم كانوا في حالة غضب وترقب فهم يعلمون أنه إذا ما بدأ الألمان في الإقامة وأسسوا مركزهم الرئيسي في وسطهم ، فإن التهديد للحرية الأفريقية والثقافة سيصبح عظيماً جداً (٢) .

وكان رجال ونساء الطب طبقاً للعادات الأفريقية أقوىاء حيث كانوا في مركز محترم لدى الرؤساء ورعاياهم ويتم استشارتهم من الجميع فيما يتعلق بأمور العلاج وقد رسم رجال الطب في كوليلو Kolelo خطة على أمل أن ترحح الألمان ليس فقط من منطقتهم ولكن من كل تتجانيقا والدواء الغامض يتم صنعه من الذرة وماء وقد قيل أنه يعطى حصانة من جرح الرصاص ، ورغم أنه من المحتمل أنهم كانوا يعلمون بأن مثل هذا الاختراع ليس لديه القوة التي يدعونها بالنسبة له ، فإن رجال الطب شعروا بأنه إذا الإغلبية من الأهالي نهضوا مسلحين ضد الألمان ، فانهم سيتفوقون على الأجانب في العدد، وحتى إذا ما جرح عدد كبير من الأفارقة ، فانهم يبقوا قوة متفرقة في الحرب ، وهم ربما ينجحوا لو أزهقوا الألمان في الحصول على بعض الامدادات من الرصاص حتى يصبح ليس لديهم رصاص لاطلاقه ، وفي الحال استطاع رجال الطب اقناع أتباعهم بقوة الدواء وقدرته على مساعدتهم في طرد الألمان من تتجانيقا والخطوة التالية كانت اقناع الرؤساء الذين

¹ - Sse Kamwa , J. C. : Op. Cit ., P. 160 .

² - Ibid ., P. 161 .

سيتولون قيادة الناس ، وكانت الفكرة تستهوي بعض الرؤساء وذلك بعد مصادرة أراضيهم من الألمان لذلك وافق الرؤساء على التمرد ورحبوا بفكرة توجيه ضربة ضد الألمان حتى يستردوا مكانتهم (١) .

ورغم أن ثورة ماجي ماجي Maji Maji طردت الألمان من مساحة ضخمة من جنوب ووسط تنجانيقا ، فإن المحطة الحربية الرئيسية لم يتم الاستيلاء عليها ، وعندما هاجم المحاربون من قبائل Matumbi المحطات الحربية الهامة للألمان ، فإن ثوار ماجي Maji فشلوا في مواجهة المدافع الألمانية (٢) .

وتسبب ثورة ماجي Maji في مصرع حوالي ٧٥.٠٠٠ أفريقي ، وكان الأثر الاقتصادي سيئا للغاية نظراً لأن الحرب حطمت حياة الكثير من الناس وهرب أهالي القرى ، ولذلك فإن المحاصيل قد دمرت وبذلك أصبح يوجد نقص ضخم في الغذاء ، وكان رد الفعل أنه في عام ١٩٠٨ إنعدام أي مقاومة للألمان في تنجانيقا ، وأصبح الأفارقة الذين كانوا يعملون عند الألمان ، أصحاب نفوذ قوي حيث حصلوا على خدم ، والألمان بدورهم تعلموا من الدرس وحسنوا وسائلهم في إدارة المستعمرة والتي سابقا ضايقته الأفارقة (٣) .

وانتشر الإسلام منذ ذلك الحين بين الأهالي في المناطق الداخلية ويعود ذلك إلى أن غالبية المدرسين كانوا من المسلمين وكذلك التجار فانتشر الإسلام في مراكز كثيرة في تنجانيقا بل وفي كينيا وأوغندا ، وقد حدث هذا

¹ - Ibid .

² - Anderson , William : The Church in East Africa , 1840 - 1974 , Central Tanganyika Press " CTP " 1977. P. 59 .

³ - Sse Kamwa , J, C, : Op. Cit ., P. 164 .

في الوقت الذي نشطت فيه بعثات التبشير الكاثوليكية في نشر المسيحية بين الزوج (١) .

وفي أواخر العشرينات ١٩٢٠م بدأت بعثة الآباء البيض من تتجانيقا العمل في منطقة أورووندي Urundi وأيضا مدوا حدودهم الجنوبية إلى ما بعد بحيرة روكوا Rukwa إلى شمال حدود روديسيا ، وفي عام ١٩٢٦ دخل القسيس سينود Synod الحقل البكر إلى الشمال من مركز تتجانيقا للسكة الحديدية وبدأ العمل بين قبائل ايرامبا Iramba وتورو Turu .

وفي عام ١٩٣٠م ملأت بعثة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الفجوة بين مجال نفوذ بعثة الآباء البيض ، وبعثة جمعية روح القدس حيث استولت على فيكتوريا ، وهذه الحقول الجديدة استوعبت معظم الزيادة في البعثات الفردية (٢) .

وفي عام ١٩٣١م تم تكوين المجمع الكنسي المركزي في تتجانيقا من المجمع الكنسي في " ممباسا " وفي عام ١٩٣٣م ركز اساقفة الآباء البيض في أنحاء تتجانيقا حيث تم انشاء مدرسة تدريب للتصوير وذلك للأولاد والبنات ، وكذلك مستشفى جديدة تم انشاؤها في كليمانندا Kilimatinde ولمواجهة الحاجة إلى محاضرين في التبشير للمسيحية وأعمال التعليم تم انشاء مركز تتجانيقا للطبع (٣) .

^١ - عبد الرحمن زكي : الإسلام والمسلمون في شرق أفريقية ، مطبعة يوسف بالقاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٩١ .

² - Oliver , R: The Missionary Factor in East Arica , P. 238 .

³ - Erik Sahlberg , Carl , : A Church History of Tanzania , Kenya 1986 , P. 129

وفي نهاية الثلاثينات أصبحت تنجانيقا من أراضي الانتداب يقوم على ادارتها البريطانيون باسم عصبة الأمم القديمة ، وفكرت الحكومة البريطانية جديا عام ١٩٣٨م في اعادة البلاد إلى الالمان بقصد شراء رضاء أدولف هتلر الدكتاتور الالماني ، ولكن الدكتاتور كان يطمع في الامبراطورية البريطانية في أفريقية بأكملها فرفض الهبة ، وفي عام ١٩٣٩م حاول البريطانيون إيجاد مستقر ليهود ألمانيا الفارين من وجهة هتلر في نجانيقا^(١) ، وكان أعضاء الكنيسة الانجليزية في مركز " تنجانيقا " حتى عام ١٩٤٤م حوالي ٢٠,٠٠٠ ثم نقص هذا العدد حتى أصبح ما يقارب النصف في عام ١٩٦٠م^(٢) .

وحصلت تنجانيقا التي يبلغ عدد الأوروبيين فيها ٢٨,٠٠٠ على الاستقلال بأسهل مما حصلت عليه كينيا التي يبلغ عدد الأوروبيين فيها ٥٨,٠٠٠ والحقيقة أن التاريخ قد قدم لنا معادلة وهي أنه كلما زاد عدد المستوطنين كان تقدم الأفريقيين نحو الاستقلال بطيئا ، ولذلك فلا عجب أن أدرك الشعب الأفريقي أنه إذا كان عليه أن يقطع شوطا على طريق التقدم فلا بد أن يضع حدا للسيطرة الأوروبية^(٣) ، وهذا هو ما تحقق في النهاية .

١ - عبد الغني عبد الله خلف الله : مرجع سابق ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

٢ - Erik Sahlberg , Carl : Op. Cit ., 129 .

٣ - جاك ووديس : أفريقية على طريق المستقبل ، ترجمة : أحمد فؤاد بلع ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣م ، ص ١٨ .

الفصل الثاني

مبادرة الإرساليات للتخلص من النفوذ العربي الإسلامي في شرق أفريقيا

- أ- الوقوف ضد التجار والسواحليين وعرقلة نشاطهم التجاري والإسلامي في أوساط الأفارقة .
- ب- محاربة اللغة العربية والسواحلية وتشجيع اللهجات المحلية .

(أ) الوقوف ضد التجار العرب والسواحليين وعرقلة نشاطهم التجاري والإسلامي في أوساط الأفارقة

يلتقى الإسلام النقاء مؤاخيا وممازجا للفطرة الإنسانية المودعة في كل إنسان ، وأن هذه الفطرة إذا التقت بالإسلام التقت به النقاء عضويا لا سبيل إلى انفصالها عنه ما دام في الإنسان نفس يتردد في صدره .

ذلك هو السر الذي تحطمت على صخرته كل قوة غاشمة وكل دعاية مضللة إلى العقول دون أن يكون من بين يديه أو من خلفه جيوش زاحفة أو حملات تبشير غازية ، وإنما كان الإسلام بذاته هو الذي يفتح أوطانا بأسرها على أيدي بعض التجار الذين لم يكن قصدهم الدعوة إلى الدين وإنما كانت تأتي هذه الدعوة عرضا في حديث عابر ، فإذا هي تسري بين الناس سريان الحياة في الأحياء (١) .

وكان التجار المسلمون يوطدون صلاتهم بكل الناس وكان الأمراء والحكام يرحبون بهم ترحيبا عظيما ، وكانوا يساعدون التجار على تصريف ما معهم وشراء ما يحتاجونه منهم وكانت الصداقات تنقلب إلى دعوة للإسلام وكثيرا ما كانت تتجح فيعتنق الأمير الإسلام وتتبعه حاشيته ثم تتأسي به الرعاية (٢) .

ولقد كان التجار المسلمون عدة الدعوة الإسلامية ، اذ لعبوا الدور الأول في نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكانوا يخالطون الناس

١ - عبد الكريم الخطيب : دور الاستعمار والتبشير بين التيارات المعادية للإسلام ، جريدة عكاظ ، عدد رقم ٤٠٣٣ بتاريخ ١٣٩٧/٦/٢٨ هـ .

٢ - توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة د. حسن إبراهيم وآخرين ، طبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٠ م ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

وينشرون الإسلام بينهم ويتزوجون منهم ، وكان الأفريقيون يرحبون بهذا التصاهر لتفوق المسلمين (١) .

وكان التجار العرب يتعاملون مع القبائل الأفريقية التي كان رؤساؤها يتجهون إلى الساحل بقصد التعامل معهم ومع غيرهم من العناصر الأخرى التي كانت تزد على الساحل الشرقي لأفريقية ولكن بمضي الزمن بدأ تجار العرب يتوغلون في الداخل حيث كثرت الجاليات العربية في كثير من المقاطعات الأفريقية (٢) .

وبينما ازدهرت التجارة في شرق أفريقية وأخذت أشكالا جديدة ، بدأ الإسلام ينتشر ، وبحلول القرن التاسع عشر أصبحت مناطق شرق أفريقية جزءا من العالم الإسلامي .

ولقد زار الرحالة العربي ابن بطوطة المحيط الهندي والساحل الشرقي لأفريقية ولاحظ أن المواطنين كرماء ويتبعون المذهب السني ويتبعوا الشريعة الإسلامية وقرر العديد من التجار الإقامة في المدن الساحلية بصفة دائمة وتزوجوا من النساء الوطنيين .

والإسلام لم يكن عقيدة فقط ولكن أيضا حضارة ، وكان أيضا عاملا حيويا في تكوين المجتمع السواحلي (السواحلي نسبة إلى السواحل وهي جمع ساحل) والسواحلية لغة جديدة ظهرت بعد اختلاط العرب بالأهالي لأن الناس

١ - توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام - مرجع سابق ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

٢ - جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجيلاني ، ١٩٧٥ ، ص ٢٣٢ .

المحليين كانوا يتحدثون فقد لغات قبائلهم في حين كان المقيمون على الساحل يتحدثون اللغة العربية (١) .

ولم يفرض الإسلام على الشعوب الوثنية فرضا ، إنما حملهم قوم من أهل أفريقية نفسها ، وكان بعضهم تجارا أو معلمين ، فلم يكن غريبا أن يلقى قبولا منهم فهو في نظرهم دين فريد لم يتعرض لنظمهم المحلية ، إنما أكسبها شكلا جديدا بحيث تتسجم مع التعاليم الإسلامية ، ويضاف إلى هذا أن الإسلام عقيدة سمحة ملائمة لطبيعة الأفريقي وبيئته (٢) ، وهو بهذا يرفع من شأن الفرد والجماعة ، ويحاول الفرد إلى قوة ذاتية ، والجماعة إلى حركة ودأب ونشاط وعمل وعلم وثقافة (٣) .

ويوجد في شرق أفريقية ستة طرق تجارية هامة ، فأول طريق منها يبدأ من باجامويو Bagamoyo على الساحل إلى تابورة Tabora أوجيجي في الداخل ، والطريق الثاني كان يمتد بين تابوره Tabora إلى كاراجوي Karagwe ويمتد حتى بوغنده Buganda بينما غطى الطريق الرابع المسافة بين كيلو Kilwa وبحيرة ملاوي Malawi مارا بالعديد من الأماكن أما الطريق الخامس فيبدأ من تانجا Tanga حول جبل كليمنجارو إلى بحيرة فيكتوريا ، والطريق الآخر كان يصل ما بين ممباسا أرض قبائل المساي Masai على طول الطريق بوينورو Bunyoro (٤) .

^١ - Wakhunqu , Josephkaki : An Attempt At Fostering Mutual Under Standing Between Christons and Muslims , Kenya 1980 , P. 54 .

^٢ - عبد الله نجيب محمد : ظاهرة التوفيق التدريجي بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأفريقية المحلية ، مجلة منبر الإسلام ، العدد الخامس ، السنة ٤٣ ، جاد الأولي ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٧٩ .

^٣ - نفس المرجع .

^٤ - Okeilo , H, Ayot : Op. Cit. , P. 44 .

وكان العرب الوافدون من شبه الجزيرة العربية قد استقروا من زمن طويل على الساحل الشرقي لأفريقية وكونوا مارات عربية وكان لعرب عمان بالذات نشاطهم الملحوظ في هذا المجال (١) .

وأستمرت سيطرة العمانيين على ساحل شرق أفريقية سيطرة أسمية إلى ما يزيد عن مائة عام ، ولما مات الإمام (سلطان بن سيف عام ١٧٤١م نشبت حرب أهلية في عمان انتهت بالقضاء على حكم اليعاربة ونشأة دولة البوسعيد ، وقد نشأ عن ذلك ان استقلت " أسرة المزروعي " بحكم ممباسا بحجة ولانهم للعمانيين اليعاربة ، وأستمرت زنجبار وكيلوا تحت حكم البوسعديين .

ورغم ضعف السيادة العمانية على شرق أفريقية قبل عهد السيد سعيد بن سلطان فقد حرص سلاطين البوسعيد على انعاش العلاقات التجارية بين عمان وشرق أفريقية ، وعندما تولى الحكم ' سلطان بن أحمد ' أتجه إلى تثبيت السيطرة العمانية الفعلية على مدن الساحل وجزره ، حيث نمت العلاقات بين مسقط والساحل الأفريقي إلى حد كبير ، وعندما تولى سعيد بن سلطان " ١٨٠٦م - ١٨٥٦م " شهد المحيط لاهنيد قيام دولة عربية أفريقية موحدة أمتدت من عمان إلى شرق أفريقية في زنجبار ، وفي تلك الفترة ازدهرت التجارة وكثرت الهجرة من عمان إلى الساحل الأفريقي بحيث تمثل دورا جديدا وهاما في حياة سكان الساحل (٢) .

وعندما كان السيد سعيد في عمان عقد العديد من الاتفاقيات التجارية مع الحكام الوطنيين ففي عام ١٨٣٣م وقع اتفاقية مع قبائل نيامويزي

١ - شوقي عطا الله الجمل : تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر ، ص ١٥٠ .

٢ - عبد الله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ص ٨١ .

Nyamwezi في وسط تنزانيا وبعد سنتين ارسل السلطان سعيد تجاراً للداخل في شرق افريقية والتي كانت تحت حكمه للتجار مع الأهالي ، وكان الهدف الأساسي لهذه القافلة هو ضمان وصول امدادات منتظمة من العاج ، ولقد وقع السيد سعيد اتفاقية مع رئيس مقاطعة نيامويزي Nyamwezi ويدعى فوند يكييرا Fundikira وبموجب هذه الاتفاقية سمح للسلطان سيد سعيد أن يتوغل داخل أراضي نيامويزي Nyamwezi بدون اعتراض (١) .

وبعد موت الرئيس فوند يكييرا Fundikira خلفه الرئيس سيلبي SEle وكان صديقاً حميماً للعرب ، وطبقاً لهذه الصداقة أصبحت قبائل نيامويزي Nyamwezi قادرة على أن تقدم وسائل الراحة في الطريق للعرب (٢) .

وامتدت أملاك السلطان " سيد سعيد علي طول ساحل شرق أفريقيا ، وأصبحت المنطقة مركزاً لتجارة واسعة ، حيث أقامت مجموعة من عدة مئات من التجار الهنود ويسمون البانيان Banians ، ومن كوجرات Gyjerat في غرب الهند هناك ، وأيضا كان لسهولة الملاحة في البحر العربي والمدعم بالرياح الموسمية الثابتة في الخريف أثر كبير في ازدهار التجارة ، وكان على البحارة أن يفيدوا من هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية لكي يسيروا أسرع من أي مركب بخاري من الهند إلى ساحل أفريقيا الشرقي ، وكان أيضا عليهم أن ينتظروا حتى قدوم فصل الصيف ليفيدوا من هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تعود بهم إلى شواطئ الهند (٣) .

¹ - Okeilo , H, Ayot : Op. Cit., PP. 39 - 40 .

² - Ibid ., P. 42 .

³ - Stock , E : The History of the Church Missionary Society , London 1899 , P. 460.

لا شك أن تزايد التبادل التجاري على الساحل قد شجع التجارة الداخلية فكثرت عدد القوافل التي تتردد على داخل القارة لجلب العاج والصبغ والواقع أن العرب كانوا يعرفون داخل افريقية منذ أزمنة بعيدة ولكن في عهد السيد سعيد وخاصة منذ عام ١٨٤٤ نظمت الرحلات الدورية للقوافل ووصل نشاطها إلى البحيرات ، ولقد شاهد الرحالة ليفنجستون السفن العربية تجوب بحيرات أفريقية مثل بحيرة فيكتوريا وتجانيقا ونياسا ، ومن أهم الطرق التي أتبعها العرب لمسير القوافل الطريق الذي يبدأ عند باجاموبو Bagamouo في مواجهة جزيرة زنجبار ويتجه جنوبا ثم ينحني في اتجاه شمال شرقي لتجنب المرتفعات ، وتقع عليه أكبر المراكز العربية على بعد ٦٠٠ ميل من الساحل وينتهي هذا الطريق عند بحيرة تتجانيقا ^(١) .

وقد نجح العرب نجاحا كبيرا في تنظيماتهم الاقتصادية ، خاصة فيما يتعلق بإيجاد منتظمة من القوافل التجارية التي تصل بين الساحل والداخل ، كما أنهم أسسوا على طول طرق القوافل مراكز تجارية نمت وأزدهرت وغدت من الوسائل الهامة التي اعتمد عليها العرب في نشر نفوذهم في الكونغو وشرق أفريقية ، ففي عام ١٨٤٥م أسس التجار العرب مركزا تجاريا هاما في تابوره ، وأيضا نجح التجار العرب في تأسيس مركز تجاري هام في أوجيجي Ujiji ، ثم عبروا بحيرة تتجانيقا وبدأوا يسيطرون على منطقة البحيرات الاستوائية سيطرة اقتصادية معتمدين على القبائل الافريقية في نقل العاج إلى الساحل ^(٢) ، واستطاع السلطان سعيد أن يحقق لنفسه السيادة على طول الساحل الشرقي لأفريقية وذلك من خليج عدن شمالا حتى موزمبيق

^١ - جاد محمد طه : دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للترية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٧م ، ص ٩٩ .

^٢ - جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية ، ص ٢٣٣ .

جنوبا فضلا عن المناطق الواقعة بين الساحل وبحيرتي فيكتوريا وتنجانيقا في الداخل ، وكان يدير كل هذه الممتلكات من جزيرة زنجبار التي تقع على خط عرض ٧ درجات جنوبا بالقرب من الساحل ولا يفصلها عنه إلا بضعة كيلو مترات ^(١) ، وتعتبر زنجبار بلدا إسلاميا عريقا ذات تاريخ مجيد ، وهي من الناحية الجغرافية مفصولة تماما عن الأراضي الرئيسية لتنجانيقا بقناة عرضها الأدنى أثنان وعشرون ميلا ونصف وهي من ناحية أخرى الجزيرة الوحيدة الكبرى على الشاطئ الأفريقي الشرقي وتغطي مساحتها ٣٨٠ ميلا مربعا وتلحق بها جزر واقعة ضمن مياهها الإقليمية وكبراها جزيرة " لاثام " الواقعة على مسافة ٤٠ ميل إلى الجنوب الشرقي من الجزيرة الأم " زنجبار " ^(٢) .

وتعتبر زنجبار بمثابة الميناء الوحيد الصالح لرسو السفن الكبيرة في تلك المنطقة ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى مركز تجاري هام إذ كانت تنتهي إليها جميع القوافل القادمة من داخل القارة ، وكانت أيضا أكبر سوق تجاري للرقيق في أفريقية وكانت التجارة رائجة موفورة ^(٣) .

ولقد أصبحت التجارة واحدة من أهم الوظائف الأساسية للناس في شرق أفريقية في القرن التاسع عشر حيث يتم نقلها من الساحل إلى الداخل في منطقة البحيرات رغم عدم وجود خط تجاري بين ممباسا وتلك المناطق .

ومن الذين ساهموا في التجارة بعد العرب أهالي كامبا وباجندا وأهالي كيكويو وأهالي شاجا ، وقبائل مختلفة أصبحت متخصصة في إنتاج أنواع

^١ - محمد سيد محمد : سلطنة زنجبار الإسلامية بين الانجليز والألمان ، في مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، العدد الثاني - جمادي الثانية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ٧٣ .

^٢ - السيد محمد أحمد مشهور : حقيقة الأوضاع في زنجبار قبل وبعد مقتل الطاغية كرومي ، جريد أخبار العالم الإسلامي العدد ٢٧٥ ، الصفحة السابعة في ٢٨/٣/١٣٩٢هـ .

^٣ - محمد سيد محمد : مرجع سابق ، ص ٧٣ .

مختلفة فمثلا قبائل زنزا Zinza في شمال تنزانيا كانوا متخصصين في انتاج محراث الأرض الحديدي ، وأدوات واسلحة الحرب ، بينما قبائل Luo نالت شهرة في صناعة الأدوات الفخارية ، ولم تتعامل قبائل زنزا فقط في حراث الأرض ولكنها تاجرت أيضا في الملح ، وهذه الأدوات - كانت مهمة لأنه كان يمكن استخدامها بدلا من النقود ، ومن جهة أخرى ، فإن قبائل كيكويو Kikuyu بادلوا الطعام مقابل البقر مع قبائل المساي Masai بينما قبائل البكمو Pokmo حصلوا على العاج من قبائل الجالا Galla مقابل الطعام ، ونتيجة هذه النشاطات التجارية فقد تم انشاء الأسواق في كل مكان (١) .

وكانت فترة الأربعينات من القرن الماضي فترة سلام ورخاء ، وازدهار التجارة ، ولقد ساهم العرب مع هنود البانيان Banyans في التطور الاقتصادي فهم الذين نظموا التجارة ، وهذا بدوره اعطى زنجبار نوعا من الاستقرار وهيا لها نظاما اداريا ناجحا وقد وقعت زنجبار معاهدة تجارية مع فرنسا عام ١٨٤٤ ، وبعد ذلك مع ألمانيا ، وأهم صادرات ' زنجبار ' كانت العاج ومحارات الودع والثوب وجوز الهند ، وكان يوجد في زنجبار اتصالات تجارية مع أجزاء أخرى من العالم وبالذات بريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا .

وبسبب جهود سيد سعيد استمرت تجارة زنجبار في نمو وازدهار حيث توجهت قوافل كثيرة للداخل في أجزاء شرق أفريقية (٢) . ومع تقدم وتطور السكك الحديدية في الأزمنة الحديثة ، فإن العديد من التجار المسلمين تحركوا إلى الداخل لتأسيس مراكز تجارية في أماكن على

¹- Okeilo, H, Ayot : Topics in East African , History 1000 - 1970 , Kenyatta University 1975 , P. 41 .

²- Okeilo , H, Ahyot : Op. Cit . P. 40 .

طول خط السكك الحديدية من " ممباسا " إلى كيسومو وذهب معهم مدرس القرآن الكريم لتدريس الشريعة ، وبعض هؤلاء المسلمين الذين كانوا اما تجارا أو عمالا كانوا هم أيضا أما مدرسين أو شيوخا حملة القرآن الكريم منهم : الشيخ بكراني Bakarani وسالم باجرده من تنجانيقا حيث ذهبوا إلى شرق الكنغو ، وأيضا من التجار الشيوخ مالمو متوندو Maalimu Mtondoo من تنجانيقا حيث قام بتعليم الناس أركان الإسلام ولقد بنى قرية صغيرة تسمى الآن بومواني Pumwani ، وأيضا شيد مسجدا صغيرا يعظ فيه الناس حيث استطاع تحويل العديد من أهالي واكومبا Wakomba وكيكويو Kikuyu إلى الإسلام .

وكما أن الأخوين التاجرين عبيد مبارك دوماني ومحمد مبارك دوماني رحلا إلى أرض كيكويو حيث شيدا جامعة في قلعة التل وعلموا الناس أمور دينهم ، ولقد أصبح من العادة أن ترى جوامع ومدارس في تلك المناطق البعيدة جدا على الساحل ^(١) ، لذلك حاول الأوروبيون بشتى الطرق طمس معالم التأثير العربي الإسلامي في مناطق شرق أفريقية ، فحاربوا الإسلام وأدعوا عليه ادعاءات شتى وأقترروا على أهله ، ورموهم بكل نقيصة ^(٢) ، وقد استهدف الاستعمار الغربي في المقام الأول من ذلك ، قطع الطريق البحري المار بالبلاد الإسلامية ، وحرمان المسلمين من أهم مصادر الثروة

^١ - Islamic Religious Education , Kenya Institute of Education , Nairobi 1988 , P. 98.

^٢ - عبد الله نجيب محمد : أهداف المسيحية العالمية في أفريقية ، مجلة الأزهر ، السنة الثامنة والخمسون ،

الجزء العاشر ، شوال ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٥٣٦ .

التي ظلوا يملكونها ويتحكمون فيها عبر العصور ، فعمد الاستعمار إلى الاستيلاء على الجزر والمواقع الحاكمة في مناطق شرق أفريقية (١) .

وقد حاولت أوروبا منذ وضعت أقدامها في منطقة شرق أفريقية على ازاحة العناصر العربية ومحاربتها لأنها اعتبرت عائقا أو حائلا دون الانفراد بشرق أفريقية ، خاصة بعدما وجدت أن هذه العناصر أقامت تجارة وحركة ورواجا في الأقاليم التي وصلت إليها ، وبعد أن أنفردت أوروبا بالقارة كانت الإدارة الاستعمارية توحى دائما للأفريقيين بأن العرب هم النخاسة الذين ساقوا أجدادهم بالسياط (٢) ، وأن الإسلام يبارك الرق ويدعو إليه ، وصدق الأفريقيون من البسطاء والسذج في وسط القارة وشرقها هذه الدعاية دون أن يدركوا أن التجار الأوروبيين هم الذين جلبوا العبيد من غرب أفريقية بواسطة أوروبيين تخصصوا في جلبهم ، ولم يفكر أحد من الغربيين طبعاً أن يقول لهم هذه الحقيقة ، أو يصف لهم الطرق البشعة التي كانوا يستخدمونها في جلب العبيد وحملهم وشحنهم ، كما أن العرب لم يشتركوا من قريب أو بعيد في الغارات وحملهم وشحنهم ، كما أن العرب لم يتشاركوا من قريب أو بعيد في الاغارات التي كانت تقع في الغابات لاقتناص العبيد ، وإنما اقتصر دورهم على شرائهم من بائعيهم من الأوروبيين أو الوطنيين ، ثم حملهم في سفنهم كما أن المسلمين كانوا يعاملونهم بما أمرهم به الإسلام فكان منهم الفقهاء والعلماء والحكام كما يشهد بذلك التاريخ الإسلامي القريب والبعيد (٣) ، والاسترقاق كان أمراً شائعاً في جميع أُمَم العالم منذ القدم عند قدماء المصريين وعند الفرس وبلاد الهند والصين واليونان حتى عند فلاسفتهم مثل

١ - عبد الله نجيب محمد : أهداف المسيحية العالمية في افريقية ، ص ١٥٣٦ .

٢ - محمود خيرى عيسى : العلاقات العربية الأفريقية ، دار الطباعة الحديثة ١٩٧٨م ، ص ٢٦٢ .

٣ - عبد الله نجيب محمد : أهداف المسيحية العالمية في افريقية ، ص ١٥٣٩ .

أرسطو كان العبد ما هو إلا آلة ذات روح فقط ولما جاءت اليهودية والنصرانية أيدت مسألة الاسترقاق بل أغلظت فجعل للأرقاء حقا وللسادة حقا وحرّم الاساءة والتعذيب بلا سبب وحصر الاسترقاق في دائرة محصورة ، أما العصور الحديثة فأكثر دول العالم كانت تتجر في الرقيق ، وليس تعمير أوروبا وأمريكا الا كان في البداية على أيدي الأرقاء المأخوذين من سواحل أفريقية الشرقية والغربية فكان يأخذ منها كل عام مئات الآلاف من العبيد إلى أوروبا وأمريكا لتعميرها (١) .

ولا ينبغي أن نتفق مع ما ورد ذكره في بعض المصادر التي تقول أن مدن شرق أفريقية الإسلامية قام اقتصادها على أساس تجارة الرقيق ، وإنما كان لتلك المدن نشاط اقتصادي آخر لم يقتصر فقط على هذه التجارة ، ويمكن أن نؤكد بأن من العوامل التي ساعدت على ازدهار العلاقات الاقتصادية أن العرب كانوا سادة المحيط الهندي إلى أن جاء البرتغاليون في أوائل القرن السادس عشر (٢) ، ومن المعروف أن العلاقات الاقتصادية والتجارية بين أوروبا والشرق كانت تعتمد على وساطة العرب التجارية الذين كانوا يحملون بضائع الهند والشرق الأقصى إلى الخليج العربي والبحر الأحمر ومنها إلى البحر المتوسط (٣) .

^١ - حسن أحمد بدوي : تاريخ شرق أفريقية ، ص ١٠ ، وقد وضع المؤلف مذكرة صغيرة عن تاريخ شرق أفريقية لمدرسته التي أسسها وسماها مدرسة النجاح الإسلامية في جزيرة لامو على الساحل الشرقي لأفريقية وفي أثناء رحلتي العلمية تم اجراء مقابلة معه حيث اخبرني عن تاريخ الجزيرة " لامو " وعن المدرسة التي مضى عليها أكثر من خمسين عاما .

^٢ - لصلو حوراني : العرب والملاحة البحرية في المحيط الهندي ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ، ص ٤٢٩ .

^٣ - Coupland : East Africa and Its Invaders , PP. 18 - 20 .

أما تجارة الرقيق فالواقع أنها لم تصل إلى درجة كبيرة من الانتعاش إلا منذ القرن السادس عشر الميلادي أي في نفس الوقت الذي شهدت فيه أفريقية طلائع الاستعمار الأوروبي ، وفي اعتقادي أن الدول الأوروبية هي التي شجعت على استفحال تلك التجارة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وحقيقة لا أنكرها وهي أن تجارة الرقيق كانت معروفة لدى العرب من أقدم العصور ولكنها كانت تسير في نطاق ضيق ، ثم أخذت هذه التجارة تزداد عندما عرفت أوروبا القارة الأفريقية وبدأت عمليات الاستيلاء على الرقيق من ساحل غرب أفريقية ، وفيما يبدو أن مناطق غرب أفريقية لم تشف غائلة الأوروبيين على الرغم من أنها صدرت خلال القرون الثلاثة من السادس عشر حتى الثامن عشر ما يقرب من مائة مليون أفريقي تظهر المراكز والمحطات التجارية في شرق أفريقية خاصة على سواحل موزمبيق لاقتناص رقيق شرق أفريقية أيضا ^(١) .

وإذا أتفقنا على أن العرب عملوا في تجارة الرقيق فيصبح الجدل عندئذ في كيفية معاملة الرقيق وفي مسئولية نزح الأعداد الضخمة من القارة واستنزافها ، وفي هذا التساؤل يذكر لنا دافيد سن حيث يقول : " أن العرب تركوا أثرا حقيقيا على وجه تكلم الأرض (يقصد بأرض شرق أفريقية) حيث أزالوا فدادين من الغاب وزرعوا عليها محاصيل متنوعة ، ولم تكن تجارة العرب للرقيق ، بأبشع من تجارة الأوروبيين ، ولعل من محامد العرب في هذا السبيل هي أن العلاقة بينهم وبين رقيقهم كانت انسانية إلى حد بعيد ، فكان حال الرقيق في ممباسا تدل على ما لا سيادهم العرب هناك من انسانية،

¹ - Coupland, R. : The British Anti-Slaver Movement , London 1938 , P.77.

يعجز الواحد أحيانا أن يميزهم عن أسيادهم ، إذ يبيح هؤلاء لهم أن يقلدوهم في اللباس وفي غيره من شئون العيش ^(١) .

لذلك نستطيع أن نقول إلى أن تجارة العرب في الرقيق لم تضر الرقيق مثلما أضرت تجارة الرقيق الأوروبية ، فقد كانت تجارة العرب تقوم على جهود فردية أم تجارة الأوروبيين فكانت تقوم على خطط محكمة لاستغلال الثروة البشرية الأفريقية ، وقامت من أجل ذلك شركات كبيرة ، كما تأسست الكثير من المراكز التجارية التي عقدت الاتفاقيات ووضعت الخطط محكمة لاستغلال الثروة البشرية الأفريقية ، وقامت من أجل ذلك شركات كبيرة ، كما تأسست الكثير من المراكز التجارية التي عقدت الاتفاقيات ووضعت الخطط ودبرت الفتن وعرضت القبائل لأسوأ استغلال عرفته البشرية في تاريخها الحديث .

والجدير بالذكر أن كوبلاند Coupland وغيره من الكتاب الأوروبيين حاولوا تحميل العرب وزر تجارة الرقيق في شرق أفريقيا باعتبارهم الوسطاء الذين كانوا يمدون المراكز التجارية بالعدد اللازمة من الرقيق ، ولكن هذا التقدير بني على أسس غير سليمة ، فلو طبقنا نفس تلك النظرية على مأساة الرقيق في غرب أفريقيا ، وكما يعترف كوبلاند Coupland ^(٢) ، بأن هذه التجارة أفقدت القارة عشرات الملايين ، ومما لا شك فيه فإن القبائل الأفريقية تتحمل جانبا من المسؤولية عن تلك التجارة في سواحل غرب القارة لأنها كانت تقدم الأسرى من الأفريقيين للتاجر الأوروبي .

^١ - بازل داهيدسن : أفريقية تحت أضواء جديدة ص ١٧ .

^٢ - Coupland, R: The British Anti-Slavery Movement , P. 77 .

وقد كتب الباحث الإنجليزي دافيدسن عن تجارة الرقيق التي قام بها الأوروبيون حيث قال : " لم تكن تجارة العرب للزنج إلا نكبة خفيفة على أطراف القارة وفي داخلها ، ولكنها أتخذت معنى جديدا حين شرعت السفن الأوروبية تنقل آلاف الشباب من الداخل والساحل ، وأصبحت بين يدي الأوروبيون تجارة أشبه ما تكون بالموت الأسود ، حيث قضى على ما يقرب من ثلث أهاليها (١) .

وإذا تركنا بازل دافيدسن إلى غيره من الباحثين مثل الأستاذ أن فيج Fage ، وأوليفر Oliver اللذين يعتبران من عمد الدراسات التاريخية لأفريقية في الجامعات البريطانية ، حيث يذكران فيما يختص بالعرب في كتابهما (موجز تاريخ أفريقية) ما يلي : " كان من نتائج الفتح العربي لأفريقية ، وما تبع ذلك من انتشار الإسلام في القسم الشرقي من القارة أن دخل جزء كبير من هذه القارة في صميم التاريخ أكثر من أي فترة أخرى وفي نفس الوقت تحول البحر المتوسط إلى منطقة التقاء شعوب قارات أفريقية وآسيا وأوروبا تلتقي عندها آراء أبناء هذه القارات وأفكارهم ، ولم تخسر أفريقية نتيجة لهذا كله ، بل ما كسبته أفريقية من حضارة الإسلام في القسم الشرقي من القارة أن دخل جزء كبير من هذه القارة في صميم التاريخ أكثر من أي فترة أخرى وفي نفس الوقت تحول البحر المتوسط إلى منطقة التقاء شعوب قارات أفريقية وآسيا وأوروبا تلتقي عندها آراء أبناء هذه القارات وأفكارهم ، ولم تخسر أفريقية نتيجة لهذا كله ، بل ما كسبته أفريقية من حضارة الإسلام يفوق كثيرا ما كان يمكنها أن تكسبه من اتصالها بأوروبا ، والتي كانت تمر في تلك

١ - بازل دافيدسن ، أفريقية تحت أضواء جديدة ، ص ١٩٣ - ١٩٥ .

الفترات فيما يمكن تسميته بالعصور المظلمة التي لم يكن هناك ما يضيئ فيها الاشعاع الديانة المسيحية (١) .

وقد أثارت فظائع تجارة الرقيق في شرق أفريقية اهتمام مجموعات متعددة من رجال المال والأعمال في جميع أنحاء بريطانيا ، وقد حاولت هذه المجموعات الدفاع عن أحوال الرقيق ومن ذلك خطاب تيو دور بورت Theodore Burt في جماعة مكافحة الرق في جمعية الاصدقاء ، وقد أعلن في لندن عن تشكيل لجنة مختارة برئاسة راسل جورني Russel Gurney وكلفت اللجنة باستقصاء الحقائق عن تجارة الرقيق في شرق أفريقية ، وبحث تفاصيل المعاهدات القائمة المنظمة لتجارة الرقيق ، وبحث كيفية القضاء على هذه التجارة كلية ، وقد استمعت اللجنة إلى نحو أربعة عشر شاهدا من بينهم عدد من موظفي البحرية البريطانية ، وكتبت اللجنة تقريرها بعد ذلك وتضمن عددا من التوصيات (٢) أهمها :

- ١- ضرورة القضاء نهائيا على تجارة الرقيق .
- ٢- دعوة السلطان برغش سلطان زنجبار إلى التوقيع على معاهدة جديدة لتحقيق هذا الغرض .
- ٣- زيادة عدد الطرادات البريطانية التي تعمل في مياه المحيط الهندي بهدف احكام الرقابة على السفن العربية .

١ - رولاند أوليفر ، وجون فيج : موجز تاريخ افريقية ، الدار المصرية للتأليف والوجهة ، يونيو ١٩٦٥ م ، صفحات مفرقة .

٢- Stock , Missionary Heroes of Africa , London 1898 P. 125 .

وتتفيذا لتوصيات اللجنة أرسلت الحكومة البريطانية بعثة خاصة برئاسة سيربارتل Bartle Frere^(١) حاكم بومباي السابق لحث السلطان يرغض على عقد معاهدة بريطانيا للقضاء على هذه التجارة ، لذلك أذرت الحكومة البريطانية السلطان يرغش في الخامس عشر من مايو عام ١٨٧٣م بأنه إذا لم يقبل التوقيع على المعاهدة المقترحة فإن الاسطول البريطاني سوف يفرض الحصار على زنجبار وبقية موانئ ساحل شرق أفريقية ، ولم يجد يرغش بدا من الامتنال لمشينة بريطانيا واضطر للتوقيع على المعاهدة ، وكانت تقضي بما يلي :

- ١- يتعهد السلطان يرغش باتخاذ الاجراءات الضرورية في جميع أملاكه من أجل منع تجارة الرقيق والغائها ، وحظر تصدير الرقيق من الساحل الشرقي لافريقية ابتداء من تاريخ عقد هذه المعاهدة .
- ٢- يتعهد السلطان باغلاق جميع أسواق الرقيق العامة في ممتلكاته .
- ٣- يتعهد السلطان بحماية كل العبيد المحررين ومعاقبة كل من يحاول اعادتهم إلى الرق .
- ٤- تتعهد الحكومة البريطانية بمنع رعاياها الهنود من اقتناء الرقيق أو الحصول على عبيد جدد ابتداء من هذا التاريخ .
- ٥- يتم التصديق على المعاهدة ويتم تبادل وثائقها في موعد أقصاه الخامس من يونيو عام ١٨٧٣م^(٢) .

¹- Lyne , Robert Nunez , : Zanzibar in Contemporary times ; Ashort History of Southern East in the Nineteenth Century , London 1905, PP. 73-75 .

²- Lyne , R, N. Op. Cit., P.83; Viole Also, Coupland, R , : Britbish Anti Slavery Movement , PP. 216-217 .

وفي ظرف أربع وعشرين ساعة من توقيع المعاهدة صدرت الأوامر
باغلاق جميع أسواق الرقيق في زنجبار وأرسلت التعليمات إلى ضباط
السلطان لتنفيذ شروط المعاهدة .

وهناك وثيقة في دار السجلات العامة P. R. O. في لندن تبين
الحصول على توقيع من السلطان يرغش بالغاء تجارة الرقيق ومما جاء فيها:
" بالاشارة إلى رسالة كيف Gave رقم ٢٤٤ في ١١ يوليو ١٨٧٣
بشأن الغاء الرقيق في زنجبار ومحمية شرق أفريقية ، تم توجيه سيراجري
Sir Grey أن ينقل مسودة من الميثاق الذي سيتم اصداره في هذا الموضوع
في زنجبار وبمبا ، وقد تم اخطار حاكم محمية شرق أفريقية لاختبارك عن
التاريخ الذي سيبدأ فيه الالغاء الرسمي لرقيق في المحمية ، وبذلك تمكن
الحصول على توقيع السلطان على الميثاق المرفق لكي يكون على استعداد
للتمشي مع الميثاق البريطاني لشرق أفريقية ^(١) .

ولقد بذل فرير Frere أقصى ما يستطيع من جهد للفت نظر بريطانيا
إلى الفرص التجارية في شرق أفريقية بعد الغاء تجارة الرقيق ، وقال وزير
الخارجية أنها لفكرة جديدة ورحب بعرض فرير بامداد وزير التجارة والمالية
بمذكرة عن النمو المحتمل للتجارة البريطانية في شرق أفريقية وقد أشارت
المذكرة إلى أن هناك طلبا ثابتا على المصنوعات الأوروبية على طول
الشاطئ الشرقي لافريقية وعلى المواد الخام الأفريقي في أوروبا ، وإذا زادت
بعثة شرق أفريقية فليس هناك شك في أن تقريرها سيؤدي إلى ازدهار تجارة
مباشرة مفيدة لكل من بريطانيا وأفريقية وقادرة على مد مساعدة أساسية لمنع

¹ - F. O. 403/396 Further Correspondence Respecting East Africa .

منافسة تجارة الرقيق ^(١) ، وقد عبر السفير البريطاني في واشنطن عن رغبته في مد التجارة الأمريكية إلى شرق أفريقيا ، عندما كان يشرح الهدف من بعثة فريير لوزارة الخارجية الأمريكية .

وبذلك يظهر بوضوح أن الحكومة البريطانية لم تكن تفكر في ميزات اقتصادية فقد في شرق أفريقيا ، بل دعت الدول الغربية الأخرى لمد تجارتها في شرق أفريقيا ^(٢) .

ويتضح أيضا مدى ارتباط الحركات التصيرية بالتجارة بسبب أن التبشير والتجارة يعدان امتداداً طبيعياً للمدنية الغربية فالتجارة الغربية كانت تقدم المعونات المالية التبشيرية كي تساعد في الاستمرار في عملها التصيري ، أو في حركتها الصليبية .

وكانت الجمعيات التصيرية أول من نفتت الأنظار إلى أهمية منطقة شرق أفريقية من الناحية التجارية ، وكانت جمعية الكنيسة التصيرية Church Missionary Society رائدة الجمعيات التصيرية في تلك المنطقة ، فأرسلت Kraph وريمان Bebmann وتبعهما منصورون آخرون أمثال تشارلز ماكنزي C. Mackenzi ووصلت بعد ذلك جمعيات تصيرية أخرى .

وأستجاب بعض التجار لنداء ليفنجستون Livingstone وبدأ السيروليام ماكينون William Mackinnon رئيس شركة شرق أفريقيا البريطانية الأمبراطورية في تسيير سفن شركة الملاحة التجارية البريطانية الهندية إلى زنجبار ، بالإضافة إلى تقرير انشاء طريقين من الساحل إلى بحيرة نياسا

¹ - Coupland , R : The exploitotation of East Africa , 1856 - 1890 , New York , 1947 , P. 185 .

² - A. E. M. Anderson : The History of the Universities Mission to Central Africa , London 1909 , P. 245 .

وبحيرة فيكتوريا بعد اجتماعه برجال الأعمال في جلاسجو ، واكتتب تجار جلاسجو بمبلغ عشرة آلاف جنيهها لتسيير أول باخرة في بحيرة نياسا ^(١) ، وترتب على ذلك ظهور ألمانيا وفرنسا وإيطاليا في المنطقة للحصول على نصيب فيها ، وتحول الامر إلى صراع دولي .

ويمكن القول بأن مجرد وجود بعثات تنصيرية من جنسيات مختلفة سواء كانت بروتستانت أو كاثوليك في مناطق مثل شرق أفريقية ، يمكن أن تصبح واحدة من العوامل الأساسية للنزاع طالما أن مشكلة الحدود أصبحت موضوع منافسة بين القوى الأوروبية المتنافسة ، ولتقدير مدى نفوذ البعثات لتقوية مثل هذه المنافسة يمكن وضع تعميم عام على البعثات لتحديد مدى نفوذها ، فإن هناك بعثات حاولت الاستعانة بمساعدة القوة المادية لحكومتها وذلك لزيادة نفوذهم على مواطني شرق أفريقية من أجل تحويلهم إلى المسيحية ^(٢) .

وحين أنتقلت مقاليد الأمور في الدول الكبرى الصناعية إلى طبقات التجار والرأسماليين أصبحت الأغراض التجارية والصناعية والمالية تتحكم في سياسات هذه الدول ، عندها سعت الرأسمالية الأوروبية إلى البحث عن مجالات أخرى لاستثمار رؤوس أموالها ، وكان المجال أمامها واسعا في القارة الأفريقية ، وترتب على هذا تأسيس الشركات التجارية الكبرى التي ذاع صيتها في ميدان الاستعمار في أفريقية فقد اكتشفت هذه الشركات في أفريقية مستودعا كبيرا للمواد الخام فاندفعت لاستنزاف موارد القارة حتى كادت تنضب مواردها النباتية والحيوانية لاستنزاف موارد القارة حتى كادت تنضب

¹- Oliver , R. and Mathew , G. : The History of East Africa , vol I, Oxford 1960, P. 355.

²- Oliver. R. : The Missionary Factor in East Africa , P. 161.

مواردها النباتية والحيوانية والمعدنية ، وكانت الشركات كثيرا ما تبدأ العمل في القارة ثم لا تلبث أن تترك المجال للحكومات ، لذا فإن القاعدة القديمة القائلة بأن التجارة تتبع الاستعمار The Trade Follows the Flag انقلبت فأصبحت الأقرب للواقع أن يقال The Flage Follows the Trade والأمثلة على ذلك كثيرة فالاستعمار البلجيكي للكنغو كانت بدايته الشركة التي أسسها ليوبولد Leopold ملك البلجيك برأسمال مليون فرنك ، كذلك فإن الشركات الاستعمارية الألمانية كشركة كارل بيترز K. Peters التي بدأت نشاطها في شرق أفريقية عام ١٨٨٤م مهدت للاستعمار الألماني لتلك الجهات (١) .

وقد اهتمت الشركة الاستعمارية الألمانية بصفة أساسية بالتوسع في الداخل وتأسيس المحطات التجارية (٢) وأستطاعت في المدة من سنة ١٨٨٥م إلى سنة ١٨٨٧م تأسيس عشر محطات زراعية وتجارية ، وقد تبين للشركة في سنة ١٨٨٧م أن انشاء تلك المحطات عملية فاشلة مرتفعة التكاليف، وفي تلك المحطات حاولت الشركة التعامل في المنتجات الوطنية ، ولكنها لم تستطيع منافسة التجار (٣) ، وأدركت الشركة أن نجاحها يتطلب التحكم في إدارة الشريط الساحلي الملاصق لأراضيها حتى تتمكن من استغلال مصادرها ، وعلى أساس تلك النظرة بدأت ألمانيا نشاطها في المنطقة بإرسال وكلائها إليها لعقد اتفاقات مع شيوخ وسلاطين بعض مناطق شرق أفريقية مما أفزع جون كيرك J. Kirk قنصل بريطانيا العام في زنجبار ، فأرسل برقية لوزارة الخارجية البريطانية يخبرها بنشاط الوكلاء الألمان وضعف سلطان زنجبار

١ - شوقي عطا الله الجمل : تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر ، ص ٣٦ .

٢ - Oliver , R. : History of East Africa , P. 386.

٣ - Harlow , V., and Chilvern , E. M. : History of East Africa , London 1956 , P.128.

السلطان برغش بن السلطان السيد سعيد وعدم مقدرته على وقوف ذلك النشاط ، بالاضافة إلى وجود جهود مستترة من الحكومة الألمانية لوضع السلطان تحت نفوذهم (١) .

وكانت الحكومة البريطانية لا ترغب في التصادم مع الحكومة الألمانية طالما أن الألمان لم يعتقدوا على مصالحها التجارية ، بل أن حكومة صاحبة الجلالة تؤيد جون الألمان في مناطق غير محتلة بدول متحضرة (٢) وشرح مستر لистер Mr. Lister أحد موظفي الخارجية البريطانية موقف بلاده السياسي من ذلك بقوله أن أية معارضة للوكلاء الألمان في شرق افريقية سيحول المسائل التجارية إلى مشاكل سياسية ، ومن المحتمل أن يحد الوكلاء الألمان هذه المنطقة مخيبة لأمالهم التجارية ، ولكن إذا عارضنا النشاط الألماني فإن ذلك سيلفت نظر الحكومة الألمانية زنجبار ويتدخلون في شئوننا السياسية بطريقة لا ترضى السلطان الذي يخشى أي تدخل أجنبي (٣) .

وقد أرسلت مؤسسة أوزفالت الألمانية مبعوثا من قبلها إلى منطقة شرق أفريقية لبيان الاحتمالات التجارية بها وترتب على ذلك افتتاح بيت أوزفالت التجاري فرعا له في زنجبار لمبادلة البضائع الأوروبية بسلع شرق أفريقية والاتجار في الأصدا ف ، ولم يلبث بيت أوزفالت أن اشتغل بتوريد الفحم للأسطول البريطاني في شرق أفريقية ، ونظرا لأن نشاط التجار الألمان في شرق أفريقية كان محدودا بالمنطقة الساحلية فقد تولى المنصرون الألمان ورجال البعثات الدينية التصيرية مهمة البحث والتأكد من الاحتمالات الاقتصادية للمنطقة الداخلية من شرق أفريقية وكان الدكتور لودفيج كرايف

¹ - F. O. 403 / 93 : Sir J. Kirk to Earl Granville , 28 May 1885.

² - F. O. 403 / 93 Earl Granville to Sir . J. Kirk , 20 May 1885.

³ - F. O. 403 / 93 Mr. Lister to Sir J. Kirk , 20 May 1885 .

L. Krapf أول رجال الدين الألمان الذين وصلوا إلى المنطقة ثم تبعه يوهانز رييمان J. Rebman (١) .

وقد اتخذ كرايف وزميله من راباي قاعدة للتوغل داخل القارة لاقامة مراكز للتبشير بها ، وعملوا على دراسة اللغات الأفريقية ، ووضعوا معاجم للسواحلية والوانيكلا لاستخدامهما في محاربة الإسلام والقضاء على نفوذ العرب المسلمين داخل القارة ، بخاصة كرايف الذي بذل جهودا كبيرة للاحاطة بنفوذ التجار العرب (٢) .

وهناك وثيقة من الكولونيل Colville إلى Hardinge يبين فيها أن هناك عجزا ماليا كبيرا عند العمال السواحليين (٣) ، وكان قد قام الحاكم الألماني بتصفية المركز الاقتصادي والاجتماعي للأقلية العربية والسواحلية بعد اخماده ثورة بوشير بن سالم على الساحل ، ونتيجة للسيطرة الألمانية على طرق التجارة الداخلية واحتكار التجارة الخارجية وتحريم تجارة الرقيق وأخذت حقوق سلطان زنجبار السياسية على ساحل تتجانياقا تتضعضع ، وبهذا هبطت الأقلية العربية السواحلية وقد استمر هبوطها الاقتصادي في ظل الحكم الألماني ، وقد اتخذ الألمان اجراء إدارياً حكومياً يؤدي أيضا إلى القضاء على الوجود المتميز للأقلية العربية في البلاد ، فقد قسموا البلاد إلى وحدات إدارية تابعة للعاصمة ، وعينوا في الجهاز المحلي والأقليمي عمالا أجانب وطرّدوا الموظفين العرب (٤) .

¹ - Groves , P. : The Planting of Christianity in Africa , Vol . II, London 1954, PP. 95-100 .

² - Oliver , R. ; The Missionary Factor . In East Africa , PP. 6-8 .

³ - F. O. 403/196 Colonel Colville to Hardinge , 19 August 1894 , (٩) ، أنظر ملحق رقم (٩) .

^٤ - عبد الملك عودة : مرجع سابق ، ص ٨٩ .

وهناك وثيقة تبين أبعاد العمال العرب من وظائفهم واحلال محلهم
عمال من الهند ، وفيما يلي نص الوثيقة المرسله من وزارة الهند إلى وزارة
الخارجية البريطانية : " لقد تم اعلامي من قبل سكرتارية حكومة الهند
لتوضيح أمر استلام بيوسي أندرسن Percy Anderson (من موظفي وزارة
الخارجية) الرسالة المؤرخة في ١٠ مارس ، وتحويل نسخة من الاشارة
الشفهية من السفارة الألمانية (في لندن) باحترام رغبة السلطات الألمانية في
شرق أفريقية للحصول على عمال الهند ، هذا وأن نسخة من خطابكم مع
مرفقاته سوف تحول فورا للحكومة الهندية لكي يتم اعتماداه في أقرب فرصة
ممكنة (١) .

ولا شك أن السياسة الخرقاء التي أتبعها الألمان أثارت عليهم
الوطنيين ، فقد فرضوا ضرائب جديدة وحرموا العرب من وظائفهم (٢) .
لذلك قام العرب بثورة بسبب استيلاء شركة شرق أفريقية الألمانية
على المنطقة الساحلية وانزالها علم سلطان زنجبار ورفع علم الشركة الألمانية
بدلا منه وأيضاً عزل الموظفين العرب ، وفقد أن العرب لأرباحهم التي كانوا
يحصلون عليها من التجارة ، وكان العرب يستخدمون الوطنيين لزراعة
قصب السكر والقرنفل في مزارعهم ، وفي نفس الوقت لم يرضى الوطنيون
المقيمون بالقرب من الساحل عن إدارة الشركة ، لما يترتب على وجودها من
فقدانهم مما يحصلون عليه من فوائد مادية من القوافل التجارية المارة

^١ - أنظر ملحق رقم . F. O. 403 / 194 India Office to Foreign office , April 11 1894 .

(١٠)

^٢ - محمد سيد محمد ، سلطنة زنجبار الإسلامية بين الإنجليز والألمان ، ص ٧٩ .

بمناطقهم، وبذلك يمكن القول أن نشاط الشركة قد أثر على المصالح الاقتصادية^(١).

وعمد الأوروبيون إلى قطع التجارة الصحراوية ، التي كانت كشریان الحياة تمتد من البحر المتوسط إلى وسط القارة الأفريقية ، تمدها بالثروة وتبادل الآراء والخبرة ، وذلك لضعاف المسلمين اقتصاديا وقهرهم ماديا ، حيث تحولت التجارة إلى أيدي الأوروبيين^(٢) .

وقد كون بعض الرأسماليين البريطانيين شركة خاصة للمحافظة على النفوذ البريطاني في شرق أفريقيا ، ونظر الرأي العام البريطاني إلى تكوين هذه الشركة على أنه عمل وطني عظيم^(٣) .

وحصل السير وليام ماكينون William Mackinon رئيس شركة الشرق أفريقية في ١٨٨٧/٥/٢٤م على امتياز استغلال المنطقة البريطانية في شرق أفريقية وبموجب هذا الامتياز أصبح لتلك الشركة الحق في شراء الأراضي وتنظيم التجارة وفرض الضرائب ، كما أصبح من حقها إدارة هذه المناطق ، والتحفظ الوحيد الذي أخذه السلطان برغش على هذه الشركة هو أنه مسئول عن المصاريف الناتجة عن نشاطهم في تلك المنطقة أو عن أية نزاعات أو حروب تدخل فيها الشركة مع رؤساء تلك المنطقة^(٤) .

^١- Hollings worth , L. W. : Zanzibar Under the Foreign Office , London 1953 , PP. 26-27.

^٢ - عبد الله نجيب محمد : أهداف المسيحية العالمية في أفريقيا ، مجلة الأزهر السنة الثامنة والخمسون الجزء العاشر ، شوال ١٤٠٦ هـ / يونيو ١٩٨٦ م ، ص ١٥٣٨ .

^٣- Lugard , F.D. : The Rise of our East African Empire , Vol II, London 1893 , PP. 592-595.

^٤- F.O. 403 / 101 , Znzihar and East African Trade , Draft Prepared Concessions , May 24 , 1887.

وفي ٣ سبتمبر ١٨٨٨م حولت الحكومة البريطانية هذه الشركة إلى شركة مساهمة تدعى شركة شرق أفريقية البريطانية ^(١) ، وذلك بمرسوم ملكي وضعها تحت إشراف وزارة الخارجية البريطانية التي تولت حسم أي نزاع ينشأ بين الشركة وبين سلطان زنجبار أو أي زعيم وطني في المناطق الواقعة في دائرة نفوذها ، ولم تكتف الشركة بالامتياز الممنوح لها من سلطان زنجبار بل أرسلت مندوبين عنها لعقد اتفاقات مع زعماء المناطق الواقعة في منطقة النفوذ البريطاني ، وكانت ترسل تقارير دورية عن نشاطهم إلى وزير الخارجية البريطانية طبقا لنصوص مرسوم تكوين الشركة السالفة الذكر ^(٢) .

ولقد أسست الشركة مركزها في ممباسا ، التي كانت مركز عائلة المزروعي في الساحل الشرق ^(٣) ، ولوصول الشركة إلى هدفها رأت أنه من الضروري أن تهدئ الوضع السياسي في الساحل ، وقد تم ذلك بكثرة عدد البعثات في المنظمة ، فضلا عن ذلك كانت هناك ثورات في جنوب الساحل لمقاومة الشركة ، مما جعل الشركة البريطانية تتبع سياسة معادية وذلك للقضاء على الثورة ، فقررت أن تتدخل في شئون العرب ^(٤) ، حيث قامت في السنوات الأولى إلى النظر في تحويل العرب المسلمين إلى المسيحية وذلك بوضع ضغوط للاستفتاء عن الرؤساء غير المتعاونين ، وقد تم القبض على

^١ - عين السير ويليام ماكينون رئيسا للشركة واللورد براسي Brasseley نائبا للرئيس وكل من السير ستورات D. Stewart وميبروكستون Buxton وسيرجون كيرك وجورج ماكينزي Mackenzie وغيرهم أعضاء في مجلس الإدارة .

^٢ - F. O. C. 6817 , Charter granted to the Imperial British East Africa Company , 3 Sep . 1888 .

^٣ - Oliver , R, and Mathew , G: History of East Africa , P. 386 .

^٤ - Temu , A. J. : British Protestant Missions , London 1972 , P. 44.

كابوجا Kabuga وهو رئيس محلي بالقرب من الشركة لأنه كان معارضا ،
وحل محله رجل آخر أكثر صداقة وتأييدا لمجهودات الشركة .

وتم طرد اخر يدعى كيروجا Keroga في مقاطعة كيكويو Kikuyu
وقد تم الاستغناء عنه لأنه لم يوافق على عمل تم بواسطة الشركة (١) .

لذلك تشب الخلاف بين العرب والبعثات التنصيرية في الساحل ، وهذا
الخلاف أثار مشكلة الحدود في شرق افريقية بين الأوروبيين أنفسهم في خلال
سنة ، كما استقر مقاومة العرب ضد الحكم الأوروبي الأجنبي في شرق
ووسط أفريقية والذي قال عنه أوليفر Oliver بأن كان مألوفاً وسريع الانتشار
في شرق أفريقية عام ١٨٨٨م (٢) .

ومقاومة العرب للوجود الأوروبي في شرق ووسط أفريقية تم توجيهه
أولا ضد البعثات التي بسبب اختلاف ثقافتها فكان لا محالة من نشوب صراع
مفتوح معهم ، وثانياً ضد الشركة البريطانية التي تأسست للتجارة في
المنطقة (٣) .

وكان الكابيتين لوجارد Lugard وهو ضابط استعماري انجليزي قد
اخترق بحيرة نياسا في قارب بخاري للشركة الأفريقية للبحيرات وأغرق
معظم القوارب الشراعية للعرب التي كانت تحاول الحصول على امدادات
عسكرية لنقلها من الشرق للغرب في البحيرة ، كذلك أيضا قام مديرا الشركة

¹- Leonpharr Spencer , J. R. : Christian Missions and African Interests in
Kenya , 1905 - 1924 , Nairobi , 1974 , P. 102.

هذا المرجع عبارة عن رسالة دكتوراة لم تنشر بعد ومحفوظة في المكتبة المركزية بجامعة نيروبي " كينيا " قسم
شرق أفريقية .

²- Oliver , R. : The Missionary Factor in East Africa , P. 116 .

³- Hanna , A. J. : The Beginnings of Nyasaland and North Eastern Rhodesia
1859-1895, Oxford 1956 , PP. 16 - 30 .

بهجوم على مخازن العرب وتم الاستيلاء عليها ، ورغم أن العرب قد قاسوا من خسائر ضخمة فإن كرامتهم وشجاعتهم لم تسمح لهم بالمطالبة بالسلام ، وفي نفس الوقت أرسل بعض مستشاري الشركة في بريطانيا ، اسوء عناصر الموظفين لمكاتبها للقيام بشن حرب عامة ضد العرب في أرض نياسا وطردهم من البحيرة ، وقد قامت الحامية العسكرية في كاروجا Karouga بتحطيم كامل لكل محاصيل العرب ومصادرة امدادات الطعام مما جعل العرب يقاسون من شدة المجاعة ^(١) .

لذلك قامت البعثات البروتستانتية البريطانية بفتح أبوابها بالنسبة للرقيق الهارب من أسياهم العرب وكذلك لأي أفريقي يريد أن يقيم هناك على أساس أنه مع مرور الوقت سيصبح مسيحيا ^(٢) .

وبدأ العرب يفقدون القوة العاملة التي استخدمها المبشرون كقوة عاملة ، وأستخدمت بعثة الكنيسة التنصيرية بصفة خاصة هذه القوة الحصول على عمال من المقيمين لتطوير ممتلكاتها ومزارعها ، ولقد سمحت لهم بعثة الكنيسة بالاقامة ، ومنحتهم الحماية وعلاجهم في حالة مرضهم وذلك بشرط أن يصبحوا مسيحيين في المستقبل ^(٣) .

أن امتداد بعثة الكنيسة إلى أراضي في الساحل الشرقي لأفريقية ، حدث بسبب عدة تغييرات من ذلك المحاولات البريطانية لانهاء تجارة الرقيق، وهبوط قوة العرب بسبب تدهور اقتصاديات مزارعهم التي كانت تعتمد على

¹- F. O. 403/127 , Report By. Mr. Johnston , Her Majesty's Consul For the Portuguse Posses - Sions on the East Coast of Africa , on the Nyasa Tanganyika Expedition, 1889 - 1890 . (نظر ملحق رقم ٥) .

²- Trimmingham , S. : Islamin East African Oxford 1964 , PP. 23 - 25 .

³- Temu , A. J. : Op. Cit ., P. 20 .

الرقيق ، وقيام الشركة البريطانية الاستعمارية في شرق أفريقية ، كل هذه كانت عوامل مؤثرة في توسع البعثات ، ومسألة انتشار بعثة الكنيسة في هذه المنطقة حدث بسبب علاقة البعثة مع أكبر مجموعتين من مجتمع جيرياما Giriamia فالأول يشمل اتصالات عديدة بشأن العبيد الهاريين والمعروفين باسم واتورو Watoro ، والثانية كانت وجود مجموعة قليلة من المسيحيين من قبائل جيرياما Giriamia والذين طوروا أعمال البعثة الأولى في المنطقة وبحلول عام ١٨٨٩م كان هناك حوالي ٣٠ مواطن يعيشون في Godoma تحت قيادة أبيسيدي Abesidi وحيث أن البعثة فشلت لمدة أكثر من ٣٥ سنة لشق طريقها بين قبائل ميجيكندا Miikenda إذ كانت متلهفة على بذل نشاطها بين هذه المجموعات ، ومهما يكن فقد وجدوا صعوبة في أي عمل على نطاق واسع ^(١) .

لذلك في عام ١٨٩٠م هاجم العرب في ممباسا علنا محطات بعثة الكنيسة ^(٢) وقد بالهجوم على فولادويو Fulladoyo وبتاجوا وماكنوجين Makangeni وكلها مستعمرات مستقلة من العبيد الهاريين إذ العبيد يهربون من أسيادهم العرب ليؤسسوا اقامة خاصة بهم مستقلة في داخل البلاد ، ومثل هذه المستعمرات أصبحت مألوفة وعادية خاصة عندما منع القنصل العام البريطاني Kirk البعثات من ايواء العبيد الهاريين من أسيادهم العرب ، ولقد تعهدت البعثات بالامتناع عن ذلك رسميا ^(٢) ، وهناك وثيقة من سكرتير الجمعية البريطانية لمقاومة تجارة الرقيق Buxton إلى وزارة الخارجية ، جاء فيها (أن الجمعية أبدت اهتماما كبيرا في مسألة الغاء الرقيق في زنجبار لعدة

¹ - Robert W. Strayer : Op. Cit , P. 37 .

² - Lugard , F. D. : Op. Cit., Vol I, PP. 222- 230 .

سنوات ولقد اتفقت مع لجنة مكافحة الرقيق في جمعية الاصدقاء في الرغبة ليروا العبيد الرقيق كمؤسسة قد أنهت (١) ، ولكن رغم ذلك استمرت البعثات في القيام بايواء العبيد سرا .

ولقد أثار العرب كل القنوات القانونية والشرعية المفتوحة أمامه قبل هجهمهم على البعثات ، وايضاً قدموا احتجاجاً إلى والي ممباسا يخبرونه بأن البعثات تأوى العبيد بصورة غير قانونية ، لذلك أرسل والي ممباسا عدة تقارير بالوضع للسلطان (٢) .

وقد وصل النزاع إلى القمة عندما أرسل العرب وممثلو أثني عشر من أرباب الأسر العربية في ممباسا مذكرة إلى السلطان برغش ومما جاء فيها : " خدمنا أصبحوا ... يقدمون كل شيء إلى أيدي المسيحيين الذين ضربوهم ، والكبار والرؤساء في المدينة ذهبوا إلى المسيحيين للتحدث معهم في الموضوع ونحن أمرك وحمايتك (٣) .

وقد حضر كيرك إلى ممباسا لمحاولة إيجاد حل للمشكلة ، وعقد عدة اجتماعات مع ممثلي العرب والبعثات ، وقدم النصح للبعثات بالنسبة لموقف بشأن العبيد في ممباسا وقد وجه إليهم الانتقادات لا يوانهم العبيد الهاربين ، وهناك وثيقة كتبها كيرك Kirk ينشد فيها البعثات التنصيرية لا يوانهم العبيد ومما جاء فيها : ' لا يوجد شك بالنسبة لوجهة نظري التي اتخذتها في الموقف حيث أن القانون الآن في صف العرب ويصف الرجل الانجليزي بأنه

¹ - F. O. 403/368 Travers Buxton to Foreign office , 11 July 1906 . أنظر ملحق رقم .

(١١)

² - F. O. 84 / 1575 Governor of Mobasa to Sayyid Barghash , September 8 , 1880.

³ - F. O. 84 / 1574 From the Arabs and Twelve Families of Mombasa , September 22 , 1880 .

ليس له الحق في الاحتفاظ بالعبيد وتحريضهم ضد رغبات أسيادهم وسلطات السلطان هي المسئولة عن هؤلاء الناس ونحن لسنا في موقف لاعطائهم أي شيء^(١).

لذلك في عام ١٨٩٥م اتخذت جمعية مكافحة الرق خطوة في دعايتها للإلغاء ، وكان ضمن ممثليها بيرس Pearse وهو محامي قديم ينادي بإلغاء الكامل والفوري للرق ، فقام بإثارة الموضوع في البرلمان^(٢) ، وقد لقي تأييدا من الرأي العام البريطاني القوي لذلك فان المجلس العموم البريطاني وافق على مبدأ الإلغاء الفوري ، ولقد أرسل لورد Kimberley برقية إلى Hardinge يستعجله في ابداء رأيه بشأن الإلغاء ، ولقد قال بأن الحكومة البريطانية لديها رغبة في أن تحقق عزرا في الموارد^(٣) ، وأشار إلى أن مثل هذه الخطوة ممكن أن تحطم صناعة الثوم التي يعتمد عليها اقتصاد جزيرة زنجبار ولقد قدر بأن سلطنة زنجبار ستواجه عجز مقداره ٣٥,٠٠٠ جنيه استرليني في السنة .

وأشار ماكينزي Mackenzi بأن الإلغاء الفوري للرقائق سيتسبب في تحطيم اقتصاد البلد^(٤) .

وفي عام ١٩٠٠م تم مراعاة المصالح العربية في الساحل ، وقد أدعى الأسقف تاكر Tucker بأن نقل Hardinge إلى إيران كان تحت ضغط والحاح منه ، وأيضا وافقت وزارة الخارجية أن تعوض العرب عن الخسارة

¹ - F. O. 84 / 1574 Kirk to Lord Salisoury , January 9 , 1888.

² - F. O. 84 / 1973 Salisoury to Euan - smith , February 1 , 1889 .

³ - F. O. 107/40 Kimberley to Hardinge , March 1895 .

⁴ - Holling Sworth , L. W. : Op. Cit . , P. 139 .

بسبب تحرير عبيدهم وتم إعداد محاكم لهذا الغرض في المدن الكبرى للساحل^(١) .

لقد ركزت بعثات البروتستانت على الزراعة حول الأماكن التي بها المحطات كوسيلة للتدريب المنصرين من جهة وللوقوف ضد التجار العرب من جهة أخرى ، وهذا الخطر هو الذي حدده ليفنجستون ، ولهذا فإن البعثات البريطانية كانت في حاجة إلى مساحات واسعة من الأرض حتى تستطيع إنتاج محصول تجاري ، وكانت الأراضي المملكتن الحصول عليها على الساحل تختلف من مكان لآخر ، وهناك أرسالية الكنائس الحرة أستولت على مساحات كبيرة لاستغلالها في الزراعة للتجارة ، فأصبح لديهم ٦٠٠٠ فدان في مقاطعة تانا Tana و ٧٥٠ فدان في ريبي Ribe وكذلك ٥٠٠ فدان في مازيرا Mazera ، ولقد زرعوا أشجارا للمطاط وشجر جوز الهند في ثلاثة مقاطعات وفي مازيرا زرعوا فواكه للبيع في ممباسا ، وبمرور الزمن حققت الأرسالية نجاحا ملحوظا في الزراعة التجارية ، وأفاد الحاكم العام لمقاطعة ماليندي وهو سكين Skene بأن ممتلكات الأرسالية في ريبي يعد الانجاز الأمثل في المقاطعة حيث زرعت ٢٢٠٠٠ فدان من أشجار المطاط على أمل أن تحصل منها حوالي ١٠٠٠٠ جنيه استرليني خلال سنة^(٢) .

ولم تبدأ بعثة الكنيسة أعمال الزراعة والصناعة بصورة جدية الا مع بداية القرن العشرين حيث أنه خلال النصف الثاني من التسعينات من القرن التاسع عشر بدأت فكرة تطوير الصناعة في شرق أفريقية على مستوى

^١ - Ibid ., P. 158 .

^٢ - تقرير عن الارشيف العمومي للحكومة الكينية في نيروبي تحت اسم :

Kilifi Political Records , Vol II , Annual Report 1910 - 1911 , Kenya National Archives Nairobi .

تجاري مع ارسالية الكنيسة عندما وصل الاسقف بيل Peel إلى المحميات ليتولى الاشراف على المجمع الكنيسي في ممباسا حيث شعر بالحاجة الملحة لمشروعات صناعية وحسب اعتقاده أن ذلك سيوفر فرص عمل للمواطنين في اقتصاد المستعمرات الجديدة ، ولقد كتب يقول : ' عند وصولي إلى شرق أفريقية البريطانية في عام ١٩٠٠م كان هناك حقل ضخم من المشروعات الصناعية يفرض نفسه ، فمدينة فريير تاون Frere town محل إقامة بعثة الكنيسة كان عندها العديد من المسيحيين الذين ليس لديهم إلا قطعة أرض صغيرة لزراعة بعض محاصيل الذرة والفاصوليا ، وفي راباي Rabai يوجد العديد من المسيحيين في نفس الوضع ، وهذه الأوضاع تولد الكسل الذي يساهم في الفقر ويعجز عن دفع الناس إلى النشاط رغم أنهم أصحاب المجتمع' (١) .

وفي عام ١٩٠٥م وافقت شركة شرق أفريقية الصناعية المحدودة على تأسيس صناعات في مدينة فريير تاون ، وفي ممباسا ، وتم منح شركة شرق أفريقية الصناعية المحدودة ٢٠٠٠ فدان من الأرض الزراعية .

ونصح الحاكم العام اليوت Eliot ومستشاره التجاري مارسدن Marsden بقيام بعض الصناعات الصغيرة لتسكين مخاوف الأسقف بيل Peel من أنهم سيقعوا تحت ضغط نظام الشركات في المستقبل ، وقد كتب بيل Peel عن هدف الشركة ما يلي : " ... من السهل الاعتماد على الوعد بوفرة الأيدي العاملة من المنصرين الرجال والأطفال ، بينما في نفس الوقت يجب العلم بأن

^١ - رسالة من الأسقف Peel في ٢٧ أغسطس ١٩٠٣م محفوظة في الأرشيف العمومي للحكومة الكينية
بنروبي ، انظر :

هذه التسهيلات في العمل سوف تتأثر بعقيدة الاله عند الرجل الأبيض الذي سيسعى لاشغال هؤلاء العمال بالتفكير في عظمة المسيح (١) .

وعندما وجدت البعثات التنصيرية أن الإسلام متقدم جدا في زنجبار أمام بطء تقدم المسيحية ، قام أحد أعضاء البعثات بوضع حل وذلك للتخلص من النفوذ العربي الإسلامي في شرق أفريقية ، حيث كتب يقول : " اعتقد أننا سوف نحقق الفوز في هذا المضمار لأنه عندما توجد الكنيسة مع مدارسها والصيدلية والمستشفى وغيرها فانه لا يمضي وقت طويل حتى يدرك أهل المدينة أن هناك من يهتم بهم كثيرا تعاليم المسيحية وليس الإسلام " (٢) .

أن هدف الارساليات التنصيرية هو التنصير التام والتخلص من النفوذ الإسلامي في شرق أفريقية ، وقد عبر الدكتور هارسون Harrison عند هذا الرأي بوضوح إذ قال : (أننا نريد أن يصبحوا مسيحيين) (٣) .

والتنصير هو تقديم الانجيل ورسالته إلى العالم أجمع ، والأعمال التي تؤدي إلى تحقيق هذه الرسالة هي صلب العمل التنصيري ، وهذا الأسلوب يتصل اتصالا وثيقا بالخلق المسيحي أيضا والذي ينص على أن الوسيلة الأساسية لنشر المسيحية في العالم هي التنصير بالانجيل وقد أكد الأنجيل على هذه الرسالة أكثر من مرة .

إذا التنصير في المفهوم المسيحي هو نشاط ديني يهدف إلى تنصير غير المسيحيين وقد عرف بعضهم التنصير كما يلي : " العيش والعمل والحديث عن أجل المسيح " (٤) .

¹ - Ibid.

² - Maynard , Smith : Frank , Bishop of Zanzibar , Kife of Frank Weston , 1871- 1924 , London 1926 , P. 107 .

³ - Harrison , P : Doctor in Arabic , 1942 , P. 30.

⁴ - Zwemer , M. S. : Evangelism to - day : Message not Method , London 1912 , P. 14.

وزهد آخر إلى أبعد من ذلك معتبرا التنصير مطلباً دينياً أساسياً حيث قال : " التنصير يعني تحويل الناس عن الأمور الدنيوية إلى ملكوت السموات، أن هذا التحويل ضرورة مطلقة لأنه بدون إيقاظ الجوع الروحي فليس هناك أمل في المجتمع أو الجنس أو الأمة " (١) .

وقد أعتبر أحد المبشرين أن هدف التبشير هو : " أحداث تغيير في الحياة بحيث يصبح الإنسان مخلوقاً جديداً يعيش حياة يمكن أن تصفها بأنها انتقال من الموت إلى الحياة " (٢) .

والواقع أن جميع هذه التعريفات تتفق على أن التنصير كفكرة نصرانية تعني نشر المسيحية في العالم ، ولقد رأيت بنفسى (٣) في منطقة شرق أفريقية وبالتحديد في الطريق بين نيروبي ومباسا ، مركزاً للتنصير تقوم به سيدة منذ ثلاثين سنة في منطقة جبلية نائية تقيم في منزل أبيض تحيط به حديقة صغيرة ولديها طائرة عمودية " هيلوكوبتر " وضعت هي وطيارها تحت أمرتها لكي تنقلها وقتما تشاء إلى وسط الغابة فتخاطب سكانها وتتحدث معهم بلهجاتهم التي أصبحت تتقنها اتقانا تاماً وتقدم الهدايا إليهم وتعيش بينهم، ثم تصحب المجذومين منهم بطائرتها إلى مركز علاجي أقامته وزودته بالأطباء ، وفي تلك المنطقة رأيت القوة الروحية للإسلام أمام ضخامة القوة المزودة بها البعثات التنصيرية ، فالقسيس الذي كانت هذه المنصرة قد أعدته من أهلي المنطقة ووضعت الانجيل المكتوب باللهجة المحلية بين يديه لكي يسير داعياً وسط أهله وعشيرته ويعاونها في جذب المزيد من السكان إلى حظيرة الكنيسة ، هذا القسيس نفسه تحول إلى الإسلام عندما التقى بواعظ من

^١ - Ibid .

^٢ - Ibid .

^٣ - تم ذلك أثناء الرحلة العلمية التي قمت بها في نهاية شهر ذي الحجة عام ١٤٠٩ هـ .

أهل بلده وعاشره دون أن يقدم إليه الواعظ شيئاً في مقابل ذلك ، ودون أن تكون لديه وسائل الانتقال إلى الغابة بالطائرة أو علاج المجذومين أو تقديم الكساء لمن يريد ، ولكن الذي استطاعه هو أن عينه بعد اعتناقه الإسلام مؤذناً بمسجد القرية الذي يؤم المصلين فيها ^(١) .

وعندما وضع رجال التنصير أيديهم على الشرق كانت أوطان المسلمين أول ما أحكموا قبضتهم عليها ، وذلك ليحققوا أكثر من غرض :
أولاً : أستغلال تلك الأوطان أرضاً وبشراً لامتناس خيرات الأرض ، وتسخير الأيدي العاملة فيها لمصلحتهم .

ثانياً : وراء هذا الغرض أمر آخر خاص بالبلاد الإسلامية ، وهو محاربة العقيدة واجلاؤها من قلوب المسلمين ومحاولة تنفيذ ما عجزت عنه الحروب الصليبية من قبل ، وذلك لما يعلم المنصرون من خطر هذا الدين على مخططاتهم التنصيرية التي عملوها على أساس قتل معاني الإنسانية في الأوطان حتى تموت مشاعر الناس هناك ، ويضيع وجودهم ، فلا يحاول أحد أن يخرج من هذا الحصار المضروب عليه ، ولا أن يثور في وجه المنصرين ، الأمر الذي لا يصبر عليه المسلم الذي يستظل براية التوحيد ، ويهتف من أعماقه مرات كل يوم : لا إله إلا الله ، ويستمع إلى صوت المؤذن وهو يؤذن فيهب أجواء السماء بهذا النداء السماوي الله أكبر ، الله أكبر .. كل هذا من شأنه أن يبعث في نفس المسلم العزة والكرامة ^(٢) .

^١ - اسم القسيس قبل الإسلام كاهندي ، أما الآن فاسمه بلال كاتانا وهو يؤذن في مسجد مصلان وقد تم مقابلته أثناء الرحلة العلمية وذلك في يوم الجمعة وفي مسجده المتواضع لأموافق ٧ محرم ١٤١٠ هـ .

^٢ - عبد الكريم الخطيب : دور الاستعمار والبشر بين التيارات المعادية للإسلام ، جريدة عكاظ ، عدد رقم ٤٠٣٣ بتاريخ ١٣٩٧/٦/٢٨ هـ .

وقد نشرت صحيفة نيو فيزيون New Vision الناطقة باسم الحكومة الأوغندية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٨/٦/٨م مقالا أو بمعنى أصح خطابا من أحد قراءها المسيحيين تحت عنوان : "طفي صراخكم" يهاجم فيه الإسلام ويندد بالأذان ، ويدعي كاتب الخطاب ريتشارد M. Richard حسب ما نشر ، ومحرر هذه الصحيفة اسمه وليم بيك William Pike وهو انجليزي ومعروف عنه بعداوته للإسلام ومقالاته المتعددة التي يهاجم خلالها الإسلام والمسلمين بطريق مباشر ، وقد حاول الداعية احمد محمد الطيب ناظر مدرسة بومبو الإسلامية والمعلم الرئيسي للغة العربية بأوغندا نشر رد على الخطاب في الصحيفة التي نشرته والتي تدعي أنها تمثل روح الصحافة الحرة ولكنها رفضت أن تنشر الرد وحاول في صحيفتين أخريتين ولكن محاولاته باءت بالفشل ، وأخيرا أدرك أن الصحيفة الوحيدة التي قد ترحب بنشر رد الخطاب هي جريدة (الشريعة الشيعية المذهب) (١) .

لقد اعتبر المبشرون الإسلام دينا أجنبيا عن القارة واعتبروا الأفريقيين وثنيين يجب على حملة الكتاب المقدس من أوروبا أن يسوقوهم إلى حظيرة الإيمان بالمسيحية طبقا لتعاليم ومذاهب الكنائس الأوروبية ولهذا يوجد العديد من المبشرين الذين قاموا بجذب بعض أهالي بوسوجا Basoga ليصبحوا مسيحيين (٢) ، وكان للمجاعات والأوبئة في إقليم بوسوجا Basoga اثر كبير في نمو الكنيسة حيث تم استخدام المحطات الرئيسية للبعثة كمركز لتوزيع الطعام للناس التي تكاد تموت من الجوع في الأقليم وكل المبشرين تطوعوا للإشراف على توزيع الطعام ، وقيل توزيع الطعام فان المنصرين يعقدون في

¹ - The Shariat , July 1988 , A. D. (Zulkaada 1408 A. H.) .

² - Tom Tuna A, D. : Op. Cit ., 61 .

العادة صلوات دينية قصيرة مع من يحضر لاستلام الطعام ، وهذا من المحتمل قد ساعد لخلق الشعور بأن الله الذي يتحدث عنه المنصرون هو الذي جعل من الممكن لهم أن يظلوا أحياء ، والاله الجديد كان ناجحاً فيما فشل فيه الاله القديم ، وكنتيجة لذلك بدأ العديد من أهالي Basoga في تأسيس علاقات مع الاله الجديد ^(١) .

ان أكثر المناطق النائية معرضة للضغط الصليبي المركز ، خاصة إذا كانت فقيرة حيث أن هيئة التنصير تدخل المنطقة باسم الاغاثة ومحاربة الجهل وهذا ما يفتك بالمواطنين في تلك المنطقة النائية ، ومن ثم تقوم هذه الهيئة بمساعدة الناس بما يحتاجون إليه في مجال التربية والتعليم والعلاج ولاعناية بالمعوقين لتصل في النهاية إلى توزيع الكتاب المقدس ومن ثم تفرض عليهم حضور الكنيسة إذا ما أراد أن يحصل على المساعدات ^(٢) .

^١ - Tom Tuma , A. D. : Op. Cit ., P. 63 .

^٢ - تقرير الشيخ علي حافظ إبراهيم الملحق الديني بسفارة المملكة العربية السعودية في " نروبي " عن مشاكل الدعوة وما يواجهه المسلمين في منطقة كينيا وخاصة في المناطق النائية ، رقم التقرير ن / ٩٥ / ٨٧ ، بتاريخ ٨/٥/١٤٠٠ هـ .

اللغة	أول سنة الطبع			جوز ماتيس	أنجيل مارك	الأبجد كامل
Gusii	١٩٢٩م			٢٤١٧	١٨٢٨	٣٤٢٦
Kalenjin	١٩٥٠م			٤٥٠٨	٢٥٠١	١٩٩٦
Kamba	١٨٥٠م			٤١٢٧	٤٣٦١	٢٤٢٢٤
Kikuyu	١٩٠٣م			١٣٥٤٢	١٨١٣٠	٦٣٢٨٧
Ragoli	١٩١١م			١٩٥٠	٨٧٢	١٣٩٣٤
Luo	١٩١١م			٦٨٨٠	٤٧٤٨	٧٢٦٤٤
Mombasa	١٨٧٨م			١٩١٤م	لحم يسق	
Uhiun	١٩٣٤م			١٩٦٠	١٨٠٤٩	٤٤٩٠٧٠

وهناك مبادرة من البعثات للتخلص من النفوذ الإسلامي في شرق
أفريقية وفيما يلي احصائية بعدد المحطات التنصيرية في أرض شاجا
Chagga بتنزانيا^(١) ومنها يتضح الازدياد المضطرد في عدد المسيحيين .

السنة	مجموع المسيحيين	المحطات
١٨٩٨م	١٢	٣
١٨٩٩م	١٢	٤
١٩٠٠م	٤٢	٤
١٩٠١م	٦٨	٤
١٩٠٢م	١٤٦	٤
١٩٠٣م	٢٥٤	٤
١٩٠٤م	٣٩٤ .	٤
١٩٠٥م	٥٠٧	٤
١٩٠٧م	٧٤٠	٦
١٩٠٨م	١٠٦٣	٦
١٩١٠م	١٤٧٨	٦
١٩١١م	١٧٤٣	٦
١٩١٢م	٢٢٨٠	٦
١٩١٣م	٢٩٦٩	٦

^١ - Erik Sahlberg , Carl , : A Church History of Tanzania , Nairobi 1980 P. 77.

وهناك جدول يبين نسبة انتشار المسيحية في كينيا لعام ١٩٠٠م كما يلي :^(١)

السكان	١٩٠٠م	النسبة المئوية
مجموع سكان كينيا	٢٩٠٠٠٠	%١٠٠
أفريقي	٢٨٦٤٥٠٠	%٩٨,٨
عرب	٨٠٠٠	%٠,٣
أسيوي	٢٧٠٠٠	%٠,٩
أوروبي	٥٠٠	

وعندما بدأت بعثة ليبزيغ Leipzig في البحث عن قاعدة جديدة لبعثتهم ، وجدوا مقاطعة ماشامي Machame حيث نصبوا خيامهم والاحصائية التالية توضح تطور بعثة ليبزيغ Leipzig في كليمنجارو كما يلي :

المحطة	السنة	بدء التصير (٢)
مامبا Mabma	١٨٩٤م	١٨٩٨م
ماشبي القديمة Old Moshi	١٨٩٤م	١٨٩٨م
شير شيرا Shira	١٩٠١م	١٩٠٤م
مويكا Mwika	١٩٠٦م	
ماساما Masama	١٩٠٦م	
أوسوا Uswaa	١٩٠٧م	١٩٠٧م
مارانجو Marangu	١٩١٢م	

¹ - John S. Mbiti : Kenya Churches Hand Book , Publis hed by Evangle publishing house Kisum Kenya , August 1973 , P. 160.

² - Erik Sahlberg , Carl : Op. Cit ., P. 74 .

وفي عام ١٩١٤م كان عدد المسيحيين في ماشامي Machame ٥٩١ ، وفي بعثة ليبزج Leipzig كانوا ٤١٢٥ ، أما في بعثة لوثر Lutheran فكانوا ١٠٤٩١ ، وكل المسيحيين في شرق أفريقية الألمانية في عام ١٩١٤م بلغوا ٨٠٥٩٨ ، والجدول التالي يوضح أرقام مختلف المنظمات في عام ١٩١٤ كالتالي ^(١) :

البعثة	العدد
الروح القدس The H G F	١٦٠٠٠
الآباء البيض The WF	٣٣٦٨٥
البنتكين The Benedictines	١١٦٠٩
الكاثوليكين The Catholics total	٦١٠٠٠
بعثة الجامعات The Umc . A	٥٠٠٠
بعثة الكنيسة التصيرية Ghe CMS	٥٠٠٠
بعثة ليبزج The Leipzig Mission	٤١٢٥
برلين ١ Berlin I	٣٦٥٤
بيثيل Bethel	٤٨٤
مورفاين Moravians	٢٢٢٨

وأيضاً كان عدد الكاثوليك ضخماً وذلك للتخلص من النفوذ الإسلامي في شرق أفريقية على النحو التالي ^(٢) :

¹- Tom Tuma , A. D. : Op. Cit ., 70 .

²-Erik Sahlberg , Carl , : Op. Cit , P. 132 .

السنة	الكاثوليك
١٩١٨م	٦٠,٠٠٠
١٩٢٨م	١٧٥,٠٠٠
١٩٣٨م	٤٠٠,٠٠٠
١٩٤٨م	٦٧٥,٠٠٠
١٩٥٨م	١٢٥٠,٠٠٠

وعندما أصبحت السلطة في يد المبشرين دخل العسكريون إلى القارة بكل الوسائل الممكنة للسيطرة التامة على القارة على كل أقليم ، وبعد ذلك أدخلوا نظام التعليم المرتبط تمام الارتباط بالكنسية وهو ما يسمى (سيميناري) الذي يهئ للدارسين جميع ما يحتاجون مقابل الطاعة العمياء فقد استغل المنصرون الفقر والعوز والحاجة لتتصير المجتمع وأدخل المنصرون المدارس الابتدائية والثانوية وانتظروا حتى استطاعوا خلق جيل قادر على التدريس في التعليم العالي فأوجدوا الجامعة .

وهناك تعاون بين كل الارساليات للعمل على تحطيم الإسلام ^(١) ، فان الصراع الذي تفجر على الحكم المستقر في زنجبار ، ليس في الحقيقة سوى مشهد ثانوي من مسرحية مثلث في دار السلام وأستهدفت في أبعادها محو الحكم الإسلامي من الجزيرة والعمل بكل الوسائل على اضعاف العقيدة الإسلامية في النفوس وجعل أهمها في المخلفات من سبل الحياة تتناوشهم

^١ - محمد سمر الشمعة : بين التبشير وواقع المسلمين ، مجلة البلاغ ، العدد ٤٥٦ ، بتاريخ ١٣٩٨/٨/٣ هـ

المذاهب الهدامة وتنتابهم المحن والفواجع فيكون دائماً وأبداً أمة الفواجع والتخلف (١).

وقد كتب جورج كيمبل George Kimble محلاً الاضطراب الذي أصاب نفسية الأهالي بعد اعتناق المسيحية يقول : " كان للمسيحية أثر كبير في تفكك المجتمع الأفريقي فقد قدم المنصرون للتلاميذ في المدارس مبادئ تعد خليطاً من المسيحية ومن النظام الأوروبي المعاصر ، وعاد التلميذ للبيت ليجد أسرته في حياة مختلفة عما تلقاه بالمدرسة ، فحصل صدع كبير في المجتمع وذلك بخلاف الإسلام الذي كان يقدمه الدعاة للبيت كله أو لبطن من بطون القبيلة فيصبح عاملاً جديداً من عوامل التعاون والالتزام ، ومما زاد في الصدع والتفكك الذي خلفته المسيحية أنها فرضت على معتقيها نظاماً وتشريعات تتناقى مع طقوس الدينونة لقبيلته ومع تقاليدها (٢) .

وفي الواقع كانت أصعب مشكلة واجهت الرسائل التصيرية هي تدخلهم في العادات الأفريقية (٣) ، فقد جاء في خطاب كمبرلي إلى هاردنج في ١٥ نوفمبر ١٨٩٤ ما يلي : " بالاشارة لخطابكم رقم ٢١٣ في ٣٠ أغسطس الماضي المرفق به نسخة خطاب أسقف أفريقية الشرقية يطلب تفسيرات مختلفة عن الوطنيين ، وزواجهم وعن التبعية لسلطان زنجبار ، فيما يتعلق

١ - السيد محمد أحمد الحداد : حقيقة الأوضاع في زنجبار قبل وبعد مقتل عبيد كرومي الطاغية ، جريدة

أخبار العالم الإسلامي ، العدد ٢٧٥ ، بتاريخ ١٨/٣/١٣٩٢ هـ ، ص ٧ .

٢ - George Kimble : Tropical Africa , P. 269 .

٣ - Jomo Kenyatta : Facing Mount Kenya , London 1938 , P. 175 .

بالزواج المسيحي فهو زواج قانوني وبدون شك فإن المواج لابد أن يتم برجل كنيسة وبطقوس مقدسة (١) .

وهناك تقرير من المفوض سادلر Sadler حاكم أوغندا إلى اللورد لاندساوان Landowne وزير الخارجية يقترح فيه تطبيق نفس القواعد التي تطبق على المواطنين المسيحيين على المسلمين أيضا وتعيين زعيم المسلمين مبيجو Mbogo ومعه بعض القضاة كمسجلين ويكونون مسئولين عن جمع الرسم " رويية واحدة " مقابل قسيمة الزواج مع منع المسلم المتزوج من واحدة من الزواج بأكثر من ذلك رغم أن الإسلام يبيح ذلك (٢) .

وفي ٦ يناير ١٩٠٣م صدر مرسوم من ويلسون Mr. Wilson إلى القنصل سادلر Sadler جاء فيه أن المرسوم الجديد سوف ينتهك عادات المسلمين التي تتفق مع شريعتهم عقيدتهم وضرب مثلا بزعماء بوسوجا Busoga في أوغندا ، حيث بعضهم يملك ٣٠٠٠ امرأة يطلق عليهم زوجات ومن الصعب التنبؤ بما سوف يحدث ، ولابد أن نقنع الاهالي بأي تغيير طبقا لهذا المرسوم (٣) .

ولقد زار البابا الحالي " جان بول الثاني " ست دول أفريقية وقام بدراسة عميقة قبل القيام بهذه الجولة وذلك ليضمن نجاح الجولة ، وقد عمد أثناء جولته تسعة أساقفة للعمل في دول شرق أفريقية كما عمل في تطوير الطقوس الدينية حسب التقاليد الأفريقية ، وقد أدوا صلواتهم في كاتدرائية مع دق الطبول ، وهذه الخطوة أساسية جديدة لاستمالة الافارقة للنصرانية ووسيلة

¹ - F. O. 403 / 196 : The Earl of Kimberley to Mr. A. Hardinge , November 15 ,
انظر الملحق رقم (١١) . 1894 .

² - Sadler to lord Lansdowne . Foreign office , II June , 1903 .

³ - F. O. 403 / 332 Wilson to Sadler , 6 January 1903 . انظر ملحق رقم (١٣) .

جديدة لاحتواء القارة كما حرص البابا على اظهار اهتمام الفاتيكان بالمشاكل الاجتماعية فركز خلال خطبة على وحدة الكنيسة كما هاجم تعدد الزوجات والمساعدات الاقتصادية التي تخفي ورائها نوايا سيئة كما يزعم الباب ، والمتتبع لرحلات البابا الحالي منذ توليه كرسي البابوية نجد أنه أعطى بحركاته وجولاته دفعة جديدة للمسيحية وأخرج الكاثوليك من الأنزواء مما نشط الحملات التنصيرية ، وقد قال بوضوح في يوم الاحتفال العالمي بيوم التنصير " أن الأنجيل يجب أن يكون معروفا لجميع البشر من غير المسيحيين والذين يعيشون معهم ويتصلون بهم بطريقة أو بأخرى لاستمالة قلوبهم ولتضعهم أمام تعليم وقديسة الأنجيل (١) .

وهناك تقريب وصفه مجلس الكنائس العالمي عن وقائع وأحداث الاجتماع المسيحي الذي عقد في مدينة ممباسا في كينيا في الفترة من ١٢ - ١٨ محرم ١٣٩٠ هـ الموافق ١-٧ ديسمبر ١٩٧٠م وحضره أكثر من مائة مسيحي ممثلين لأربعين دولة في العالم ومن بينهم ٢٥ عضوا مسيحيا من الكنيسة الكاثوليكية والبقية من الكنائس البروتستانتية المختلفة وخاصة التي توجد في البلدان الافريقية وكان عنوان المؤتمر " الوجود المسيحي والشهادة " أو الدعوة ' المسيحية وعلاقتها مع الجيران المسلمين ' وناقش المؤتمر التطورات الحديثة في البلاد الإسلامية في طليعة القرن الخامس عشر الهجري ، وكان من أهداف المؤتمر البحث عن الطرق والوسائل الجديدة للقيام بالدعوة المسيحية التي تتادي بأن المسيح إله مصلوب وذلك بطرق

١ - تقرير عن جهود رابطة العالم الإسلامي لدعم الإسلام لمواجهة الحركات المعادية للإسلام في افريقية -

اعداد : ادارة مواجهة التنصير واليارات الهدامة .

ووسائل لا تثير الشكوك وسوء الفهم لدى جيراننا المسلمين كما جاء في تعبيرهم .

وأیضا كان من أهداف المؤتمر التقييم الوضعي لحركة التنصير في البلدان الإسلامية في ضوء تجارب رجال التنصير الذين يقومون في الأقطار الإسلامية (١) .

وهناك كثير من المصادر تعطي للقارئ انطباعا مؤداه أن النشاط العربي في داخل شرق أفريقية كان يستهدف في الدرجة الأولى عمليات التسلط والاستغلال فضلا عما كان يتميز به من القسوة (٢) .

لكن الدراسة المنصفة والموضحة للحقائق تستطيع أن تدفع هذه الاتهامات جانبا ، ويمكن الرجوع بصدد ذلك إلى كتابات الرحالة والرواد الأوروبيين الذين وصلوا إلى المناطق التي سبقهم إليها العرب ، وقد اعترف كثير من أولئك الرواد الأوروبيين بأن العرب كانوا عنصرا هاما من العناصر التي حملت لواء الحضارة إلى أواسط القارة الأفريقية ، فقد نظم التجار العرب قوافل التجارة ، ووصلوا بها إلى مناطق بعيدة كما أقاموا مستودعات لخزن بضائعهم ولم يحاولوا إخضاع القبائل الأفريقية بالقوة أو التسلط عليهم إنما حرص العرب على توثيق العلاقات التجارية بينهم وبين زعماء القبائل الأفريقية .

ومن الأوروبيين المنصفين الذين نوهوا بدور العرب الحضاري في افريقية يمكن أن نذكر جيروم بيكر أودولف بوردو ، وقد ركز الأخير على

١ - تقرير عن جهود رابطة العالم الإسلامي لدعم الإسلام لمواجهة الحركات المعادية للإسلام في افريقية - اعداد ادارة مواجهة التنصير والتيارات الهدامة .

2 - Ruth Slade : King Leopold's Congo , London 1962 , P. 84 .

الجهود الزراعية التي قام بها العرب في سهل طابورة فذكر أنهم نشروا الأمن وقضوا على الفوضى والاضطراب (١) .

وذكر هتشنز Hichens أنه لا تخلو قرية من مناطق شرق أفريقية من مسجد للمسلمين ، وأن معظم سكان المراكز التجارية كانوا مسلمين ، وأنه يمكننا احصاء أكثر من ستين مركزا تجاريا في شرق أفريقية كان الاسلام بها منتشرًا ولا يزال ، وكان القضاة المسلمون منتشرين في كل مكان يحكمون بين الناس وينشرون الإسلام وثقافته بينهم ، ويؤسسون المدارس والمساجد مما قوى مركز الإسلام بين القبائل الداخلية التي كانت تحافظ على شعائر الإسلام (٢) .

وشهد قسيس غربي آخر هو سينسر ترمينجهام عن سمو الإسلام وجلاله وروعته ، حيث قال أن جلال الإسلام وروعته هما اللذان دفعا الاهالي إلى أن يصبحوا هم أنفسهم دعاة له بعد أن كانوا من خصومه الكارهين ولم تسكت السلطة الاستعمارية على ذلك ، وهي التي أتت مضطرة ومجبرة بالمسلمين جبرا وكرها إلى تلك المناطق وأدخلتهم إليها ضمن ادارتها التي كان صغار موظفيها جميعا من المسلمين إذ لم يكن أمامها غيرهم كي تستخدمهم ، فبالإضافة إلى العقوبات التي وضعت في طريق الاسلام والدعايات التي أحاطت بالعرب لتغيير الأفارقة منهم وأبعادهم عن طريقهم فقد تعرض للكثير من ضروب المقاومة والمحاربة ولكن في النهاية كان النصر له ، ومن أمثلة ذلك ما فعلته السلطة الاستعمارية في منطقة شرق افريقية عندما ذهب إليها أول الموظفين الملونين في الإدارة الأجنبية ويدعى كارانا ، حيث أقام

¹ - Burton , R. : Lake Region of Central Africa , Vol. I, London 1860 , P. 324 .

² - Hichens , W. : Islam To - Day , London 1942 , P. 116 .

مسجدا صغيرا ليمارس الصلاة فيه ، وعندما أوشك هذا المسجد أن يصبح وسيلة لنشر الدعوة إلى الإسلام وجذب المواطنين إليه ، هبت السلطة على الفور وأتهمتهم بالاختلاس من أموال الحكومة ، وأبعدته (١) .

وقد كتب جونستون Johnston تقريرا عن الساحل الشرقي لأفريقية وفي كلامه عن العرب ونزاهتهم حيث يقول : " أينما سافرت في شرق ووسط أفريقية فإن الزنوج تحدثوا لي عن المعاملة التي يلقونها من القبائل الزنجية الأخرى أو من عرب " نياسا " ففي وادي الزمبيزي Zambezi تحدثوا عن قسوة الأوروبيين وعمن دمر وخرب كل القبائل ونشر السرقات في شرق أفريقية الاستوائية هل هم العرب ؟ الجواب : لا ، والعرب في هذه المناطق يحصلون على الرقيق من الرؤساء المحليين الذين يبيعوا أسرى الحرب أو المقبوض عليهم أو المجرمين ، وأحيانا من الشباب الصغار ، وهؤلاء الرقيق يتم معاملتهم بطرق سيئة ، ولكن الأعمال التي ارتكبتها العرب لا تكون جزءا من مائة من البؤس وأوراقه الدماء الذي تم إحداثه من قبائل المساي Masai (٢).

ويواصل كاتب التقرير كلامه عن العرب في شرق أفريقية بقوله : " يجب استنتاج بأنني لم اجد أي خطأ في سلوك هؤلاء العرب في شرق ووسط أفريقية ، بل على العكس ، أنا لا أوافق على الكثير من أعمالهم ، وكنت أفضل إذ لم يذهبوا إلى هناك بالمرّة ، لأننا كنا سنجد المواطنين الأصليين من السهل التجارة معهم وفي حكمهم إذا لم تكن لدينا لاتجارة المنافسة للتجار

١ - سينسر ترمنجهام : الاسلام في شرق أفريقية ، ص ٢٦ .

٢ - P. O. 403 / 127 , Report By Mr. H. H. Johnston , her Majesty's Consul For
The Portuquese Posses sions on the East Coast of Africa on the Nyasa -
Tanganyika Expedition 1889 - 1890 Mozambique 17 March , 1890 , P. 37 .

السواحليين ، ويجب أن نتذكر بأن العرب في وسط أفريقية كتجار ومقيمين وحكام ومستعمرين ، وكان علينا أن نتعامل معهم كما هم ، وليس كما يجب أن يكونوا عليه ومن خلال ما أعرفه عنهم أنا أعتقد أنه بالقليل من العمل والصبر فإن لديهم نوعية جيدة وممكن أن تستفيد من نشاطهم وخبرتهم وتحويل موقفهم لصالح تطوير افريقية وأنا أعتقد بأنهم ممكن أن يعملوا شيئا مفيدا ، أما بالنسبة للدعاية الإسلامية فانه من الصعب القضاء عليها ^(١) .

وأیضا هناك شهادة من " جرنفيل " الذي كان وزيرا للدولة الكونجولية في حكومة " لومومبا " في أوائل الستينات من القرن الحالي بقوله : " لقد زور البلجيكيون كل شيء في الكونغو ، فليست مدينة " ستانلي " ، وليس العرب كما قالوا لنا تجار رقيق ، وانما هم تلك الموجه الانسانية التي اختلطت بنا وصاهرتنا ، وتركوا لنا لغة مولدة من لغتهم ، وديننا وحضارة وسماحة تسوى بين كل الناس ^(٢) .

وتكفيينا كل هذه الشهادات من هؤلاء الأجانب عن سماحة الاسلام والعرب .

^١ - انظر ملحق رقم (٥) Ibid

^٢ - عبد الله نجيب محمد : حصاد الدعوة الإسلامية في وسط أفريقية ، مجلة الأزهر ، الجزء الثاني ، السنة التاسعة والخمسون ، صفر ١٤٠٧هـ - أكتوبر ١٩٨٦م ، ص ٢٠١ .

(ب) محاربة اللغة العربية والسواحلية وتشجيع اللهجات المحلية

عرفت اللغة العربية طريقها إلى شرق أفريقيا قبل الإسلام ، وذلك لاختلاط التجار والمهاجرين العرب بالافريقيين ومصاهرتهم منذ أقدم العصور فقد ذكر صاحب دليل البحر الارترى الذي زار شرق أفريقيا في القرن الأو الميلادي ، أن الأفريقيين كانوا يتطلعون إلى تعلم لغة العرب وكانوا يتكلمون بها ، لما تتيحها لهم من آفاق واسعة في التبادل التجاري ، ودخلت اللغة العربية في صراع مع اللغات المحلية ولكن اللغة العربية تغلبت على معظم تلك اللغات في المناطق التي أنتشر فيها الإسلام انتشاراً واسعاً وزاد فيها اختلاط العرب بالافريقيين (١) .

وساعد اللغة العربية على هذا الانتشار عدة عوامل منها :
العامل المهني : فحيثما انتشر الإسلام ورسخت قواعده انتشرت اللغة العربية.

- القرابة السامية : اذ بين العربية وأخواتها الساميات قرابة في كثير من المظاهر الصوتية واللفظية ، واللغة العربية أصبحت بعد الإسلام لغة دين وحضارة راقية ، وقد اتخذ انتصارها مظاهر عدة : فقد تكلمتها بعض الشعوب بجوار لغتها الأصلية ، مثل شعب مملكة أوفات الذين كانوا يتكلمون العربية ، وأكتسبت اللغات الأخرى نسبة كير من الألفاظ العربية (٢) .

وأيضاً من العوامل الرئيسية التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في شرق أفريقيا هو احساسهم بالحاجة إلى تفهم القرآن ، ورغبتهم الصادقة

١ - حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٤٦ - ٤٨ .

٢ - المرجع السابق ، ص ٥١ .

في تعليم اللغة العربية ، وهجرة فقهاء المسلمين إليهم من الحجاز لتتقيفهم وتعليمهم حتى يفهموا أصول دينهم .

والهجرات العربية أشعلت الرغبة في تعلم اللغة العربية وانتشارها ومنها هجرة بعض العناصر الحضرمية والعمانية إلى سواحل شرق أفريقيا^(١) .

وكان من نتيجة انتشار الثقافة العربية الإسلامية في منطقة الساحل ، أن اهتم السكان على اختلاف عناصرهم بالعلوم الدينية واللغة العربية ، فمن كلوا سافر طلاب العلم إلى شبه الجزيرة العربية لينهلوا من علوم المعرفة وبخاصة في الدين والفقه ، وكان من بينهم الأمراء ، فقد تنقل السلطان أبو المواهب ' ١٣٠٨ - ١٣٣٤ ' قبل ارتقائه عرش السلطنة في كلوا بين عدن ومكة لطلب العلم ، وكان قد وصل إلى مكة وهو لم يزل في الرابعة عشرة من عمره^(٢) ، ومما يؤكد شدة حاجة سكان الساحل إلى تحصيل العلوم العربية ، وما رواه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز الميورقي " المتوفي ٤٧٤ هـ " الذي زار البصرة في سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م إذ ركب نم عمان إلى بلاد الزنج زنجبار ، وكان معه من العلوم أشياء ، فما أتفق عندهم إلا النحو ، وقال لو أردت أن أكسب منهم ألوفاً لأمكن ذلك ، وقد حصل لي منهم نحو ألف دينار وتأسفوا على خروجي من عندهم^(٣) .

١ - محمد مختار أمين مكرم : أضواء حول أفريقيا ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ص ١١٦ .

٢ - محمد محمد أمين : تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ٥٢ .

٣ - ياقوت الحموي " شهاب أبو عبد الله الحموي الرومي " : معجم البلدان الجزء الخامس بيروت

ونظرا لاختلاط سكان ساحل شرق أفريقية بالعرب وغيرهم نشأت في مناطق هذا الساحل لغة عرفت باللغة السواحلية (١) .

وقد أنتشرت اللغة السواحلية على طول الساحل الشرقي للقارة الأفريقية ويرى البعض أن اللغة السواحلية هي نتاج لاختلاط المهاجرين العرب بدماء البانت ولغاتهم ، فقد تزوج العرب من نساء البانتو " وسمى النتاج بالأمة السواحلية التي تكلمت اللغة السواحلية هذا وقد انتشرت هذه اللغة بين السكان الأصليين مثل الديجو Digo واليا و Yao والجالا وأصبحت لغة المعاملات التجارية والمالية ، والسواحلية لغة رقيقة وقد جاءت حركاتها الحلقية من اللغة العربية ، كما أنها أخذت تعبيرات فارسية وهندية وهي اللغة الرسمية القومية على طول الساحل الشرقي لأفريقية وكانت تكتب بالأبجدية العربية حتى منتصف التاسع عشر (٢) .

والدليل التاريخي على أن سكان الساحل الشرقي لأفريقية ينتمون إلى أصل واحد منفرع إلى قبائل كثيرة هو وحدة اللغة ومقاطعها الأصلية وكيفية الاشتقاق وأدوات الإيجاب والنفي وغير ذلك ، وقد سمي المؤرخون هذه اللغة لغة البانتو ومنها نشأت اللغة السواحلية (٣) واللغة السواحلية تنتشر في شرق أفريقية وهي لغة تبناها أبناء العرب المسلمين الأوائل الذين أنجبته الأمهات الأفريقيات حيث كان الآباء يتكلمون العربية والأمهات يتكلمن لغة البانتو فزواج الأبناء اللغتين فتولدت السواحلية ، فثلث كلمات السواحلية من اللغة العربية وثلثها الآخر من البانتو ، والثلث الثالث من البرتغالية والفارسية

^١ - Morgan , W. : East Africa , London 1968 , P. 68 .

^٢ - أحمد إبراهيم دياب : مرجع سابق ، ص ٧٣ ، وأيضاً سليمان عبد الغني مالكي : سلطنة الكوة

الإسلامية ، دار النهضة ١٩٨٦م ، ص ٧٦ .

^٣ - حسن أحمد بدوي : مخطوط سابق ذكره ، ص ٢ .

والانجليزية والفرنسية والألمانية ومن اللغات المجاورة لشرق أفريقية ، وهي لغة حية وغنية بألفاظها ولها تراكيبها الخاصة .

والسواحلية لهجات منها ' كيامو ' نسبة إلى مدينة لامو وهي أم السواحلية وأجمعها للألفاظ والتعبيرات وتسمى اللهجة الراقية ، ولهجة كيتكو أي الأرض الشريفة وهي لغة الباجون وفيها دقة التعابير والنبرات وتبدأ هذه اللغة من كسمايو إلى فازه ، ولهجة كثيتا لهجة أهل ممباسا وتكاونع وكوالي وما جاورها (١) .

وتمتاز هذه اللغة بهجاء يزيد من هجاء أكثر اللغات السائدة فقد يبلغ هجاؤها ازيد من خمسة وأربعين حرفا وبعض مخارجها متقاربة (٢) وتعد اللغة السواحلية في شرق أفريقية من أقدم اللغات الأفريقية التي استخدمت ، ولا يزال بعض سكان المنطقة الساحلية يتمسكون باستخدام تلك اللغة في كتاباتهم ويكتب المهاجرون إلى الساحل وجنوب القارة الأفريقية لهجاتهم السواحلية بالحروف العربية (٣) .

ونظرا لأهمية اللغة السواحلية فقد ألفت فيها الكتب ، وعملت لها المعاجم وترجمت إليها التوراة وغيرها من الكتب المسيحية ، وانتشرت بها عدة رسائل من الامثال الدراجة (٤) ، وفضلاً عن ذلك أصبحت تلك اللغة أداة

١ - محمد شريف سعيد البيض : طي المراحل في تاريخ السواحل ، مخطوطة مكونة من ٢٧ صفحة كُتبت بخط يد الكاتب وهي موجودة في أقدم مسجد في جزيرة لامو وهو مسجد الرياض ، ص ٢٥ . وأيضاً حسن أحمد بدوي : مخطوطة سابق ذكره ، ص ٥ .

٢ - حسن أحمد بدوي : نفس المخطوطة ، ص ٥ ج .

٣ - إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربية ، عدد ٥٣ من سلسلة أقرأ ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٤٤ - ٤٥ .

٤ - محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ١٠١ .

لغوية سهلت المعاملات التجارية والمالية ، أي لغة مشتركة وسائدة Lingua Franca يتفاهم الجميع بها ^(١) .

لذلك يلاحظ أن اللغة السواحلية بدأت في التفوق وفرضت نفسها كوسيلة للتعبير واداة للحديث بين الشعوب الملاصقة للساحل منذ حوالي القرن الثالث عشر الميلادي إلى أن جاء القرن التاسع عشر فحلت محل العربية ، وقامت بمهمتها التاريخية في التعبير عن الافكار ونقلها ^(٢) وإذا كانت اللغة السواحلية قد بدأت في الانتشار بين سكان المناطق الساحلية والمدن الرئيسية خاصة في زنجبار وممباسا ، فقد أمتد نفوذها على أيدي التجار في داخل القارة غربا حتى المناطق الشرقية من حوض الكونغو وفي جميع أرجاء نياسلاند ، وفي تنجانيقا حيث لا نجد قرية من قرأها لا يتكلم أهلها اللغة السواحلية وايضاً في كينيا ^(٣) .

ولما سيطر البرتغاليون على الساحل في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي كان من الطبيعي أن تأخذ اللغة السواحلية من اللغة البرتغالية ، ولكن تأثير الأخيرة كان ضئيلاً ، لا يمكن مقارنته بما أحدثته اللغة العربية من أثر ^(٤) ومما يدل على ذلك أن اللغة السواحلية لا تزال تحتفظ بكلمة مسجد العربية لفظاً ومعنى ، في حين أن الكلمة السواحلية Gezeza المشتقة من الكلمة البرتغالية Lgreja أي " كنيسة " لا تحمل معناها الحقيقي في اللغة السواحلية وإنما تعني سجين والسبب في ذلك أن البرتغاليين كانوا يبنون

^١ - Fitzgerald , W. : Africa : Asocial , Economic and Political Geography of its Major Regions , London 1955 , PP. 122 - 123 .

^٢ - Fage , J , A History of Africa , London 1979 , P. 126.

^٣ - حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الأفريقية وغربها ، القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ٦٤ .

^٤ - Morgan , W. : Op. Cit., 168 .

كنائسهم وسجونهم داخل القلاع التي شيدها على طول الساحل^(١) ، ومهما يكن من أمر فإن الثقافة العربية الإسلامية اكسبت الساحل لغة قومية متولدة من اللغة العربية قامت بدور هام في مقاوماته السياسية والحضارية ، وإن كان هذا لا ينفي وجود اللغة العربية في الساحل كلغة قائمة بذاتها .

وأخذ تيار العروبة يزحف إلى الكثير من أجزاء القارة الأفريقية حتى اصطدم بالاستعمار الأوروبي ، وقد وجد رجال الاستعمار أن أخطر ما سيواجههم في السيطرة على القارة هو تيار العروبة ، فأخذوا الثقافة الأفريقية وصنفوها ، ووجدوا أنهم أمام نوعان منها ، ثقافة عربية تستند وتتساند على تراث فكري وديني وأدبي يجعلها لا تخضع ولا تثنين أمام الثقافات الأخرى بل تستطيع مقاومة هذه الثقافات والسيطرة عليها ، وبعد هذه الدراسة واجه المستعمرون هذه اللغة القوية بأكثر من أسلوب تبعا لاختلاف جنسية المستعمر ، فقد أنفرد الأنجليز بأسلوبهم المتميز في محاربة اللغة العربية في شرق أفريقية ، فقد أقاموا سدا في وجه اللغة العربية ، تلى ذلك تسلل تدريجي لاحتلال اللغة الانجليزية ، ونشر الثقافة الانجليزية وقد رسموا لذلك تخطيطا استعماريا لغويا ، يبدأ بتشجيع دراسة اللغات الأفريقية على يد المنصرين^(٢) لتحقيق المعرفة الأولية بهذه اللغات ، ثم محاولة تصنيفها ، ويأتي بعد ذلك تشجيع اللغة الانجليزية كتمهيد لسيادة الانجليز وأخيرا ادخال اللغة الانجليزية كلغة أساسية في مراحل التعليم المختلفة حتى مرحلة التعليم الأساسي .

^١ - Knappert , J. : Swahili Islamic Portry , Vol L, Leiden 1971 , P. 4.

^٢ - محمد مختار أمين مكرم : أضواء حول أفريقية ، المطبعة الفنية ، ص ١١٧ .

وعندما وفد المستعمرون الأوروبيون إلى شرق أفريقية ، وجدوا السواحلية هي اللغة العامة للتفاهم بين السكان ، فتعلمها الكثيرون منهم ، خاصة بين القبائل الداخلية البعيدة عن مجال التأثير الإسلامي (١) .

وهناك مبادرة من الارساليات التنصيرية في شرق أفريقية وذلك بإلغاء اللغة العربية التي كانت اللغة الرسمية لأهالي شرق أفريقية ، وكانت اللغة العربية هي لغة التعليم بجميع فروعها وفنونه ولم يطرأ أي تغيير في هذا الاتجاه حتى جاء الاستعمار الأوروبي فبذل مجهودات جبارة في تغيير الاتجاه وحاول فرض لغته على الشعب وأظهارها بمظهر اللغة الراقية التي لا غناء عنها في المعاملات والتعليم وغير ذلك كما فعل مع كثير من الشعوب الإسلامية حتى يقطع الرابطة بين الشعوب الإسلامية وبين لغة القرآن (٢) .

ونظمت الكنيسة ارسال البعثات التنصيرية وسلحتها بامكانيات كبيرة وأيدتها وساندها القوى الاستعمارية ، وعملت هذه البعثات على احياء اللغات المحلية وتدعيمها لوقف انتشار اللغة العربية ، وكتبت الأناجيل بهذه اللغات ووضعت لها نحوها وقواميسها ، وأعدت رجال الدين من بين الأهالي وأقامت الكنائس والمدارس التنصيرية التي عملت على اجتذاب السكان بكل الوسائل وادخالهم في حظيرة النصرانية (٣) .

١ - عبد الله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، مكتبة النهضة ، ص ١٠١ .

٢ - علي الشيخ أحمد أبو بكر : الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي دار أمين ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٧٢ .

٣ - عبد الله نجيب محمد : أهداف المسيحية العالمية في أفريقية ، مجلة الأزهر ، السنة الثامنة والخمسون ، الجزء العاشر ، شوال ١٤٠٦ هـ - يونيو ١٩٨٦ م ، ص ١٥٣٦ .

ولعل أهم المنظمات التنصيرية العاملة النشطة ضد الإسلام واللغة العربية في المنطقة هي جمعية حملة المسيح التبشيرية ويرأسها البروفسير دون مير ومقرها كينيا ولها مراكز في كل من غانا ، أريتريا ، جيبوتي ، وهي تعمل على محاربة اللغة العربية في مناطق الناطقين بغيرها ، وايضا من المنظمات التنصيرية ، العاملة النشطة ضد الإسلام واللغة العربية هي منظمة مراكز الشبيبة المسيحية ومقرها ألمانيا الغربية ^(١) .

ولقد قام الألمان بإلغاء اللغة العربية في صالح استخدام لغتهم الوطنية، وهذا تسبب في زيادة تفهم عقيدتهم وحرك طموحاتهم ، والمعروف أنه تم ترجمة الانجيل إلى اللغة الألمانية بواسطة مارتن لوثر Luther في القرن السادس عشر وكان له تأثير ضخم على الناس في ألمانيا ، وقد ركز العمل الأولي لبعثات الألمان على قيمة اللغة الوطنية العامة ، والتأكيد عليها لاستخدامها في عمل المبشرين ^(٢) " المنصرين " ، حيث قرر المنصرون العمل على وقف انتشار اللغة العربية التي هي أداة انتشار الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقية ، وهي في ذات الوقت عامل من أهم العوامل في توحيد الشعوب المختلفة اللغات واللهجات وتعمل على جمعها على ثقافة واحدة، باعتبارها أداة الوصل والاتصال بينهم ، والمحققة للاندماج الوطني بين قبائلهم ، وهذا مالا يرغب فيه المنصرون .

وعمد المنصرون من خلال مدارسهم التنصيرية إلى اكتساب ثقة الوثنيين ، وحتى يتم لهم الاتصال بهم كان لابد في نظرهم من استخدام اللغة

^١ - عبد الجليل ريفا : التبشير في أفريقيا ، المطبعة السكرية ، الطبعة الأولى ، ١٨٩٣ م ، ص ٣٧ .

^٢ - William , B. Anderson : The Church in East Africa , Central Tanganyika Press 1977, PP. 48 - 49 .

العامة ، وعدم استخدام أو تدريس اللغة العربية في محاولة منهم للوقوف في وجه انتشار الإسلام (١) .

فقد عمد المنصر الألماني " كرايف " إلى تدوين اللغة السواحلية بحروف لاتينية بدلا من العربية وقام هو ومن جاءوا بعده من المنصرين بوضع قواعد لتلك اللغة ، وكان الهدف من ذلك افراغ الثقافة السواحلية من مضمونها العربي الإسلامي ، وقد تحقق لهم هذا الهدف بقدر ما ، ثم عمدوا مرة أخرى إلى جعل اللغة الانجليزية هي لغة العلم والثقافة ونجحوا في ذلك إلى حد ما أيضاً ، وأصبح معظم الكتاب والشعراء يكتبون انتاجهم بها ، ومع ذلك لازال البعض يصرون على الكتابة باللغة السواحلية ولازال البعض أيضاً يكتبها بالحروف العربية (٢) .

ولم يكن كرايف عادلاً خلال فترة اقامته في منطقة شرق أفريقية ، حيث سلم إلى مطبعة توبنجن Tubingen في ألمانيا ما هو معروف من مفردات ومعاني اللغة التي هي ليست من اللغات الأفريقية وكذلك ترجمة الأنجيل ، وكان أعماله هذه كلها لمشروع لتصوير المنطقة (٣) " شرق أفريقية " وعندما كانت إدارة البعثات الألمانية ترسل معلومات لألمانيا ليتم تعليمها في المدارس فإن مؤتمر بعثة القارات في برلين قرر بأن المساعدات إذا تم منحها يجب أن يتم رفضها ما لم يكن الهدف يشتمل على ضرورة تقديم التعليم ، وكان هدف البعثات هو تدريب الأفريقيين بالطريقة الأوروبية ، وذلك إلى

١ - عبد الله نجيب محمد : الحروب على العربية في أفريقية ، مجلة منبر الإسلام ، العدد الثامن ، السنة الرابعة والأربعون ، شعبان ١٤٠٦ هـ ، أبريل ١٩٨٦ م ، ص ٩٧ .

٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٩٩ .

٣ - Eugene Stock . : Op. Cit . , Vol II , P. 129 .

محتويات اللغة الانجليزية وباستخدام سياسة مستديمة يمكن أن تصبح اللغة الأوروبية هي اللغة السائدة في شرق أفريقية (١) .

وقد جلبت جمعية برلين إلى جنوب المرتفعات الجبلية في تنجانيقا بقواعد لغة وطنية مع تدريبات عليها استخدم أعضاء البعثة لهجة اوبينا Ubena في عباداتهم وهذا جزء من مبادئ اللغة المحلية الدارجة بجانب هذا التأكيد على اللغة العامية كان يوجد اتجاهات خاصة لمختلف البعثات ، فبعثة جمعية الروح القدس غيرت اللغة من أجل جعل المستعمرات المسيحية تدرس عدة لغات متنوعة في مدارسها ، وقد أيدت جمعية برلين هذه المدارس (٢) .

وقرر المشرفون على جمعية برلين بالاجماع وبإصرار عدم الاستخدام الرسمي للغة السواحلية كلغة للمعلومات في المدارس ، وعرضوا أن يساهموا في التعلين لى أساس أن الأولاد الذي يتم ارسالهم للمدارس ينبغي ألا يكون لديهم مسبقا عن اللغة السواحلية .

وقد صرح رئيس البعثة بوخنر Buchner بأن قلبه لا يرق للسواحلية وذهب إلى أبعد من ذلك في خطابه أمام المؤتمر الاستعماري Kolonial Kongress في عام ١٩٠٥م وذلك بإعلان أنه لا يفضل الاختلاب بالاسلام وكل ما يفضلهُ هو انه يجب ان يعوق انتشاره ، وعلى هذه المبادرة قدم المؤتمر حلاً وهو أنه يجب أن تقدم المدارس اللغة الالمانية بدلا من اللغة السواحلية ، وتمت الموافقة عليه لمنع الإسلام من الانتشار وأقترح أحد المشرفين على التدريس في شئون اللغة وقواعدها بأن البعثات أخذت فكرة عدم استخدام اللغة السواحلية في التعليم وهذا الاقتراح نال موافقة مدير بعثة "

¹ - Oliver , R. : The Mission ary Factor in East Africa , P. 181.

² - William B. Anderson : Op. Cit ., P. 49 .

يلبّز Leipzig وهو شفارتز Schwartz حيث أعتُرف بأن التعليم يقدم في كسروي Kisserawe بالقرب من دار السلام باللغة العامية ، بدلا من اللغة السواحلية ^(١) .

وفي تايورة Tabora أوضح المشرف الألماني شترن Stern بأنه لا يسمح بتقديم المعلومات باللغة السواحلية ، وأن الحاكم قد استجاب لذلك والفائدة الكبرى التي تعود على الإدارة عند اتفاقها مع البعثة هو تحطيم اللغة السواحلية .

وبحلول عام ١٩٠٥م بدأ تبعته برلين تستجيب لطلب التعليم المدني ، لذلك تم تحويل المدرس كليف Cleve من مدرسة كيسيراوي Kiserawe إلى بينا سينود Benasynod ليشرف على التدريس في كديوجالا Kidugala ' في منطقة تنزانيا والتي أنشئت عام ١٩٠٤ كمركز للتدريب على التبشير للمسيحية وقد طور كليف نظام المدرسة في كديوجالا فقسمها على إلى قسمين واحد منها للتعليم المدني العادي ويشمل التعليم باللغة الألمانية وذلك لاعداد الأولاد للحياة العامة ، والقسم الآخر للعلوم الدينية الابتدائية بهدف تدريب التبشير للمسيحية ولحث الإدارة على تشجيع هذا التطور والديع لى ذلك أنها قدمت لها منحة بل تكفلت بالصرف على أدوات المدرسة رغم أن الرغبة في تغيير مستوى المنهج التعليمي تم اعلانه ، وقد علق على ذلك أحد المنصرين بأن السبب الهام للمعارضة للسواحلية هو أن المبشرين لا يتحدثون هذه اللغة ^(٢) .

¹ - Marcia Wright : German Missions in Tanganyika 1891 - 1941 , Oxford 1971 P. 113.

² - Marcia Wright ; Op. Cit ., P. 114.

وحل منصر آخر وضع البعثات الألمانية في شرق إفريقيا بمنهج دقيق ، حيث رأى أن مضاعفة اللهجات العامية في المنطقة يعتبر اغراء للمنصرين لمواصلة عملهم بحوية نشطة وأن المدرسة الجيدة يجب أن تتخلى عن التدريس بلغة الأم الوطنية في تدريس القواعد الأساسية للتصوير ، وقد أشار بأنه رغم ذلك فإن المعاهد المركزية لتدريب المبشرين للمسيحية لا محالة ستؤدي إلى انتشار لغة تخص المجمع الكنسي ، وهذا سيؤدي ببساطة إلى خلق جيل مسيحي يتحدث لغة شبه عامية بدلا من اللغة السواحلية ، ولقد اقترح بأن مثل هذا الاتجاه يجب أن ينمو عندما يصل المجتمع إلى حوالي أكثر من نصف مليون وكجزء من هذا الشعور ، يجب على المبشرين أن يتعلموا اللغة العامية في برنامج اللغات الشرقية في برلين ^(١) .

وبعد فتح المدارس الأولية والابتدائية والمدارس الصناعية عام ١٩٠٨م كانت هناك آراء وهي أي لغة تستخدم في تعليم الأطفال هل العامية أم السواحلية بحروفها اللاتينية ، ولقد كانت اللغة السواحلية لمدة مئات السنين تكتب بالحروف العربية ، كما كان هناك أدب سواحلي ضخم لا سيما في الشعر حيث يمتد عبر سبعة قرون من الزمان وكان يتناول كل فكرة يدركها العقل أو حالة تدخل في نطاق التجربة السواحلية ^(٢) ، وكان التلاميذ يتعلمون الخط العربي منذ نعومة أظافرهم في الكتاب خلال دروسهم القرآنية ويشجعهم آباؤهم على ذلك ومن ناحية أخرى كانت البعثات التنصيرية تصطنع في كتبها وترجمتها السواحلية للكتاب المقدس الحروف اللاتينية ، وكان من رأي سير جون كيرك وسير جونستون Johnston اللذين استشارتهما وزارة الخارجية أن

¹ - Marcia wright : Op. Cit , P. 122 .

² - Hichens : Al-Inkishafi , London 1939 , P. 41.

الحروف اللاتينية أنسب الحروف لكتابة السواحلية ، وقد أشار سير جونستون إلى أن الحروف الهجائية العربية أبعد ملاءمة من أي حروف أخرى لكتابة أي لغة سوى العربية ، وحتى حين محاولة تيسيرها بإدخال بعض حروف فارسية قليلة وعلامات تحريك اضافية ، لذلك تقرر استعمال الحروف اللاتينية في جميع مدارس الحكومة ^(١) رغم المعارضة المحلية لهذا القرار . وعملت السياسة التنصيرية إلى أبعد من ذلك في محاولة صبغ التعليم بصبغة أوروبية ، فاتجهت إلى كلية غوردون التذكارية في الخرطوم في محاولة لحرمانها من الصبغة العربية ، وذكر في ذلك احد رجال الرسائل حيث قال : " لقد أمكن عن طريق نظم كلية غوردون التذكارية وضع أسلحة الجامعة لأزهرية في أيدي الشباب بديلا عن الاشراف الغربي على تلك الكلية ، وكان من شأن هذا الاشراف المدعم بمعرفة تامة لأحوال الجماعات ، أن يمهد السبيل تدريجيا وضمنا للتوغل الإسلامي الدموي الذي يستهدف السيطرة كليا على القارة الأفريقية ، والقضاء النهائي على كل النفوذ المسيحي ، والدين الإسلامي المتسامح من الناحية الأخلاقية يوافق عواطف ومزاج الرجل الأسود ، مثم يوافق كل الأمم غير المتحضرة ومن الخطورة فيما يختص بالعقائد الدينية للرجل الأسود الذي ينتمي لأي قبيلة من القبائل أن تحتفظ بذاتيتها " ^(٢) .

وهكذا يتضح من مثل هذا الخطاب وغيره كيف قامت الرسائل التنصيرية بالضغط على الحكومة الانجليزية لتفريغ كلية غوردون من محتواها العربي الإسلامي .

^١ - Holling Sworth , L , W ; Op. Cit , P. 224 .

^٢ - عبد الله نجيب محمد : الحرب على العربية في أفريقية ، مجلة منبر الإسلام ، العدد الثامن السنة ٤٤ ، شعبان ١٤٠٦ هـ / أبريل ١٩٨٦ م ، ص ٩٨ .

وقام المنصرون في شرق أفريقية بإنشاء معهد أسموه معهد اللغات ،
وتحت هذا العنوان برئ يرسل المنصرون رجالا متخصصين في اللغات
العامة التي لا تقرأ ولا تكتب ويقوم هؤلاء بوضع قواعد اللغة المحلية
وقاموس لها ، ويترجمون إليها الأنجيل ثم يدخلون تلك الترجمة في صلب
تدريس الأطفال حتى تتحول القبيلة التي لا تقرأ ولا تكتب ويقوم هؤلاء بوضع
قواعد اللغة المحلية وقاموس لها ، ويترجمون إليها الأنجيل ثم يدخلون تلك
الترجمة في صلب تدريس الأطفال حتى تتحول القبيلة التي تتكلم اللهجة
المسيحية (١) .

وهناك وثيقة مرسلة من وزارة الخارجية البريطانية إلى السيد سنكلير
Sinclair فيما يتعلق بنظام التعليم في زنجبار ، أن يضع الملاحظات فيما يتعلق
بالموضوع في تقرير لمدير التعليم ، ولقد ناقش Smith عدة بدائل وهي :

- أ- تقديم اللغة الانجليزية كوسيط للمعلومات .
 - ب- محو اللغة العربية من الكتب المدرسية .
 - ج- استخدام كتابة اللغة السواحلية في الشكل الأوروبي .
- وأيضاً مما جاء في الوثيقة أن الموضوع ذو أهمية في تطوير التعليم
في المحمية ، ولقد فكرت في أنه من المنطق الحصول على رأي هؤلاء الناس
في الدولة حيث عملوا دراسة خاصة في اللغات الأفريقية وبصفة خاصة اللغة
التي يتم استخدامها في شرق أفريقية ، وأنا أخبرك بأنه يجب أن تدرس اللغة
السواحلية بالحروف الرومانية ، بالإضافة إلى ذلك فإن الحروف الابجدية
العربية هي غير مناسبة لتقدم أي لغة ، بينما الحروف الرومانية ممكن أن

^١ - F. O. 403 / 396 : Foreign office to sinclair 16 Nov. 1908.

تمثل اللغة السواحلية لذلك أي محاولة لامتداد اللغة العربية في كتابة اللغة السواحلية عدم النظر إليها واسقاطها (١) .

ولقد أثرت هذه الفكرة بدون شك على Smith ولجنته ، اذ أنه لو أمكن اقتباس هذه التوصيات فان الاطفال سيصبح لديهم فقط حروف أبجدية واحدة للتعليم والذي سيتم استخدامها من أجل الديانة ، ولكن في المقام الأول يجب التبعية بأن الحروف الأبجدية المقترحة هي ليس لها أي ارتباط بالحروف المستخدمة في القرآن ، وفي المقام الثاني فانه من المرغوب فيه المحافظة على التعليم الدين المسيحي بقدر الامكان ، ومن أجل ابعاد احتمال أي خطر وأي محاولة ممكن الاهتداء إليها تقرر أن أي فرد يرغب في تعليم القرآن يجب أن يعرف الحروف الرومانية حتى يعتبر نفسه غير قادر على قراءة القرآن (٢) .

وأنشأت البعثات التنصيرية مدارس الغابات ، وظلت تخضع لاشرفائها دون ان تمتد إليها يد الحكومة المركزية ، بسبب وجود هذه المدارس في مناطق الغابات البدائية وبعدها عن مراكز العمران ، ولم تكن هذه المدارس تتلقى اعانات مالية من الحكومة ، ولم تطبق بها النظم الأوروبية الحديثة في التعليم لقلة الامكانيات المادية لهذه المدارس ، ولم يشترط لدخول هذه المدارس سن معين ، وكانت للغة التعليم بها هي اللغة العامية ، ولم تعرف هذه المدارس نظام النقل من صف إلى آخر ، وإنما كانت عبارة عن عدد من الفصول الجماعية تضم مختلف الأطفال الأفريقيين الملتحقين بها .

¹ - F. O. 403 / 396 : Foreign office to sinclair 16 Nov. 1908. أنظر ملحق رقم (١٤) .

² - Ibid .

وأيضاً أنشأت البعثات التنصيرية مدارس القرية ، وكانت الحكومة تعين مدارس القرى التي أسستها البعثات ، وكانت مدة الدراسة اربع سنوات ويشترط للانتقال من صف إلى آخر بها أن يجتاز الطفل امتحانا خاصا في التربية الدينية المسيحية يعقد في آخر العام ، وكان التعليم في أول الأمر باللغة السواحلية ثم حلت محلها فيما بعد اللغة الانجليزية (١) .

وعلى الرغم من أن المبشرين وجدوا أن اللغة الدارجة وسيلة نافعة لنشر الدين المسيحي ، فإن تعليم اللغة الانجليزية كان ضرورة أساسية لهم في التعليم ونتيجة لهذا كانت اللغة الانجليزية لغة التعليم في جميع المدارس (٢) . وقد ساعد التعليم على خلق طبقة جديدة تحولت إلى المسيحية وأخذت بالعادات الغربية وبعدت عن تقاليدھا الوطنية ، ووضعت نفسها فوق السلطات الأفريقية التقليدية وبدأت تسعى إلى السيطرة السياسية ، والسبب في انفصال هذه الفئة المتعلمة عن تقاليدھا الأفريقية يرجع إلى طبيعة الدراسة ذاتھا في المدارس الكينية التي أهملت التقاليد والعادات الوطنية ، وأظهرت احتقارا واضحا لها ، وحاولت ابعاد التلاميذ عنها بدعوى عدم تقدمھا وفي الوقت ذاته كانت هذه الفئة المتعلمة تعطي اهتماما واضحا للھجات المحلية وتحاول جذب التلاميذ إليها للتقلد بها .

وقد حدث أو أول سؤال تم اختياره بواسطة اللجنة الاستشارية في وزارة المستعمرات كان عن موقع اللغة العامية الأفريقية في التعليم وهذا له علاقة على مستوى عالي بتصنيف القواعد والاملاء والتي يجب ان يتم عرضھا على المعهد الدولي للثقافة والذي يعمل كمؤسسة توضيحية بين

¹ - A guide to Kenya , London 1962 , PP, 80 - 81 .

² - Coleman : Op. Cit . PP. 114 - 115 .

حكومات البعثات ويدعم وتأييد مؤسسة فيشر Vischer والتي يرأسها لوجارد Lugard أما البعثات الكاثوليكية فقد كونت لجنة عن طريق الدعاية لكي تنضم إلى الاجتماع وقد كان احدهم القسيس ديوبوا Dubois حيث اقترح بأن هذه السلطة من الدعاية للتعاون النشط في اعتماد البعثات للغة العامية في علاقاتها أمر لا بد منه ، وكذلك أيضاً تأييد الباب بيوس Pius XI الحادي عشر بقوله بأنها السياسية العصرية (١) .

وقررت بعثة الكنيسة تقديم الانجيل للناس باللغة العامية (٢) ، ولا تباع تلك السياسة فان اثنين من المنصرين في بعثة الكنيسة وهما كرايتري Crabtree وروولنج Rowling وصلا إلى يوسوجا Busoga ، حيث عكفا في الحال على طبع صفحات للمطالعة وترجما الانجيل إلى لغة البوسوجا Busoga العامية (٣) .

ورغم أن مبشري الباجندا Baganda كانوا يدرسون في أوغندا فان المبشرين الأوروبيين استمروا في طبع صفحات المطالعة والكتب باللغة المحلية وبحلول عام ١٩٠٨م قاموا بترجمة انجيل ماثيو Matthew ومرقس Mark باستخدام اللغة العامية (٤) .

أن الدعوة للمسيحية أصبحت من الوسائل الأولية لبعثة بيتل Bethel والأشخاص المحولون في معظم الحالات اعتبروا ذوي أهمية في أن يكونوا قادرين على قراءة الانجيل ، وطبقا للأحكام العامة يمكن القول بأن المبشرين

¹ - Dubois , H. : Repertoirre Africain , Rome 1932 , P. 157 ; Oliver , R. : The Missionary Factor in East Africa , P. 272 .

² - Tucker : Eighteen Years in Uganda and East Africa , Vol II, London 1908, P.50.

³ - C. M. S. : Extracts , Annual letters of Missionaries 1896 , P. 231 .

⁴ - Bruton , : Somenotes on the Basoga “ in Uganda Journal , 2 April 1935 , P94.

حاولوا معرفة اللغة المحلية ، ولكن عندما كانت اللغة الدارجة في المنطقة هي اللغة السواحلية فقد استخدموا اللغة العامية (١) .

وفي عام ١٩١١م عقد مؤتمر دار السلام (٢) وتم الاتفاق على مشكلة اللغة ، وتم انتقاد الترجمة القديمة إلى السواحلية لأنها كانت في متناول الغالبية من السكان بسبب استعمال بعض الكلمات العربية ، وقد أصرت بعثة بيتل Bethel في هذا المؤتمر على أن العهد الجديد (الانجيل) يجب أن يتم ترجمته بدون استخدام العربية (٣) ، وهذا يوضح لنا أن المبشرين أنشغلوا بقلوبهم بمسألة محاربة اللغة العربية .

وفي عام ١٩٣٩م تشكلت لجنة من ممثلي جميع الاقاليم في شرق أفريقية لوضع كتابة اللغة السواحلية ، ولكن لم تتج من دنس المنصرين فقد أوعزوا إلى عملائهم بأن ينادوا باحلال العامية محل اللغة السواحلية تدريجيا ، ولقد قررت البعثة التنصيرية التي وصلت إلى شرق أفريقية لدراسة الأوضاع اللغوية بأن تعليم اللغة السواحلية مضیعة للوقت ، وكذا تدريس الحصص القرآنية ، وحتى تنال من اللغة السواحلية روجت للغات محلية ، وجعلتها لغة التعليم في المرحلة الابتدائية ، وأخيرا قررت أن تكتب السواحلية بالحروف اللاتينية ، لتقطع كل خيط يتصل باللغة العربية ، وقللت عدد الحصص لتنتهي كل صلة بها (٤) .

^١ - Carl - Erik Sahlberg : Achurch History of Tanzania , Nairobi 1986, P. 103.

^٢ - مؤتمر دار السلام عقد في سنة ١٩١١م وعقدته جمعيات التنصير الألمانية وكان هدفه هو انتقاد الترجمة القديمة للانجيل والتي كانت باللغة السواحلية وأنه يجب الا يستخدم اللغة العربية في المنطقة .

^٣ - Ibid., P. 104.

^٤ - محمد مختار أمين مكرم : مرجع سابق ، ص ١١٤ .

والغريب في الأمر أنه بذلت المحاولات الكثيرة لتحويل كتابة العربية نفسها إلى الحروف اللاتينية ، قد أدعوا فيما أدعوا أن الحروف العربية لا تلائم التطور وتؤدي إلى صعوبات في النطق الصحيح والكتابة المضبوطة ، مع أن الحروف اللاتينية لا يمكنها التعبير عن كثير من أصوات العربية ، وكثرة أخرى من الأصوات الأفريقية التي لا نظائر لها في اللاتينية مثل أصوات الحلق والأصوات المركبة وغيرها ، كما أن الكتابة اللاتينية نفسها تحتاج إلى إعادة النظر في اصلاحها لتعبر عن أصوات اللغات المكتوبة بها في أوطانها (١) .

وحاولوا أن يدفعوا الناس إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية وساقوا المبررات ، ولذا فقد انفعِل الشاعر حافظ إبراهيم فأشاد باللغة العربية بقوله : (٢)

رجعت لنفسي فأتهمت حصاني ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقت فلم اجزع لقوم عدائي
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

إن التعليم بلغة المستعمر أو باللغة العامية أفسح المجال للنقد من جانب المتقنين الأوروبيين فيقول أحدهم بخصوص التعليم في المستعمرات من يستطيع أن يكشف الاحتيال والنصب في فرض لغة أجنبية على الشباب الافريقي وكأنها لغة أهم ؟

في حين يذكرنا آخر بأنه في الكنفو البلجيكي تنربي كل مجموعة من سلالة واحدة وعلى أن تتطق لغة خاصة بها فكان نتيجة لتلك التربية عزل كل

١ - عبد الله نجيب محمد : الحرب على العربية في أفريقية ، ص ٩٩ .

٢ - محمد مختار أمين مكرم : مرجع سابق ، ص ١١٨ .

مجموعة من تلك المجموعات عن الأخرى فتتسع الهوة بينها لتزداد الفقرة بينها (١) .

ولقد استرعى نظر المتقنين كلام بعض الأوروبيين عن قصر وقلة مفردات اللغة العربية وأن هذه اللغة لا تصلح للاستعمال إذا قورنت باستخدام اللغات الأوربية وخاصة في المجالات الفنية ، فإذا كانت ترجمة التوراة إلى لغتي يوروبا أو كسوزا لم تعترضها أي صعوبات إلا أن الأمر يختلف اختلافا تاما في ترجمة الكتب العلمية ، ولقد عارض المتقنون الأفريقيون الرأي القائل بفقر اللغة العربية الذي أدعاه الأوروبيون ، وقد دافع الأب "بولات" في مقدمة كتابه ' تخطيط سنغالية ' حيث اختتم مقاله الذي فند ومحص المزاعم الموجهة ضد اللغة العربية فقال : " عجيب أن نجد أناسا ليسوا متقنين ولا علماء نحو وصرف ولا أعضاء مجمع لغوي ، ولكن شيئا واحد مؤكدا ومحققا هو أن هؤلاء الناس من أبناء آدم خلقهم الخالق وكفر دم السيد المسيح عن ذنوبهم " (٢) .

لذلك نجد أن من أسلحة المبشرين في الحروب الخفية للإسلام هو محاربة اللغة العربية واجلاؤها من الألسنة ، حتى تنقطع الصلة بين المسلمين وبين كتاب الله الذي هو دستور دينهم ولسان شريعتهم ، وكان من وسائلهم لتحقيق هذه الغاية أن قربوا إليهم كل ما يحسنون لغة المستعمر وأن يمكنوا لهم من تولي المناصب العالية ، وأنه بقدر انسلاخ المسلم من لغته يكون حظه من الجاه والسلطان عندهم ، الأمر الذي دعا كثيرا من أبناء المسلمين إلى الاقبال على تعلم لغة المستعمر وحذقها في الوقت الذي أنصرف فيه عن لغته

١ - كلود فوتيه : افريقية للافريقيين ، ترجمة أحمد كمال يونس ، دار المعارف ١٩٧٨م ، ص ٣٣ .

٢ - كلود فوتيه : مرجع سابق ، ص ٣٨ .

معتقداً أن ذلك لا ينقص من دينه ، ولا يمس شيئاً من عقيدته التي انعقد عليها قلبه ، والتي لا سبيل للمستعمر عليها ، وبهذا أصبحت دول كثيرة من الدول الإسلامية جاهدة وبكل وسعها بعد أن جلا الاستعمار عنها أن تسترد لسانها العربي بعد تلك الغربة الطويلة التي أنقطعت فيها الاسباب بينها وبين لسانها العربي لسان دينها وترجمان شريعته^(١) .

أن الحرب على العربية دائمة ومستمرة ، ولن تتوقف ولا علاج لهذا الأمر دون الاهتمام باللغة العربية ، ونشرها والعناية بها والعمل على تطوير الكتابة بها لتلائم الاصوات الأفريقية غير الموجودة بها ، والأفريقيون أنفسهم شديد والحرص على تعلم اللغة العربية والكتابة بها^(٢) .

وعلى أي حال فلم يكن في الامكان أن تتغلب اللغة السواحلية على اللغات الأخرى ، ما لم تكن لغة الثقافة والحضارة الأعظم شأناً في ذلك الوقت، كما أنها تمتاز بقدرتها على اشتقاق كلمات ومفردات جديدة نظراً لطبيعتها الالصاقية ، وبذا استجابت للتطور ، وأستطاعت أن تستمد من اللغة العربية معينا لا ينضب من المصطلحات الحضارية ، فهيأ لها ذلك أن تكون لغة الثقافة والعلوم ولغة التأمل ، فساعدتها ذلك على التغلب على اللهجات واللغات الأخرى^(٣) .

^١ - عبد الكريم الخطيب : دور الاستعمار والتبشير بين التيارات المعادية للإسلام ، جريدة عكاظ ، عدد

رقم ٤٠٣٣ ، تاريخ اصدار الجريدة ١٣٩٧/٦/٢٨ هـ .

^٢ - عبد الله نجيب محمد : الحرب على العربية في أفريقية ، ص ٩٩ .

^٣ - عبد الله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، ص ١٠٢ .

الفصل الثالث

طبيعة ومناهج العمل التنصيري

أ- التنصير عن طريق الخدمات العلاجية .

ب - التنصير عن طريق التعلم .

(أ) التنصير عن طريق الخدمات العلاجية

كانت الأمراض أشياء ثقيلة على الحياة كما يمكن أن نراها بالقاء نظرة على ماحدث في دار السلام حيث يوجد صفوف فوق صفوف من صغار السن الذين ماتوا بأمراض المناطق الاستوائية ^(١) .

وبما أن المرض والصحة مرتبطان بحياة الإنسان فإن هيئة الارسلات التنصيرية قد اتخذت العلاج وسيلة للتوصل إلى الهدف ومع أنها تضع في اعتبارها الهدف الاساسي وهو نشر المسيحية في ربوع هذه المنطقة (شرق أفريقية) ، ولكنها تتحدث عن أنها تقوم ببناء المستشفيات لغرض إنساني لخدمة الشعوب المتخلفة ^(٢) .

وكان قد تمت محاولة وعظ الناس لادخالهم في المسيحية وذلك عن طريق المنصرين في الشوارع ولكنهم فشلوا، فارتأوا أحسن مكان يتم فيه نشر المسيحية والتنصير هو في المستشفيات حيث أن الوعظ لرجل مريض يمكن أن يعطى فائدة ^(٣) .

لذا استغلت مؤسسات التنصير فرصة عدم وجود مستوصفات ومراكز طبية في تنزانيا، وقامت بتأسيس عدد من المستوصفات والمراكز الطبية بحيث يستفيد بالدرجة الأولى من تلك المستوصفات النصاري ومن رضى

^١ - Timkigging : A serving people Oxford University Press 1974, p.148

^٢ - تقرير غير مطبوع لمبعوث رابطة العالم الإسلامي في نيروبي الشيخ علي محمد صالح كيشي الجنسية، وقد تم إجراء مقابلة معه أثناء الرحلة العلمية وذلك يوم الجمعة الموافق ١٤٠٨/٢٢/٢٣هـ.

^٣ - Maynard H. Smith ; Frank Bishop of zanzibar , life of Frank Weston, D.D. 1871-1924 , London Society for Promating Christian Knowledge , New York and Toronot, 1926,P.105.

اعتناق الديانة النصرانية، كما يستفيد من مستويات النوادي الصهيونية من يقوم بخدمة أهداف هذه النوادي .

أما المسلمون فمتأخرون في هذا المجال لعدم وجود الامكانيات المادية وهو يعتمدون على مستشفيات عامة، وهي تعاني من نقص الأدوية واللوازم الطبية ، والواقع أن المسلمين في تلك المنطقة يحتاجون إلى مستويات ومراكز طبية حتى يتمكنوا من رفع مستواهم الصحي (١)

وفي الأيام الأولى للتوسع الأوربي لم يكن هناك من الخدمات الاجتماعية غير ما تقدمه الارساليات، فالخدمات الطبية الوحيدة التي يقدمها الارسالي تقتصر على العقاقير البسيطة، ومع نمو المصالح الحكومية وتوسعها لم يعد الأرساليون هم المدرسون والأطباء الوحيدون، ورغم هذا فإن مستشفيات الأرسالية في كثير من الأمكنة تشكل جزءاً هاماً، وكذلك اسهمت الأرساليات المسيحية بقدر كبير في تعلم اللغات الأفريقية، وإذا كنا نوازن بين كل هذه الخدمات وما كان منها من احساس بقيمة العادات القديمة، وذلك التزمت الشديد، والقيام في بعض الأحيان بنشاط سياسي ملتو فأنا نجد أن ميزان خدمات الأرساليات المسيحية إنما هو من طبيعية ومناهج العمل التنصيري وذلك بالتنصير عن طريق الخدمات العلاجية (٢).

أن الشعوب الأفريقية تختلف في المجال الاقتصادي والصحي وتقع فريسة الأوبئة خاصة الأطفال منهم، بالإضافة إلى سوء التغذية ومن هذه

^١ تقرير غير مطبوع للشيخ سليمان عبد الله صالح شقصي، من مواليد دار السلام " بترابنا " عام ١٩٢٠ م

وهو رئيس جمعية المسلمين، ص ٦

النقاط دخلت ارساليات التنصير في كافة أرجاء شرق أفريقية، وأسرعت إلى بناء المستشفيات المتطورة المزودة بالمعدات الحديثة والأطباء المهرة في مختلف التخصصات، وحتى تلك التي شيدت في المناطق البعيدة عن خطوط المواصلات والتي لا تصل إليها أية وسائل النقل الحديثة ومع ذلك تنافس تلك التي شيدت في المدن الرئيسية، وتستخدم في الوصول إليها الطائرات العمودية، وتجرى العمليات الجراحية المعقدة في تلك المستشفيات البعيدة ولاحتجاج إلى نقل المرضى للمدن الرئيسية للعلاج لأنها مزودة بالأطباء المهرة والأدوات الحديثة^(١).

وكان المنصرون يشيدون المستشفيات المتطورة في أرض فقراء لا وجود فيها للإنسان، فهي تحل في تلك البقعة ثم تقوم بعمل بناء المدارس والمستشفيات والملاجئ ودور الحضانة وبعد ذلك تقوم ببناء وحدات سكنية لتوزيعها على القبائل الرحل أو الفقراء المعدمين وبعد فترة يكثر طلاب العمل اليومي في المنطقة، وبحصولهم على العمل يشعر الجميع من مواطني تلك المنطقة بارتياح منقطع النظير، وبعد ان جهزت تلك المباني للعمل تفتح أبوابها لقبول أكبر عدد من الأطفال والكبار لتنصيرهم، أما إذا كان شعب المنطقة يدين بالإسلام فإن التنصير يكون بالتدريج^(٢).

ولقد جاءت جمعية (بيتل) Bethel من المانيا يخلفية في الخدمة والعمل الاجتماعي حيث تقرر أن يكون العمل الطبي هو الشكل الرئيسي للخدمة مع الوعظ عن المسيح في القرى، وأول اثنين تم تحويلهما إلى

^١ -تقرير غير مطبوع بعنوان " عمل المنصرون في كينا " للشيخ علي محمد صالح مبعوث رابطة العالم الإسلامي

في نيروبي " كينا " ، ص ١١.

^٢ -تقرير الشيخ علي محمد علي، المرجع السابق، ص ١٢.

النصرانية على يد البعثة بتيل بين قبائل الواشامبا Washambala كان مصابين بمرض البرص (١).

وفي عام ١٨٤٩ ناشد كل من الدكتور كرايف Krapf وريمان Rebmann جمعية الكنسية التنصيرية لتقوية البعثة وذلك بأرسال ارهات Erhardt وفاجنر Wagner اللذين وصلا إلى راباي Rabai وحولا منزل بعثة الكنسية إلى مستشفى وفي هذه الحالة كان كرايف يباشر حالة العلاج وقد تحدث يقول : في بداية الأمر ظهر بيننا مرشد تم أخذه سرعة منا (يقصد توفي) ولكن موته أحضر البركة إلى جماعة الوانيكا Wanika، حيث رغم موته فهو لا يزال يتحدث إليهم لأنهم الآن لأول مرة يرون الموت والدفن لمسيحي والأمل في مقابلة المسيح وقيام المسيح من قبرة، وبعد تلاوة صلاة الجنازة تمت ترجمتها إلى اللغة الكنكا kinika وتحدثت للموجودين الذين حضروا الدفن بعض من آيات الأنجيل والأناشيد الدينية (٢).

إن الأغراق في استخدام الخدمات الطبية كمدخل للتصير يحظى دوماً بالتشجيع من القيادات التنصيرية، وقد نقده البعض على أنه مغامرة باهظة الكلفة يمكن أن تؤدي إلى انحراف كبير عن أهداف التبشير الأساسية، وهي التبشير بالأنجيل ونشر الإيمان المسيحي، ويرى البعض أن الأغراق في الخدمات الطبية يؤدي إلى تورط كبير في إدارة المستشفيات والعيادات المحلية ويتطلب مجهودات جبارة، وهذه المجهودات تستغرق وقتاً وتستنزف طاقة مما يعنى الحد من المجهودات المبشر الرامية إلى التبشير بالأنجيل، وقد بلغ الأمر

¹ - Anderson , A.Brief Account of Christianitg in Tanzania Makerere University, Kampala 1975.P.7.

² -Eugene stock : Op . Cit, Vol . I, p .128

بالدكتور هاريسون Harrison وهو أحد كبار رجال الأرسالية التنصيرية حيث ذكر (ان المبشر لا يكفي بتطوير المستشفيات حتى لو غطت خدماتها جميع أطراف الأقليم، إن الهدف من وجودنا هو أن نجعل الرجال والنساء مسيحيين^(١)).

لذلك كانت الخدمة الطبية كوسيلة للتنصير تحظى دوماً بالأولوية ضمن مهمات المبشرين وقد لعبت دوماً الدور الأكبر بين أنشطة الأرسالية الاجتماعية وكان تقدم مثل هذه الخدمة جزءاً من الخلق المسيحي الذي يدعو لمساعدة الناس وشفائهم، وقد تحدث الدكتور بنجز Pennings عن السبب الذي يدعو الأرساليات التنصيرية لاختيار هذه الوسيلة طريقاً للتنصير بقوله: (من السهل معرفة السبب بأن المسيح كان معلماً ومداوياً، وفي الواقع كان طبيباً، أن ما تفعله هو تأثر خطاه).

أن المداواة في المسيحية نشاط ديني عميق الجذور تبدأ مع بداية معجزات المسيح الذي شفي المرضى، لكن في الحقيقة ان المسيح لم يكن طبيباً أو مداوياً بالمعنى الذي تألفه في المستشفيات فهو لم يستخدم أى نوع من الدواء لشفاء الناس، ان ما فعله المسيح في هذا الميدان هو القيام بالمعجزات^(٢).

إن الأولوية التي حظى بها هذا المدخل والأسلوب تعتمد على اشباع حاجة الأهالي الملحة إلى العلاج الطبي.

¹ - Harrison, P. Doctor in Arabia , 1943, P .277 .

² - Kelly , D.N,J : Early Christian Doctrines , London 1958 , P.312.

أن للمدخل الطبي مزايا عدة أهمها الأثر النفسي الذي يتركه في المجتمع وبالإضافة إلى حاجة أهالي البلاد الماسة إليه فقد كانوا أيضاً ينظرون إلى الطبيب القدير نظرتهم إلى إنسان متفوق يستخدم أحدث الوسائل الطبية التي كانت أرقى بكثير من الوسائل التي يملكها المعالجون المحليون، لذا فقد كان الأهالي يرغبون دائماً الالتصاق به وطلب النصح والمشورة منه ومن يكون على أية حال أحق بالثقة من مداو قدير ؟ كما أن المدخل الطبي يجد قبولاً لدى العربي الذي يحمل إعجاباً كثيراً بالخدمة الطبية وقد أكد أحد الرحلة وهو ويندل فليبس Wendell Phillips على ذلك بقوله : (في الواقع أن لدى العرب شغف كبير بالطب والعلاج الطبي)^(١).

ولم يكن المجتمع في ذلك الحين ينعم بالرعاية الطبية الحديثة والعلاج الوحيد المتوفر في تلك الأيام هو العلاج بالطب الشعبي، أضف إلى ذلك أن العلاج الطبي هو أكثر الوسائل قرباً إلى النفوس، فقد كان مدخلاً وأسلوباً إنسانياً يحظى بتقدير الشعب ويقف حائلاً أمام ردود الفعل السلبية سواء كانت دوافعها دينية أو سياسية.

وقد ذكر ستورم Storm لقد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ووسيلة لتوثيق عرى الصداقة وأداة لتحطيم المعارضة^(٢).

ولقد كان المبشرون يؤكدون على هذا المدخل كوسيلة رئيسية للتصير وأسلوب لكسب قلوب الأهالي وخلق جمهور متعاطف معهم، والأهم من ذلك كله تهيئة الفرصة للتبشير بالأنجيل وقد ذهب صموئيل زويمر إلى

¹ - Phillips , W.: Unknown Oman , 1966,P.58

² - Storm, H.: Doctor in Arabia 1943, p. 43.

القول: (أن جميع العاملين في ميدان التبشير متفقون على أن الطبيب القدير والجراح الماهر يحمل جوازا يفتح الأبواب المغلقة، ويغزو القلوب مهما كانت عنيدة أن المستشفيات هي مكان تلتقى فيه الرحمة بالخلق ويتعانق فيه الصلاح والسلام^(١) .

وأكد المنصر جيرت فان بيرسم Gerrit D.van peurseum ذلك بقوله: (ان المنصر الطبيب لا يجب ولا يمكن أن يتخلى عن العمل التصيري فالطب ليس هو غاية الطبيب في حقل العمل التصيري ٠٠٠ بل يجب أن يتضمن العمل التصيري بالإضافة إلى غيره من أعمال)^(٢).

وهذا خلاف ما يساور بعض كبار قادة التبشير من أن الأغراق في النشاط الطبي قد يؤدي إلى موقف تتحول فيه الوسائل إلى غايات وتفقد بذلك الغرض الأساسي منها كوسائل إلى غاية رئيسية وهي التبشير بالإنجيل، وقد عبر الدكتور بيرسم عن ذلك بقوله: (ارجو أن لا يعتقد أحد بأنني أقلل من شأن الجوانب الأخرى لنشاطنا عندما أقول بأنها ليست غايات في ذاتها ولكنها وسائل نبيلة تستحق الإعجاب لتحقيق غاية لقد كان الرب (يعنى المسيح) ينتقل لفعل الخير ولكنه نادراً ما كان يبصرى المرض أو يحيى الموتى إلا عندما يعود ذلك بالنفع على الجانب الروحي)^(٣).

^١ - Zwemer , S. and Cantine : The Golden Milestone , London 1900, P.68.

^٢ - Girrit D.van Peurseum : Doctor in Africa, 1916,p.9

^٣ - Peurseum , G, D.:O[.Cit., P.10.

إن الخدمة الطبية كانت الوسيلة تبشيرية وليست خدمة طبية مجردة ومهما يكن فإن الفكرة التي نقول بأن الخدمة الطبية يجب ألا تتجاوز الحد الضروري لتكون وسيلة وليست غاية هي أيضاً موضع خلاف .

ويعلق أحد أطباء الأرساليات التتصيرية بقوله (لابد ان السيد المسيح قد ترك بعض المرضى بدون شفاء ليقوم بعمل ما يعتقد أنه أهم وترك هؤلاء ليقوم أتباعه بمهمة علاجهم، أن العمل في المستشفيات مكرس لجعل من يأتيها من المرض المسلمين يحسون بوجود حقيقى للسيد المسيح، أنهم يأتون للتحرر من الآلام الجسدية او العجز ولكنهم يجب أن يسمعوا عن المسيح الشافي الذي يشفي الذي لا يشفى فقط من الآم الجسد بل من عذاب الروح أيضاً، وأننا لسنا هنا لنجعل من الأرساليات مؤسسات محترمة في خدماتها الاجتماعية فقط ولكن لنقيم كنيسة السيد المسيح حتى ولو عن طريق الخدمة الطبية ^(١).

ويعتقد المبشرون بأن المستشفيات لا تتفصل عن الكنيسة وليست أهم منها بل يجب أن تكون امتداداً لها والمبشرون البروتستانت سعوا لاستخدام الوسائل الطبية لكسب غير المسيحيين والنقطة الأساسية في الجدل هي أن أطباء الأرساليات يعتقدون بأنهم يؤدون واجبهم الديني عن طريق الخدمات الطبية، لأن هذا النوع من النشاط هو جزء من الخلق المسيحي واقتداء بسنة المسيح كشاف للأمراض، ويعتقد البعض، بأن المدخل الطبي هو العمل الوحيد الممكن للوصول إلى الناس والتأثير عليهم ^(٢).

^١ - Van Ess ; History of the Arababian Mission, 1026-1957,p.39.

^٢ - Barny,F:The History of Arabian Mission, 1926, P.11.

ويذكر الدكتور طومس Thoms (بأن طموحهم كان بالإضافة إلى شفاء أجساد المرضى منحهم شيئاً أفضل لحاجاتهم الروحية بأخبارهم عن الطبيب الأعظم) .

ويربط الدكتور طومس بين الخدمة الطبية والخدمة الدينية، وهو يعبر عن رأى المبشرين في الإسلام، وذلك بقوله بأن يستطيع أن يقدم للمسلمين شيئاً أفضل لحاجاتهم الروحية وقد عبر الدكتور هاريسون Harrison عن ذلك بقوله : (أننا نأمل أن يكون المستشفى المزدحم والقذر وسيلة أفضل لنشر الانجيل من مستشفى نظيف وخال من الناس) ، ويتفق الدكتور هاريسون مع الدكتور طومس من أن المستشفى يجب أن يكون مكاناً للتبشير بالانجيل والشئ الذى كان يقلق المبشرين هو أن بعض الأطباء كانوا يعطون العلاج الطبي أهمية أكبر والذى من شأن أن يؤدي إلى صراع بين الكنيسة والمستشفى، وهذا حتماً يؤثر على العمل التبشيري بأكمله.^(١)

لقد اشتركت كز البعثات التنصيرية في العمل الطبي أذ اراد والتأكد من أحياء المسيحية، أما على يد طبيب مؤهل أو رجل دين لدية معلومات طبية، وعندما أقامت بعثة آباء الروح القدس Holy Ghost Fathers في زنجبار كان أول شئ اقدمت عليه من ضمن الكثير هو إنشاء مستشفى للأفريقيين، وزيادة على ذلك فإن ممارسة الطب أصبحت مهمة جداً في تأسيس العقيدة المسيحية في المجتمع الأفريقي وبالتالي أصبحت وسيلة هامة للتبشير للمسيحية^(٢).

¹ - Van Ess: Op . Cit ., P.36.

² - Tom Kigging: Op .Cit., P.147.

لذلك تم فتح مصحة اتيما Atiman في كاريما Karema على شواطئ بحيرة تتجانيقا، ومن خلال مجهودات ليفنجستون Livingstone تم بناء مستشفى بواسطة بعثة الكنيسة في مامبوي Mamboia في مقاطعة أوكاجورو Ukaguru بين الساحل وبحيرة تتجانيقا، وبالمثل في عام ١٨٧٥م بنت بعثة الجامعات التنصيرية مستشفى على أرض الأفريقية من ميناء تانجا Tanga وعند دخول الألمان دار السلام في عام ١٨٨٠م قامت كل من بعثة البندكتيين Benedictines وبعثة اللوثريين Lutheran في تتجانيقا، وفي نفس السنة تم إنشاء مستشفى جديد في باجامويو Bagamoyo على الساحل من أجل السيدات الأفريقيات اللاتي يعانين من الأمراض (١).

وقامت الكنيسة البروتستانتية وحدها بالأشراف على خمسة عشر مستشفى، وأحدى وعشرين عيادة طبية وتقوم بتقديم المساعدات المالية لها للمحافظة على هذه الخدمة الصحية أما ما يتعلق بالأعانات المالية فإن المجلس الكنسي قد صرف مبلغ ٢,٢٤٣٣,٠٠٠ شلن (عملة كينية) إلى أكثر من مليوني شاب وذلك لبناء وأقامة ملاجئ للأطفال وتسهيل الخدمات الطبية، وقد وجهوا مجهودات كبيرة إلى المناطق الإسلامية وخاصة المناطق الشمالية الشرقية من كينيا التي ركز عليها المنصرون لما أصابها من مجاعات شديدة وحروب مدمرة خلفت عشرات الأيتام الذين لا يجدون الرعاية المطلوبة كما خلفت فقراً شديداً، لهذا أقامت الهيئات التنصيرية مراكز وقدمت مساعدات للأطفال وهيات ملاجئ لهم تقدم الوجبات الغذائية من خلالها (٢).

^١ - Ibid., p. 148.

^٢ - تقرير من جمعية الشبان المسلمين عن المسلمين في كينيا، أعده رئيس الجمعية محمد أكرم بهتي، ص ٥.

وفي مايو ١٨٨٥م تم وضع حجر الأساس لبناء مستشفى في زنجبار وقد كان الموقع محدداً من قبل الكنيسة، ولقد تم وضع الحجر بحضور ممثلين أوروبيين ومجموعة من المنشدين في الكنيسة الذي غنوا الأغاني الدينية، وفي خلال سنتين تم بناء المستشفى وتم فتحها في احتفال خاص، وممن حضر الافتتاح الأسقف سميز Smythies والأسقف هورنجي Horngy ولقد تم اسناد التمريض الى جماعة سانت بارناياس St. Barnabas ويعمل أعضاء تلك الجماعة بالتمريض في المستشفى على أساس نشر المسيحية والفوائد التي يمكن تحصيلها هي محاولة إبعاد المرضى الذين يأتون إليهم عن الإسلام، وذلك بتسوية نظرة الإسلام وفي المقابل تأييدهم للمسيحية وتبصيرهم^(١).

ففي قاعة الانتظار في المستشفيات تلصق على جدرانها مقتطفات من العبارات الدينية بالإضافة إلى صور العذراء وصور السيد المسيح وهي على الصليب، كما ان الصليب نفسه لا يغادر أى غرفه من غرف المستشفى بالإضافة إلى بعض العبارات مثل (أعتد على المسيح فإنه يشفيك) وما شابه ذلك^(٢).

وهذا ما رأيته بنفسى في مستشفى للعيون في ممباسا أثناء رحلتى العلمية من محرم ١٤٠٩ هـ حيث أنه عندما تريد الكشف لابد أولاً من دخولك غرفة خاصة يعرض فيها فيلم سينمائي عن المسيحية وفضلها على الإسلام .

^١ - Anderson - Morshead : The History of Universities Mission to central Africa. 1859-1909, London 1909, pp.251-252

^٢ -- تقرير الشيخ علي محمد صالح " عمل المنصرون في كينيا " سبق ذكره ، ص ١٤

وفي عام ١٩٠٠م تم افتتاح محجر صحي على جزيرة صغيرة تبعد قرابة ثلاثة أميال من زنجبار، وتعتبر محطة كبيرة كافية لسد الاحتياجات، إلى جانب أنها تتسع للحالات التي قد ترسل إليها من أفريقية الشرقية البريطانية، وكانت هذه المحطة تلقى معونة جزئية من تبرع سنوي من جانب تلك المحمية وبعد سنة من أنشائها افتتحت مستعمرة للجذام في ويلزو Welezo شرق مدينة زنجبار، وعهد بادراتها إلى البعثة الرومانية الكاثولوليكية مقبل هبة حكومية سنوية، وكان في بمبا أربع مستعمرات أخرى أصغر منها للجذام أيضاً تمدها البعثات بالطعام والدواء وهي تحت الإشراف الأوروبي المباشر^(١).

ولم تكن الأسعافات الصحية متوفرة إلا في مدينة زنجبار وبمب، لكن كانت توجد عيادات اقليمية في مكوكوثوني Mkoktoni وشواكا Chwaka في زنجبار، وظهر ازدياد ثقة الأهالي في العلاج الطبي الأوروبي من تزايد عدد المرضى السنوى الذين أخذوا يترددون على العلاج في تلك العيادات وقد بلغ مجموع من دخلوا المستشفيات ٦٩٤ ومن تردد على العيادات ٢١٣١ ثم ارتفع العدد إلى ٨٤٠٩^(٢).

وكان هناك بطبيعة الحال الأمراض العادية المترتبة على الإقامة في الأجواء الاستوائية، بيد أن عدد الحالات المميتة قد تناقص تناقصاً محسوساً،

¹ - G.C., File No 4818, Despatch From H.M Agent and Consul- Gdeneral at zanzibar, 1909 No.4.

² - Holling sworth , L,W. Op . Cit ., P.218.

وكان معظم الموتى في مدنية زنجبار يموتون بالسل، من ذلك مثلاً ان من كانوا يموتون بين يوم وآخر فريسه لهذا الداء بلغوا ١٨٣ (١).

ويوجد في أوغندا العديد من ممارسي الطب التقليديين الذين يشفون الناس عن طريق الأعشاب، وكانت لجنة المسيح توعظ وتشفى، لذلك جاءت أول مجموعة من المبشرين الذين تم إرسالهم من بعثة الكنيسة كانت استجابة للتماس الرحالة المعروف (ستانلي) فكانت تشمل على طبيب شاب اسمه سميث John Smith وأصيب بالدستاريا على الشاطئ الجنوبي لبحيرة فيكتوريا، ثم استدعت بعثة الكنيسة طبيباً آخر اسمه رايت Wright الذي وصل إلى منجو Mengo وقد أصبح لديه العديد من المرضى، ولقد رأى رايت أنه في حاجة ملحة إلى المستشفى (٢).

ولقد أهتم الدكتور رايت بالشئون الصحية ولكن حتى وصول الدكتور كوك Cook لم تكن هناك أى محاولة جادة قد تمت للقيام بعمل المستشفى (٣)، وكوك هذا ابن طبيب في لندن وبعد دراسة جيدة في الطب عام ١٨٩٥م أعطى حياته للمسيح كرجل شاب، وعندما تم منحه الدرجة العلمية عرض نفسه للعمل مع بعثة الكنيسة وترك لندن في عام ١٨٩٦ م ووصل منجو Mengo في أوغندا وبدأ العمل بعد ذلك وأول عملية له تم أجرؤها على سرير في معسكر بغز مخدر والنتيجة تبدو سحرية، وكانت العملية لأعمى من اثر جرح أمامى في العين، وقد قطع كوك جفن العين، وبعد إجراء العملية انبهر الرجل المريض بكوك وقال له : (أنك لابد أن تكون إله)، وذلك يبين لنا

¹ - C.C. File No .688 , Zansibar Government Annual Reports 1910 and 1912.

² - Holling Sworth , L, W.Op .Cit,. P.218.

³ - Tucker , R,:Op .Cit,p .158

مدى التأثير الكبير للعلاج الطبي للرساليات التبشيرية على نفوس بعض الناس إذ أنه انبهر الرجل بعد اجراءه العملية على يد منصر الذي ملأ في قلبه ان الذي شافاه هو المسيح عيسى وببركته نجحت العملية وبدأ يبصر بعد أن كان أعمى .

ولقد عمل كوك مع جيش أوغندا في لوبا Luba بالقرب من جنجا Jinja ولقد عالج العديد من الجرحى مستخدماً أرض خيمته كمنضده علميات جراحية^(١)، حيث أجرى ٥٠ عملية ولقد شخص أول حالة من مرض النوم وتم تسجيلها في أوغندا، وبينما كان يعد رسالة الماجستير عن الملاريا اكتشف مصل لحشرة الحمى، وقد افتتح الدكتور كوك مستشفى بعثه الكنسية في منجو Mengo^(٢)، وبدأ في تدريب المساعدين للطب، وأول مركز طبي حكومي في أوغندا تم افتتاحه كان يهتم أساساً بعلاج أمراض الجداز، ونفس القصة ممكن تكرارها في كل أجزاء شرق أفريقية .

وكان قد تم بناء مستشفى منجو Mengo بأوغندا بتكاليف ٢,٣٠٠,٠٠٠ شلن وكل الهيئة الطبية من رجال والنساء من كل أنحاء شرق أفريقية كانوا حاصلين على مؤهلات طبية معترف بها من المجلس البريطاني العام للطب^(٣).

وفي عام ١٩٠٠ الحق البرت كوك Albert Cook اخاه جاك كوك معه وهو جراح أيضاً، وكان الأخوان متفاهمين فهما أول من سجل مرض

¹ - Tom Tuma : Op .Cit ., P.90

² - Dr . Merrick Posnansky and Mrs . Valerie vovles and Mr. Sekintu, C.M: Islam and the Early Christian Missions Uganda 1844-1910 Uganda, 1960.p. 11.

³ - Low .D.A. : History of Eat Africa Vol III ,Oxford 1976, P.410 .

النوم في أوغندا والسجلات الطبية لمرضاها ما توجد الآن في مكتبة ألبرت كوك بالمدرسة الطبية في ما كيرى في أوغندا، حيث يعتبر مرجعاً للمعلومات عن أوضاع الأمراض في تلك الأيام، وكذلك كان هناك مبشرون متخصصون اعترفوا بأن مثل هذه الأعمال يجب أن تكون لأطباء لديهم حب عظيم للمسيح عيسى بن مريم ولديهم رغبة في كسب أرواحهم من أجله^(١).

وفي حياة ألبرت كوك تم بناء مستشفيات للكنيسة في أجزاء مختلفة وقد ذهب الدكتور بوند Bond أولاً إلى Toro في أوغندا في يناير عام ١٩٠٢م نقل نشاطه إلى كابرولي بتنزانيا حيث وضع ١٢ سريراً في مصحة قديمة، وبحلول عام ١٩٠٤م كان بوند يرعى ٢٥٠٠ مريض في العيادة الخارجية بالسنة ويجرى العديد من العمليات وقد أقام دكتور بوند في كابرولي حتى تم إحلاله بدكتور شوفيلد Schofield^(٢).

وبعد اضطرابات ماجي ماجي (١٩٠٥-١٩٠٧م) تعاونت البعثات في مقاومة الأمراض وبدأوا بالعمل في تطوير الخدمات الطبية.

وفي عام ١٩٠٧م كان من بين ٥٣ طبيباً مؤهلاً، أربعة من القساوسة تم انضمامهم إلى بعثة الكنيسة وبعثة الجامعات، وفي قائمة مساعد الطبيب كان يوجد عدد من الرجال مثل اتيما Atiman في بعثة الأباء البيض.

^١ - Tom Tuna : Op . Cit ., P.91.

^٢ - Tom Tuma : Op . Cit., P92.

ومنذ عام ١٩٠٨ م باشر أسقف زنجبار دكتور هاين Hine هو طبيب ذو خبرة في أمراض المنطقة الاستوائية، الإشراف على المرضى في ماجيلا Magila بالإضافة إلى عمله كأسقف.

وقد تم بناء مستشفى لوثران Lutheran في ماكامي Machame في جبل كلمنجارو Kilimanjaro في كينيا، وكذلك فإن البعثات حول جبل كلمنجارو وجبال يوسامبارا Usambara كانت تحيط بها مصحات صغيرة ومعسكرات لعلاج أمراض البرص والجذام .

وقد أصرت بعثه الأباء البيض الكاثوليكية على ان يدرس كل المبشرين منهجاً طبياً، وفي ألمانيا كان المبشرون من غير الأطباء أو غير الممرضات المتدربات ، يدرسون منهجاً تعليمياً طبياً لمدة عشرة شهور في مدينة توبنجن بواسطة المعهد الألماني لطب البعثات (١).

وبجانب التدريب في المعاهد، كان هناك العديد من الممرضات تم تدريبهم في مراكز البعثات، فضلاً عن وجود مدارس للممرضات في مستشفى بعثة الكنيسة في لوثران Lutheran ومستشفى الجامعات في ماجيلا لوتندي Magil Lutindi وبالقرب من شينينجا Shinyanga بوكوبا Bukoba الواقعتين في دار السلام وقد قدمت مستشفيات البعثة أعدادا كبيرة من الممرضات (٢).

لذلك كان العلاج الطبي الأوروبي مبهرًا لدرجة أنه كان في قدرة المنصر أن يحقق نجاحاً في أى عملية (٣)، وقد كان هذا تعبيراً عالياً للثقة

¹ - Tom Kigging : Op .Cit, p.149.

² - Tom Kigging : Op .Cit, p.149

³ - Alpert Cook : Uganda Memories 1897-1946.pp .50-51

والصراحة التي يمكن منحها لأى مواطن، وهذه الثقة والصراحة كانت بوضوح شرطاً أساسياً للتحويل للمسيحية .

وفي بوسوجا Busoga بدأ العمل الطبي على مستوى جيد حيث كان لبعثة الآباء البيض صيدلية، وكان يتم تقديم الدواء بدون مقابل يومياً، وكان لبعثة الكنيسة التصيرية سياسة مماثلة لتلك الخاصة ببعثة الآباء البيض، حيث قامت ببناء مستشفى في ايجانجا Iganaa بأوغندا عام ١٩٠٨ م ويتكون المستشفى من جناحين وكل جناح سعة عشرة سرير وقد تم بناء المستشفى بمساعدة تبرعات تم جمعها في بريطانيا (١).

وبين عام ١٩٠٠ - ١٩١٠ م قضت على جنوب بوسوجا Bosoga مجاعتان، وطبقاً للتقاليد المتبعة فإن المجاعة الأولى تم تسميتها موجودياً Muqudya أى التعقب لأنها تعقبت الناس من منازلهم لأنهم اضطروا لترك بوسوجا للبحث عن الطعام، أما المجاعة الثانية فقد تم تسميتها موتاما Mutama وهو اسم نبات استوردته الحكومة لاطعام أهالى بوسوجا الذين كانوا يموتون من الجوع، وقد نشأ من المجاعة مرض النوم الخطير، فكان لهذه الفواجع الطبيعية أن أمدت بعثة الكنيسة التصيرية والآباء البيض، فرصة لممارسة رسالتهم الطبية أكثر من ذى قبل، فمثلاً كان هناك ٩٠٠ مريض في مستشفى بوسوجا على العناية بهم مبشرو بعثة الكنيسة (٢).

¹ - Biermans ,.: Medical Policy, Sja Winter Quarter 1980 Vol V, No .10

² - Bishop Biermans , Ashort History of the Vicariate of the upper Nile , Uganda, Kampal, 1921, p.24 .

خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ م تم التحاق طبيبين شابين مع البرت كوك هما سميث Smith وشارب Sharp ، حيث قاما بالوعظ والعلاج باسم عيسى المسيح وقد بدأ الاثنان بالعمل في كابالي Kabale بالقرب من حدود رواندا Rwanda حيث شيئا مستشفى وعكفا على بناء كنائس في أنحاء المنطقة، وعندما تم لهما السماح بدخول روندا قاما ببناء مستشفى الهدف منها الوعظ والتعليم للمسيحية، لذلك كانت مباني الكنيسة والمدرسة والمستشفى متقاربه مع بعضها البعض، ونفس الشكل تم انتشاره إلى بوروندي Burundi في مستشفيات بواما Bwama على بحيرة بونيوني وجذبوا العديد من المرضى^(١).

وفي عام ١٩١٥ م تم انشاء مدرسة للمساعدات الطبييات، وقد عملت كاترين كوك Katharine Cook زوجة البرت كوك رئيسة الممرضات وقد دخلت في نفس السنة التي تم فيها المدرسة ٢٥ فتاة اجتزن الامتحان وبعد ذلك عملن في مراكز الرعاية .

وايضاً فتحت السيدة كوك مدرسة تدريب للتمريض في نديجي Ndejje التابعة لأوغندا وحصلت بعض السيدات الأوغنديات على شهادة التمريض^(٢).

وقد عملت زوجة المنصر هور Hore في التمريض بعض الناس في زنجبار، ففي يوم تركها زوجها مع ابنها جاك، عندها فكرت السيدة هور في زيارة زوجة رئيس القبيلة وكانت جارة لها ، لأنها عملت أنها تشكو من ألم

¹-Tom Tuma ; Op . Cit , 92.

²-Ibid ., p.91.

في أسنانها لذلك ذهبت إليها واعطتها بعض الأدوية وقد تمكنت من شفاء زوجة رئيس القبيلة وبذلك تمكنت السيدة هور نمن كسب ثقة الناس والمواطنين حتى باتت تجد تأييداً من عدد كبير منهم، فقد كانت تعالجهم مجاناً مع تبصيرهم بالمسيحية^(١).

ولقد استطاعت الأرساليات أن تحصل على أكثر مما تريده من مال، فتوسعت في إنشاء المدارس الخاصة ما يسمى منها مدارس الغاية واصبح لها مورد تستطيع أن تتفق من بعضه لدواء والعلاج وقد تدرب أكثر من القسوس في مراكز التبشير على وسائل الاسعاف الأولى وطرق الوقاية ومكافحة بعض الأمراض الأستوائية المعروفة كالمالاريا وغيرها من الحميات، هذه التطورات في أساليب التنصير التنظيمية حدثت على وجه محسوس منذ أوائل القرن العشرين، وفي فترة كانت الأرساليات تنال الحماية السلطات الأوروبية الأستعمارية الحاكمة في المستعمرات الأفريقية، ولكن الحماية والتعزيد اقتصرت في مبدأ الأمر على تعزيز مكانة الأرساليات بين الأهالي وحفظ أرواح أفرادها من الاعتداء ومنحهم بعض الامتيازات في السفر والترخيص لهم في الأستيلاء على الأراضي اللازمة لمنشآتهم، وأخذت الحكومات الإدارية الأستعمارية تمد الأرساليات بالأعانة فكان على الأرساليه أن تقدم إلى الحكومة ببيان عن عدد المدارس والمصحات التي تريدها وتقدر لها ميزانية معينة، ويصل الطلب إلى الحاكم البريطاني فيلقى عليه نظرة ثم يأمر بأن تمنح الأرسالية المبلغ الذي تقدمت بطلبه^(٢).

^١ - Sarrah Geraldina Stock : Missionary Heroes of Africa London 1898 ,P.158.

^٢ - محمد عبد العزيز اسحاق : مرجع سابق ، ص ١١٥.

وهناك دليل قوى على تأييد الحكومات الإدارية الاستعمارية لدعم عمل المنصرين من ناحية الخدمات العلاجية وهى برقية مرسلة من وزير الخارجية البريطاني Salisbury إلى السيد Garaufurd رئيس مستشفى ممباسا، حيث يقول له أن وزارة الخارجية البريطانية وافقت على المساهمة في تكاليف سفر ممرضات راهبات إلى المستشفى ممباسا وأنها سوف تتحمل كافة مصاريفهم أيضاً دفع مبلغ ١٥٠ جنية استرليني سنوياً لكل ممرضة^(١).

أن الأدعاء بأن عمليات التصدير كانت تتم على أيدي جمعيات خاصة متحمسة لنشر المسيحية غير صحيح لأنه تبين لنا من الوثيقة التأييد والدعم المطلق من الحكومة البريطانية لها وهذا مما يؤكد أن الحكومة البريطانية كانت ضالعة في تكوين العمليات التصديرية .

وكان لدى الكاثوليك نشاط طبي متطور، حيث فتحت بعثة الآباء البيض مستشفى في موانزا Mwanza وبوكوبا Bukoba وأعادت ترميم بعض المستشفيات، وفي هذا التقدم الطبي الكاثوليكي يجمع الطبيب والممرض خلال تلك الفترة بين التصدير والعناية الطبية، وقد أوجد العمل الطبي للكاثوليكية في تلك المنطقة ما يقارب من ٢٣ مستشفى بها ٢٤٢٦ سرير، ٨ وحدات صحية للدرن، ٦٨ مكتب صحي، ٧٤ سرير بالمصحة الخارجية، ٦٤ مركز أمومة، ٧١ مصحة لمرض الجذام^(٢).

^١ - F.O.403/227 Salisbury to Mr Carafurd , 6August 1896.

^٢ - انظر ملحق رقم (١٥)

ومن بين المستشفيات التي أنشئت من قبل الكاثوليك والتي لا زالت موجودة حتى الآن هي مستشفى سانت ليكس St,Lakes Hospital في كالييف Kalalew وتقع على الطريق بين ممباسا ومالنيري، وهذا المستشفى بين عام ١٩٢٠ م وذلك بشهادة الصيدلي الذي يعمل في المستشفى ويدعى ناتانيل جيفوا Nathaniel Jefwa.

وأيضاً مستوصف سان جوزيف St, Joseph Dispensary الذي أسس في نفس تلك الفترة ويعمل فيه طبيب اسمه (ستيفن كنفأ) وممرض اسمه صمويل^(١).

وهناك أيضاً الشئون الطبية العلاجية التي تقوم بها جماعة الأدفنتست وهي (منظمة بروتستانتية عالمية) تمتلك عشر طائرات مهمتها نقل الأطباء والمرضات لعلاج المرضى في الأعراش، وقد أنشأت خمسة عشر مستشفى، تضم ١٧٧٦ سريراً وخمسة من تلك المستشفيات خاصة لعلاج الجذام بجانب ذلك فهناك أكثر من ١٠٩ عيادة مخزن ادوية^(٢).

لذلك نجد أن المستشفى والمستوصف يستخدمان استخداماً جيداً للعمل التبشيري، وكان الأطباء يقومون بالوعظ وكذلك مساعدوهم ورجال الدين

^١ - قمت بزيارة هذه المستشفيات في حي موايايانودو وذلك في منطقة تانجا Tanga في دولة تنزانيا واجريت مقابلة مع المسئول ويقوم بعمل الطبيب والممرض وصيدلي المستشفى وذلك أثناء الرحلة العلمية وذلك يوم الاثنين العاشر من محرم لعام ١٤٠٩ هـ انظر ملحق الصور

^٢ - مقال بعنوان المسيحية تكتسح القارة الافريقية ، في مجال :
To the Point International بتاريخ ٢٣ مايوم ١٩٧٧ ترجمة إدارة مواجهة التصبر برابطة العالم الإسلامي

الذين كانوا يجلسون بين المرضى، عند أسرتههم ويحدثونهم عن موضوعات دينية وقد قال أحدهم : (لقد كان لزيارة المرضى قيمة كبيرة)^(١).

وكان الطبيب أيضاً يلعب دوراً مزدوجاً، إذ كان يعالج المرض من ناحية ويحدثه بضع دقائق عن الدين من ناحية أخرى وعند خروج المريض من المستشفى كان المنصرون يحاولون زيارته في منزله وكثيراً ما كانوا يدخلون معه في نقاش ديني واجتماعي^(٢).

هذه هي اسلحة المبشرين في الحرب الخفية ضد الإسلام وهي تجنيد جيوش مكتفة من المنصرين الذين دفعوا بهم إلى أوطان المسلمين وأقاموا عليهم حماية من جيوشهم المستعمرة، ومكنوا لهم من التغلغل في القرى بين العامة واندوهم بالمال الوفير ليقيموا باسم الرحمة الكاذبة الملاجئ والمستوصفات والمستشفيات لتخذوا منها شباكاً حتى ينفثوا سمومهم في صدور العامة من الناس وليمثلوا لهم دور رسل الرحمة المبعوثين الهيم من عند الله لأنقاذهم من الفقر والمرض باسم المسيح^(٣).

وقد قدمت إحدى الخبرات تقريراً حينما دعته هيئة الصحة العالمية بالاشتراك مع هيئة أغائة الطفولة الدولية لجولة في أقطار شرق أفريقيا ضمن ستة أطباء للاطلاع على ما يبذل هناك من جهود صحية واجتماعية وفي تقريرها نجد مزيداً من الحقائق عن حجم التصير ونشاطه المتزايد في

^١ - Storm , H.: Cit., P.50

^٢ - Storm , H.: Cit., P.6

^٣ - عبد الكريم الخطيب : دور الاستعمار والتبشيريين التيارات المعادية للإسلام، جريدة عكاظ عدد ٤٠٣٣

بتاريخ ١٣٩٧/٦/٢٨هـ

المنطقة حيث تقول : (إن هذه البلاد وأن كانت مفتقرة عموماً إلى معاونة كثيرة للارتقاء بالتعليم على أنواعه، والنواحي الاجتماعية والصحية واستصلاح الأراضي، وزيادة الدخل، إلا أن البعثات التصيرية تغلغت في كافة أنحاء هذه البلاد حيث تبنى المستوصفات والمستشفيات وتساندها الهيئات الدولية المختلف، وكل هؤلاء يعملون على نشر المسيحية ^(١) .

وهكذا نجد أن التبشير يمثل الأرساليات التصيرية بمختلف عقائدها ومذاهبها، وهي تملك المستوصفات والمستشفيات والمدارس وجميع وسائل التعليم والتوجيه، وهي مفتوحة للذين يدينون بعقيدة تلك الأرساليات التصيرية والذين يطمحون إلى ضمهم من الوثنيين، ومغلقة في وجه المسلمين حتى يرتدوا عن دينهم أو يظهروا الممالة على الأقل في سبيل قبولهم وليس أمام المسلمين إلا أن يبقوا على ما هم عليه يتحكم فيهم المرض في سبيل المحافظة على عقيدتهم أو أن يسايروا التصير، وغالباً ما يختارون الطريق الأول ورغم الجهود المضنية التي يبذلها المسلمون فهم لا يزالون دون المسيحيين بشكل عام ^(٢) .

وقد أقام الاتحاد الوطني لمسلمي كينيا مستوصفاً صغيراً في مدينة ممباسا بكينيا ويدير هذا المستوصف شخص اسمه عبد الحميد أحمد موسى، الذي أخبرني أن أكثر القبائل التي تنزل في هذا الحي من ممباسا هي قبيلة كرياما وقد بنى لهم المنصرون كنائس ومدرسة ومستشفى وبعد كل هذا يقولون لهم كونوا على المسيحية وتخلّوا عن الإسلام.

وايضاً قال إن المنصرين قدموا احتجاجاً شديد اللهجة لصاحب الأرض الذي باعها لنا لعمل هذا المستوصف ^(٣) .

^١ - سيد أحمد يحيى : مرجع سابق ٨٤٤ .

^٢ - محمد عطوة : المسلمون في أوغندا يواجهون الفقر والتبشير والصهيونية بمجلة الفكر الإسلامي، شعبان

١٤٠٥ هـ ص ٥٥ .

^٣ - قمت بزيارة هذا المستوصف في حي تكونغ الذي يبعد عن ممباسا حوالي خمسة عشر كيلومتراً، وأجريت مقابلة مع مدير المستوصف وذلك أثناء الرحلة العلمية في يوم السبت الموافق الثامن من محرم لعام ١٤٠٩ هـ

(ب) التنصير عن طريق التعليم

اعتاد المسلمون لمدة طويلة استخدام مدارس القرآن الكريم فى القرى لتعليم الدين الإسلامى ، وهذه المدار يتم قيادتها من المدرسين المهتمين بالقرآن ، وكان الطلبة يتعلمون بواسطة الحفظ عن ظهر قلب (١)

ولم تخل منطقة شرق أفريقية فى يوم من الأيام من مدينة إسلامية خاصة منطقة الساحل التى أغلب السكان فيها من المسلمين، وجزيرة لامو كانت فى الماضى مركز الإشعاع الإسلامى التى انبثق منها النور الإسلامى فى المنطقة وقد كان يؤمها طلاب العلم من مناطق مختلفة فى شرق أفريقية ، كما أنها كانت مصدراً لتخريج المعلمين إلى المدارس الإسلامية (٢).

إن إحصاء عدد المدارس الإسلامية فى البلاد بصورة دقيقة من الأمور الصعب حصرها ، إلا أنني أحاول قدر الإمكان أن اكشف عنها النقاب حيث قمت بزيارة عدد كبير منها، ولذا فمن الممكن القول بأن عدد المدارس الإسلامية تقدر بحوالى مائتين وستين مدرسة ، وأكثر من ثلاثمائة من كتابيب تحفيظ القرآن الكريم وكل هذه المدارس فى حاجة إلى مدرستين ، لأن مشكلة المدارس الإسلامية فى المنطقة تنحصر فى النقص فى عدد المدرسين وقلة الفصول المدرسية (٣).

(١) J. C. Seckamwa : Asketch map History of East Africa, London 1971, P. 185

(٢) على حافظ ابراهيم : تقرير عن مشاكل الدعوة ومايواجهه المسلمين فى منطقة كينيا وخاصة فى المناطق النائية ، رقم التقرير : ت / ٨٧/٩٥ بتاريخ ١٤٠٠/٨/٥ هـ ، ص ١٣ محفوظ فى دار الافياء بسفارة المملكة فى نيروبي .

(٣) قمت بزيارة بعض المدارس أثناء رحلتى العلمية لشرق أفريقية عام ١٤٠٩ هـ انظر ملحق الصور لبعض المدارس الإسلامية.

واعتبر المنصرون التعليم أحسن وسيلة لنشر المسيحية بين المجتمعات الأفريقية ورسم ماكاي Mackay هذه السياسة بخلق نخبة أفريقية متعلمة بدلاً من المجهود الضائع في إقامة محطات ضعيفة ذات وجود مزعزع ، وغير قادرة على أن تمتد نشاطها أبعد من المكان الذي توجد فيه ، ذلك في أحسن الحالات ، ولذلك رأى أنه يجب اختيار عدد من الأماكن ذات البيئة الصحية حيث يتم فيها إنشاء معاهد لنشر التعليم^١

وكان التعليم يُعدّ من أقدم الوسائل لنشر روح العلمانية ولا يزال أهمها ، وذلك لأن التعليم في البلدان الإسلامية كان يقوم قبل الغزو الفكري الصليبي لها على المنهج الديني ، ولم يكن إبعاد المسلمين عن دينهم مع بقاء التعليم على أساس من المنهج الديني.

وكان أول من تنبه لذلك اللورد كرومر إذ قال : " إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى البلدان الإسلامية كان في قبضة علماء الاسلام في المساجد ، وكانوا شديدي التماسك بمبادئ دينهم التي كانت أساليبها الجافة القديمة (حسب زعمه) تقف حاجزاً في طريق أي إصلاح تعليمي ن وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه المساجد يحملون معهم قدراً عظيماً من التعصب الديني " (٢).

إنّ التحديات التي يواجهها المسلمون في منطقة شرق أفريقية كثيرة ومتشعبة منها :

(١) Apter, D.E. : The political kingdom of uganda , new jersy 1961 , p. 74

(٢) سيد أحمد يحيى : مرجع سابق ، ص ١١٩ .

إصطياد الشبان المسلمين فى المجال التعليمى والحرف اليدوية التى قد تساعدهم فى معيشتهم فى المستقبل ،ومن أجل تحقيق ذلك فتحت المدارس المتطورة التى تقل فيها كل طالب بدون إستثناء لتسهل له كل وسائل التعليم والتدريب المهنى ،مقابل تقليدهم أخلاقا بدعوى التمدن والتطور،ومن هنا يبيعد هؤلاء عن قيم الإسلام وأخلاقيته السامية (١)

ووجد التعليم فى المدارس الأجنبية فرصته الذهبية فى ظل الإحتلال الذى أطلق أيدى غلاة المبشرين والقساوسة فى وضع مناهج التعليم ،فكانوا يلقنون أطفال المسلمين مادى المسيحية وتعاليمهما ويحفظونهم صلواتهم ونصوص كتبهم الدينية ،ومن أبرز ما يمثل هذا ما كتبه أحد المنصرين فى كتابه عن مؤتمر المبشرين المنعقد فى القدس سنة ١٩٣٥م إذ قال فى أول الكتاب : " كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية فى نفوس الطلاب "

والمؤلف يفرق بين المدارس المسيحية والمدارس التبشيرية ،بان الأخيرة تحاول نقل الطلاب من مذاهب مختلفة إلى مذهبها هى ،أما المدارس المسيحية فإنها تحاول أن تهئى للطالب من أى يذهب كان جواً مسيحياً ، وتحمله فيه على التقوى المسيحية ،والسلوك المسيحى ،وخصوصاً إذا كان طفلاً وهكذا الطالب وتنشأ معه فلسفة مسيحية للحياة (٢) .

ويظن الكثيرون أن مجال الخدمات التعليمية أكاديمي محض ،ولكن الواقع غير ذلك ،إذ إن مؤسسات التعليم تحركها دوافع وأهداف تنصيرية ،فعندما تم قهر الدولة المهدية ،وتمكنت سلطات الحكم الثنائى من وضع يدها

(١) الشيخ على محمد صالح كنى الجنسية ،بعنوان " عمل المنصرون فى كينيا سبق ذكره ،ص ٥.

(٢) سيد أحمد يحيى : مرجع سابق ،ص ١١٧.

تماماً على السودان لم تشأ أن تفتح الباب للتبشير المسيحي في السودان الشمالي، خوفاً من ردة فعل المسلمين، ولكنها تنازلت شيئاً فشيئاً عن ذلك، وفتحت الباب للإرساليات في أمر التعليم، ويقول أحد القساوسة الذي جاء بعد استعادة الإنجليز للسودان، ليباشر تنظيم جمعية الكنيسة التصيرية :

" وبينما كنت مهموماً في دارى على أثر عدم التصريح لي بتتصير المسلمين ، إذ جاءني رسول يدعوني مستعجلاً من الحاكم العام ، وذهبت والدينا مظلمة أمامي ، وإذ بي أتلقى معاملة

مذهلة ، فقد قال لي الحاكم العام مبتسماً : لقد صرح لك بإفتتاح مدارس في الشمال ، ورقص قلبي فرحاً ، وأيقنت أن الله إستجاب لدعائي ، فما الفرق بين عدم السماح لي بتتصير المسلمين والسماح لي بتعليم أطفالهم " (١).

هذا التصريح من القسيس يبين لنا أن زرع الحركة التصيرية بين الناس لا بد أن تكون أولاً للأطفال ، وذلك بتعليمهم في المدارس مبادئ الدين المسيحي ، وأن المدارس هي أساس

تتصير المسلمين ، وهذا عبر عنه القسيس عندما تلقى خبر تصريح فتح مدارس ، عندما قال ليس هناك فرق بين تتصير المسلمين والسماح له بتعليم أطفالهم ، وأوضح باسيل ماثيو Basil Matthew كنة التعليم المسيحي بأنه تعليم يكشف عن أسرار الكون ، وهو روح القاهرة كشف عنها السيد المسيح ، وهو تعليم لحقيقة المسيح وما يعنيه للفرد والمجتمع (٢) .

(١) حسن مكى أحمد : مرجع سابق ، ص ٨.

(٢) Matthew, B. : Young Islam and Trek , London 1927, PP.191-192

وإنطلاقاً من تلك المفاهيم للتعليم كان المنصرون يعتقدون أن من واجبهم تعليم الإيمان المسيحي، متخذين من التعليم وسيلة للتأثير على غير المسيحيين، ويتضح من تعريف ماثيو للتعليم بأنه يشكل أساساً التعليم ديني يهدف إلى نشر الفكر المسيحي، وفي مقدمته الإنجيل، وهناك آراء مختلفة وربما أكثر تحديداً حول التعليم من قبل قادة التبشير المسيحي منهم القس هوتون Hoton إذ حدد رأيه بالنقاط التالية :

- (أ) يجب أن يكون الهدف التبشيري غالباً على التعليم
- (ب) يجب أن يكون للإنجيل المقام الأول في الدروس اليومية، وحضروا هذا الدرس ، وأن يكون شرطاً للقبول في الدراسة.
- (ج) يجب أن يكون الهدف التبشيري ظاهراً ، وأن يعلم الآباء بأن أبناءهم يحضرون إلى المدرسة ليتحولوا إلى المسيحية.
- (د) يجب بذل الجهود للحد من استخدام المدرسين غير المسيحيين وتزويد المؤسسة بهيئة قادرة على التأثير الفردي المباشر.
- (هـ) يجب على خبراء التبشير أن يضعوا في حسابهم أهمية هذه الأمور وإرتباطهم بالنشاط التبشيري الآخر (١) .

هذه السياسة أو الإستراتيجية للتعليم لاقت حماساً من قبل قادة المنظمات التنصيرية إذ اعتبروا وسيلة هامة مباشرة لنشر الدين المسيحي ، لذلك بدأ الهيئات والمنظمات المسيحية بتدعيم البعثات التنصيرية مادياً،

(١) H. Hoton , S.W. : The Missionary Campaign, London 1927, PP. 191-192.

فجاءت بجحافل من المبشرين المدربين ^(١) ، وأخذوا فى بناء كنائسهم وتشييد مدارسهم ، وهينوا الفرص لنشر المسيحية بين تلاميذ مدارسها ، وأستغلوا العديد من الوسائل ضد إنتشار الإسلام وعرقلة الدعوة الإسلامية ^(٢) إستغلوا أيضاً جميع الظروف والمناسبات ليواصلوا تصويرهم المشوه للإسلام ، ليعوقوهم عن الدخول فى الإسلام ، فأنشأوا المدارس ، وعقدوا الندوات وألفوا الكتب ونشروها ، وأنشأوا دور النشر والطباعة ، بل إنهم أجمعوا على أن جميع الوسائل يجب أن تستغل لخدمة التنصير .

ويسير المبشرون فى تحقيق هدفهم وفق خطط مدروسة بدقة ، ويعتقدون من أجلها المؤتمرات الدورية ، لتنسيق عملهم وتنظيمه ، وقد عملوا لها الدراسات ، وقدموا الإقتراحات والتوصيات ، ليحققوا من عملهم الثمرة المرجوة ، ومن ذلك ما جاء فى أحد المؤتمرات عن الإسلام والإرساليات ، الذى جاء فيه " المهم هو العمل الطبى والمدارس ، لأن المسلمين يفهمون أن العلم الطبيعى عند الأوروبيين أكثر تقدماً منه عند الشرقيين " ^(٣) .

إن المدارس والمتشفيات يلعبان دوراً فى تنصير أبناء المسلمين فى شرق أفريقية ، ذلك أن المدارس لا بد أن يكون بجوارها الكنائس حيث تقام فيها الطقوس الدينية ، ويحضرها إجبارياً كل الطلبة ، وبجانب ذلك فهى مزودة بأثاث فى غاية الجودة والأناقة ، إذ يجلب الأطفال مجرد الرؤية ، كما أن المدارس لا بد أن تكون مزدوجة ، وحتى العلوم العصرية تطعم بمواد دينية ،

(١) Samra Mahmud: Christian Missions and Western Ideas in Syrian Muslim Writers 1918-1960 London 1958, P.35

(٢) سيد عبد الحميد بكر : مرجع سابق ، ص ٢٠

(٣) مصطفى خالدى وعمر فروخ : التبشير والإستعمار ، ص ١٠٨-١٠٩ .

وأيضاً محمد البهي : الفكر الإسلامى الحديث ، ص ٥١٩

رغم أن المادة علمية لأن الأساتذة من رجال التخصص ، وهدفهم هو نشر المسيحية في ربوع منطقة شرق أفريقية (١) ، وأيضاً يفرض على الطلاب ، حضور ومتابعة دروس الإنجيل ، والإشتراك في القداسات والطقوس الكنسية ، ولا يسمح للطلبة بأداء صلاة الجمعة والعصر حيث الدروس مستمرة (٢) ، وهذا ما لاحظته أثناء الرحلة العلمية لكينيا إذ قمت بزيارة جامعة نيروبي وشاهدت الدراسة متواصلة يو الجمعة إلى ما بعد العصر بكثير ، وهذا ما يضايق الطلبة المسلمين ، إذ إنه لا يسمح لهم بالخروج من المحاضرة لأداء صلاة الجمعة ، وإذا تغيب يفصل ، هذا ماسمعه من بعض المسلمين الذين تمت مقابلتهم ، فمن هنا ندرك أن أبناء المسلمين في تلك المدارس أو في جميع مدارس الإرساليات يقفون بدون حماية أو أي وقاية ، لأن أوضاع المسلمين الاقتصادية متردية جداً ، وأيضاً لم يتمكن المسلمون في تنزانيا من إقامة مؤسسات إجتماعية ومشاريع تتيح لهم فرص رفع مستواهم الإجتماعي بسبب الفقر وعدم الحصول على الإعانات الكافية ، والتقصير في تنسيق جهودهم الذاتية.

لذلك فالخطر الذي يهدد الجيل المسلم الجديد في المجتمع التنزاني هو أن هذا الجيل يتربى على الثقافة الغربية التي تفتح له أبواب الإنحلال الخلقي ، وإنصهار الشخصية الإسلامية ، فالمؤسسات التنصيرية الموجودة في تنزانيا نشطة في تقديم المساعدات الضخمة لإقامة مراكز ومشاريع إجتماعية وتربية أبناء تنزانيا على التربية الغربية ، كما تقدم لهم تسهيلات في مجال التعليم (٣).

(١) الشيخ علي محمد صالح : تقرير عن " عمل النصارى في كينيا سبق ذكره ١٣ .

(٢) نفس التقرير : الشيخ علي محمد صالح : مالف الذكر ، ص ١٤ .

(٣) تقرير الشيخ سليمان عبد الله صالح شقصي رئيس جمعية المسلمين بتنزانيا (غير منشور) .

وبالفعل تم تأسيس أول مدرسة فى تانجا Tanga وكان لديها ثلاثة أقسام ،منها قسم للأطفال ،وثان لتدريب الكتبة ،وثالث لتدريب الخدمة الخاصة، والمدرسة أصبحت مألوفة فى المقاطعة ،ولرفع مستوى التعليم بين الطلبة ، ثم إضافة مدارس العذراء التى تأسست فى المقاطعة ،والإلتحاق بهذه المدارس كان إجبارياً للأولاد فى Tanga (١) .

لذلك تستطيع أن تقول : إن مدارس التنصير رغبت إجبارياً فى تنصير أبناء المسلمين فى كثير من المناطق ،وإفساد أخلاق الكثيرين ،وكان جل إهتمامهم جمع أكبر عدد من الأيتام وأبناء الفقراء وإيوائهم فى تلك المدارس ، ليقوموا بتربيتهم تربية عصرية ، وهذا ما شاهدته فى كينيا فى ملجا ماما نجينا ،حيث يأخذون الأطفال ويروونهم.

فى عام ١٨٥٧م كان لدى السيدة جيروم Jerrom وهى أرملة أحد المبشرين مدرسة لليتامي ،وإستلمت بعض بنات العبيد وقد تم تنصيرهن ، كذلك ديملر Deimler الذى كان يعمل بين المسلمين فقد تمكن من تنصير العديد من هؤلاء العبيد المحررين ،الذين أصبحوا موظفين فى السك الحديدية، وأماكن أخرى (٢) ،وفى الوقت نفسه أسس برايس Price مندوب جمعية الكنيسة التنصيرية القرية المسيحية فى شارانيور Sharanpur بالقرب من نازيك Nasik التى فيها العديد من الصناعات ،وتم إقامة معظم العبيد المحررين هناك ليتم تدريبهم على المسيحية ،ويتعلموا العديد من الأعمال بمساعدة مالية من الحكومة البريطانية ،ولقد لخص برايس سياسية البعثة فى المناطق المحررة من العبيد كما يلى : " يمكن النظر إلى مقر البعثة كمكان

(١) Harolw , E .M : History of East Africa vol II , Oxford 1965 , P. 20

(٢) Eugene Stock Op. Cit . , vol II , P.431.

مفتوح بقدرة العناية الإلهية ... لقد وافقت على إقتراح الحكومة بأن حوالي ٢٥ أو ٣٠ ولداً وبناتاً موجودين فى الساحل يمكن تحويلهم فى الحال إلى شارانيور Sharanpur وكان ذلك يمثل البداية بالنسبة إلى مقر البعثة ، على أنه بات ملجأً للأفريقيين ،وقد حضروا إلينا فى مجموعات تختلف فى السن من طفل سنة سنوات إلى شاب وشابة فى حدود ١٨ سنة (١) .

وتم تدريب العبيد المحررين فى نازيك Nasik على المسيحية ، ولجعلهم يعتمدون على أنفسهم فى معيشتهم أعطتهم البعثة تدريبات على المهارة الصناعية ،بينما البعض تم تدريبهم على أعمال النجارة ،الحدادة ، والخياطة ،ولقد أحدثت تطوراً العبيد فى عام ١٨٦٩م أوضح برايس Price بأن خمسة صبيان قد نجحوا فى إمتحان القبول وأصبحوا مدرسين (٢) .

ويعتبر برايس أول مشرف لمستوطنة فرير تاون Freretown وقد أسس مدرسة للأطفال والكبار ،حيث يتعلم الأطفال الحروف الأبجدية ،ويتعلم الكبار قراءة الإنجيل ،وقد تم إتخاذ خطوة فى عام ١٨٧٠م وذلك بفتح مدرسة الألوهية للتدريب على التبشير للإنجيل ،وكتب برايس ما يلى : " لقد أخذنا الخطوات الأولى فى تكوين فصل تدريبى للشباب من الرجال المتوقع تخرجهم كمدرسين ومبشرين للإنجيل ،ولقد دأبنا بعدد متواضع ،ولقد أصبحت مدينة فيرتاون Freretown بعد ذلك مدرسة التدريب لكل رجال المستقبل من المدرسين وقراء الإنجيل ورعاة الكنيسة لبعثة الكنيسة فى شرق أفريقية " (٣) .

(١)

(٢) A , J , Temu : Op . Cit , pp . 64 -65

(٣) C.M.S. file No . G B A5/O5 , Price to Long , 29 . 8 . 1888 .

وفى وسط إستخدام القوانين المحلية لالغاء الرقيق ،ناقش سادلر Sadler مع وكيل وزارة المستعمرات فى ذلك الوقت " تشرشل " إلترامهم التعليمى للمواطنين المسلمين فى الساحل (١) ،يعنى ذلك إسهام الدولة فى التصير ولم يعد الأمر مقتصرأ على جمعيات التصير وحدها.

وتم فتح بعض المدارس بتمويل من وزارة المستعمرات وذلك تحت قيادة بايب pipe الذى أكتشف أن غالبية الناس فى زنجبار من الهنود والعرب ،وأن القليل من العرب أرسلوا أطفالهم إلى المدارس (٢) ،وقد ظن بايب pipr بأن عدم إرسال العرب أطفالهم إلى المدارس هو عدم مقدرتهم لدفع الرسوم ،لذلك جادل بأن مسألة الرسوم التى تتراوح بين ٢ روبية فى الشهر فى الفصلين الأولين ،و٤ روبيات للفصول الباقية قد أثرت فى التخرج ،وتعتبر تلك المصاريف عبأ كبيراً بالنسبة إلى الآباء الفقراء الذين يتقاضون ٢,٥ جنية إسترليني لذلك أوصى بايب pipe بإلغاء المصاريف ،ولقد إعتد على ذلك الإجراء كوسيلة لإغراء الأولاد العرب للإمتناع عن الذهاب إلى المدارس للمدارس العربية (٣) .

وينظر المبشرون إلى التعليم كواحد من أهم أدوات التأثير لخلاص الرجل وتغيير المجتمع ولقد رأوا أن كنيسة التبشير للإنجيل لديها مسؤوليات فيما يتعلق بالتحويل إلى المسيحية وتصير أتباعها من الأعضاء الجدد ، وبعد ذلك يجب من خلال التعليم تنمية العضو الجديد على الأخلاق المسيحية ،ولذلك فإن العديد من البعثات يرون أن التعليم أهم داعية إلى المسيحية ، فهو مقدمة

(١) F.O. 533/33 , Sadler to Elgin 16-12-1907 No .548

(2) Keny a Archives , File Cp. 3/290 , Pipes Report.

(٣) Ibid.

لحقيقة الإنجيل ،فالكاثوليك كان لهم إهتمام وتركيز أكبر على حقل التعليم أكثر من البرتستانانت ،فقد نشروا التليم وخاصة فى الأماكن التى يوجد بها مسلمون ، فالمدارس هي الوسيلة التى لابد لها لنشر المسيحية (١) .

وكتب القسيس ديبيوا Dubois الذى يملك عدة مدارس ،فى كتابه عن البعثات الكاثوليكية بأنها يمكن أن تمتلك أفريقية ،وفى غياب المنافسة فإن المدارس البدائية تفى بالغرض للتحويل إلى المسيحية فالرجل العادي يمكن تحويله إلى المسيحية (٢) .

وفى إحدى مؤتمرات بعثة الرومان الكاثوليك قرر أسقف دار السلام بأن طلبة التعليم الدينى يجب أن يتم إرسالهم لمدة سنة فصول إستماع ،ويتبع ذلك لمدة سنتين فى مدارس تعليم الدين ،ومن خلال ذلك فإن ملاحظاتهم عن القواعد المسيحية يمكن مشاهدتها بكل دقة (٣) .

ولقد برهنت المدارس بأنها هي رأس الحربة ،فقد كان واضحاً منذ البداية للمواطنين المحليين بأن الذهاب إلى المدرسة يعنى إحتتمالات إقتصادية أفضل للمستقبل ،فالحصول على العلم هو الطريق للحصول على إحترام الأوروبيين ،فالعلاقة بين التعليم والوظائف الجديدة أصبح ظاهراً ،بينما التصوير أصبح مألوفاً للدخول فى المجتمعات الجديدة ،والمبشرين نموا بسرعة فيما يتعلق بأهدافهم (٤) .

(١) Carl - Erik Sahlberg : Op. Cut. , P.99

(٢) Dubois , H. : Repertoire Africain Rome 1932 , P.133

(٣) Oliver , R. : The Missionary Factor in East Africa , P.210.

(٤) C.M.S , File No. 53/1919, MCGregor to Manley , 10.6.1916

ولقد ظهر للبعثة بأن تلاميذ التعليم الابتدائي فقط لديهم الفرصة للإستماع عن الإنجيل في ممباسا ، وأن الأحوال الإستراتيجية المتوقعة للتعليم هو التنافس ، لذلك كتب الأسقف بيل Peel : " أنا أصلى للرب بأن يساعد بعثة الكنيسة لتتولى مسئولية التعليم في ممباسا ، وهي بوابة شرق أفريقيا ، لأنه لو أن الإسلام أصبح قوياً وعلم الناس ، فإننا سنواجه فيما بعد مقاومة في الداخل" (١)

وكانت علاقة بعثة الكنية مع طلابها بسيطة ومبنية على قاعدتين:

أولاً : إستمرار إحتكار البعثة للتعليم العلماني.

ثانياً : تتمثل في رغبة البعثة أن تقدم معلومات باللغة الإنجليزية ، وذلك على نقيض سياسية اللغة في مكان آخر من نظام التعليم في بعثة الكنيسة في ذلك الوقت ، وأساس هذا الإستثناء هو إجتذاب أى طالب والذي رغبته الوحيدة هو أن يتعلم فقط اللغة الإنجليزية لكي يستطيع الحصول على بعض الأعمال في الحكومة. (٢)

وقد بدأ نوع من التفاهم بين الطلبة والبعثة ، إذتستطيع البعثة تقديم التعليم بالإنجليزية في مقابل فرض التعاليم الدينية المسيحية في المدرسة ، وفي الواقع فإن الكتاب المقدس (الإنجيل) كان أحد موضوعات الإمتحان ، بينما الإنجيل الإنجليزى كان أهم كتاب مدرسي (٣).

(١) C M S File No 313/1897 , Peel to Baylis, 12.4.1901.

(٢) C M S File No 1895/44. Parker to Binns , 30. 10.1897.

(٣) أرشيف جمعية الكنيسة التصيرية خطاب السيدة Bazett في ٢٤ نوفمبر ١٨٩٣م.

وكانت مواد الدراسة الأساسية فى مدارس البعثات هى الدين والقراءة والحساب واللغة الإنجليزية، وخطبت مدارس البعثات بتأييد حكومة المستعمرة، لأنها كانت المصدر الأول لتخريج الكتبة للإدارات الحكومية المختلفة (١) ، فضلاً عن ذلك كانت تلك المدارس وسيلة لمد نفوذ الحكومة المركزية إلى بعض المناطق القبلية فى الداخل، حتى إن منطقتى تيتا Teita ودلتا نهر تانا Tana كانتا تداران عن طريق مدارس البعثات (٢).

وركزت مدارس البعثات التبشيرية إهتمامها أول الأمر على إستيعاب أبناء الزعماء الأفريقيين بصفة رئيسية، وترتب على ذلك حرمان نسبة كبيرة من أطفال العامة من الأفريقيين من التعليم، وحظى هذا الإتجاه بتأييد الحكومة المركزية، التى كانت ترغب فى خلق جيل من أبناء الزعماء على قدر ضئيل من التعليم يمكنهم من تصريف الأمور المحلية فى مناطقهم بعد وفاة آبائهم (٣) ونتيجة لقلّة موارد تلك المدارس إنحدار مستوى التعليم بها لإفتقارها إلى الوسائل التعليمية الحديثة، وإنخفاض مرتبات مدرسيها، وإنعدام الإشراف الفنى عليها، يضاف إلى ذلك أن مدرسي تلك المدارس كانوا من القساوسة، وهؤلاء كان يعوزهم التدريب اللازم الذى يؤهلهم للتدريس بتلك المدارس، وكانت قراءاتهم تكاد تنحصر داخل نطاق التعاليم الدينية، وكان إمامهم بالمواد العلمية الأخرى ضئيلاً، وأسهم فى إنخفاض المستوى العلمى بتلك المدارس إنعدام الحوافز المادية بالنسبة للأكفاء من المدرسين، لذا كان من

(١) Eliot , Charles : East Africa Protectorate , London

(٢) Oliver ,R : The Missionary Factor ,PP .268-269

(٣) Kinghall , Robert and Lauwerys , J. : The Year Book Education, London 1956 , P.81.

الطبيعى ألا تحس تلك المدارس بالحاجة إلى التناقص فيما بينهما لتخريج جيل من الأفريقيين على مستوى عال من التعليم .

ومنذ بدء عهد الإستعمار البريطانى فى كينيا كان التعليم الإبتدائى إجباريا بالنسبة إلى الأطفال الأوربيين الذين يبلغون سن السادسة ،بينما كان إختيارياً بالنسبة إلى الأفريقيين ،وفى عام ١٩٠٠م أصبح هذا التعليم إجبارياً لأطفال الأفريقيين فى ممباسا ،وكانت البعثات التبشيرية هى التى تتولى مهمة تعليم الأفريقيين كلياً ،حيث كان يوجد أربع مدارس إبتدائية (١).

ولقد إستخدمت السلطات الإستعمارية أولئك الذين تعلموا فى مدارس الإرساليات فى الوظائف الحكومية ،بحجة أنهم تلقوا قسطاً من التعليم الأوروبى ورفض المسلمون إلحاق أبنائهم بمدارس الإرساليات ،وبقيت الوظائف قاصرة على غير المسلمون ،وهكذا تسلل تلاميذ مدارس الإرسالية للسلطة وظلت البعثات التنصيرية تشرف على التعليم (٢).

ولم يكن هناك مجال لتعليم الدين الإسلامى فى المدارس الحكومية العامة والكنيسة ،غير أن تلك المدارس الكنيسة أخذت تدرس المسيحية فيها ، بينما لم يكن للمسلمين إمكانية مالية لإنشاء وتمويل مدارسهم العادية ،وفى الأونة الأخيرة أعدت الحكومة الكينية منهجاً تعليمياً جديداً فيه عدة حصص لتعليم الدين فى المدارس الحكومية العامة كل أسبوع ،ولكن بينما يستفيد المسيحي من هذا القرار الحكومى ظل المسلم على حاله ،لأن المدرسين المسلمين فى تلك المدارس الحكومية قليلون للغاية ،ثم إنهم لايعرفون شيئاً عن

(١) Padmore , Geroje : Pan Africanism or Communism ,PP.240-241. London 1948

(٢) سيد عبد المجيد بكر : مرجع سابق ، ص ٩٩ .

هذا الدين وحتى لو كانوا يعلمون العلوم الإسلامية إفتراضاً فإنهم قد درسوا نسبة ضئيلة جداً من مجموع الطلبة المسلمين فى تلك المدارس ،وبعكس المسيحيين الذين يجدون المدرسين الأكفاء لهذه المادة ،هذا ولا يملك المسلمون ما يكفى لتوظيف المدرسين المحليين لأن سياسة الحكومة ألا توظيف مدرساً لمادة الدين وحدها ،والمشكلة الأخرى حتى لو وجد المعلمون لهذا الدين الحنيف تلقاهم غير مدربين ،وكثيراً ما تراهم لا يعرفون شيئاً من اللغة الإنجليزية التى هى لغة التدريس فى تلك المدارس (١).

من ذلك يلاحظ أن الإرساليات كانت تخصص التعليم للديانة باللغة الإنجليزية ، فى حين لم تخصص للغة القومية أى درس وكان أجدر بها أن يكون إهتمامها باللغة القومية لا يقل عن إهتمامها باللغة الإنجليزية إن لم يزد ، وكانت الإرساليات قد بدأت نشاطها فى تعليم البنات من سنة ١٨٩٥م ،وفى سنة ١٩٠٠م كانت المدارس الابتدائية تضم ٧٨٠٠ تلميذه وفى سنة ١٩٠٢م أفتتحت مدرسة داخلية لبنات الرؤساء فى جايارا ،فى أوغندا ،كما افتتحت مدارس لتعليم الرؤساء فى رواجاجا تحت إشراف إرسالية الآباء البيض (٢).

وفكرة إنشاء مدارس للرؤساء إنتشرت فى كل الأنحاء إلى نجورا Ngora فى تيسو Teso وإلى ماسينو Maseno فى كافيرندو Kavirondo إلى يوشيرومبو Ushirombo فى مفوضية تابورا Tabora وإلى كل من بعثات الكاثوليك واللوثرينيين Lutheran فى شاجا Chagga فى جبل كليمنجارو (٣)،

(١) سالم محمد بلعلا ،رئيس المجلس الأعلى لىلمى كينيا : جمعية المسلمين فى نيروبي تقرير عام عن أحوال المسلمين فى كينيا _مشاكل وحلول ،ص ٢.

(٢) Ingham , K. : The making of Modern Uganda , London 1958,p.124

(٣) Oliver , R. : The Missionary Factor , P.213.

وتم إقامة مدرسة من هذا النوع بواسطة بعثة آباء ميل هيل Mill Hill Fathers في ناميليا نجو Namilyango وقد كتب الأسقف بيرمانز Biermans يصفها كالتالى : بدأت المدارس فقط بأبناء رؤساء القبائل ،وقد ساهم رؤساء القبائل فى مصاريف تعليم الأولاد ،وأن العديد من الأولاد من الممكن أ، يصبحوا رؤساء قبائل فى المستقبل ويتولوا مسئوليات هامة،ولذلك كان من الأحسن إعدادهم فى مدارس متقدمة (١).

كان رئيس كيونجاني Kiungani قف فرانك Frank ،وقد تم تزويده بتعليمات منتظمة يلقيها للصف الأول فى المدارس ،وذلك عن حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم،والتعريض به ،ومن يحرز مستوى متفوقاً فى الاختبار السنوى فى هذا الموضوع يتم تعيينه فى الأماكن التى توجد بها دعاية ضد الإسلام ،وقد تم تطوير كل ذلك العمل بواسطة المدرس كانون ديلي Canon Dale (٢) .

وقد قال سميث Smith : عندما ترى الطفل يسير فى طريق التعليم فإنه سيستمر ،أنت ترى الشئ الحسن الذى لاتستطيع أن تقرره إلا فى النهاية، وربما يوجد فى المجموع والمجتمع الخاص بالأطفال أطفال مثل ذلك الطفل وهذا سيستمر إلى نهاية الأجيال ،فأنت تزرع الزرع بوضع البذور التى سوف تملأ الأرض ببهجة متزايدة من الصلاحية ،هذا كله إذا تم عمله فى شكل تنظيم مؤثر للتعليم فى أوغندا ،ولايجب أن ننسى بأن أول شئ ضرورى وهام هو تعليم المسيحية ،إذ يجب الإهتمام بهذا الجانب للتعليم بين الأطفال (٣).

(١) Tom Kigging : Op . Cit., P.125

(٢) H . Maynard , Smith : Op . Cit., P.101.

(٣) Alfred .R . Tucker : Op . Cit., vol II , P.150

وأعلن كانون دالي أن التعليم مجانياً على أساس أن يلتحق الطالب إجبارياً بدروس الإنجيل، وكان يأمل ألا تكون البذور وضعت في أرض غير خصبة وهو يعتقد في التطور الهادئ، وقد وضح ذلك في مقر الكنييسة إذ قال: أنا أريدكم أن تكونوا صابرين جداً بالنسبة إلى عمل البعثة، وأعتقد أنه كلما تحدثنا قليلاً عن البعثة، وكتبنا قليلاً أو أعلننا عنها في الجرائد فالأفضل أن تكون هادئين، ولقد عرض في مؤتمر أصدقاء إنجلترا الرغبة في شراء منزل ضخم في زنجبار، وفي هذا المنزل بدأ بمدرسة خاصة بالدراسات على مستوى عالي، يتم التدريس فيها على مستوى جامعات أكسفورد وكمبريدج، ولقد عين مدرس كفاء كناظر للمدرسة، جمع لكفاءته القدرة على الإتصال بكل من العرب والهنود، إذ حضرت أعداد كبيرة، وفي تلك المدرسة يتم دراسة الديانة المسيحية ^(١)، واقترح كانون دالي أن المدرسة العليا يجب أن تشمل على دروس في فلسفة الأديان، والطلبة يمكن التدريس لهم عن فكرة المسيح، وهذه المحاضرات يجب أن تكون إيجابية وليس بها تناقض، ويأمل أن يعبدوا الطريق إلى مبادئ الثالوث " الأب - الابن - الروح القدس " ورغم أن مثل هذه الدراسات يجب أن يتم تدريسها في المدرسة، لكن في المدرسة العليا لهما أهمية كبيرة للاستفسارات .

ولقد كتب كانون ديلي : يجب ألا نياس بأننا لانستطيع هزيمة الإسلام، ولكنني أشعر بأننا يجب أن نحصل على قدر ما نضمهم تحت نفوذنا، ونعطهم الحق في التفكير في أصول الأديان قبل أن ندفعهم للاختيار ^(٢).

^(١) H . Maynard , Smith : Op . Cit., P.102.

^(٢) H . Maynard , Smith : Op . Cit., P.103.

لذلك يتبين لنا أن عمل المدرس كانون ديلي وهو فتح مدرسة عليا لجذب شباب المسلمين لتدريسهم الإنجيل وتشويه الإسلام لم تفلح، ولم تتجح وذلك بشهادته عندما كتب يقول: يجب ألا نياس بأننا لا نستطيع هزيمة الإسلام.

وبعد وصول الأسقف سميتر Smythies إلى زنجبار، بدأ بتحسين التعليم الصناعي وبالذات بين البنات، إذ كان يوجد ١٢ بنتاً من مدرسة تاكيري Thackeray غير راغبات في التعليم، وتم وضعهن تحت رعاية الأنسة آلن Allen والأنسة بيركلي Berkeley التي باشرت إشرافها مع أختها التي أصبحت فيما بعد تعرف بإسم مدام كي.

وعندما تم وضع البنات تحت إشراف الأنسة بيركلي، سكنوا فوق سطح المدرسة حيث يعيش ويتعلمن صناعات مختلفة (١).

وبعد بلوغ البنات سن الزواج يسمح لهن بزيارة الأولاد وذلك في جناح جميل تم بناءه بمعرفة الأنسة تاكيري، وعندها يتم تزواج الأولاد والبنات تحت رعاية وإشراف البعثة (٢).

هذا دليل على الفساد.. إذ إن هذا العمل يؤدي إلى أفساد أخلاق البنات في سن المراهقة، وذلك بترتيب لقاءات بينهن وبين صبية مراهقين في نفس السن، وهو لا تقره الشريعة الإسلامية.

وفي أكتوبر ١٩٠٢م تم إصدار أول عدد من مجلة المدرسة تم تحريره بواسطة البنات أنفسهم، وكانت أول مجلة تصدر من المجلات المحلية وتحمل إسم مسيولايزي Msimulizi وعند افتتاح الجناح الصناعي في

(١) A.E.M. Anderson - Morshead : Op. Cit., P.234

(٢) Ibid., P. 236 .

اليوبيل السنوى ،قامت البنات بتزيين المكان بأعلام اليوبيل ،وأصبح المنظر جميلاً وسط أشجار النخيل ،وفى القمة عمل صليب الكنيسة أهدته مسز جوردون وكتوب عليه : فى ذكرى جوردن ولد فى ٢٨/١/١٨٣٣م ،عمل فى مصر ،وهناك حمل صليب سيده ،ولقد مات أثناء عمله بالخرطوم فبى ٢٦/١/١٨٨٤م (١).

وفى عام ١٩٠٣م ظهر معرض صناعي فى كيونجاني Kiungani إذ قام الأولاد والبنات بالعرض ،فعرضوا مراتب ملونة تم تعليقها على الحوائط ،بينما أعمال الإبرة تم تعليقها فى السقف ،والعديد من المناضد كانت مغطاه بالأعمال المختلفة ،التي تم عملها فى مبوني Mbweni ،وقد حضرت مسز سميث Smith زوجة القنصل العام لترى وتقدم الهدايا (٢).

وهناك وثيقة تبين أن هناك منحة لتلك المدرسة وهى مدرسة البنات فى ميوني Mbweni التى قدرها ١٢٠ جينة إسترليني ،وقد جعل المستند يستحق الدفع إلى بنك كينيا فيلد (٣) وقد أسهمت حكومة المستعمر فى تكاليف التعليم ، وفى ذلك دليل على أن الأمر لم يقتصر فقط على بعثات التنصير بل شاركت الدولة بنفسها .

وهناك دعم ملحوظ للتعليم ثم إعطائه من لجنه ثم تكوينها من جمعيات المبشرين، وتم تمويلها من صندوق فيلبس - ستوكس Phelp-stokes للدعم المالى ، وقد تم رصد مبلغ ضخ من المال من الانسة كارولين فيلبس -

(١) A , E , M , Anderson - Morshead , :Op . Cit., P.238

(٢) A , E , M , Anderson - Morshead , :Op . Cit., P.238

(٣) Kenya Arctives , File No. ED1/431

انظر ملحق رقم (١٦) .

ستوكس Cardline phelps stokes لمساعدة تعليم الأفريقيين وكان هدفها تقديم التعليم المسيحي ، وكانت قد لاحظت أن هناك مساهمة قليلة من التعليم من ادارة المستعمرة ، لذلك انفقت ١٤,٠٠٠ جنيه إسترليني في كينيا، وفي أوغندا ١٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

ولقد أقامت لجنة دائمة لتعجيل إدخال المحاضرات الدينية في تعليم المواطن الأفريقي ، وتحت عنوان الإنجيل ، وضع للاعتراف بالاخلاق الاجتماعية الضرورية للحياة الأفريقية (١) .

وقد قررت الحكومة البريطانية أن تفعل شيئاً بخصوص التعليم في حدود المستعمرات التابعة لها ، وتمت مناقشة العمل من خلال نظام التعليم الحالي ، وتمت الموافقة على اقتراح وهو أن البعثات التنصيرية والحكومة يتعاونان معا لتطوير التعليم ، وفي عام ١٩٠٥م تم اجتماع في لندن بحضور ممثلي الحكومة البريطانية ، ولجنة فيلبس - ستوكس وممثلي بعثة البروتستانت وحاكم المستعمرات ، وقد تقرر كنتيجة لذلك إقامة لجنة دائمة في لندن للنصح والارشاد للتعليم في شرق أفريقية ، وتم تشجيع المبشرين على التعاون مع المجلس العالمي للمبشرين ، وهي أكبر هيئة لها تأثير على البعثات ، وقد وقع كل المبشرين البروتستانت للتعاون الكامل ، وكذلك فإن الكاثوليك قدموا ماعدتهم ، وفي عام ١٩٠٥م تم تعيين قسيس أمه هنسلي Hinsley كمستشار للبعثات الكاثوليكية في المستعمرات البريطانية ، وفي مؤتمر للأساقفة تم عقده في دار السلام في عام ١٩٠٧م قال : لأبد من التعاون بكل قوتكم ، وعندما يكون من المستحيل عليكم أن تتحملوا العمل

(١) Smith , E.. : The christian Mision in Africa, London 1926, p. 108 . Oliver , R : The Missianary Factor in East Africa, P. 270.

والتوفيق بين عملكم للتبشير للمسيحية وللتعليم أهملوا أعمال الكنيسة واعتنوا بعمل المدارس (١).

هذا القرار الذي تمّ اتخاذه من كل مجموعات المبشرين كان علامة مميزة في تاريخ التعليم في شرق أفريقية ، وأدرك المؤتمر أهمية التعليم في نشر النصرانية وأيقن أن النشاط الكنسي لن يحقق ذلك ، ورأى من الأصوب التركيز على التعليم لأنه يحقق الهدف النهائي في النهاية .

وقد شيدت السيدة هور Hore وهي من إرسالية الآباء البيض في بحيرة تتجانيقا في كفالا Kavala ، مدرسة صغيرة للبنات بجوار منزلها ، ولقد علمتهن القراءة والكتابة والخياطة وأيضاً الأناشيد الدينية ، وعندما كثر عدد الطالبات أخبرت زوجها أنها تريد منزلاً صالحاً للمدرسة أذ أصبح لديه ٤٠ طالبة ، ولقد تم بناء مدرسة مناسبة لها ، وبجوارها تم بناء كنيسة صغيرة (٢).

وكانت الأنسة كينون Kenyon تقضي ساعتين يومياً مع البنات الصغيرات في القرى المجاورة ، ممن لا يستطيعن الحضور إلى المدرسة مع الآخرين (٣) وبلغ اهتمامها بتدريس الفتيات من أجل نشر النترانية ، إذ أنها كانت تتحمل مشقة الانتقال بنفسها إلى القرى المجاورة لتدريس الفتيات اللاتي يعجزن عن الحضور للمدرسة ، وكانت هيئة التدريس دائماً تضم العديد من

(١) Tom Elgging : Op. Cit., P. 128

(٢) Sarrah Geraldina Steek : Op. Cit ., P. 160 .

(٣) A.E.M. Anderson-Morshead : Op.Cit, p.285

الأوروبيين الذين فرضوا رأيهم بإجراء تعديل على سياسة ومفهوم ومنهج التعليم التبشيري بما يتلاءم وظروف المناطق التي يمارسون بها نشاطاتهم.

ويتضح المفهوم الجديد مما يلي : " كانت مدرسة التبشير فيما مضى تستخدم بشكل أساسي الوسيلة لأشكال أخرى من العمل التبشيري ، ولكن هذا الموقف لم يعد ضروريا الآن بسبب تغير الظروف ، لذلك يجب أن تؤكد على ضرورة توجيه الطلبة نحو دراستهم التاريخية والعالمية (١) ، ولتحديد الهدف الأساسي للتعليم التبشيري يقول أحد قادة التبشير : إن الهدف الأساسي الذي يجب على التعليم التبشيري أن يحققه هو تدريب الكنيسة المحلية على تحمل أعبائها... ويجب أن ينصب تفكيرنا أولاً على المعاهد الخاصة بالمسيحيين وحدهم ، كالمدارس الداخلية ومعاهد التدريب وكليات اللاهوت (٢) ، وإن الكليات المسيحية لا تهدف فقط إلى كسب المنتصرين من بين الوثنيين فحب بل تُساعد على تحقيق الوظيفة الهامة وهي إعداد القادة للكنيسة (٣) وبهذه الغاية التبشيرية التي حددت التزام هذا النوع من التعليم بالخط التبشيري، أصبح التعليم وسيلة لتحقيق الأهداف وهو تنصير الآخرين وتحويلهم إلى المسيحية.

وكان للحركة الضخمة لمجموعة المبشرين أثر كبير في أن تحولت أوغندا إلى دولة مسيحية (٤)

وفي عام ١٩٠٥م استلم ماكاي Mackay التماسا خاصا بتعليم المسيحية من تلميذه القديم سمبارا Sembara وقد دفعه حماسة إلى خوض

(١) Poul Monroe , : The Meslem World of to- day London 1925, pp. 177-178.

(٢) Hoton , S, W , : The Misionary Campaign. London 1912, P. 108

(٣) Ibid .

(٤) Low, D,A, Religion and Society in Suganda 1875-1900 London 1956,P.9.

معركة تعليم الكبار أيضا ، فبدأ بتعليم إحدى النساء أصول القراءة والكتابة^(١) ، وفي نفس السنة وصلت أول امرأة مبشرة إلى أوغندا ، حيث ساعدت في التدريب على التعليم وكان مستوى القراءة في البعثة هابطاً ، فإن أول مدرسة يتم إنشاؤها على الأساس الرسمي كان في نهاية عام ١٩٠٥ م.^(٢)

وعندما وصل أول وفد من النساء للعمل في أوغندا كان تأثير النساء ضخماً وفعالاً بالنسبة إلى الأطفال ولاسيما البنات ، أو الكثير تعلمن هذه الدروس التي تدرسها سيدة واحدة ، وكان تأثير النساء في وسط أفريقية يتقدم باضطراد ، وبذلك تحسّن وضع الأطفال حيث كانت تقدم لهم خدمات أفضل^(٣) وفي عام ١٩٠٦ م وصل عدد الطالبات في المدرسة الابتدائية حوالي ٧٨٠٠ طالبة ، وقد زاد العدد بعد سنتين إذ وصل ١٤٣٠٠ طالبة ، ومهما يكن فقد تم الشعور بأنه لابد من عمل مجهود للاهتمام ببنات الطبقات العليا ، وبذلك تم إنشاء مدرسة داخلية على أساس التمويل الذاتي في مينجو Mengo تم فتحها لمصلحتهن ، وقد تم تحقيق بعض النجاح بسبب عناية الأنسة آلن Allen وتم إقامة مدارس مشابهة في عواصم تورو Toro وبينورو Bunyoro وكان الهدف من ذلك ما قيل هو ازدياد اهتمام النساء بالكتاب المقدس^(٤) .

وفي بداية ١٩٠٧ م تم التخطيط لمدرسة للتعليم المتوسط ، وكان المحرك الأول لهذا المشروع فريزر Fraser الذي اضطر للرجوع الى وطنه نظرا لسوء صحة زوجته، ومهما يكن فقد تولى الإشراف بدلا منه ويذرهيد

^(١) Macky : Op. Cit., pp. 139-140.

^(٢) Merrick Posnandky & Valerie vovles ekinty, C.M, Islam and the EarlyChritian Missions ons in Ugands 1844-1910, Uganda 1950, p.11

^(٣) Al Fred, R. Tucker : Op. Cit., vol II, P. 33٠ .

^(٤) Al Fred, R. Tucker : Op. Cit., vol II, P. 331 .

Weather head وتم تحديد المكان وهو حوالى ثمانية أميال من مينجو Mengo على تل بودو Budo وترجع شهرته إلى التاريخ الملكى فى أوغندا، نه لعدد من الأجيال كان ملوك أوغندا يقيمون على قمة التل احتفالات اشبه بالمهرجانات ، وقد أعطى الملك هذا الموقع كهدية لبناء المدرسة التى سميت " مدرسة الملك " ولقد تم انشاؤها بالتمويل الذاتى والرسوم السنوية ، وتم استكمال بناء المدرسة فى ثلاثة طوابق وحجرة واسعة طولها حوالى ٥٠ قدما وعرضها ٤٠ قدما ، وثلاثة أجنحة فى شكل مربع (١).

وهكذا انتشر التعليم لدرجة أنه فى نهاية عام ١٩٠٧م بلغ عدد القراء حوالى مائة الف قارئ فى البلد ، وأول خطوة خطيرة لتنظيم التعليم فى أوغندا كان بوصول مجموعة من السيدات منهن الأنسة شادويك Chadick فقد كونت مدرسة مختلطة فى تومست Thomett وعندما زاد عدد الهيئة العاملة تم تكوين مدرسة مشابهة فى جايازا Gayaza بإشراف الأنسة برد Bird وعند وصول هاترسلي Hattersley وضع قواعد للنظام العام للتعليم وقد كان لديه رأى عن طاقة الاستيعاب عند الأطفال فى أوغندا إذ قال : إنه مما يجلب السرور ان تُعلّم عدداً ضخماً من الأطفال ، لأن ذكاءهم فى تقدم وتطور، وانهم باعطائهم نفس التعليم للأطفال فى إنجلترا ، فإنه يمكن بسهولة مقارنةهم بالأطفال فى انجلترا ، وإنه من المستغرب أن ترى كيف يتعلم الاطفال الدين المسيحى بسرعة ، وأنه بموجب هذا الاستعداد فان التعليم للأجيال الناهضة فى أوغندا يتحقق الاهتمام ، ولايمثل أيّ صعوبات لايمكن التغلب عليها (٢).

(١) Al Fred, R. Tucker : Op. Cit., vol II, P. 329

(٢) Ibid., vol II, P. 151.

لقد اضطلع بمهمة التعليم بادئ ذي بدء الارساليات المسيحية منذ قدومها إلى أوغندا ، وقد بذلت جهودها في هذا الميدان إذ كانت مصاريف هذه المدارس تدر من الأموال التي ترصدها الارساليات لهذا الغرض بجانب هبات الكنائس الوطنية ، وأنشأت الارساليات نظاما للتعليم أنتشر في كل أجزاء المحمية دون الاستعانة الحكومة.

وقد انتشرت المدارس في مختلف الجهات ، وتركز عمل تلك المدارس أساسا في التبشير بالديانة المسيحية ، كما اضطلعت بعض المدارس بمهمة تعليم اللغة الانجليزية مادة أساسية ، واستمر هذا الوضع حتى عندما تألفت لجنة التعليم الأفريقي وزارت أوغندا ، وأشارت إلى أن التنظيم الذي أدخلته الإرساليات للتعليم الوطني كان صالحا كنظام تعليمي ، وجاء في تقرير اللجنة مايلي: " مع أن هذه الارساليات التبشيرية قد أحرزت نجاحاً ملحوظاً إلا أنه يجب أن يكون مفهوماً تماماً أن ماقامت به لم يكن إلا بداية في عمل التبشير " التصير " (١).

وتحدث الأسقف تاكر Tucker عن التعليم في أوغندا حيث قال : " إن تخطيط النظام التعليمي في أوغندا لا يكتمل بدون عمل حساب للتعليم الصناعي والذي بصورة أو بأخرى منذ أيام ماكاى Mackay ساهم في تطوير الحياة والعادات للعديد من الناس في باجندا Baganda ومن الإنجازات الضخمة لبعثته أن كان ماكاى Mackay مركزاً على خدمات الله " الصلاة " التي لها عمليات تدريب ميكانيكية ، التي من خلالها فكر بأنه بموجبها ستجد بعثة

(١) Thonas and Scott : Uganda, London 1935, p. 314 .

أوغنده فرصة كافية ليستطيع مهندس شاب تقديم خدمة تطوعاً ، ولكن بكل تأكيد لا يوجد حقل صالح للبعثة غير أوغندا^(١) .

لكن القلاقل التى سادت بوسوجا Busoga فى الفترة من ١٩٠٠/١٩١٠ جعلت من الصع إلى المبشرين أن يباشروا بكفاءة سياستهم التعليمية ، ومهما يكن فإنه بنهاية العشر سنوات الأولى أصبح واضحاً أن تعليم القراءة والكتابة كانت إحدى المهارات المطلوبة ، فأهالى بوسوجا رغبوا فى ذلك لأن الناس المتعلمين يلقون احترامهم ويحصلون على وظائف^(٢) توفرها الدولة ، لأن الدولة فى حاجة إلى تكوين هيئة إدارة بوسوجا من كتاب متعلمين ومترجمين ، كذلك الأعمال العامة للدولة ، والشركات فمثلاً الشركات الأوروبية التى يوجد ١١ منها فى بوسوجا حلول عام ١٩١٤م كانت تحتاج هى الأخرى إلى كتاب متعلمين^(٣) .

(١) Alfred, R, Tucker: Op. Cit., vol II , P.153.

(٢) Editorial Uganda, vol IV , April 1913

(٣) A,D Tom Tuma : Op . Cit . , p.65.

وقبل استقلال أوغندا كان عدد المدارس الابتدائية الكاثوليكية في أوغندا ١٤٠٧ مدرسة وبلغ عدد المدارس البروتستانتية ٩٨١ مدرسة في حين لم يزد عدد المدارس الابتدائية الإسلامية على ١٧٩ مدرسة ، وجاء في إحصاء عدد المدارس الثانوية في المقاطعات الأوغندية الأربع :-

مقاطعة بوجندا	المقاطعة الشرقية	المقاطعة الغربية	المقاطعة الشمالية	المجموع
٤٦ مدرسة	٣٠	٣٠	٤٦	١٢٥
٣٢	٣٨	٣٠	٣٠	١٣٠
٨ مدارس للمسلمين	٦	٢	٢	١٨

ويتضح من تلك الإحصائية أن البعثات التبشيرية تمتلك ٢٨٢ مدرسة ثانوية، في حين ليس للمسلمين أكثر من ١٨ مدرسة وحصة المسلمين من المدارس لا تتفق مع نسبتهم التي تصل الى الثلث (١) .

إن التخالف بين البعثات أثمر وقدم لها أفضل النتائج ، وبفضل التقدم في المدارس الثانوية للبعثات خلال خمسة عشر سنة أصبحت حكومة شرق أفريقية قادرة على أخذ أول خطوة نحو ترقية المدارس المهنية لحكومة أوغندا في مأكريري ، لتصبح جامعة كلية شرق أفريقية (٢) .

وتعتبر كلية مأكريري من أهم المؤسسات التعليمية في أوغندا ، وهي كلية ذات مستوى

جامعى ، واسمها الرسمي كلية شرق أفريقية الجامعية University College Of East Africa وهي تابعة لجامعة لندن ، ويرجع تأسيسها إلى سنة ١٩٢٢م وتضم طلاباً من كل أنحاء شرق أفريقية، كما أنها لا تفرق بين المذهب الدينى الذى يعينقة الطالب ، ففهم الكاثوليكى والبروتستانتى وغيره ، وكان أول افتتاح لكلية مأكريري مدرسة تجارة ، ثم اتسعت كنواه لكلية الجامعة الأفريقية ، وقد اعترف بها المجلس المشترك للجامعات Inter University Council كلية جامعية (٣) ، وتعتبر المدار الصناعية التى أنشئت فى سنة ١٩٢١م أساس كلية مأكريري ، إذ رعان ماتيين أن هذا النوع من

(١) سيد عيد المجيد بكر : مرجع سابق ، ص ١٣٦

(٢) Oliver , R , : The Missionary Factor , P.288 .

(٣) ailey : An African Survey ,London 1957 , P. 181 .

العليم لايمس إلاّ ناحية واحدة من احتياجات التعليم فى البلاد ، وعلى ذلك اتّسع مجال الدراسة سنة ١٩٢٢م وفى أول أغسطس من تلك السنة تغير اسم تلك المدرسة الى كلية ماكريرى .

كانت كلية ماكريرى خاضعة لجامعة لندن ، فهى التى كانت تضع لها برامجها ، وتعيّن هيئة التدريس فيها التدريس الذين يلقنون التلاميذ التعاليم المسيحية ، وقد بلغ الطلبة فى السنة التالية لتأسيسها نحو ١٤٠ طالباً ، كان منهم ٧٣ بروتستانتياً ، ٦٥ كاثوليكياً ، واثان فقط من المسلمين ، وتمّ تأليف رابطة لكلية ماكريرى تحت اسم : جمعية اتحاد كلية ماكريرى Makerere College Union Society تعمل على استمرار اتّصال الخريجين بالكلية ، ولبتّ الولاء نحو تلك الأم الروحية ويبلغ عدد أعضاء هذه الرابطة حوالى ١٠٠ عضو (١) .

وحصلت بعثة الكنيسة التنصيرية وبعثه الآباء البيض على مساعدات مالية من الحكومة البريطانية ، لمساعدتهما فى تقديم التعليم العالى ، وتسهيلات كبيرة لمقابلة الطلب المتزايد على التعليم ، فمثلاً قدّمت الحكومة البريطانية معونة قدرها ٣٥٠٠ جنيه إسترليني (حوالى ٩٥٠٠٠ شلن) وذلك لمساعدة بعثة الكنيسة لمواجهة مصاريف بناء مدرسة ، كذلك قدّمت منحة سنوية حوالى ١٠٠ جنيه إسترليني للمدرسة ، وذلك لمساعدتها فى إعطاء منحة تعليمية للطلاب الممتازين ، وأيضاً قدّمت الحكومة منحة ٤٠٠ جنيه إسترليني للطلاب الذين لا يستطيعون دفع المصاريف ، كذلك طلبت بعثة الكنيسة منحة إضافية حوالى ٢٠٠ جنيه إسترليني ، لتطور المدرسة اليومية

(١) Mukherjee , R , : The Problem of Uganda, Berlin 1956, P. 32

للبنات في اجنجا Iganga (١) وكان لدى بعثة الكنيسة مدرسة فنية في Iganga تم انشاؤها في عام ١٩١٠ لتدريب الأولاد الأيتام الذين فقدوا ذويهم بعد المجاعة ، وأيضا بعثة الآباء كان لديها فصل فني صناعي في كل من محطاتها الأربعة ، ويبين الجدول التالي نمو المدارس بين عام ١٩٠٠ - ١٩١٤م حيث أصبح عدد الطلبة في مدارس بعثة الكنيسة أكثر من الضعف بينما في مدارس بعثة الآباء أكثر من ثلاثة أضعاف ، والجدول كما يلي :-

بعثة الآباء البيض		جمعية الكنيسة للتصوير		
اطفال في المدارس	اتباع البعثة	اطفال في المدارس	اتباع الكنيسة	السنة
أرقام غير معروفة	أرقام غير معروفة	٢٠	٥٧	١٩٠٠
أرقام غير معروفة	أرقام غير معروفة	٣٠	٥٣٨	١٩٠٢
٩٢	٤٠٧	١٠٣٩	٨٠٦	١٩٠٤
٢٠٦	٢٤٠٠	٢٠٣٩	١١٩٨	١٩٠٦
٧٥	أرقام غير معروفة	٧٥٨	١٩٦٧	١٩٠٨
٥٩٩	٣٦٦١	٣٤٥٠	٢٣٩١	١٩١٠
١٩٤٢	٣٤٩٠	٨٠٦٨	٥٣٦٣	١٩١٢
٦٨٥٣	٥١٦٥	٣٧١٠	٢٥٦٤	١٩١٤

والجدول السابق يوضح التطور الذي طرأ على عدد الأفراد من أتباع الكنيسة وأطفال المدارس ، ومما يلفت النظر أن بعثة الآباء البيض الكاثوليك كانت تكثف من نشاطها، بدليل أن عدد الأفراد والأطفال يتجاوز ضعف عدد الأفراد والأطفال في جمعية الكنيسة التصويرية البروتستنتية .

(١) C.M.S. ,File No C3, A 7/0 .

إنَّ السباق مع الإسلام أصبح موضوع مناقشة للمبشرين في أدنبره^(١) باسكتلنده عام ١٩٢٠ م فالإسلام وانتشاره كان يعد أكبر مشاكل المبشرين ، لذلك بدأت بعثة الكنيسة في تنزانيا تشجيع الحكومة على العديد من المعاملات المؤيدة لها ، فهم يريدون العديد من المسيحيين لقبولهم ويتم تدريبهم للإدارة وفي عام ١٩٢١ أقامت بعثة الكنيسة وبعثة برلين وبعثة مورافيانس Moravians نسبة إلى مورافيا في تشيكوسلوفاكيا مدرسة في جبال موروجورو Morogoro للتدريب على التعاليم المسيحية ، وقد تمكنت مدارس البعثة من استلام إعانات الحكومة الاستعمارية^(٢) .

وهناك وثيقة تؤكد أن هناك إعانات مالية كبيرة من الحكومة الاستعمارية لمدارس البعثات التنصيرية ، ومن ذلك منحة لمدرسة جديدة في نيانجورى Nyangori قَدِم لها منحة ٣٠٠ جنية استرليني ، وأيضا قَدِمَت منحة لإتمام بناء الدور الثاني من المدرسة ، إذ انفق عليه ٤٠٠ جنية استرليني^(٣) .

وهذا التعاون اثمر عددا من المدارس والكلّيات الدينية ، وأبعد من ذلك على المستوى القومى ، فإن الجمعيات كان لديها نظامها الموحد ، وكان مقرها أدنبره ، حيث مارست لجنة شرق أفريقية العمل ، ووضع الخطط لتطوير الخدمة المسيحية في شرق أفريقية ، ويوجد أيضا لجنة دولية للأدب المسيحية لأفريقية ، وتخدم في تطور الأدب بما في ذلك الكتب والمكاتب^(٤) .

^(١) A.D. Tom, Tuma, : Op. Cit., PP. 67-69

^(٢) Anderson : Abrief Account of Christianity in Tanzania Uganda 1975,p.8.

^(٣) Kenya Archives , Fileno . ED 1/1212.

^(٤) Conference of Missionary ocietien in Great Britain to Lordlloyd, Secretaryof state for the colonies .

والجدول التالي يوضح مدى اهتمام البعثات بالتعليم ، وذلك في عام ١٩٢٤م^(١).

وهو يبين التطور الكبير الذي شهدته الحركة التعليمية ، التي كانت ترعاها البعثات الدينية :

البعثات	المحطات	المدارس	التلاميذ	المدرسين	هيئة الموظفين
Bethel	١٢	٥٦	٣.١٠	١٠٠	٢٩
Berlin	١٧	١٠٠	٣٧٣٢	١٥٤	٥٢
Moravian	١٥	٧٣	٦١٢٨	١٦٧	٣٢
Leipzig UMCA	١٣	٨١	٨١١٥	١٠٨	٣٣
بعثة الجامعات CMS	١٦	١٧٩	٥٩.٦	١٥٩	٣٢
الكنيسة التنصيرية HGF	٨	١٣٥	٧١٧٥	٧٤	١٥
الروح القدس Benedict WF	٢٣	٦١	١٢٧٦٦	٣٠٠	١١٨
	١٤	١٧٤	١٢٢.٦	٩٩	١٠٧
الآباء البيض	٤٨	٢٤٥	٢٧٧.٩	٤٢٣	١٨١

(١) Carl-Erik Sahlberg : Op. Cit., P. 99

وكل العلوم الدينية يتم تدريسها بواسطة رجال الدين ، أو مدرسين تحت التدريب ، ولكن كانوا بمثابة أدوات كافية لتزويد الأعداد الضخمة من التلاميذ بالمعلومات عن المسيحية ، والاحصائيات التالية توضح مساهمة الكاثوليك^١ في الأنشطة التعليمية في شرق إفريقيا :

نوع التعليم	عدد التلاميذ	عدد المدارس
مدارس ابتدائية	١٦٨٩٢٣	١١١٦
مدارس ثانوية	١٧٩٥٣	١٢٩
كليات تدريب وتعليم	٧١٨	١١
مدارس تجارة للأولاد	٤٩٩	١٢
مهن حرفية وعلوم محلية	١٨٦٢	٣٧

وفي عام ١٩٣٠م كان التلاميذ في مدارس الكاثوليك يكونون ٤٨٪ من مجموع التلاميذ في المدارس المركزية ، و ٦٦,٥٪ من مجموع مدارس البنات الداخلية و ٥٠٪ من مدارس القرى ، وتوضح الأرقام التالية نسبة مساهمة الكاثوليك في برنامج التعليم^٢ بالنسبة للجمعيات البروتستانتية .

(١)Ibid . , P. 34.

(٢)Ibid . P. 135 .

نوع المدارس	مجموع التلاميذ فى المدارس	مجموع التلاميذ فى مدارس البعثات الكاثوليكية	النسبة المئوية
الابتدائية	٤٥٠٦٤٤	٢٨٠٨٥١	%٥٤,٩
المتوسطة	٥٥٥٧٨	٣٠٤٥٨	%٥٣
الثانوى	٦٠٣١	٣٤٠٦	%٩٤,٣
التدريب	١٣٨٦	٢٠١	%١٤,٥
تدريب المدرسين	١٦٩٨	١٢٥٠	%٧٣,٦

ومن هذه الاحصائية نستنتج أن هناك عاملاً هاماً خلف تويج الكاثوليك ، وهو أن الحرب العالمية الأولى لم تؤثر . بدرجة كبيرة على بعثة الكاثوليك فى تنجانيقا ، فبالإضافة إلى أن عمل المبشرين الكاثوليك كان غاية فى الدقة والنظام والانضباط نجد أن بعض البعثات البروتستانتية كانت تتبع ألمانيا ، مما أثر على نشاطها الذى كاد أن يتوقف تماماً بسبب الحرب .

ويلاحظ أن مدارس البعثات التبشيرية أهملت العادات القبلية ، وحاولت إبعاد الإفريقيين عنها ، فى الوقت الذى لم تحاول فهم عقلية الأفريقي أو تعمل على تنمية شخصية تلاميذها عن طريق المواءمة بين البيئة المحلية المواد العملية التى تدرس لهم ، وانحصر اهتمام هذه المدارس فى حشو ذهن التلميذ الأفريقى ببعض المواد النظرية التى لاتتصل ببيئته ، وأظهر مدرسوها احتقاراً واضحاً لعدائ الأفريقيين ، ولذا كانت هذه المدارس هدفاً لثورة القبائل الأفريقية التى اعتبرتها تجسيدا لإدارة المستعمر البريطانى (١) ، يضاف إلى

(١) Jomo Kengatta : Op. Cit., PP. 121-124.

ذلك أم مقدار ماكان يستوعبه معظم التلاميذ الأفريقيين بتلك المدارس كان ضئيلاً، نتيجة عدم انتظامهم فى حضور برامج الدراسة بسبب اضرارهم للتعب لمساعدة آبائهم فى مجتمع المحصول والأعمال المنزلية ، وظلت كينيا بدون إدارة للتعليم حتى عام ١٩٢١ م وفى هذا العام أنشئت أول إدارة للتعليم بالبلاد (١)، وكانت هذه الإدارة تتبع المجلس التنفيذى للمحمية وقتذاك ، وعهد إلى هذه الإدارة بوضع سياسة التعليم وتطويره فى كينيا ، وألحق بها عدد من الأقسام الفنية تكلفت هذه الأقسام الإشراف على تنفيذ سياسة التعليم ، وعملت هذه الإدارة على بناء عدد من المدارس الحكومية بجانب مدارس الإرساليات، ويعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت هذه الإدارة تشرف على مدارس الإرساليات بعد أن علت الشكوى من انخفاض المستوى العلمى بها ، وجعلت هذه المدارس تابعة لها مباشرة من الناحية الفنية ، وقدمت لها إعانات مالية سنوية بلغ حجمها فى عام ١٩٢٣م ٣٠٠ ألف جنيه إسترليني ، وأسهمت الإدارة فى دعم كلية جينز Jeans (٢) ، التى أسستها إحدى سيدات التنصير فى كليتي كينيا وقد جعلت إدارة التعليم تقديم العون المالى لمدارس البعثات مشروطاً بضرورة تلقى مدرس هذه المدارس التدريب اللازم فى مراكز تدريب المدرسين، التى أنشأتها الإدارة خصيصاً لإعداد مدرّسين الابتدائية .

(١) Stanley and Others : The Transformation of East Africa, P. 499.

(٢) أنشئت كلية جينز Jeans فى نهاية العشرينات فى كابتى Kabete على يد سيدة من سيدات التنصير وعرفت الكلمة باسمها ، وكانت الكلية مخصصة أول الأمر لتوجيه وإرشاد المدرسين الوافدين إلى كينيا لتدريب مدرّسين المدارس التنصيرية وقد تولت إدارة التعليم المركزية تطوير هذه الكلية فيما بعد وحولتها إلى مركز لتدريب المشرفين الفنيين على مدارس البعثات التبشيرية ، انظر :

Buell, Op. Cit., PP. 388-389.

والجدول التالى يوضح الزيادة فى المنح والمعونات المالية السنوية بالجنية الاسترليني (١):

السنة	كينيا	أوغندا	تنجانيقا
١٩٢٣م	٣٠,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٢٨,٠٠٠
١٩٢٥م	٤٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠	٣٥,٠٠٠

وكنتيجه لهذا التغيير تمّ التطور فى كلّ مستوىّ تعليمي ، فالمانى تمّ تحسينها وتمّ استقدام أفضل مدرسين ، وصرف مرتبات عالية ، والاشراف المباشر من المنصرين ومفتش الحكومه ساعد المدرسين وساعد فى تسهيل إدارة المدارس ، والكثير من مدارس رجال الدين أصبحت كليات تدريب لمدرسى التعليم الابتدائى.

ويشير الجدول التالى إلى التطور فى التعليم الابتدائى فيما بين عامى ١٩٤٠-١٩٥٠م (٢).

السنة	عدد المدارس الابتدائية	عدد المدرسين	عدد المدرسات	عدد التلاميذ	عدد التلميذات	نسبة عدد التلاميذ لكل مدرس
١٩٤٠م	٢,٥٠٠	٥,٥١٩	٧٠٠	١٨٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠	٤٠
١٩٤٥م	٣,٠٥٠	٦,٩١١	١,٣٠٧	١٧١,٥٨٥	١٠١,٥١٩	٤٥
١٩٥٠م	٣,٥٨٨	٨,١٣٦	٢,٠١٩	٣٣٨,٦٢١	١١٤,٠٦٦	٤٢

(١) Tom, Kigging : Op. Cit., P. 129.

(٢) Unesco statistical Year Book , 1970, P. 178.

وكان عدد المدارس المهنية فى عام ١٩٤٠ ثلاث مدارس ومدة التدريب بمدارس الحرفيين كالحذادين والتجارين أربع سنوات ، ويشير الحصول التالى إلى عدد تلاميذ ومدرسي المدارس المهنية فى كينيا فيما بين عامى ١٩٤٠-١٩٥٥ (١) وتطور عدد المدرسين والدارسين من ذكور وإناث:

السنة	عدد المدرسين	عدد المدرسات	عدد التلاميذ	عدد التلميذات
١٩٤٠م	١٥٩	-	٥٠٠	-
١٩٤٥م	١٠٠	-	٧٦٠	-
١٩٥٠م	١٣٩	-	١,٠٨٣	-
١٩٥٥م	٢٣٤	١	٣,٣٠٧	١٠١

ومن المعلوم أن عدد المعاهد الكنسية دون مستوى الجامعة يصل إلى ١٦,٦٧١ معهد كنسي ، وأنّ عدد الجامعات والكليات التى يديرها المنصرون تصل إلى ٥٠٠ ، وأن عدد رياض الأطفال التى يديرها المنصرون تصل إلى ١١١٣ ، وأن عدد أبناء المسلمين الذين يشرف المبشرون على تعليمهم يفوق ستة ملايين ، وقد وصل مبلغ ماينفق سنويا على المنصرين أكثر من ستمائة مليون دولار (٢)

فإذا علم ذلك فما هو العمل الذى تقوم به لمواجهة هذا الغزو ، وأفريقية قارة مسلمة عمل الاستعمار دائما على إبعادها عن الاسلام ، ولكنها

(١) Dow, G.T.& Smith , : Overseas Economic Survey , British East Africa, P.128.

(٢) " هكذا يعمل المبشرون فى القارة الافريقية " مقال بجريدة اخبار العالم الاسلامى التى تصدرها رابطة العالم الاسلامى العدد رقم ٥٦٤ وتاريخ ١٣٩٨/٥/٢٨ هـ .

دوما تثبت وجودها كقارة مسلمة متمسكة بدينها، ولكن مع هذا فلا بد من الوقوف في وجه كل المؤمرات الصليبية ، وذلك بالسعي والبذل لاقامة مدارس على المستويات الحديثة التي تكفل استيعاب أطفال المسلمين ، الذين اضطروا بحكم الحياة الحديثة في مظاهرها أن يتهافتوا على المدارس التنصيرية ، التي هيأت لهم وسائل الدراسات ، وعلى مختلف مستوياتها في حين لا توجد من المدارس الإسلامية الكفيلة بتقديم تلك الخدمات مدرسة واحدة، مما دفع بأبناء الملمين إلى الدخول في المدارس المسيحية ، فكانت النتائج سيئة في كثير من الأوقات ، بل كانت ردود الفعل من هؤلاء تتكرراً للاسلام ، لا عن بغض فهو دينهم الذي يؤمنون به وإنما عن جهل ، فقد نموا في مقاعد تلك المدار التي احتضنتهم فعلمتهم كل شئ إلا الاسلام (١) ، لذلك قامت جمعية شبان المسلمين ببناء بيت للأطفال المسلمين في غاريا (شمال شرق نيروبي) الذي يعتبر أكبر وأول مشروع لجمعية شبان المسلمين في كينيا ، والهدف الرئيسي للبيت هو توفير التعليم والمسكن المجانيين لأولاد المسلمين من اليتامى والمعوزين والمحتاجين ، ويضم البيت مباني خُطّطت بشكل جيد ، تتألف من ثلاثة مهاجع للطلاب تتسع لأرة كثيرة ، وقاعة للطعام ومطبخ ، وماكن لهيئة التدريس ومسجد ، كما يملك البيت وحدة خاة به لمعالجة الماء وتنقيته ، وحقل يمتد على مساحة ٨٠ فدان ، وحتى ديسمبر ١٩٨٠م ضم البيت ما مجموعه ٣١٢٠ طفل ، وفي إطار هذه البنية تلعب

(١) محمد أحمد مشهور الحداد : حقائق تاريخية عن العرب والاسلام في أفريقيا الشرقية ، الطبعة الاولى

١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م ، ص ١٨٧ .

وأيضاً نفس المؤلف : أفريقية بين التوحيدية والتبشير ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م ، ص ٦٧ .

التربية الإسلامية دوراً هاماً في تربية هؤلاء الطلاب على التعاليم الإسلامية ليكونوا مسلمين صالحين يؤدون شعائر الله (١) .

إن المدارس هي حجر الزاوية في عملية نقل التربية الإسلامية للشبان، وخلال عام ١٩٨٠م لعبت جمعية الشبان المسلمين دوراً مفيداً في تقديم الماعدة وذلك بدفع رواتب ٤٠ مدرسا من القائمين على تقديم التربية الإسلامية لحوالي ٨٠٠ طفل في جميع انحاء كينيا ، وبموجب نفس البرنامج ، وحيثما أمكن فعل ذلك تقوم الجمعية بتقديم المساعدة لبناء المساجد والمدارس الجديدة . (٢)

ومن المدارس الإسلامية في كينيا :-

(١) مدرسة الفلاح الإسلامية في ممباسا : إذ أعدت هذه المدرسة كثيراً من الطلبة للمرحلة المتوسطة والتحق طلابها بالجامعات وتخرجوا الآن حيث يحملون مدرسين في البلاد .

(٢) مدررة النجاح الإسلامية في غاريسا : ولقد استمرت هذه المدرسة في التطور حتى أخذت مكانتها بين المدارس النشطة التي تُعدُّ الطلبة للمرحلة الثانوية وبدأ القائمون عليها في تطويرها في مجال التوسيع في المباني وفي مجال التدريس وأصبحت اليوم جاهزة لتخريج فوج كبير في المرحلة الثانوية العامة .

(٣) معهد كساوئي الإسلامي : هذا المعهد افتتح أخيراً لقبول طلبة المرحلة الثانوية ، وقد مجح في ذلك حيث أعد كثير من الطلبة الذين التحقوا

(١) ملخص بالأنشطة التي قامت بها جمعية شبان المسلمين ، اعداد رئيس الجمعية محمد أكرم بهتي ، ١ .

(٢) نفس الملخص السابق ، ص ٦ .

بالجامعات في المملكة العربية السعودية ، وهو الأول من نوعه على هذا المستوى في المنطقة ، وقد تخرج منه أفواج من الطلبة يقومون بالتدري في المدارس الإسلامية في المنطقة .

(٤) مدرسة دار العلوم في لكوني بممباسا : وقد تأسست هذه أول الامر في عمارة ذات طابق يحتوي على عشرة فصول قامت ببنائها جمعية تعليم القرآن الكريم ، ثم تطورت حتى صار يؤمها طلاب العلم من أنحاء مختلفة ، خاصة وهي تضمك قسما لتحفيظ القرآن والقسم الداخلي للأيتام .

(٥) دار الأيتام في غاريسا : وقد تأسست هذه الدار أيام محنة المجاعة التي ضربت المنطقة ، اذ بدأ المسلمين يختطفون أبناء المسلمين اليتامى باسم الاغاثة لتتصيرهم في النهاية ، وكان تأسيسها للحيلة دون حدوث ذلك ، وفي بادئ الأمر جمع حوالي ١٥٠ يتيم لحمايتهم وتعليمهم حيث يتعلم التلميذ فيها العلوم الدينية والعصرية وأوت كثيرا من اليتامي وأبناء الفقراء وجعلتهم رجالا يعتمدون على الله ثم على أنفسهم حينما يبلغون سن الرشد (١) .

ويتم لقاء المحاضرات بصورة منتظمة في مدارس كثيرة مثل مدرسة الاتحاد للأولاد ، ومدرسة كيبتي الفنية ، ومدرسة نيروبي ، وذلك بفضل الأستاذ مالك من الجمعية الإسلامية ، والسيد عثمان وانجرا ضابط شئون الشباب في جمعية شبان المسلمين ، وان مثل هذه المحاضرات تقدم في مدن

(١) تقرير عن مشاكل الدعوة وماواجهه المسلمون في منطقة كينيا وخاصة في المناطق النائية ، إعداد الشيخ علي حافظ: ابراهيم مدير إدارة الافتاء والدعوة والإرشاد في سفارة المملكة في نيروى ، التقرير رقم ت / ٨٧/٩٥ / وتاريخ ١٤٠٠/٨/٥ هـ ، ص ٤ .

أخرى مثل ممباسا ، وناكورد وكيسومو ، ومن أجل تشجيع الشباب على الاعتماد حبل الله فقد قامت الجمعية بتشجيع الطلاب على تشكيل جمعيات طلابية إسلامية في مدارسهم وكلماتهم ، وعبر السنوات الماضية اثبت هذا البرنامج نجاحا منقطع النظير ، وهناك مايزيد على ٢٠٠ جمعية طلابية تقوم جمعية شبان المسلمين بالاتصال بها باستمرار وترسل إليها المطبوعات الإسلامية (١).

وفي أثناء جولتي داخل الغابات والأحراش في شرق أفريقية وبالذات في كينيا وفي حيّ مجنفو مطوابي على بعد ٤٨ كم من ممباسا زرت مدرسة (٢) صغيرة لجمعية مسلمي كينيا مكونة من كوخ كبير من الصفيح مقسم إلى أجزاء وبها حوالي ٥٠ طالب ويدير المدرسة المعلم على عبود عد الله النوفلي من ميروبي بماليندي ، وأخبرني بوجود الكثير من المنصرين وقد عملوا كنائس وبنوا مدرسة لتعليم الفتيات (٣) الخياطة ، إذ تتكون من فصلين وكل فصل يضم ثمان آلات خياطة ، وأيضا في المدرسة فل روضة للأطفال وقاعة للإجتماع وقد تم بناء هذه المدرسة عام ١٩٤٨م ، وبجانب المدرسة توجد كنيسة بنيت في نفس المدة ، والذي أسس المدرسة والكنيسة رجل إنجليزى وذلك بتمويل من الحكومة الانجليزية ، وأثناء مقابلتى لمديرة المدرسة "وانياما" أخبرتنى : " أن الانجليز ساعدونا في تمويل المدرسة بـ ٤٧ ألف شلن ، وأيضا ساعدونا في جلب الماء الى المنطقة وإنهم يأتون إليهم

(١) ملخص بالانشطة التي قامت بها جمعية شبان المسلمين ، لعداد رئيس الجمعية محمد أكرم بهتي ، ص ٤.

(٢) تمت المقابلة والجولة أثناء الرحلة العلمية الى شرق افريقية وبالذات في كينيا في الطريق بين ممباسا - ماليندي وذلك في يوم الجمعة الموافق السابع من محرم لعام ١٤٠٩هـ .

(٣) انظر صورة رقم (١)

بكثرة ويوجهونهم بتعليماتهم فى التربية والتعليم ، ويوجهونهم لتعليم الأطفال الذين المسيحي بشكل كبير " (١).

وفى منزل الشيخ علوى محمد اقيقه التقيت بالشيخ عباس محمود بن الياس من مواليد تكونغ بالقرب من ماليندى عام ١٩١٠م ، إذ أخبرنى أنه كان لا يوجد أي مدرسة هنا ، وكان هناك فقط تعليم القرآن (٢) ويعتبر أول مدرس لتعليم القرآن فى هذا الحى هو المعلم حميد بن أمان ، وعندما جاء الإنجليز حاولوا مرتين أن يفتحوا مدرسة فلم ينجحوا ، وعملوا على تقرير الطلاب فلم ينجحوا ، وحاولوا تشجيعهم وذلك بأعطائهم بعض الملابس والصابون لدخول المدارس الانجليزية ، ولم يرض الناس بسبب أن المدرسين كانوا مسيحيين ، ورفض الناس أن يرسلوا أبناءهم بسبب قوة إيمانهم ، والمكيدة التى درها الإنجليز بعد ذلك هي أنهم تظاهروا بعدم معارضتهم تدريس الدين الاسلامي فى المدرسة ، وعرضوا مكانا فسيحا حيث يتولى المعلم تدريس القرآن وعلومه الدينية فى المدارس الحكومية فى مقابل مرتب شهري على أن يلحق به معلمون آخرون من ممباسا وجاءوا بمعلم كان يدرس فى المدار الحكومية ، وبهذا نجحوا فى تنفيذ الفكرة واستغلال الناس (٣) ولقد واجهت السياسة المباشرة فى استخدام التعليم كوسيلة مباشرة للتصير صعوبات عدة يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

(١) انظر صورة رقم (٢)

(٢) انظر صورة رقم (٣)

(٣) تمت المقابلة مع الشيخ علوى باقيقه اثناء الرحلة العلمية التى قمت بها لمناطق شرق أفريقية ، و تمت

هذه المقابلة فى يوم الجمعة السابع من محرم لعام ١٤٠٩ هـ .

أولاً : أن أولياء أمور التلاميذ الذين يرسلون أبناءهم إلى المدارس التبشيرية قد فوجئوا بأن أطفالهم يتعلمون الديانة المسيحية بشكل أساسي ، بينما كان عرضهم الأساسي من الالتحاق هذه المدارس هو تعليم العلوم الحديثة ، في الوقت الذي لم تكن هذه تعلم في المدارس التقليدية أو الكتاتيب .

ثانياً : من مشاكل التعليم التبشيري عدم اهتمامه بمستقبل تلاميذ المدارس التبشيرية ، وكانت خطة المبشرين في ميدان التعليم إعداد مدرسين وقادة للكنية المحلية من المواطنين ، ولكن مؤسسات الإرسالية المحدودة لم تكن تستطيع استيعاب سوى عدد قليل من هؤلاء الذين تخرجهم مدارسها إذ إن بعضهم بقي بدون عمل.

ثالثاً : أن ماحققة التعليم الحديث من تقدم في جميع أنحاء العالم جعل التعليم التبشيري يبدو عديم الجدوى بالطريقة أو المفهوم الذي كان يطبق به ، ولقد أكد جون موت Jhon Mott على أن التعليم الغربي " التنصيري " لابد أن يسعى ليلعب دوراً أوضح في توجيه الزراعة والتجارة والصحة ، وهذا التعليم يواجه أزمة في البلدان الإسلامية إذا لم يواكب تطورها ، وهو يحتاج ويستحق الاهتمام والتفهم والدعم من الوطن . (١)

إن الأفريقيين الذين تلقوا العلم الغربي على يد المنصرين أصبحوا هم أنفسهم كارهين للتصير ولله التي يريد المنصرون أن ينشلوها ، ففي كل مكان وصل إليه الوعي الوطني ظهر الكره الشديد ، حتى قال أحد المنصرين " إننا لانستطيع أن نخفي عن أنفسنا ولاعن غيرنا أن نقرأ كثيراً يمثلون

(١) Paul Monrce : The Moslem word of To-day, London 1925, P. 195.

الجماعات الأفريقية أظهروا امتعاضاً شديداً من التبشير ، وأخبرونا أن الصلّة بين الكنائس والتبشير وبين التعليم يجب أن تنتهى بسرعة (١) .

وأخيراً أحب أن أشير هنا إلى ما يواجهه المسلمون اليوم من أخطار تتعلق بالموجات الإلحادية والتبشيرية الهادفة إلى بلبلة أفكار المسلمين الأفارقة وتهيئة المناخ المضادّ لهم حتى يتحللوا من مقومات دينهم وأصالة مبادئه ، وثقافته العظيمة من مؤامرات وتحركات تقوم بها الهيئات التبشيرية التي تلاقي الدعم الماديّ الهائل ، والاستعداد الكامل ، إلى جانب التنازلات الكثيرة التي رضيت عنها الكنيسة الغربية في بيل تبشير أكبر عدد ممكن من أطفال المسلمين بإنشاء المدارس والملاجئ مما أصبح يشكل خطراً كبيراً يستدعى انتباه نظر المسلمين إلى هذه الآلام الجديدة في تاريخهم الحديث .

(١) سيد احمد يحيى : مرجع سابق ، ص ٥٩ .

الفصل الرابع

دور الإستعمار فى دعم العمل التنصيرى

أ - السياسة البريطانية .

ب - السياسة الألمانية .

(أ) السياسة البريطانية :

لم يكد القرن السادس عشر الميلادى يشرف على الزوال حتى أخذ الإنجليز فى الظهور كقوة بحرية ، وتطلعوا هم بدورهم إلى الشرق يأملون أن يفوزوا بنيب من ثرواته، وأن ينشئوا على تربته إمبراطوريتهم ^(١).

وأيقن الإنجليز أنه ليست هناك وسيلة للوصول إلى ثروة الشرق غلاً بمزاحمة البرتغاليين مباشرة فى الأسواق الشرقية ، ولذا بدأت السفن الإنجليزية تأخذ الطريق البحرى الطويل حول أفريقيا ، ففي عام ١٥٨ م دارت أول سفينة بريطانية حول رأس الرجاء الالح ، وفى عام ٥٩١ م أرسل القبطان جيمس لنكستر James Lancater بثلاث سفن شراعية ، وقد ألفت سفن لنكستر مراكبها فى عدة موانئ منم احل أفريقيا الشرقى ، وظلت هذه السفن راسية فى جزيرة زنجبار وحدها مدة ثلاثة شهور ، وعاد لنكستر إلى إنجلترا عام ١٥٩٤ م ^(٢)

بدأت الأم الصناعية فى أوروبا تتطلع إلى المستعمرات كمصادر للمواد الخام وأسواق لتصريف البضائع ، بعد أن تجمعت لدى هذه الأمم رؤوس أموال كبيرة تتطلب الاستثمار فى ميادين جديدة ، وسبق تكتل رؤوس الأموال وتدفعها إلى خارج أوروبا قيام الثورة الصناعية التى بدأت بين عامي ١٧٦٠ م - ١٧٧٠ م بميلاد صناعة المنسوجات القطنية والصوفية ، برؤوس أموال لاتقارن بمثيلاتها اليوم ، وتكدست رؤوس الأموال بالتدرج ، وفى بريطانيا على وجه الخصوص ، نتيجة انفرادها تقريبا بتدوير المنتجات الصناعية ، وأصبح من الطبيعى أن تتطور وسائل الإنتاج واستثمار الأموال

(١)Holling Sorth , L., : Op . Cit., P. L.

(٢)Coupland , R., : East Africa and Its invaders, P. 52.

تطورا أساسيا ، وأندمجت الشركات الصغيرة التي عاشت في القرن الثامن عشر الميلادي في اتّحادات تجارية كبرى حتى توائم العهد الصناعي الجديد^(١).

والاستعمار الذي صاحب نشأة الدول الصناعية الكبرى وكان عاملا أساسيا في اتّساعها لايقوم فحسب على الحملات العسكرية او الحروب ، بل هو ظاهرة سينة من ظواهر التطور السياسي والاقتصادي لاوربا ، وقد قامت حضارتها المادية ورفاهية أبنائها على أساس الانقلاب الصناعي واستخدام الآلات في أوسع نطاق ، وانتاج شركاتها الضخمة وحدات للمصنوعات التي تبلغ الملايين فضلا عن سلع الرفاهية والترف وإقامة المصارف وفروعها ، وتوظيف الأموال فيما وراء البحار ، وإنشاء شركات التأمين والملاحة البحرية والجشع الشديد للحصول على المواد الأولية بأسعار تهبط إلى الحضيض ، وفتح الأسواق وتشغيل اليد العاملة من أبناء الشعوب المحتلة بما يكاد يمسك الزمق ، والاستيلاء على مسالك البر والبحر، واحتلال المراكز الاستراتيجية الهامة^(٢).

وبعد نهاية حروب نابليون في بداية القرن التاسع عشر ، كان هناك تطور ضناعي هائل ونمو لمبادئ التحرر في أوروبا ، والتوسع في المستعمرات في الخارج ، وبلغ تأثير التبشير والمبشرين القمة ، وأول أهدافهم لذلك كان وقف تجارة الرقيق ، وتحويل اعداد ضخمة في قارة في آسيا وشرق أفريقية إلى المسيحية^(٣)، وتركز الاهتمام الأساسي للسياسة الإنجليزية في

(١) عبد الغنى عبد الله خلف الله : مرجع سابق ، ص ١٧ .

(٢) أحمد سويلم العمرى : الأفريقيون والعرب ، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٧م ، ص ٤ .

(٣) Merrick Posnansky, Valerie vovles & C.M. Sekintu : Op. Cit., P.1.

شرق أفريقية في التحكم في تجارة الرقيق ، بينما كان السلطان ماجد في الوقت نفسه مهتما في تلك المدة ببناء سلطة قوية على المدن الساحلية ، ومحاولة فرض نفوذ دبلوماسي عن طريق سلطته ، وفي أوائل عام ١٨٢٢م كان السلطان سيد سعيد بنوى العزم على تحجيم التجارة في الربع الشمالى الغربى من المحيط الهندى، ثم تقلصت هذه المساحة تدريجياً حتى باتت تقتصر على استبعاد كل التجارة خارج حدود ممتلكات السلطان في شرق أفريقية ، ولكن من الممكن الاستنتاج بشئ من الدقة أن تجارة الرقيق في شرق أفريقية في تلك المدة كانت تجذب اهتمام المسؤولين البريطانيين إليها للوصول ، واحتلال مناطق شرق أفريقية (١).

فكانت محاولات بريطانيا للقضاء على تجارة الرقيق في أملاك سيد سعيد هي الذريعة للتدخل في شئون زنجبار ، وقد تعللت بريطانيا في طلب الغاء هذه التجارة بأن الرق مناف للتعاليم المسيحية ، وكانت الوسيلة التي اتبعتها بريطانيا للوصول إلى هذا الهدف هي عقد المعاهدات مع حكومات الدول التي يعتذر منها الرقيق ، فعقدت معاهدات مع شيوخ شرق أفريقية في سنة ١٨٥٦م ، وإلى جانب عقد المعاهدات مع الدول المستوردة للرقيق ، قامت بريطانيا كذلك بعقد معاهدات لتحديد تلك التجارة مع الدول المصدرة ، ولتحقيق هذا الهدف كان من الضروري أن تحت بريطانيا سيد سعيد على القضاء على هذه التجارة في أملاكه الأفريقية ، لأن المورد الرئيسي لتصدير الرقيق كان في وسط أفريقية ، غير أن إلغاء هذه التجارة كان يعنى بالنسبة

(١) Oliver , R: The Missionary Factor in East Africa, P. 3

إلى السلطان سيد سعيد حرمانه من مصدر هام لغرض الرسوم الجمركية ،
وحرمان سلطنته من القدر الأكبر من دخلها (١) .

وكانت إنجلترا تنظر بقلق شديد إلى اتجاه أي دولة استعمارية أخرى
لمد نفوذها في تلك الجهات من شرق أفريقية ، وترغم حملة الضغط على
الحكومة البريطانية لتمد نفوذها لمنطقة البحيرات الاستوائية عددًا من
الاستعماريين الإنجليز ، من أمثال سير هاري جونستون Johnston ، ووليم
ماكينون Mackinnon ، ويسيبل رودس Cecil Rhodes الذين نادوا بفكرة
ربط الممتلكات البريطانية كلها الممتدة من جنوب القارة حتى شمالها ، فقد
كتب جونستون يقول : إنَّ ممتلكاتنا في جنوب أفريقية يجب أن تربط بمناطق
نفوذنا في شرق أفريقية بواسطة مجموعة من المستعمرات البريطانية (٢) .

ولقد تغير موقف بريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،
وذلك بسبب ظهور دول أوروبية أخرى تريد مدَّ نفوذها لملء الفراغ في شرق
أفريقية ، وبسبب التحقق من أن الرقَّ قد تقلَّص في غرب أفريقية ومازال
موجودا في شرقها (٣) .

وأخذ النفوذ البريطاني يتغلغل في مناطق شرق أفريقية ، وخاصة في
زنجبار منذ أن عقدت بين الحكومتين في عام ١٨٤٠م معاهدة كان من أهم
نصوصها أن يعمل السلطان سيد سعيد على اتِّخاذ إجراءات أكثر حزماً ضد
تجار الرقيق ، وأُعطيَت السفنُ البريطانية الحق في تفتيش المراكب في

(١) سعد زغلول عبد ربه : الاستعمار البريطاني في كينيا " رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة
الاسكندرية ١٩٦٦م ، ص ٧٧ .

(٢) Johnston , H. , : Britain Across the Seas London 1910, P. 482.

(٣) Neill , Stephen : Colonialism and Christian Missions, New York 1966, PP.
305-306.

الموائى التابعة للسلطان للتأكد من خلوها من الرقيق (١) ، هذا بالإضافة إلى جهود التمثيل السياسى البريطانى الذى أنشئ فى بلاط السلطان منذ ١٨٤٠م بعد أن نجحت الوعود البريطانية والتهديدات للضغط على السلطان للوقوف فى وجه التوسع المصرى فى شرق أفريقية ، اذ عين الكاتبين همرتون Hamerrton ممثلاً لانتجلترا لدى السلطان سيد سعيد فى عام ١٨٤٤م ، ولما اتخذ السلطان عيد زنجبار مقراً لحكمه ، أمر همرتون بأن يقيم هناك ، وظل همرتون اليد المحركة للسلطان سعيد (٢)

وكانت لانتجلترا مكانة خاصة لدى سلطان زنجبار لأسباب منها :

- (١) كانت بريطانيا تسيطر على الهند مما جعلها تهتم بالخليج العربى ومسقط ، وفى عام ١٨٣٠م أرسلت حكومة الهند حملة لهذه الجهات للتعاون مع السيد سعيد فى معاقبة القراصنة الذين يهددون التجارة فى البحار المجاورة للسلطنة ، وتشير إلى أن أهمية زنجبار فى نظر الإنجليز تضاعفت بعد فتح قناة السويس للملاحة عام ١٨٦٩ ، فأصبحت الحاجة ماسة لمحطات تخدم الملاحة على طول الطريق القصير للهند عبر قناة السويس والبحر الأحمر الذى ترتب على فتحه زيادة أهمية البحار والمحيطات المؤدية إليه .
- (٢) كانت أغلب التجارة الخارجية فى زنجبار بأيدى رعايا هنود ، ولذا كانت العلاقات بين الهند وزنجبار قوية .

(١) Grey , John : Hitory of Zanziber From the middle Age to 1856, London 1962, PP. 24-241.

(٢) Coupland, B., : The Exploitation of East Africa " 1856-1890" , Ne York 1947, P. 298.

٣) حدث أن عين الدكتور جون كيرك John Kirk قنلاً عاماً لبريطانيا في زنجبار ، وقد استطاع هذا الرجل بدهائه وسياسته وأساليبه الخاصة أن يصبح القوة المحركة للسلطان ، أو كما يقول البعض ، كان يلعب دور رئيس وزراء السلطان لكن بصفة غير رسمية (١) .

لذلك حاولت بريطانيا إدخال شرق أفريقية ضمن مناطق نفوذها ، بهدف تجنب وقوعه في يد دولة أخرى ، وتأمين سيطرتها البحرية على المحيط الهندي ، وحماية مواصلاتها مع الهند ، وحماية المصالح التجارية لرعاياها الهنود في شرق أفريقية الذين كانوا يسيطرون على معظم تجارة زنجبار ، وقد كان انتصار بريطانيا على فرنسا في حروب نابليون فرة هيات لها إحراز هذه السيطرة ، ودعمت نفوذها في منطقة الخليج العربي ومسقط (٢) .

وقد سعى السيد سعيد للاستفادة من مركز بريطانيا الممتاز فوطد صداقته معها ، إذ كان في وسعها أن تحمي أملاكه ضد أي هجوم يقع عليها وأن تعاونه في القضاء على الانقلابات الداخلية ، ووجدت هذه الفكرة صداها لدى بريطانيا ، لأن من مصالحها أن تجد خليفة قوياً مثل السيد سعيد ليعاونها في القضاء على القراصنة الذين كانوا لايتورعون عن مهاجمة السفن البريطانية في الخليج العربي وبحر العرب (٣) .

(١) Marsh, Z.A., and Kingsnorth G., Am. Introd uction to the History of East Africa , London 1961, P. 154.

(٢) Coupland , R., : East Africa and Its Invaders, P. 459.

(٣) Ihid., PP. 468-470

إن سيطرة السيد سعيد على ممتلكاته فى شرق أفريقية لم تكن سيطرة حاسمة ، ولاشك أن ذلك هو الذى شجّع الدول الاستعمارية لكي تنفذ من خلال تلك الإمبراطورية الواهبة ، ونستطيع أن نؤكد ضعف سيطرة السيد سعيد على ممتلكاته إذا ما رجعنا إلى التقارير التى كان يكتبها هامرتون القنصل البريطانى فى زنجبار إلى حكومته ، وقد ذكر فى أحد هذه التقارير أن سيطرة السيد سعيد على ممتلكاته ضعيفة للغاية ، ولم يكن للسلطان أكثر من سيطرة اسميه على الشاطئ ، فهو وإن كان يمتلك بعض النفوذ على الساحل فى بعض المناطق ، فإنه فى مناطق أخرى لم تكن له تلك السلطة وبالأخص فيما وراء نهر جوبا (١) .

وقد تزايد النفوذ البريطانى فى الشرق الأفريقى بشكل ملحوظ عقب تأسيس القنصلية البريطانية ، ويعلق لاين Lyne على ذلك بقوله : " إن وجود قنصل بريطانى فى زنجبار جعل القضاء مأمونا ، مما شجع عددا كبيرا من الهنود على الوفود إلى زنجبار من أجل التجارة " (٢) وكانت تنتم عن طريق هامرتون جميع المراسلات بين الحكومة البريطانية والسلطان ، ومما هو جدير بالذكر أن هامرتون كان يقوم بوظيفة مزدوجة ، مما كان يضيف على مركزه جانبا كبيرا من الخطورة ، فلم يكن يحدث دائما أن تتفق السياسة التى تسنها حكومة الهند مع التعليمات التى كانت تصدرها الحكومة البريطانية ، فبينما كانت حكومة بريطانيا لايعنيها من أمر زنجبار إلا ما يختص بتجارة الرقيق ، كانت للهند تجارة مباشرة مع زنجبار (٣) .

(١) Coupland : East Africa and It's Invaders, P. 342 .

(٢) Lync , Robert Nunez : Zanzibar in Contemporary Times, P. 34.

(٣) Younghus band, Ethel : Glimpses of East Africa and Zanzibar , London 1908,P. 238

وكان قد تغلغل الرق في الشرق الأفريقي ، وصار يمارس طوال عدة قرون من الزمان ، ولم يستنكر الناس تلك التجارة ، إذ إنَّ الرق كانت تُقره التقاليد الشرقية ، وقد مارس الأوروبيون أيضا تلك التجارة بطريقة أعنف ، واستمرت تجارة الرقيق الأوروبية عدة قرون لغت ذروتها بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلادي ، على أنه لم يلبث أن استيقظت الجمعيات والهيئات التنصيرية وخاصة في لندن ، وكان ذلك في القرن التاسع عشر ، فبدأ قناصل لحكومة البريطانية وهيئاتها البرلمانية يبذلون قصارى جهدهم لمكافحة تلك التجارة ، ولم تلبث أن ظهرت جمعيات إلغاء الرق التي أثارت الرأي العام الأوروبي ودفعت الحكومة البريطانية إلى ضرورة العمل على استعمار أفريقية (١).

إنَّ الجهود التي قامت بها بريطانيا لإلغاء تلك التجارة قد سببت لها الكثير من السطوة والنفوذ في المناطق التي كانت تعمل فيها ، فليس من شك في أن تدعيم النفوذ البريطاني في شرق أفريقية إنما يرجع إلى عاملين رئيسيين هما : مكافحة القرصنة ، ومحاربة تجارة الرقيق ، ويلاحظ أن الحكومة البريطانية بدأت تهتم بموضوع تجارة الرقيق منذ القرن التاسع عشر ، وقد أصدرت من أجل ذلك مجموعة من التشريعات والمراسيم البرلمانية كانت تهدف إلى الحد من تجارة الرقيق (٢) ، وأصدر اللورد مانسفيلد Mansfield قاضي محكمة إنجلترا العليا حكماً قضائياً يقضي بتحرير كل العبيد الذين يعيشون في إنجلترا ، وبعد ذلك بدأ التدخل في شرق أفريقية وكان على المؤيدين لإلغاء تجارة الرقيق أن يخوضوا حرباً طويلة الأمد ضدَّ

(١) Coupland : East Africa and It Invaders, P. 137

(٢) Wilson: The Persion Gulg : An Hitorical Sketch From The Earliest Times to the Beginning the 20th, Century , Second Impreion 1954, P. 216.

المعارضين لسياسة إلغاء الرقيق ، وكان قد أصدر مجلس العموم البريطانى مرسوماً يقضى بأنه يعد شهر يناير من عام ١٨٤٠م ينتهى التعامل فى تجارة الرقيق ، سواء فى داخل افريقية أم فى نقل العبيد منها إلى أي مكان آخر ، وقد خصت قطعة من الأرض كي تنشأ عليها مستعمرة تكون بمثابة مستوطنة للعبيد الأفريقيين المحررين (١) إذ أسست بعثة الكنيسة التنصيرية مدينة فريرى تاون Preretown وذلك بعد سنة من إلغاء تجارة الرقيق فى شرق أفريقية ، وأول المقيمين فى فريرى تالون هم الذين تم إعادتهم لوطنهم من الهند ، والغالبية حضرت من بومباى ، حيث أكثر من ١٥٠ رجعوا من بومباى للإقامة فى فريرى تاون ، وفى عام ١٨٤٥م حرر البريطانيون الذين كانت سفنهم البحرية فى دورية فى المحيط الهندي عدداً من الرقيق تم القبض عليهم من القوارب الشراعية للعرب ، ثم أصبحوا ملكاً للبريطانيين بعد أن غدت تجارة الرقيق غير قانونية ، وقامت الحكومة البريطانية بتوزيعهم عشوائياً ووضعهم تحت عناية البعثات التنصيرية (٢).

وأرسلت لجنة جمعية الكنيسة مذكرة إلى وزير الداخلية للهند وذلك لحثه بموجب الصداقة السياسية مع غنجلترا للضغط لتكوين لجنة خاة ، ثم تكوينها للعمل على استقرار الرقيق، وقد انضم هوتشنسون Hutchinson إلى اللجنة الخاصة المختارة كمندوب عن جمعية بعثة الكنيسة للتنصير الذى قرر أن جمعيته مستعدة للمساعدة فى هذا الموضوع ، وفى طريق للعودة قابل البابا

(١) Josephined Kamm : Op. Cit., P. 85

(٢) Eugene stock : History of the Church Missionary Society, Vol II, P. 431.

بيوس التاسع Pius IX وأخطره بأن الحكومة الإنجليزية تنتظر بعين الاعتبار والاحترام للبعثة الكاثوليكية في شرق أفريقية (١) .

وفي ٧ مايو ١٨٥٠م كتب برايس Price للحكومة البريطانية مايلي :
" أول وأهم خطوة تم اتخاذها نحو خلق مستعمرة للعبيد الأفارقة المحررين بالقرب من ممباسا هو شراء أرض ، ولقد تم توقيع العقود بفتي الممثل للبعثة الكنيسة ، وبالطبع فالعمل الضخم هذا ينته ، من أجل ذلك فنحن فوق كل شيء نحتاج إلى المساعدات ، لأن هذا يفتح عصرا جديدا في بعثة شرق أفريقية (٢)
" لذلك حصلت حكومة لورد بلمرستون الأولى على موافقة مجلس العموم عام ١٨٥٥م على تخصيص مبلغ خمسة آلاف جنيه لتمويل وتجهيز حملة بقيادة ليفنجستون ، ولما كان ليفنجستون عضوا في جمعية لندن التبشيرية فقد عين في فبراير ١٨٥٦م في منصب قتل بريطانيا ، في ساحل أفريقية الشرقي .

وفي ١٠ مارس ابحر ليفنجستون من ليفربول على ظهر السفينة بيرل Pearl إحدى قطع الأسطول البريطاني ، ووصل إلى مب الزمبيزي في ١٤ يوليو ، وكانت حملة الزمبيزي تضم عدا قائدها ستة من المساعدين من بينهم الدكتور جون كيرك بوصفه طبيبا وعالما ، وشقيق ليفنجستون المدعو تشارلز وحاول ليفنجستون ورفاقه ارتقاء نهر الزمبيزي صاعدين صوب منبعه يحدوهم المل في أن يكون النهر صالحا للملاحة لمسافة قريبة من المرتفعات الداخلية التي ينبع منها، حتى يستطيعوا إنشاء محطة مركزية للمنصرين (٣)
لاحتلال أراضي أفريقية الشرقية احتلالاً مباشراً ، فقد وجدت في شركة

(١) Ibid., vol III , P. 76.

(٢) Ibid., vol III , pp. 64-85.

(٣) السيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي - دار النهضة العربية ١٩٦٨م ص ١٥٠.

أفريقية الشرقية البريطانية استعداداً لتحمل المسؤولية الإمبريالية عنها ، وأداة لبسط النفوذ والحكم البريطانى على أراضى هذه المنطقة من القارة دون تكليف خزانة الدولة نفقات الاحتلال وتكاليفه ، وحررت الحكومة البريطانية على تحميل هذه الشركة رسمياً مسؤولية مكافحة تجارة الرقيق ، ونظام استخدام العبيد فى الأعمال المنزلية فى منطقة امتيازها بشرق أفريقيا ، وذلك بموجب شروط عقد البراءة الملكية التى منحها لها (١) .

وفى عام ١٨٦٥م زار السلطان برغش إنجلترا ، وحصلت لجنة بعثة الكنيسة على مقابلة معه وحثوه على إعداد ترتيبات لإلغاء تجارة الرقيق ، ومنح الاستمرار والحماية لبعثة الكنيسة فى ممباسا (٢) ، وقد كتب السلطان برغش إلى اللورد دربى وزير الخارجية البريطانية خطاباً أبدى فيه اهتمامه بخطط الرأسماليين البريطانيين ، وقال : " لقد سررت كثيراً عندما أخبرنى الدكتور كيرك المحترم برغبة بعض رجال المال البريطانيين فى فتح طرق إلى بحيرة نياسا وبحيرة لوكروي Ukerewe فى أوغندا ، وإننى أريد باصاحب السعادة أن تبلغوا أصدقائي هؤلاء رغبتى فى مساعدتهم بكل ما فى استطاعتي ، وتقديم كل معونة ممكنة لهم فى جميع أرجاء ممتلكاتي " (٣) .

وواضح أن هذا الخطاب الذى كُتب بناء على طلب كيرك لايشتمل على أكثر من رغبة السلطان فى تقديم المساعدة ، لتنفيذ مشروع إنشاء طرق للمواصلات فى أفريقية الشرقية ولم يتضمن أي دعوة من جانبه لاحتلال بلاده وفتحها للتجارة الأجنبية .

(١) Hertslet , E. : The Map of Africa by Treaty , London 1909, vol I, PP. 345-350.

(٢) Eugene Stock : Op. Cit., vol III, P.89.

(٣) F.C.84/1454, Barghash to Derby , 13,12. 1876.

والواقع أنه ماكادت شركة أفريقية الشرقية البريطانية تمارس أعمالها في المنطقة الموضوعه تحت إدارتها في شرق أفريقية ، حتى راحت تطالب حكومة لندن بتقديم المساعدات لها ، ومن الممكن اعتبار منح براءة شركة أفريقية الشرقية البريطانية تعبيراً عن سياسة لورد سولسيري التثصيلية إزاء أفريقية الشرقية، وقد أرغم التوسع الألماني في تنجانيقا الحكومة البريطانية على تعديل سياستها الخاة بنشر النفوذ البريطاني عن طريق التجار القناصل والأساطيل البحرية ، وكشف موقف سولسيري عن مدى التخيير العميق الذى طرأ على سياسته التثصيلية ، حينما طلب ماكينون زيادة الإعانة الحكومية التى تدفع لشركة الهند البريطانية للملاحة التجارة مقابل نقل البريد من زنجبار إلى لندن ، فقد أيد سولسيري بحرارة طلب ماكينون ليس بسبب اعتبارات محاربة تجارة الرقيق بل لأسباب سياسية (١).

وفى أواخر القرن التاسع عشر ، كانت شرق أفريقية تموج برجال الكشف الجغرافى والمنصرين ، وأخذ كل منهم يخطط الحدود ويزور المعاهدات مع زعماء القبائل البسطاء ، وأخذت الدول الأوروبية تآزر مبعوثيها ، وتتاصر كل دولة رجالها وتدعى وضع اليد على المساحات المبهمة الواسعة ، وكادت الحرب تنشب من أجل التسابق على المستعمرات ، فانعقد مؤتمر برلين فى عام ١٨٨٤م وانقضى فى عام ١٨٨٥م بعد أن اتفق فيه حكام أوروبا على توزيع المغانم والأسلاب ، وقد فازت بريطانيا بنصيب الأسد من تلك الأسلاب ، وذلك لأنها قد وضعت يدها بالفعل قبل المؤتمر على

(١) F.C.84/ 1973, Mackinnon to P.C., dated 23.I.1888.

منفذ القارة الشمالى " مصر " وتمركزت على الهضبة الاستوائية ، وكانت أيضا قد انتزعت لنفسها مساحات طويلة على شواطئ أفريقية الشرقية (١).

ولقد أعقبت تعيين رولفز فى منصب قنصل ألمانيا العام فى زنجبار ، أن نشرت إحدى الصحف الألمانية National Zeitung فى ٢٥ نوفمبر عام ١٨٨٤ م تقريرا يشير إلى أن ألمانيا على وشك إعلان حمايتها لزنجبار (٢) ، وهز هذا الخبر حكومة بريطانيا ، وجعلتها تدرك خطورة الموقف فى أفريقية الشرقية ، وبعد يومين أى فى ٢٧ نوفمبر بعثت وزارة الخارجية البريطانية إلى كيرك بأول برقية من سلسلة البرقيات العاجلة التى أرسلتها إليه واحدة إثر الأخرى ، وكلفته فيها الحصول على إقرار من السلطان برغش يعلن فيه رغبته أنه لن يقبل حماية أية دولة أو يتنازل عن شئ من أملاكه لها دون موافقة بريطانيا (٣) ، وفى اليوم التالى أرسلت الوزارة برقية أخرى سرية على النحو التالى :

" هل لديك سبب ما لافتراض أن ألمانيا تتخذ خطوات لإعلان حمايتها على الساحل الشرقى ؟ " (٤) ولما لم يجب كيرك على البرقيتين السابقتين ، أرسلت الوزارة إليه فى ٥ ديسمبر برقية ثالثة على النحو التالى : " هل اتصلت بالسلطان ؟ ان الوقت يتطلب عملا سريعا " (٥) ، وحصل كيرك بالفعل فى اليوم التالى على الاقرار المطلوب ، الذى تعهد برغش فيه بألا يقبل

(١) Anthony sillery : O. Cit., P. 78

(٢) F.C.84/1815 , Malet to Grenville, 25 Nov.9. 1884.

(٣) F.C. 84/1676, F.O. to Kirk dated 27. 11. 1884.

(٤) F.C. 84/1676 , F.O. to Kirk dated 5.2.1884

(٥) F.C. 84/1676 , Kirk to Cranville dated 8.12.1884

حماية أيّة دولة ، أو يتنازل عن حقوقه في السيادة ، أو عن أي جزء من أملاكه لأي شركة أو دولة دون استشارة الإنجليز .

وكتب إيوان سميث Euan-Smith قنصل بريطانيا في زنجبار الى سولسيري يقول : إنّ السلطان لن يستبدل التعويض أو البيع بالإيجار السنوى الذى يحصل عليه من الشركة ، إلاّ إذا أرغم على ذلك إرغاما من جانب الحكومة البريطانية ، الأمر الذى سوف يؤدى إذا حصل إلى اضمحلال سلطنته ، فقد فشلت محاولة ماكينون لرفض سولسيري القيام بهذه الخطوة ، لئلا يكون إنقاذ الشركة من الإفلاس على حساب لطنة زنجبار ، ويفضل محاولة ماكينون السابقة اقترحت الشركة إدخال تغييرات أقل شمولاً على بعض مواد عقد الامتياز (١).

واقترح ماكينزي الذى أصبحت له الآن الكلمة العليا في شئون الشركة على الحكومة البريطانية أن تندمج حكومة زنجبار الخاضعة للحماية مع إدارة الشركة في ممباسا في هيئة واحدة، وأن يعين عن هذه الهيئة مندوب زنجباري ومقيم بريطاني في أوغندا ، وراحت الشركة تطالب الحكومة بتعويض مناسب عن الخدمات التى أدتها للسياسة البريطانية في أفريقية الشرقية (٢) ، وكتب سير برسي اندرسون الخبير بوزارة الخارجية يقول : " إن شركة أفريقية الشرقية البريطانية قد أكملت فى رأي رسالتها " (٣) ، وعندما تعرضت الشركة للتهديد بالإفلاس، قام كل من بعثة الكنيسة والأسقف تاكر Tucker بجمع أموال لجعل الشركة تستمر سنة أخرى في أوغندا، وتم تخصيص

(١) Robinson, R. and Cthers : Africa and the victorians, PP. 307-308.

(٢) P.O.84/2255 , ISEA to F.O.. dated 27.7.1892.

(٣) P.O.84/2255 ,From Anderson to F.O. , 30.7.1892.

معسكر دعاية لحدّ الحكومة البريطانية على الاعتراف بمسئوليتها عن الموقف الذى تطور فى أوغندا (١) وطلب تاكر من الحكومة البريطانية النظر فى تدفق المبشرين الكاثوليك إلى أوغندا، وذلك للمحافظة على التوازن السياسى والبنية التبشيرية ، ومن الواضح أن تاكر رأى أن بعثته تواجه المخالفات القانونية الضخمة للكاثوليك ، والبروتستانت لا يستطيعون الحصول على موارد لاعادة التوازن ، ولذلك طالب الحكومة البريطانية أن توجه وتاعد مؤسسات التنصير .

وكان سياسة الحكومة البريطانية فى دعم الحركة التنصيرية أنها ساعدت فى تدخل الاسقف تاكر فيما يتعلق بمقاطعة بونيورو Bunyoro ولقد كان واضحاً وجود حرية كاملة لمؤسسة التبشير فى كل المقاطعة ، مثل أي جزء فى أوغندا والأقاليم المجاورة (٢) .

وهناك سؤال يفرض نفسه وهو من موقف الحكومة البريطانية من دعم البعثات التنصيرية، وهل كانت السياسة البريطانية تعمل كلّ المساعدات بسبب أن جمعية الكنيسة التنصيرية جمعية خيرية جمعت تكاليفها من التبرعات الشخصية ؟ ويجب لوجارد على هذا التساؤل فيقول : أبدت حكومة صاحبة الجلالة إرسال بعثة الكنيسة ، وأعطت وزارة الخارجية البريطانية خطاباً للبعثة لتوصيله الى متيسا Mutesa ملك أوغنده ، ومما جاء فى الخطاب أن المبشرين وكلاء للحكومة ، وتأييداً لهذا الخطاب أرسل القنل البريطانى فى زنجبار خطاباً إلى متيسا فى نوفمبر ١٨٨٩م مؤكداً فيه ان هذا الخطاب

(١) Hansem, H.: Mission, Church and state in A Cdonial setting Uganda, 1890-1925, London 1984, P.47.

(٢) Ibid., p. 75.

صادر من الحكومة البريطانية ، وقد كان تبرير الحكومة البريطانية لإرسالها هذه الخطابات ، أن هؤلاء المبشرين كانوا في موقف خطير لذهابهم إلى منطقة في قلب القارة بعيداً عن أي مساعدة أو حماية ، وبالرغم من أن الحكومة البريطانية كانت تقصد أن يُنظر إلى المبشرين على أنهم ممثلون للحكومة ، إلا أن ميتسا لم ينظر إليهم من خلال مكانة بريطانيا العظمى فقط ، بل نظر إليهم على أنهم أرسلوا بواسطة الحكومة ، وهذا مما دفع القنصل البريطاني في زنجبار السيرجون كيرك إلى الكتابة مرة أخرى إلى ميتسا مشيراً إلى المغزى الحقيقي للخطابات والذي يفهم أن المبشرين وكلاء للحكومة . (١)

وأكد عددٌ من الكتاب أنه حدث تغيير جذري في موقف المنصرين تجاه الأفريقيين بعد سنة ١٨٩٠م فقد أصبحوا مقتنعين تماماً بالأفكار الاستعمارية ، وبالشعور بسيادة الرَّجُل الأبيض على الرجل الأسود ، وقد أضر ذلك إضراراً بالغاً بالعلاقة بين المبشرين والأفريقيين ، وعرقل فاعلية أعمالهم وعندما تغلغل النفوذ الغربي في أفريقية تغلغلاً كثيراً كان يوجد أربعة أحزاب في الميدان : الزعماء ، الشعب ، المنرون ، القوى البيضاء الأخرى .

وقد وجد المنرون أنه من الصعب أن يظلوا بدون تأثير من الرجال البيض الآخرين ، الذين وَجَدُوا أنفسهم يعيشون بينهم ، وبدأوا يشعرون بأنه على الرغم من أن جميع الناس متساوون في نظر الرب ، فإنه يجب أن تمر مدّة من الزمن قبل أن تتحقق هذه المساواة في العلاقات الاجتماعية والشخصية (٢).

(١) Lugard , D. : The Rise of Our East African Empire, London 1893, PP.3-4

(٢) Neill Stephen : Colonialism and Christian Misions, New York 1966, PP. 314-316.

وتوضح نظرة ماكدونالد Macdonald إلى العلاقة بين المبشرين والسياسة البريطانية ، وهذه النظرة تلقى الضوء على علاقة البريطانيين بالمبشرين عندما يقول : " يجب تسوية الخلافات بين الكنيسة من ناحية والسياسة الاستعمارية البريطانية من ناحية أخرى ، وأنه مطلوب مسيحية استعمارية ، ومسيحية تجارية ، ومطلوب أيضا استعمار مسيحي وعقيدة اقتصادية ، ويضيف إلى ذلك أن قصة البعثات الأجنبية في أي جزء من أجزاء الإمبراطورية يُشابه أي سجل لأي عمل إداري ولا يمكن لأحد أن يعبر رأي عن التساؤلات الاستعمارية مالم يحط بجهود الكنيسة لنشر المدنية (١) .

ويف أبتر Apter موقف البعثات التبشيرية عندما تكونت الشركة البريطانية إذ يقول : حزن المنصورن الفرنسيون لدرجة أنهم التجأوا إلى الدكتور كارل بيترز وكيل الشركة الألمانية التجارية ، حيث طلبوا منه إقناع موانجا ملك أوغنده بالتوقيع على معاهدة يعترف فيها بحماية ألمانيا ، وفضلوا ذلك على وقوع أوغندا تحت سيطرة بروتستانتية تؤيدها الشركة البريطانية وعندما كشفت هذه المحاولات ثار البروتستانت ، وأعلن الزعيم البروتستانت أن موانجا قبل بالفعل حماية شركة أفريقية الاستعمارية البريطانية ، ولذلك يصبح توقيع المعاهدة مع الشركة الألمانية باطلاً ، وبالرغم من توقيع موانجا المعاهدة الألمانية فقد أجبره جاكسون Jackson مندوب الشركة البريطانية على رفضها ، تمهيداً لمحاولة توقيع معاهدة لصالح الشركة البريطانية ، وقد أثرت هذه الواقعة على علاقة البعثتين التنصيريتين ، وأثارت منافسة حادة بينهما

(١) Ibid.

لدرجة أنُ بحثت كلتا البعثتين عن المزيد من شُعَب الباجندى ، لضمهم إلى أحد المعسكرين البروتستانتى أو الكاثولىكى (١) .

ولقد أحدثت المعاهدة الإنجليزية الألمانية فى عام ١٨٩٠ تغييرات ، إذ إنَّ المبشرين البروتستانت الإنجليز بدأوا فى اتباع سياسة مناهضة بعثات التصيرية الأخرى ، بعد أن أصبحوا تحت الحماية البريطانية فى تلك السنة .

وفى عام ١٨٩٢م وقَّعت الدول الأوربية على قانون بروكسل Brucels Act الذى ألزموا بموجبه أنفسهم بضرورة إلغاء تجارة الرقيق ، وهذا جعل البعثات التصيرية فى ممباسا أكثر ثقة بأن الحكومة ستحميهم .

وقد تم بالفعل دعم من الحكومة البريطانية للبعثات التصيرية ، وذلك حين بدأت بعثة الكنيسة التصيرية الدَّعوة التبشيرية المسلمين فى ممباسا ، حيث تم اقتحام المدينة تحت حماية بريطانيا (٢) وتم إرسال ثلاث سيدات من إنجلترا بصفة خاصة للقيام بالدعوة للتبشير بين السيدات المسلمات فى المدينة "ممباسا" ، وهذا حسب اعتقاد البريطانيين أفضل وسيلة لتحويل المسلمين إلى المسيحية (٣) .

وثار العرب فى ممباسا وغضبوا غضباً شديداً بسبب قيام البعثة التصيرية بين المسلمين وضدَّ الاسلام ، وقد أصبح واضحاً أن البعثة التصيرية لاتستطيع أن تفعل شيئاً إلا بالدعم والحماية البريطانية ، وفى ذلك قال هارد نسج Hardinge فى عام ١٨٩٦م : " عندما يمر العديد من المسلمين

(١) Apter , D.E.,: The Political Kingdom of Uganda, Ne Jersey 1961 , PP.73-74.

(٢) Church Misionary Intelligencer, 1893, P.3.

(٣) Hobley , C.W., : Kenya From Chartered Company to Crown Colony, London 1905, PP. 32-33.

من خلال السوق ويسمعون الوعظ والتبشير للمسيحية فإنهم يشعرون بالغضب من ذلك ، وبالنسبة لهؤلاء القاوسة فإنهم لايجرون على التحدث ضد الاسلام بدون حمايتهم " (١) .

وبدأ شعور بالكراهية من العرب ضد الأوروبيين ، وذلك بسبب غزو بعثة الكنيسة لمباسا ، وفي عام ١٨٩٦م ، ازداد الشعور حماسة مما أكد قرب حدوث اشتباكات بين الجانبين، وفي تلك السنة تحولت الإدارة المسؤولة عن المنطقة بين الساحل والشواطئ الشمالية لبحيرة فيكتوريا من الشركة البريطانية الإمبراطورية لشرق أفريقيا إلى الحكومة الانجليزية نفسها واصبحت المنطقة تعرف باسم محمية شرق أفريقيا .

وهناك تعاون من القنصل العام البريطاني كيرك Kirk مع أسقف بعثة الكنيسة التنصيرية هاننجتون Hannington في كل الخطط من أجل احتلال موشي Moshi ، وهذا يدل على مدى اهتمام السياسة البريطانية ببعثة الكنيسة في شرق أفريقيا (٢) .

وساد التعاون بين المنصرين والحكومة البريطانية ، فإن الأسقف ماثيور Mathes قبل ذهابه الى كليمنجارو استشار الحكومة البريطانية ، التي وافقت على ذهابه ، ثم عاد ومعه اتفاقيات قبائل موشي Moshi ، وقد وافقت الحكومة البريطانية بسرعة على احتلال موشي من قبل بعثة الكنيسة (٣) .

لذلك نجد أن بعثة الكنيسة لعبت دوراً خطيراً في حركة الاستعمار ، أي إن البعثات التنصيرية والاستعمار تبادلوا العون والمنفعة لصالح كل منهما.

(١) F.O. 107/51 , Hardinge to Lord Salisbury , 12 April 1896.

(٢) C.M., File No G3 A 5/02Hannington to Wingram , February 14, 1885

(٣) Ibid .

وفى عام ١٨٩٦ م أصبحت محمية شرق أفريقية تحت مسؤولية القنصل العام البريطاني فى زنجبار ، وكان لإضافة كينيا والساحل الشرقى الأفريقى تحت الإدارة البريطانية أن أصبح وضع عمل البعثات البروتستانتية فى مكان مستقر وآمن فى كل المنطقة ، حيث يستطيعون القيام بالحملة الإعلانية ضد الرقيق بنجاح ، وعن طريق محطاتهم فى المحميات البريطانية تستطيع بعثات البروتستانت الانتشار إلى مناطق مهجورة فى الأراضى العالية، مع وجود الحماية الكاملة من الإنجليز ، وفى عام ١٨٩٧م بدأت الحكومة البريطانية بإنشاء خط السكك الحديدية بين كينيا وأوغندا ، الذى أدى إلى سرعة وسهولة احتلال كينيا والأراضى العالية ، من جانب البعثات جانب تحقيق مهام أخرى (١).

وقد ألقت الحكومة البريطانية بكل ثقلها لحساب البعثات والإرساليات التنصيرية ، وعر أليوت Eliot عن المصلحة المشتركة لكل من البعثات والإرساليات والحكومة البريطانية إذ قال : ' إن فتح محطة جديدة للبعثة يظهر لي بصفة عامة بأنه امتداد للنفوذ الأوروبى ، كما توجد مقاطعات فى شرق أفريقية مثل تيتا Teita وفى الجزء الأدنى من نهر تانا Tana لم يكن النفوذ الأوروبى فى ذلك الوقت ممثلاً إلا بالمنصرين فقط ، وفى ذلك أبلغ دلالة على أن رجال التنصير كانوا بمثابة المقدمة Vanguard لقوى الاستعمار ، كما يوجد تقدم كبير فى مناطق أخرى نظراً لوقوعها تحت يطرة الحكومة والموظفين التابعين للبعثات والإرساليات (٢) ' ، وقد استغل المبشرون أراضى التاج بموجب قوانين محلية ، تم إدارها فى كينيا عام ١٩٠١ م

(١) Temu,A.J., : British Protestant Miions, Department of History University of Dares Selaam 1972, p. 51.

(٢) Cherle N.E.Eliot., The Eat Africa Protectorate, London 1905, P. 241.

لضمان مطالبة دائمة بالأرض الممنوحة مجاناً من الأفريقيين ، ولقد سمحت القوانين المحلية نزع ملكية الأرض في كينيا لصالح إقامة الرجل الأبيض ، وتمكنت العثات بسهولة من الحصول على شهادات باحتلال الأرض من الحاكم العام ، وأبعد من ذلك ، فإن كل البعثات شاركت في باق مدّ ممتلكاتهم من الأرض التي يملكونها ، وذلك للحول على العديد من الضيعات في الأراضي الجبلية ، وواء كانت ضيعات غيرة أم كبيرة ، فلقد وضعوا مقدّماً الادّعاء بأنها أراضي للبعثة وبموجب القانون لعام ١٩٠١ م فإن الأراضي التي تشمل القرى والمتوطنات الجديدة يمكن أن يسمح بنزع الملكية فيها ، وقد تمّ إصدار القرار ليناب أغراض المبشرين والبعثات فلقد أعطى لهم التحكم في أفريقية الذي أباح من الهل الضغط على الأفريقيين لكي يصبحوا مسيحيين ، على أساس السماح بالإقامة واستغلال الأراضي التي أصبحت ملكاً للبعثات^(١).

وأيضاً ذهبت السياسة البريطانية إلى أبعد من ذلك الدعم للبعثات والإرساليات التنصيرية ، إذ كان هناك مشروع مقدم من الحكومة البريطانية لإقامة مستوطنة يهودية في شرق أفريقية ، وهناك وثيقة تؤيد ذلك القول ، إذا وجدت برقية برقم ٤٦٠ وتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٠٣ م من لورد لاتسداون Lansdowne وزير الخارجية إلى مستر اليوت liot حاكم عام المستعمرة تضمنت اعتراض لجنة المستوطنين في نيروبي ، واحتجاجهم على المشروع المقترح لإقامة مستوطنة يهودية في محمية شرق أفريقية .^(٢)

(١) Temu, A.J. : Op. Cit., P.97.

(٢) F.O. 403/332, Landone to Eliot , August 14, 1903.

وفى عام ١٩٠٣م بدأت وزارة الخارجية البريطانية وحكومة المحميات سياسة إنشاء أراضى احتياطيه ، وفى تلك السنة تم اخطار ستوارت Steart الذى كلف البيت كحاكم عام ، من وزارة الخارجية لتكوين احتياطي من مناطق ماساى Massi (١) ، ثم بعد ذلك فى جنوب نجونج Ngong ، وفى الجانب الشمالى فى سهل لاكينيا Laikipia بينما على الجود على بحيرة نافاسا Naivasha على طول نهر Cirouard ثم التوصية بإيجاد نظام احتياطي لايمكن التصرف فيه، وبعض القطاعات بالقرب من ناندى . Nandi

وكان هذا الاجراء من الحكومة البريطانية يقد حماية البعثات ، لأن هذا الاحتياطي من الأراضى سيسهل عملهم بين القبائل ، وسيعطيهام الفره للتركيز على الناس الذين يمكن الوول إليهم وقد كانت البعثات ناجحة بين قبائل ماساى Masai لأنهم كانوا منتشرين فى مسافات بعيدة (٢) .

وبطول عام ١٩٠٤ أخذت كل البعثات التصديرية أراضى من الاحتياطي لبناء كنيسة ، وبعضها مثل كنيسة اسكتلندا وبعثة كونسولاتا Consolata الايطالية وضعت يدها على مناطق ضخمة من الأرض لأهداف تجارية ، وكانت البعثات تأخذ الأراضى الجيدة الخصبة وغالباً ماتكون مجاورةً للأنهار ، وقد قال الأسقف بيل : ' Peel ' إن الإدارة تحركت بالطريقة التى كان سيتصرف بها بعض المبشرين ، الذين كانوا ذاهبين إلى المناطق للحصول على الأراضى بالقوة ، وكان جاكسون Jackson حاكم

(١) انظر ملحق رقم ١٧ : Vincent Herlo, E.M. Chilver and Alion smith :

History of East Africa, vol II, Oxford 1965, PP. 676-678

(٢) F.O. 533/90 , Enclosure in Girouard to Secretary of tate For Colonie, 30 September 1900 .

المحميات من وزارة المستعمرات قد نصح بمنح الأراضي للبعثات التي هي في واقع الأمر سوف تكون مشروعات دينية مسيحية (١) .

وكان للاتصالات بين بعثة الكنيسة والحكومة البريطانية أكبر ضمان لتعاونهم ضد الأفريقيين ، فمثلا في عام ١٩٠٥م عند المحاولة لتنظيم بعثة في فيتجنين Vitengeni في وسط أرض جيرياما Giriamia فإن بعثة الكنيسة واجهت معارضة شديدة من كبار رجال المدينة ، الذين كانوا يخشون من أن وجود المبشرين سيعطى فرصة لنشر المسيحية ، ولقد أوضح المبشر المسئول بالنسبة إلى المشروع بأنه كان لمساعدة الحاكم الإداري للحكومة البريطانية في ماليندي Malindi أثر كبير في أن يثبت لهم الهدف الوحيد للبعثة ، وهو تعليمهم أشياء الله (٢) ، وهذا هو الذي أدى إلى توسع واتجاه البعثة في كينيا .

وكان غرض الحكومة البريطانية أن تساعد بعثة الكنيسة لمضاعفة جهودها لزيادة عدد المحطات نظراً إلى أن تشجيع الحكومة للبعثة يلي مباشرة احتلالها للمنطقة ، وفي بداية ١٩٠٦م كان أحد الموظفين الرسميين الأوائل في الحماية ويدعي أنورث Ainsworth ، يحث البعثة للإقامة بين قبائل كيكويو kikuyu (٣) ، وبعد انتشار السكك الحديدية وزحفها إلى النهاية الجنوبية لأرض كيكويو ، اقترح الحاكم العام المحلي هاردنج Hardinge بأن يبدأ الإنجليز عملهم بين قبائل كيكويو على أساس أن مثل هذا العمل سيثبت نفوذ الحماية في هذه المناطق ، وطبقاً لاقتراح هاردنج ، أقام مبشر بعثة

(١) F.O. 533/62 , Sir Frederick Jackson to Secretary of state for Colonies, 22 October 1904.

(٢) C.M.S., 1910/17 Extracts, K.st A. Rogers, 26 January 1905 .

(٣) C.M.S.File No 1897 L 236 , Hubbard to Baylis, 6 November 1906.

الكنيسة فى أرض كيكويو وهو ماكجريجور MC Cregor ، فى قلعة سميث Smith حيث يوجد أكبر صندوق بريد للشركة فى المنطقة منذ إنشائها ^(١) ، وقد بدأ ماكجريجور بإنشاء مدرسة فى القلعة ، وأقام الخدمات الدينية هناك ، وأكثر مبشري بعثة الكنيسة كان يشكر الإدارة المحلية الرسمية لنفوذها وتسهيل أعمالهم ، ^(٢) لذلك فإنه منذ البداية، كان من الواضح أن بعثة الكنيسة دخلت مدينة كيكويو بقوة سياسة بريطانيا.

إنّ هذا التعاون الديني بين الحكومة البريطانية التبشيرية يقوم على اعتراف الحكومة البريطانية بقيمة العمل الذى تم إنجازه على أيدي البعثات التبشيرية مثل شكل التعليم، وأهمية النفوذ المسيحية على تطور الأهالي فى شرق أفريقية ^(٣).

وقد أكد المنصرّ دي لاسي أوليري De Lacy Cileary بقوله : " إن النفوذ الغربى هو أيضا مسئول عن وجود المبشرين المسيحيين " ^(٤).
وقد أكد جيمس باركس J.Barks على أن مصالح المبشرين الدينية قبل الحرب العالمية الأولى كانت تجد عوناً كبيراً فى وجود القناصل الأوروبيين الذين كانوا يؤمنون لها قدراً معيناً من الهيبة السياسية ^(٥) .

^(١) C.M.S.File No 1900/31 Peel to Baylis, 1 March 1900

^(٢) C.M.S.File No 1910/17 Annual letter : K.St A. Roger, 21 December 1909.

^(٣) Kenya Archives , Fille No, MAA 7L399 Conference of Missionary societies in Great Britain to Lord Lloyd , Secretary of state for the Colonies.

انظر ملحق رقم ١٨

^(٤) Delacy O'Leary : Islam at the Cross Roads , London 1923, P.50.

^(٥) Barks, J., Whose Lands, London 1949, 201.

وأكد ستيفن نيل Stephen Niell بأنَّ هناك ارتباطاً بين الإرساليات المسيحية والمؤسسات الاستعمارية إذ قال : نتيجة للأرساليات المسيحية في عهد الاستعمار فإن الكنيسة المسيحية موجودة في كل ركن من أركان الدنيا^(١) ، وليس هناك ما هو أبلغ دلالةً من طبيعة العلاقة بين العمل النصيري والاستعمار ، باعتراف المنصرين أنفسهم ، ويمكن أن نقول إن هناك ارتباطاً بين الاثنين ، وقد خدمت القوى الاستعمارية الإرساليات التنصيرية اتجاهين :-

* تمهيد الطريق امامها لممارسة نشاطها .

* توفير الحماية لها في ميدان عملياتها.

ويرى المنصرون أن وجود عملهم وحمايتهم لم يكن ممكناً بدون مساعدة القوى الاستعمارية، ولم يكن هذا الدعم بدون ثمن فقد وجد المنصرون أنفسهم متورطين في السياسة عن طريق تقديم التفاصيل عن الأوضاع السياسية والاجتماعية وغيرها في المنطقة ، في تقارير منظمة إلى السلطات في بلادهم ، وقد مكّن اتصال المبشرين المباشر بأهل البلاد وبرز عمائهم من الحصول على معلومات لم تكن القوى الاستعمارية تستطيع الحصول عليها بدونهم.

وكانت هناك ظاهرة أوجدها الإنجليز ممثلة في السيطرة على المؤسسات التعليمية الدينية سيطرة مباشرة وكانت في شرق أفريقية مدرسة العلوم العربية التي أنشئت في بداية القرن الحالى ، وكان الهدف منها تخريج القضاة.

(١) Stephen Neil : Colonialism and Christian Nission, P. 425

ولقد خشى الإنجليز أن تصبح هذه المدرسة معهداً إسلامياً يصبح بمثابة مركز المقاومة السياسية لنفوذها الاستعماري ، لهذا جعلوا رئيس الدراسة إنجليزيا (١) ، وفي عام ١٩٠٨ استلم الأسقف تاكر Tucker مبلغاً وقدره ٤٥٠٠ جنيه استرليني من الحكومة الإنجليزية لإنشاء بعثة تعليمية أوروبية في تيسو Teso تخرج أعداداً من المسيحيين ، وفي عام ١٩١١م أرسل الأسقف تاكر تقريراً يبين فيه أن ٥٨ أفريقي من مائة تم تنصيرهم (٢) .

إنّ المساعدات السنوية لمدارس البعثات من الحكومة الإنجليزية تضاعفت خلال المدة من عام ١٩٢٣ م إلى ١٩٤٩ م ، وذلك من لاشئ في تنجانيقا حتى بلغت ٢٨٥٠٠ جنيه إسترليني ، ومن ١٠ إلى حوالي ٤٠ ألف جنيه إسترليني في أوغندا ، ومن ١٤٠٠ إلى حوالي ٣٠٠٠٠ في كينيا (٣) ، وكانت البعثات الفردية تستلم أموالاً كثيرة في مقابل العمل التعليمي ، ومهما يكن فإن أسرع مبلغ تم جمعه للبعثات من الحكومات يمثل مرتبات رؤساء المدارس الأفريقية (٤) .

(١) د. زكي بدوي : المبشرون يعملون الافارقة ، جريدة المدينة المنورة، الثلاثاء ٣ ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ ، العدد ٣٩٣٥ الصفحة ١٢.

(٢) Tucker, A.R., Op. Cit., P. 343.

(٣) Phelps-Stokes Report, PP. 118-150.

(٤) رغم أن البروتستانت كانوا اقل من نصف البعثات الرومانية الكاثوليكية لكن مجهود لتعليم البروتستانت كان مساو لمجهود الكاثوليك ، وبصفة عامة فان نسبة كبيرة من رجال بعثات البروتستانت كانوا مشغولين في التعليم رغم وجود امتضاء من هذه القاعدة ، وهذه المعلومات مقدمة من قسم التعليم في دار السلام وذلك اثناء رحلتي العلمية في ١٤٠٩/١٢/٤ .

وكان هناك اتصال بين البعثات التنصيرية مع الحكومة البريطانية في حقل الطب والصحة العامة ، إذ يوجد التخطيط نفسه للتعاون كما في التعليم^(١) .

من هنا نجد أن هناك تشجيعاً من الحكومة البريطانية للبعثات التبشيرية ، فقد سمحت للبعثات التنصيرية بممارسة نفوذها بالكامل .

ففى نياسا لاند وبفضل سيسيل رودس Rhodes الاستعماري البريطاني الكبير وجد أن أي تعليمات بسيطة للبعثات تعتبر كافية لممارسة البعثة أعمالها .^(٢)

ولما أدركت الحكومة البريطانية خطر الامتداد الإسلامي أخذت الخطوات اللازمة لوقف هذا التقدم ، وفى تقرير لسير هاردنج Hardinge قنصل بريطانيا فى زنجبار عن احتلال شرق أفريقية ألمح بأن الحرب السواحليين هم العنصر الوحيد الذين لديهم إحساس سياسي ، لذلك أعد نظام لتدريب الطبقات الإدارية فى مدارس خاصة ليتعلموا المسيحية^(٣) .

وبذلك نجد أن بريطانيا استخدمت الكنيسة ممثلة فى مدارسها وبعثاتها التنصيرية لتحقيق أهدافها السياسية الرامية لتأجيج روح الكراهية بين شعوب منطقة شرق أفريقية بالرغم من أنها لم تحرر نجاحاً كبيراً نسبياً ، وذلك لعد اعتبارات :

الاعتبار الأول : عمق الصلات والروابط بين شعوب وادي النيل .

(1) Kenya Archives, File No M.A.A 7/399 , P.6.

(2) liver, R.: The Missionary Factor in East Africa, P.161.

(3) Ibid., P.206.

الاعتبار الثانی : كون الإسلام أول الأديان السماوية التي وصلت إلى وادي النيل وساحل شرق أفريقية ، وبشهادة مركز الشبيبة التصيرى وما جاء فى كتابهم " ماهي الصعوبات التي تحول دون تنصير المسلم " إذ يرون أن من الصعب جدا أن يتحول المسلم عن عقيدته ، لذا نجد أن البعثات التصيرية فضلت العمل فى المناطق الناطقة بغير اللغة العربية (١).

وكانت السياسة البريطانية تقوم على الحكم غير المباشر ، أي عن طريق المنظمات أو التنظيمات الشعبية الموجودة ، التي أطلقوا عليها اسم السلطات الوطنية ، ولقد حاول البريطانيون تطوير هذه المنظمات أو التنظيمات كأساس للحكم المحلى ، وكان الغرض من استمرار سلطة هذه المؤسسات أو التنظيمات أن تتعامل مع الحالات التي لا يستطيع الأوروبي أن يعالجها وفق نظمه ، تلك النظم التي ادعت القوى الاستعمارية أنها تريد إدخالها إلى أفريقية وسيلة لنقلها من حالة التخلف إلى التقدم (٢).

وأدت هجرة الأوروبيين واستيلائهم على الأراضي الخصبة إلى ثورة قبائل الماساي والكيكويو ، وقد استخدمت السلطات البريطانية وسائل العنف لإخماد الثورات ، وألزمت زعماء الماساي بالتوقيع على معاهدة فى عام ١٩٠٥ بقرون فيها بموافقتهم على الجلاء عن مناطق المرتفعات ، وتركها لليبيض المستوطنين ، وعقدت معاهدة أخرى لهذا الخصوص فى عام ١٩١١م، وترتب على ذلك إقصاء الأفريقيين عن أرضهم وعزلهم فى مناطق خصصت لهم ، ومن ثم نشأ نظام المعازل الوطنية " Native Reserves " (٣)

(١) مجلة السيادة الدولية العدد ٣٣ يوليو ١٩٧٣ م ، ص ٧٧.

(٢) أحمد طاهر : أفريقية ، فصول من الماضى والحاضر ، دار المعارف ١٩٧٥ ص ١٧٩.

(٣) arlow, Chliver and Smith : Op. Cit., pp. 13-15.

وأتبعت بريطانيا في إدارة كينيا نظام الحكم غير المباشر Indirect Rule اشتهرت به السياسة الإنجليزية الاستعمارية ، وهو يهدف إلى أن تسيطر الشئون المحلية للمنطقة من خلال البعثات التنصيرية التي كانت موجودة من قبل ، وأدركت بريطانيا أنّ هذا النظام غير المباشر للحكم بالإضافة إلى أنه يحقق الأهداف المرجوة والسياسة المطلوبة ، فإنه أقلُّ أشحْكَم تكلفة (١) .

وحين نشبت الحرب العالمية الأولى تعرّضت كينيا بحكم الجوار من أفريقية الشرقية الألمانية، لمحاولة غزو الألمان لها ، وكانت القوات الألمانية بقيادة الجنرال فون ليتوفوريا Non Letto vorbak بينما كانت القوات البريطانية تحت إمرة الجنرال سمطس Smuts قائد عام الجيوش البريطانية في أفريقية الشرقية ، وأُشركت إنجلترا في هذه الحرب أعداداً كبيرة من القساوسة ، وقد خسرت القوات الألمانية ، وانتهى الأمر باستسلامها ، ووزعت مستعمرات ألمانيا الأفريقية بين الدّول المتحالفة المنتصرة ، وكانت تتجانيقا من نصيب إنجلترا.

ولقد تركت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م أثارا عميقة في شرق أفريقية البريطانية ، فقد كان عددُ المستوطنين الأوروبيين في عام ١٩١٤م لايتجاوز ٣٠٠٠ إلاّ أنّه وصل في عام ١٩١٩م إلى ٩٠٠٠ أي تزايد إلى ثلاثة أمثال العدد الأصلي ، هذا بينما تناقص عدد الأفريقيين بسبب فداحة الخسائر في الحرب ، وبسبب المجاعات والأمراض التي انتشرت ، وكانت مساحات واسعة من الأرض قد أصبحت خرابا ، وقد عانت الإدارة مرارا للضغط على الوطنيين وإجبارهم على العمل التعسفي الإجباري (٢) .

(١) Cohen , Androw : British Policy in Changing Africa, PP. 22-26.

(٢) Kingsnorth : Op. Cit., P. 114.

وأرادت الحكومة البريطانية تَبْدُد مخاوف الأفريقيين ، فأوفدت لجنة برئاسة سير هيلتون ينج ، للتحقيق وكتابة تقرير بشأن مطالبة الأفريقيين بأراضي تتسع لزيادتهم المضطردة.

ونتيجة لتقرير ، هيلتون ينج الذي صدر في سنة ١٩٣٠م أصدرت أول حكومة عمالية بريطانية برئاسة مكدونلد مذكرة بشأن سياستها إزاء الوطنيين ، التزمت فيها بعدم مصادرة المزيد من أراضي الأفريقيين لصالح البعثات التنصيرية ، ألا أنه بالرغم من هذا الوعد فقد واصلت إتباع سياسة التفرقة لصالح البعثات التنصيرية (١).

وأختلف الكتاب في حكمهم على نظام بريطانيا ، الإذاري في كينيا فمنهم من وصفه بأنه مباشر باعتبار أنها تستند إلى البعثات التنصيرية استناداً مباشراً من قبل الإدارة البريطانية ، وليس للأفريقيين دخل في اختيارها ، ومنهم من وصفه بأنه غير مباشر باعتبار أن هذا النظام يأخذ الجانب الشكلي للحكم غير المباشر ، وذلك من حيث إن بريطانيا حاولت حكم المناطق الأفريقية طبقاً لتقاليدھا الموروثة ، مع الأخذ بمبدأ التطور التدريجي لهذه التقاليد ، والحفاظ على الجانب الطيب ، والقضاء على الجانب السيئ منها (٢) ، والحقيقة أن هذا النظام لا يمكن اعتباره مباشراً لأنه في ظل الحكم المباشر تُحطَّم جميع الزعامات القبلية ، ويشغل رجال الدولة في المستعمرة والقساوسة جميع الوظائف صغيرها وكبيرها فنجد منهم قضاة وكتبة ومدرسين ومشرفين إداريين (٣).

(١) Haily : An African Survey , P. 1168

(٢) Cohen, Andrew : Op. Cit., pp. 25-26.

(٣) عيد الملك عودة : السياسة والحكم في افريقية ، ص ١٦٣-١٦٤.

وينقسم نظام الحكم البريطاني في كينيا إلى :

(١) إدارة مركزية وتتمثل في :

أ) الحاكم العام البريطاني للمستعمرة الذي يُعَيَّن - من قبل التاج البريطاني ، ويكلف بتنفيذ سياسة بريطانيا في المستعمرة .

ب) المجلس التنفيذي ، ويتألف من عدد من الموظفين البريطانيين ومهمة هذا المجلس تنفيذ السياسة التي يقرها الحاكم العام البريطاني .

ج) المجلس الوزاري ، وكان يوجد بجانب المجلس التنفيذي .

د) المجلس التشريعي ومهمته تشريعيه بحث ، تختص بإعداد تشروعات القوانين في المستعمرة وعرضها على الحاكم العام الذي له الحق في الموافقة عليها أو رفضها .

(٢) إدارة محلية : وجوهر هذه الإدارة هو انقسام المستعمرة إلى عدد من الأقاليم ، وعلى كل إقليم يعين الحاكم العام البريطاني مندوباً لإدارة شؤونه ، وينقسم كل إقليم إلى عدد من المقاطعات وينصب على كل مقاطعة مندوب ، ويكلف مندوب المقاطعة بتنفيذ التعليمات التي ترد إليه من مندوب الإقليم ، وتنقسم كل مقاطعة إلى عدد من النواحي ، وينصب على كل ناحية زعيم ، ومهمة هذا الزعيم هو توصيل أوامر مندوب المقاطعة إلى رجال القبائل ، والعمل على تنفيذها (١) .

وأدركت صحيفة التايمز في مقال افتتاحي لها في مستهل عام ١٩٤٩م الأهمية الاستراتيجية لشرق أفريقية في آية حرب عالمية جديدة ، وقالت

(١) Dilley , M.R., Op. Cit., PP. 16-20 .

الصحيفة إن أفريقية هي محور التطور في القرن العشرين ومركز المشاكل العنصرية ، وحلقة الاتصال بين أوروبا وأمريكا ، وهكذا غدت المنطقة مركز العالم ، وتركز الأمل في تحويل كينيا إلى قاعدة جديدة للسيطرة على البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وهكذا افترضت بريطانيا أيضاً أن في وسعها أن تحافظ على الاتصال بالشرق حتى ولو أضاعت الشرق الأوسط (١) .

ويكفي للدلالة على ماوصلت إليه بشاعة وقسوة السياسة البريطانية في شرق أفريقية ، ذلك الخطاب الذي ألقاه الكولونيل إيوارت جوروجان البالغ من العمر ثمانين عاماً ، وكان عضواً بالمجلس التشريعي وعمدة جالية المستوطنين ، ذلك الخطاب الذي ألقاه في اجتماع الحزب الجديد " حزب الإمبراطورية البريطانية بكينيا " Kenya British Eupire Party وذلك في قاعة الجمعية التشريعية بنيروبي ، وقد استقبل خطابه بحماسة بالغ من مئات الأوروبيين إذ قال : " إننا معشر الأوروبيين قد جننا لحكم هذه البلاد بالنار والحديد ، وإن الرد الوحيد على ثورة ماو ماو هو إعطائه كل قبيلة الكيكويو درساً لا ينونه عن طريق دمة نفسية ، وذلك باعتقال مائة من المشتبه في انتمائهم لماو ماو ، وشنق ٢٥ منهم على المشانق العامة أمام أعين الخمسة وبعين معتقلاً الآخرين ، ثم يطلق سراح الذين لم يعدموا ليعودوا إلى منازلهم فينشروا بين أبناء الكيكويو وسيلة إعدام إخوانهم ، وبذلك بدت الهلع في قلوب أعضاء هذه القبيلة ، فتعتمد إلى الهرب من أراضيها خوفاً على حياتها ، وبذلك يتاح للرجل الأبيض تملك أراضيهم (٢) .

(١) Times, 1.1.1949

(٢) حسنى أحمد السيد حماد : تاريخ الاستعمار البريطانى فى كينيا ، الدار القومية للطباعة والنشر

١٩٦٧، ص ٧.

وتحدث اللورد بلفور عن التبشير فقال : " إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة ، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيراً من العقبات ، وعلى هذا فنحن في حاجة إلى لجنة دائمة يناطُ بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين " (١).

فالتبشير لم يبدأ منذ عهود سابقة في أفريقية وإنما جاء مع القوة الاستعمارية بصورة عامة ، فالقارة الأفريقية لم تشهد تبشيراً نصرانياً منظماً قبل القرن التاسع عشر ، ومعنى هذا فالنشاطات التبشيرية تزامنت مع النشاطات الاستعمارية الأخرى في القارة.

لذلك يتبين لنا في نهاية المبحث حقائق هامة منها :

أنه لا يمكن أن ينجح التبشير وينتشر في المجتمعات الإسلامية إلا بمساعدة الحكومات الاستعمارية وماشابهها ، فهذا الفرق بين الدعوة الإسلامية والدعوات الأخرى مثل النصرانية ، والدعوة الإسلامية انتشرت في أغلب البلاد مجهودات فردية بسيطة ، أما الدعوة الإسلامية انتشرت في أغلب البلاد بمجهودات فردية بسيطة ، أما الدعوة النصرانية فإنها اعتمدت على قوة السلاح في أغلب الأحيان ، وقوة المال ، إذ تحسّد لها طاقات هائلة ومنافع مادية لحلب الأنصار، ويدرك النصارى أن دعوتهم بدون هذا لا يمكن أن تصل إلى الشعوب ، أو تجد معتنقين جدّداً ، واعترف أحدهم بأن الاسلام لم يكن له دعاة مخصصون يقومون بالدعوة إليه وتعليم مبادئه كما في المسيحية.

(١) أ.ل شاتليه : القارة على العالم الاسلامي ، الطبعة الثالثة ، ص ٤٨ .

(ب) السياسة الألمانية

ظهرت نزعة امتلاك مستعمرات ألمانية فيما وراء البحار مبكرة في القرن التاسع عشر الميلادي ، وخاصة في همرج وبريمن وبعض موانئ أخرى من اتحاد الهانسا حتى إذا تألفت الإمبراطورية الألمانية في عام ١٨٧١م تأيدت هذه النزعة رغم عدم وجود أي اتجاهات استعمارية لدى بسمارك ، الذي كان صاحب السلطة العليا في الاتحاد الألماني (١).

وكان بسمارك يكره الاستعمار ، ويذهب إلى كون ألمانيا يجب أن تكتفى بالاستثمار داخل بلادها ، وتمضي في طريق نموها الصناعي الذي سلكته بعض الأمم الأخرى ، وكان يتجنب مشكلات الاستعمار التي هي مفاتيح للحروب والمصائب ، ولكن جميع الألمان الذين كانوا يسيحون في البلدان الشرقية الأفريقية ، ويرون أعلام فرنسا وإنجلترا خفاقة على تلك المدن ، كانت تأخذهم الغيرة من انتشار تلك الدول وراء البحار وانكماش ألمانيا في داخل بلادها.

ثم لما اتسعت ناعاتها ، لم تنشأ الشركات الألمانية أن تبقى في اتيراد المواد الخام عالية على التجار في الدول الأخرى ، بل تطلعت إلى أن تكون لها مستعمرات هي أيضا ، تأخذ منها ماتحتاج إليه رأسا ، ومازال الألمان ببسمارك حتى أنزلوه إلى ميدان الاستعمار (٢).

ولقد أوجد قرار بسمارك لقيادة ألمانيا رسميًا إلى حقل الاستعمار نقطة تحول في التاريخ ، وقد كان هو نفسه الرأس المدبرة لحركة الاستعمار

(١) زاهر رياض : اعمار القارة الأفريقية واستغلالها ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ١٩٦٦م ، ص ٢٨٩ .

(٢) Ingham, K., : Op. Cit, P. 131 .

الألماني في الثمانينات من القرن الماضي ، وقد تجاوزت الحركة إلى حد ما الرغبة للامتداد في أوروبا نفسها ، وتأسيس إمبراطورية ألمانية (١) وحث المنصر ليفنيوس Livonius على أهمية حصول ألمانيا على أراضي في الخارج ، وأيده رئيس الغرفة التجارية الذي ان يطمح الى تحقيق مكاسب من وراء التوسع الألماني ، فنادى بتأسيس مشروعات استعمارية (٢) .

وكتب المنصر ديكن Decken : " أنا مقتنع أنه في الأجل القصير ستوحد مستعمره هنا (يقصد في زنجبار) وستكون ناجحة ، وبعد سنتين أو ثلاثة سوف نعتمد على نفسها ، وتصبح ذات أهمية خاصة بعد فتح قناة السويس ، وإنه لسوء الحظ أننا نحن الألمان نسمح لهذه الفرصة في إنشاء مستعمرة بأن تمر ، وبصفة خاصة في وقت كانت ذات أهمية للأسطول البحري " (٣) ، وكان قد تم إنشاء جمعية بعثة برلين في عام ١٨٢٤م مع بعض المسؤولين في الحكومة الألمانية ، وتم تنظيمها من الكنيسة لإحياء العقيدة المسيحية في بداية القرن التاسع عشر ، وفيما بعد انضم بعض مشجعي حركات إحياء الدين إلى الجمعية ، وبدوا في جمع الأموال لمساعدة بعثة باسل Basel ، ومن الثلاثينات في القرن الماضي بدوا التبشير بالمسيحية لحسابهم في شرق أفريقية ، وكان أول المبشرين في البعثة هم مرنسكي Meransky ناو هاوس Nau naus وشومان Schumann ويونك Bunk (٤) .

(١) لوثرروب سورداد : حاضر العالم الاسلامي ، نقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهص بقلم الامير شكيب أرسلان ، المجلد الثاني، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٦٩ .

(٢) Ingnam,k, : Op. Cit., P. 132.

(٣) Scatt Keltie : The Partition of Africa, London , 1895, P. 108

(٤) Carl-Erik Sahiberg : Op.Cit., P.66

وحققت بعثة برلين تطورا سريعا ووصلت إلى جنوب الأراضي العليا
من بحيرة نياسا ، وفيما يلي بيان بالمحطات الجديدة التي أنشأتها البعثات
التبشيرية :

Wangemann Shohe	وانجمان شوهه
Manao	ماناو
Kombe	ايكومى
Moakaleli	مواكاليلى
Bulongwa	بولونجوا
Tandala	تاندالا
Kidugala	كندوجالا
Milow	ميلو
Dar El Salaam	دار السلام (١)

وتعتبر شركة فورمان Woermann أول شركة تجارية المانية حاولت
التملك في شرق أفريقية ، وأبلغ سفير المانيا في لندن حكومة بريطانيا أن
الأراضي التي ليس لانجلترا إدعاءات فيها المانيا لنفسها بحق وضع اليد
عليها.

وفى ٢٤ أبريل ١٨٨٠م أبلغت المانيا إنجلترا ان الأراضي التي
تملكها الألمان داخل مرسى أنقرا يkinsا شمالي نهر الأورانج بموجب صكوك

(١) Ibid., P. 66.

بينهم وبين بعض زعماء القبائل ، وقد صارت تحت الحماية الألمانية ، وأبدت حكومة مستعمرة الكاب معارضة لهذا التملك الألماني في تلك الناحية ، فأرسل بسمارك بارجتين حرييتين سلمنا الألمان تلك الأراضي بالقوة (١) ، وتم تعيين الحدود ، فنال سلطان زنجبار جزر زنجبار وبماوماfia وبعمق عشرة أميال بحرية على طول الساحل الممتد من مصب نهر المينيفاني إلى كيبيني Kipini ، وكان حد المستعمرة الألمانية من الجنوب يبدأ عند نهر روفوما Rovuma ، ومن الشمال يمتد من مصب نهر وانجا Wanga إلى بحيرة جب Tipe ومن هناك في وسط أراضي زافيتا Zaveta وديشاجا Dechagga يمر بجبل كليمنجارو حتى بحيرة فيكتوريا (٢) ، وكانت حركة التجارة في هذه المناطق من شرق أفريقية في أيدي العرب من زمن طويل ، لكن السلطان سيد سعيد سلطان زنجبار فتح بلاده للتجارة والشركات التجارية الأوروبية ، وشجع هؤلاء التجار ، وهذه البيوت التجارية بمختلف الوسائل ، على أن تمد نشاطها إلى بلاده ، وكانت التجارة الأوروبية مع هذه المناطق المفتاح الذي فتح الباب للنفوذ الأوروبي (٣) وبالإضافة إلى التجار يجب الإشارة لنشاط البعثات الدينية التنصيرية ، إذ بدأت نشاطها هي الأخرى في شرق القارة الأفريقية ، وتغلغل المنصرون الأوروبيون في مقاطعات الشرق الأفريقي منذ منتصف القرن التاسع عشر ، ونجحوا في تأسيس عدة مراكز تنصيرية (٤) ، ومن أولئك المنصرين لودفيج كرايف Ludwig Krapf وهو منصر ألماني استقر في

(١) لوثرروب سورداد : مرجع سابق ، ص ٧٠

(٢) لوثرروب سورداد : المرجع السابق ، ص ٧١

(٣) Grove, C.P. : The Planting of Christianity in Africa, vol 11, London 1950, p. 95.

(٤) Mona Momillan : Introducing East Africa, London , 1945, P. 167 .

زنجبار يدر اللغة السواحلية ، ويبشر بالمسيحية ين الأهالي ، ومن المهم أن نذكر أن كرايف لاقى كثيرا من عناية ورعاية الحكومة الألمانية ، فيذكر لنا كرايف في الكتاب الذى وضعه مقدار ماقدمته السياسة الألمانية له من تسهيلات (١).

ثم لحق بكرايف صديق من وتبرج يدعى ريمبان Rebman وقد استطاع هذا الأخير أن يتوغل من الساحل للداخل ، حتى وصل إلى جمال كليمنجارو ، وكان أول أوروبى سجل له التاريخ هذا الكشف ، وقبل أن يغادر كرايف أفريقية سنة ١٨٥٠م إلى وطنه ، استطاع أن يقوم بجولات بطول الساحل الأفريقي الشرقى ، حتى رأ دلهادو Delgado جنوبا ، وأن يقيم فى هذه الجهات عدة مراكز تنصيرية (٢) وإن كان نشاط المستكشفين والمنصرين الألمان قد فتح العيون لأهمية الساحل الأفريقي الشرقى والأقاليم الواعة خلفه ، فإن نشاط التجار والرأسماليين الألمان ، وتحول الرأى العام الألمانى حتى أصبح يضغ بكل قوة على حكومته لتدخل ميدان الاستعمار فى أفريقية ، وتشارك الدول الأوربية الكبرى الأخرى فى هذا الاتجاه ، هو الذى أدى إلى اتخاذ خطوات عملية لتثبيت أقدام الألمان فى شرق القارة (٣) .

ومن المعروف أن بسمارك لم يبد قبل ١٨٨٤م أي استعداد لتشجيع إنشاء مستعمرات ألمانية فى أفريقية ، إذ رفض الاستجابة للنداءات التى

(١) Kraf : Travels . Recherche , and Missionary Labroure During an Eighteen Year's Residence in Easstern Africa, London , 1819, P. 127.

(٢) Coup Land, R., : East Africa and Zits in vaders, p. 402.

(٣) محمد محمود السروجى : تاريخ أوروبا الدلوماسى ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص ١٢٣ وأيضاً سعد زغلول عبد ربه : الاستعمار الالمانى فى شرق أفريقية " ١٨٨٤م - ١٩١٩م رسالة دكتوراه غير منشورة فى جامعة الاسكندرية ، ص ١٣ .

وجّهها الرحالة والتجار ورجال الصناعة الألمان ، لتأسيس مستعمرات المانية فيما وراء البحار ، ولكن ماكد يقرّر أن الوقت قد حان للتوسع الألماني فيا وراء البحار حتّى يادر إليه بسرعة مذهشة (١) ، وأنزل مجموعة من الألمان بقيادة كارل بيترز Karl Peters إلى زنجبار ، وقدمت ادعاءات في أوساجارا التي تمسكوا بها على مدى ثلاثين عاما (٢) ، ولم تكن تلك المجموعة هي البعثة الألمانية الأولى التي اهتمت بشرق أفريقية ، ولكن تبدو أهميتها بالنسبة إلى المؤامرات الياسية للبعثات الألمانية ، في كيان السلطنة العربية الأفريقية ، فقد قام الألماني دينهارت Denhardt ببعثات علمية على طول تهر تانا ، منذ عام ١٨٧٠م كما توغلت بعثات ألمانية أخرى من ساحل زنجبار إلى الداخل في عامي ١٨٨٠م-١٨٨١م بهدف بدء مشروعات تنصيرية ، ولكن كان وول كارل بيترز إلى شرق أفريقية إيدانا ببدء مخططات ألمانية جديدة في المنطقة ، فقد قرر الألمان الحصول على موقف أكثر فعالية لهم في زنجبار ، فأرسلوا رولف Rholf قنصلا لهم في السلطنة ، في عام ١٨٨٤م وجاء ومعه مطالب بالحصول على مساحات واسعة من أراضي السلطنة في الداخل لألمانيا.

وكان بيترز هو الذي شجّع جمعية الاستعمار الألمانية بفرض المطالبة بجزء من ساحل أفريقية الشرقي ، وبعد أن حل على دعم مالي من الحكومة الألمانية أبحر مع رفاقه إلى زنجبار ، ثم إلى أوساجارا ، حيث عقد بيترز ١٢ معاهدة مع رؤساء مختلفين وقعوا بمقتضاها على اتفاقات يتنازلون فيها عن أراضيهم للبعثات الألمانية (٣).

(١)Holling sworth , L.W., : Op. Cit., P. 19.

(٢)Marsh , Z., and Kings north, G.W., : Op. Cit., P. 97.

(٣) Marsh, Z., and Kinges nurnth , G.W., : Op. Cit., PP. 99-100 .

وتبدو للوهلة الأولى أنّ المعاهدات التي جمعها بيترز غير ذات أهمية لأنه أولاً لم يكن من المقبول الاعتداد بها ، لأن الرؤساء الذين وقعوا عليها لم يكونوا يفهمون على ماذا يوقعون ، وثانياً لأن المناطق المتنازل عنها كانت جزءاً من ممتلكات سلطان زنجبار ، ولا يمكن الموافقة على تنازلات من بعض الرؤساء عن أراضي لا يملكونها ألا ، إلا أن أهمية هذه الاتفاقيات تكمن أساساً في أن بسمارك قد اعترف بها ، وهذا التدعيم من حكومة ألمانيا منح بعثة بيترز ومعاهداته تلك الأهمية الفائقة ، فالبعثات الألمانية السابقة قد توغلت إلى مسافات أبعد وأستغرقت وقتاً أطول، إلا أن بعثة كارل بيترز جاءت في الوقت الذي غير فيه بسمارك من استراتيجيته ، وصار يبحث عن مستعمرات لألمانيا في كل مكان (١).

وعلم السلطان برغش بأن الحكومة الألمانية منحت بعثة بيترز جزءاً من ممتلكات السلطنة العربية الأفريقية ، مما سبب للسلطان ضيقاً شديداً من ذلك بطبيعة الحال ، فالألمان لم يقوموا ببيعتهم إلى داخل القارة في سرية تامة فقط (٢) ، بل إن مطلبهم الاستعماري يتركز في أهم وأفضل ممتلكاته ، لأنه يقيم الطريق الرئيسي المواجه لزنجبار ، والموصل إلى تاوره وأوجيجي بما في ذلك أوساجارا ونحورو وأوكامي (٣) ، وقد أرسل برغش احتجاجاً عنيفاً إلى الإمبراطور الألماني جاء فيه " إن هذه الأراضي هي أراضينا ، ونحن نحفظ بمراكز عسكرية هناك، إن هؤلاء الرؤساء الذين اعترفوا بالتنازل من حقوق السيادة لوكلاء البعثة الألمانية ليست لديهم السلطة لعمل ذلك.

(١) Coupland, R : East Africa and Its in vader, P. 405.

(٢) Ibid, P. 100 .

(٣) Lyne, Robert Nunelz : Op. Cit., P.49 .

ولما كان الألمان يعرفون تخاذل الإنجليز في مناصرة حليفهم السلطان برغش، فقد طلب إيردهارد القنصل الألماني إلى كيرك أن يعاونه في الضغط على السلطان كي يسح قواته من منطقة الحماية الألمانية، وكان رد كيرك على هذا الطلب هو مجرد السؤال عن حدود هذه المناطق، فلما أجاب إيردهارد بأنها تمتد من نيوساجارا حتى الساحل، أبرق كيرك إلى وزارة الخارجية البريطانية مبيناً أن إجابة مطلب الألمان معناه القضاء على سلطنة زنجبار، لأنه يعنى الحماية الألمانية على الشاطئ المقابل لجزيرة زنجبار نفسها، وأرسلت حكومة لندن تستفسر عن حقيقة المطالب الألمانية فأجا بسمارك بأنه ليس لألمانيا أطماع في الساحل (١).

وهكذا بدا واضحاً أن ألمانيا لم تكن تخشى من رد فعل بريطاني ضد مشروعاتها في السلطنة، كما أن السلطان وحده لم يكن ليستطيع أن يغامر مقاومة مؤثرة، وكذا حل بسمارك المشكلة كما أراد وبطريقته الخاصة، فبدلاً من إرسال أحد الدبلوماسيين للتفاوض أرسل قُوَّةً بحرية وإنذاراً للسلطان بأن يسحب كل إحتجاجاته ضد المعاهدات التي عقدتها العتات الألمانية مع رؤساء أورساجارا ونجورو Nguru وأوسيغوا Useguha وأوكامي Uhami وإلا فسوف تُقصف زنجبار بالقنابل (٢).

وفى نهاية عام ١٨٨٤ نشر بسمارك وثيقة البراءة الإمبراطورية Imperial Schutzbrief مدافعاً عن بعثة كارل بيترز، وإضفى بذلك صفة الشرعية على إنجازاته، وكان يوجد حوالى ٣٠٠ أوروبى يعيشون فى

(١) صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم : زنجبار ، القاهرة ١٩٥٩ م ، ص ١٩٨ .

(٢) Marsh, Z, and Kingsourth ; G.W, : Op. Cit., P. 102

المناطق أساسية لشرق أفريقية ،وفى الواقع أن معظم هؤلاء الوافدين كانوا مبشرين مسيحيين (١) .

وكان لتدخل الألمان فى شرق أفريقية أن جلبوا معهم نكبات عديدة ،إذ حولوا البعثات إلى وسيلة هامة للإستعمار المسل التى أثرت فى مستقبل بقائهم فى شرق أفريقية (٢) .

وقد وعدت الحكومة الألمانية بتخفيف كل الصعوبات والمشاكل الخطرة التى تواجهها البعثات فى شرق أفريقية ،وكذلك لفت نظر قطاعات جديدة من رأى العام الأوربي لتأييد عمل البعثات،وتقوية عمل البعثات بإعادة تطوير منشآت البعثات الحالية وبإنشاء جمعيات لبعثات جديدة.

وفى بداية عام ١٨٨٥م قام جرافن رويت Gravenreuth لقائد الألمانى فى شركة شرق أفريقية وممثل الكاثوليك بتمويل تأسيس بعثة لطائفة Order النديكتين Benedictine ومركزها رايشنباخ Reichenbach فى بافاريا وعد ثلاث سنوات تم تجهيز فوج من رجال الدين وتقسيمه إلى قسمين :قسم فى زنجبار يعمل فى الأبرشية الرسولية Apostolic Vicariate وهذه تعمل مع جمعية الروح القدس ،والقسم الآخر فى دير للرهبان فى دار السلام وفى لوكولدي Lukuledi فى الجنوب الغربى من دار السلام ،ومن تلك المراكز يتم توزيع مراكز صغيرة إنتشرت فى المقاطعات المحيطة (٣) .

(١) Oliver , R : The Miionary Factor in East Africa, P. 49

(٢) Ibid ., P. 94.

(٣) Oliver , R : The Miionary Factor, P. 163, J. Schmillin , Die Katholi chen Missionen in den Deutschen Schutz gebeten, 1914, P. 113.

وفى مذكرات الأسقف الكاثوليك لافيجيرى Lavigerie عن شرق
أفريقية أنه وفد على مدينة فرانكفورت (على المين) -Frank Furt-am
Main فى يوليو ١٨٨٥م ونجح فى إنشاء مقر للبعثة بإسم Afrika Verein
Deuts Cher Katholiken التى أصبحت فيما بعد من أقوى مقار الدعاية
للبعثة الكاثوليكية فى جميع أنحاء الدولة ،ولقد بدأ فى الحال وساهم فى تكوين
مقاطعة ألمانية ،فى تجنيد وتدريب رجال الدين فى تريير Trier وتجميع بعثة
الروح القدس فى كنشتستدن Knechtsteden (١) ، وعندما إستولت الحكومة
الألمانية على إدارة المستعمرة من خلال الشركة الألمانية لشرق أفريقيا ،فإن
جمعيات اللوثرين Lutheran بدأت تنال الإهتمام ،وقررت جمعية برلين I
والمورافين Moravians البروتستانتية دخول حقل شرق أفريقيا للتصوير فى
نطاق ما بين ٣٠ - ٤٠ درجة من خط الطول من النهاية الشمالية لبحيرة نياسا
،فبانت محطة المورافيين تمتد شمالاً وغرباً بإتجاه تابورا ،وجمعية برلين I
تمتد شمال وشرق دار السلام وقد أسست جمعية المورافيين حوالى ٣٠ بعثة
فى ١٥ محطة صغيرة حول قبائل كل م نكوندى Nkonde وندالى
Ndali وسافورا Safwa والناكيا Nyika وضعت يدها على المحطة القديمة
لبعثة لندن فى يورامبو Urambo (٢)،وفى المدة نفسها فإن عثة برلين أرسلت
أكثر من ٦٠ منصرفاً وأسست ٢٥ محطة تمتد من قبائل نكوندى وكنجا
Kinga فى جبال ليفنجستون فى أرسارامو Usaramo (٣) .

(١) Oliver, R. : The Miionary Factor , P. 164.

(٢) Latourette, K, ., : History of the Expansion of Christianity, vol 7. London
1945. P. 407.

(٣) Ibid. P. 406.

إن البرنامج التوسعي الألماني في أفريقية الشرقية تم على أيدي بضعة أفراد مع دعم الحكومة الألمانية ، فقد أشرف على تنفيذ المشروعات الألمانية في تلك المنطقة من القارة ثلاثة أفراد ، هم : كارل بيترز الذي كانت معاهداته هي الأساس الذي استند عليه مرسوم الحماية الإمبراطوري Imperial Schutzbrief الصادر عام ١٨٨٥م ، وكليمنز دنيهاردت Clemens Denhardt الذي إشتهر بمؤامراته في ويتو ضد الإنجليز ، ثم كيرت توبين Kurt Toeppen أحد التجار المغامرين ومدير شركة ويتو الألمانية.

وكانت الحكومة الألمانية تؤيد وتشجع هؤلاء الأفراد ، الذين كرسوا أنفسهم لخدمة مصالح بلادهم التصيرية في القارة الأفريقية ^(١) ، إذ مكنت الدكتور كارل بيترز في عام ١٨٨٥م من تأسيس جمعية أطلق عليها اسم الجمعية الألمانية للإستعمار ، وقد أعلن بيترز أن غرض هذه الجمعية هو القيام بمشروعات تبشيرية وتعزيد مجهودات الهيئات الأخرى التي تعمل في هذا السبيل ^(٢) ، وإستمرت هذه الجمعية مدة ثلاثة أشهر تنافس موضوع إختيار الجزء من أفريقية الذي تستطيع أن تنفذ فيه مشاريعها ، وإستقر قرارها على إستعمار الجزء من الساحل الشرقي للقارة الواقع خلف دار السلام على أن تقوم بتنفيذ ذلك حملة من دكتور كارل بيترز والدكتور يونكه Dr. Junke وأن تبدأ عملها في أكتوبر من نفس العام ^(٣).

^(١) Mallings worth, L., : Op. Cit., p. 27.

^(٢) Ingham, K. : Op. Cit., P. 133 .

^(٣) Woolf, L.: Empire and Commerce in Africa, P. 236 .

وفى نهاية عام ١٨٨٥ وصل كار بيترز مؤسس جمعية الإستعمار الألماني إلى زنجبار، وعبر إلى الداخل وأخذ فى التقرب إلى الزعماء من أجل عقد المعاهدات معهم، وأمتد نشاط بيترز وزملائه إلى رقعة تصل إلى أكثر من ستين ألف ميل مربع وعاد بيترز إلى الساحل بعد رحلة دامت نحو شهر واحد، وفى يده عدة معاهدات عقدها مع زعماء المنطقة الداخلية ^(١)، ولم تكن تلك المناطق التى منحوها لألمانيا ملكاً لهم، وإنما كانت تتبع سلطان زنجبار ^(٢).

وفى أواخر شهر سبتمبر عام ١٨٨٦ وقعت حادثة صغيرة لاتعدو إلقاء القبض على خادم لأحد العايا الألمان فى زنجبار، فحاول المستشار الألماني بسمارك إستغلالها لإنهاء الموضوع، وهدد بإرسال حملة حربية إلى شرق أفريقية لحمل سلطان زنجبار على إحترام ألمانيا، وأبلغ بسمارك السفير البريطانى فى برلين السير إدوارد مالت Edward Malet أن حكومته سوف تفقد التأييد الألماني فى المسألة المصرية مالم تتوصل الدولتان إلى تسوية سريعة لمسألة شرق أفريقية، وذكر أنه سوف يرسل الدكتور كراول Krauel مدير إدارة المستعمرات بوزارة الخارجية الألمانية، إلى لندن لإنهاء هذه المسألة، ووصل كراول إلى لندن فى الرابع عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦ وبدأ بمفاوضاته على الفور مع السير برسى أندرسون Percy Anderson الخبير بالخارجية البريطانية، وقد تم الإتفاق بينهما، وكانت أهم بنود الإتفاقية التى عقدت بينهما فى ٢٩ أكتوبر عام ١٨٨٦ مايلي :

(١) Jhonston, H., A Hitory of Colonization of Africa by Alien Races, P. 490 .

(٢) Marsh, Z, and Kingsnorth : Op, Cit., P. 105.

(١) تعترف ألمانيا وبريطانيا بسيادة سلطان زنجبار على جزيرتي زنجبار وممباسا.

(٢) تعترف الدولتان بسيادة سلطان زنجبار على خط الساحل الذي يمتد من نهر مينجاني Minegani إلى كيبني شمالاً.

(٣) تؤيد بريطانيا مفاوضات ألمانيا مع سلطان زنجبار والخاصة بتأجير جمر ك دار السلام وبانجاني لشركة الاستعمار الألمانية .

(٤) تتعهد الدولتان بعدم التدخل في منطقة نفوذ الأخرى بعقد معاهدات حماية أو بالحصول على أراضي أو عرقلة نشاطها .

(٥) تتعهد بريطانيا باستخدام جهودها من أجل التوسط لإجراء تسوية ودية في الخلاف الناشب بين سلطان زنجبار وشركة الاستعمار الألماني.

(٦) تتعهد بريطانيا وألمانيا دعوة سلطان زنجبار للانضمام إلى اتفاقية برلين الموقعة في ٢٦ فبراير عام ١٨٨٨م

(٧) تتعهد ألمانيا بالانضمام إلى الإعلان الثنائي الفرنسي البريطاني الخاص باحترام استقلال وسيادة أملاك سلطان زنجبار (١)

وعقب توقيع اتفاقية عام ١٨٨٦م تكالب الطرفان الإنجليزي والألماني على القيام بمزيد من التوسع نحو العرب بهدف السيطرة على الجهات الداخلية المحيطة بالبحيرات الاستوائية ، والسبب في ذلك ان اتفاقية عام ١٨٨٦م وإن كانت قد حددت منطقتي النفوذ الألماني والبريطاني فإنها لم ترسم الحدود

(١) Oliver and Mathew , : Op. Cit., P.,374. , Marh, z, and kingsnorth, : Op.Cit., P. 110., Hertslet, E. : The Map of Africa by Treaty , vol 111, pp.882-885.

الغربية لكل منطقة منها ^(١) ، وكان البريطانيون يخشون احتمال زحف الألمان من محمية ويتو في الشمال إلى منطقة أعالي النيل ، وأحاطتهم بمنطقة النفوذ البريطانية من جهة الشمال والجنو والغرب ، وكان من الضروري بالنسبة إلى البريطانيين أن يسيطروا على منطقة البحيرات الاتوائية بهدف الاحاطة بمحمية ويتو الألمانية من جميع الجهات ، لتقليل قيمتها في نظر الألمان ودفعهم إلى الانحاب منها ، والاكتفاء بحصر أنفسهم داخل نطاق امتيازهم في الجنوب فقط ، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف تقدّمت الشركة البريطانية إلى السلطان خليفة لاستئجار ميناء لامو ، وهو مخرج سلطنة ويتو الوحيد بهدف التقليل من الأهمية الاستراتيجية للسلطنة ، ولم يوافق السلطان خليفة على تأجير هذا الميناء لماكينون فقط بل إنه عرض عليه أن يمنحه امتيازاً لاستغلال باقى الموانئ الشمالية المتبقية تحت سيادته باستثناء زنجبار وبمبا ^(٢) .

إلا أن الألمان سرعان ما أعلنوا اعتراضهم على امتياز لامو وساحل البنادر ، (الومال) وأعلن ميخائيس قتل ألمانيا العام في زنجبار أن للألمان حقاً سابقاً في إدارة لامو، وأدّعى ميخالي أن السلطان برغش قد منح الألمان وعداً شفويّاً في خريف عام ١٨٨٧ م بمنحهم امتياز استغلال هذا الميناء ، وقد كان هذا الادعاء من جانب الألمان كافياً لأن يعمل الإنجليز له حساباً ^(٣)

لذلك في نوفمبر ١٨٨٧م تمّ التوقيع على معاهدة بين إنجلترا وألمانيا ، وجاء فيها تحديد ممتلكات السلطان وحدود صلاحياته اذ تركت للسلطان فقط

(١) Kingsnorth, G.W. : Africa South of the Sahra, p.85 .

(٢) السيد رجب حراز : مرجع سابق ، ٤٦٠-٤٦١ .

(٣) محي الدين محمد مصيلحي سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٧

جزر زنجبار وبمبا ، ومافيا ، ولامو، وبهذه المعاهدة أصبحت كل الأرض الاساسية التى تعمل فيها البعثة التنصيرية الجامعية تحت العلم الألمانى.

ولم يكن بيزترز على أخلاق حميدة ، فقد كان قاسياً وُصلياً فى معاملاته ، ولايهتم إطلاقاً بعبادات المواطنين الأفريقيين ، ولقد قال : هذا الحشد الأفريقى الهائل يمكن السيطرة عليه بالتصميم ، ويجب أن تُقابل المعارضة بالتصميم على ضرورة الاستمرار فى الطريق (١) .

لذلك قام بالثورة ضد الألمان جميع أهالى الساحل ، وتزعم قيادتهم رجل عربى اسمه بشير بن سالم ، وليس من شك فى أنه مما عجل بالاضطراب ما أتمم به مسلك موظفى الشركة الألمانية من فظاظة وفلظة ، فقد كان يعوزهم الصبر والتحلى به للنجاح فى معاملة الأفريقيين ، وقد لاحظ إيوان سميث القنصل البريطانى Euan-Smith هذه العيوب وقت أن كان الألمان يتخذون الاستعدادات فى زنجبار (٢) .

ومما هو جدير بالانتفات أن صحيفة التايمز علقت على ذلك ، ليس بسبب عدم خبرة الألمان بالظروف الملحية فحسب بل أيضا إلى ماكان ينقصهم من اللياقة والحصافة والتحمل (٣).

وكانت شركة أفريقية الشرقية الألمانية ، التى حصلت من السيد برغش فى مايو عام ١٨٨٧م على امتياز بإدارة أملاكه فى الشريط الساحلى الذى يقع بين نهري أومبا وروفوما، قد سبقت شركة أفريقية الشرقية البريطانية فى مواجهة مشكلة عداء العرب والسواحليين للأوروبيين ، إذ عمد

(١) George Hebert Wilson, M.A. Op. Cit., P. 87.

(٢) F.O. 84/1908 , Euan Smith to salisbury , 8 April 1888.

(٣) Times, 2.11. 1888.

وكلاء الشركة الألمانية حين وصولهم إلى شرق أفريقية ، إلى إنزال علم سلطان زنجبار من فوق دار الوالى رغم احتجاج الأخير ، ورفعوا الراية الألمانية وحدها فوق مكتب الشركة فى زنجبار (١).

وفضلا عن ذلك فقد أنزلت السفينة الحربية الألمانية كارولا Carala مائة وعشرين بحارا مسلحا فى بانجاني ، واستولى هؤلاء على قلعتها وجردوا حاميتها الوطنية من السلاح ، وكانت النتيجة الطبيعية لأعمال الألمان الاستفزازية هذه ، قيام الاضطرابات العنيفة فى باجامويو Bagamoyo وبانجاني ، واضطر الألمان أن يستقدموا أسطولهم على عجل إلى مياه زنجبار ، وأصبح الموقف يهدد كما توقع إيوان سميث بريطانيا فى زنجبار بانفجار ثورة عارمة وتوقف الحركة التجارية فى ساحل أفريقية الشرقى كله (٢) .

فى أكتوبر عام ١٨٨٨م تم تعيين الملازم فيسمان Wismann ، والدكتور كارل بيترز لقيادة حملة تزحف حتى تانا، وذلك بهدف ضمان الطريق الألمانى من الساحل الشرقى إلى المديرية الاستوائية ، وكانت الحملة أساسا لإطلاق سراح أمين باشا ، حاكم المديرية وعند استلام فيسمان Wismann إدارة الشرة الألمانية لشرق أفريقية ، صدرت الأوامر لبيترز الذى غادر برلين فى فبراير ١٨٨٩م ، واستعان بحوالى ١٠٠ صومالي كانوا

(١) F.O. 84/1913, Telegram, Euan Smith to Salishury ,12 Aug- 1888.

انظر ملحق رقم (١٩)

(٢) F.O. 84/1913 ,Telegram, Euan Smith to Salibury , 2 Sept.1888.

متجهين الى باجامويو في مقاطعة الشركة الألمانية الأفريقية ، وصدرت الشركة البريطانية قرارا بمنع ببيترز من النزول فى الشاطئ البريطانى (١).

ولم يقف الألمان مكتوفي الأيدى أمام النشاط الإنجليزى ، فكان لابد من منه ستانلى من الاتصال بأمين باشا بأى ثمن ، أو دخول المديرية الاستوائية وعهد بهذه المهمة إلى كارل ببيترز ولكنه لم يستطع أن يبدأ من المنطقة الألمانية على ساحل شرق أفريقية ، بسبب الثورة الوطنية ضد الحكم الألمانى ، فلم يكن أمامه سوى السير عبر المنطقة البريطانية إلى الشمال ، وكان ببيترز بأمل فى الاتصال بأمين باشا قبل أن يظهر ستانلى على المسرح، ثم يدخله فى خدمة الألمان ويقنعه بمد نفوذه الى بحيرة فيكتوريا ، والى المتعمرة الألمانية فى أقصى الجنوب وبذلك يقطع الطريق أمام الانجليز للامتداد نحو الداخل ، ويقول ببيترز ، إن حملة أمين باشا لم تكن للمتعة ، بل كانت عملا سياسيا تبشيريا كبيرا (٢) .

ومن الطبيعى أن يعمل الإنجليز على عرقلة خروج بعثة ببيترز بمختلف الوسائل فمنعوا الألمان من النزول بالمنطقة البريطانية ، بحجة منع استيراد الأسلحة ، ونفذت سفن الأسطول تلك الاجراءات بدقة ، واحتج ببيترز دون جدوى ، ومع ذلك استطاع فى النهاية أن يتهرب من رقابة الأسطول ، فنزل فى منطقة مجهولة تقع إلى الشمال من لامو ، وفى الصباح لم يكن فى وسع الأسطول سوى مصادرة السفينة ، ولكن بعد أن كان ببيترز فى طريقه نحو الداخل ، وأسرع الإنجليز إلى تحريض الأهالى للحيلولة دون استقباله أو

(١) J.W. Gregory, D.c. Op.Cit., P. 138.

انظر ملحق رقم (٢٠)

(٢) Langer, Op. Cit., P. 116.

إمداده بأية معونة ، ويبدو أن المؤامرات الإنجليزية لتحريض الأهالي ضده قد نجحت بدليل أنه اضطر لارتكاب فظائع كثيرة ضد الأهالي ، وفرض عليهم المعاهدات فرضاً ، ورغم هذه العقبات فإنه واصل تقدمه ، وحلف وراءه الحمالين والجنود ولم يستبق معه سوى بضعة رجال إلى أن لغته الأنبياء السيئة وهو على مقربة من وادلاي بوصول ستانلي ورحيل أمين باشا معه^(١).

على ان أقوى دليل على تأييد الحكومة الألمانية وتشجيعها لنشاط هذه المجموعة من المبشرين الألمان ، كانت تلك المنحة المالية التي أغدقتها الدولة عليهم ، وتعيينها مفوضاً (فوميسير) لأفريقية الشرقية الألمانية^(٢).

وفي عام ١٨٩٠ جد تغيير جوهري في شئون شرق أفريقية ، إذ تم التوقيع في برلين على المعاهدة الألمانية الإنجليزية في أول يوليو ١٨٩٠م^(٣)، بالموافقة على تقسيم شرق أفريقيا ، وتم تحديد خط الحدود من وانجا Vanga في شمال بحيرة فيكتوريا ، ويمتد في اتجاه الغرب مخترقا البحيرة إلى أوغندا تحت النفوذ البريطاني ، وفي الاتفاق نفسه اعترف الألمان بحماية الإنجليز لزنجبار في مقابل تنازل الإنجليز عن جزيرة هليجولاند Heligoland^(٤). وتخلي الألمان لإنجلترا عن حماية سلطنة ويتو Witu صار لإنجلترا بموجب هذا الاتفاق حق السيطرة على سلطنة زنجبار مع جزر بمبا والأراضي التابعة لويتو وتنازل سلطان زنجبار لألمانيا عن جزيرة مافيا ،

(١) محمد سيد محمد : أوغندا قبل الحماية البريطانية ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، السنة الثالثة ١٣٩٧ / ١٣٩٨ هـ ، العدد الثالث ، ص ٦٥.

(٢) Holling Sworth, L.W. : Op. Cit., P. 27.

(٣) Oliver, R., and Mathew, G. : Op. Cit., Vol I, pp. 382-384.

(٤) A.J. Temu : Op. Cit., P. 43.

وضاعت سلطنة ويتو باستيلاء إنجلترا عليها ، وهكذا تمزقت هذه السلطنة العربية كل ممزق باتفاق إنجلترا مع المانيا (١) .

وتبلغ مساحة المستعمرة الألمانية المسماة بمستعمرة شرق أفريقية ٩٩٥,٠٠٠ كيلو متر وعدد سكانها سبعة ملايين وخمسمائة وأحد عشر ألف نسمة ، من بينهم ثلاثة ملايين من شعوب البانتو والواهيمى والماساي ، وهم سكان البلاد الأصليون ، ومن بقي منهم فى السواحليين الذين يبلغون ثلاثة ملايين ونصف المليون ، هذه الإحصائية حسب تقويم المسيو برادر Prader فى كتابه المسمى بالمستعمرات الألمانية وقيمتها المطبوع سنة ١٩١٩م.

وفى يونية ١٨٩٠م رحل كارل بيترز من المحمية الألمانية ويتو الواقعة على الساحل شمال منطقة النفوذ البريطانية على رأس حملة مسلحة بغرض الحصول على أرض جديدة لألماني فى أوغندا.

وقد أصبح التسابق فى الحصول على أقاليم جديدة فى أفريقية متصلاً اتصالاً وثيقاً بالقوى السياسية المتغيرة فى أوروبا ، وأصبح بسمارك أكثر استعداداً عما كان عليه فى ١٨٨٥م، وأضحى الآن يربط سياسته التنصيرية أكثر فأكثر بسياسته الخارجية (٢) .

وكتب المنصر تاكر أسقف بعثة الكنيسة التنصيرية فى شرق أفريقية ، بعد توقيع المعاهدة الألمانية الإنجليزية إذ قال : نحن ذاهبون إلى أعد غى رحلتنا الطويلة إلى أوغنده بدون الاعتماد على الأسلحة (٣)، وفى ذلك دليل

(١) لوثرروب سوردارد : المرجع السابق ، ص ٧٢.

(٢) Tonsend , M.E., : The Rise and Fall of Germany's Colonial Empire, New York 1930, P. 114.

(٣) C.M.S. G3 A5/06. Alfred Tucker to Liang 11 June 1890 .

على مدى مائتي البعثات التبشيرية من دعم وتشجيع من السياسيين الاستعماريين ، وفي الداخل فى موشى Moshi ثم تأسيس بعثة الكنية فى أملاك Mandara ومنذ عام ١٨٩٠ م بسبب وضع البلد تحت سلطة الألمان ووعدهم بالحماية من الحكومة الألمانية ، تقرر إقامة بعثة الكنيسة oshi^(١) .

وفى عام ١٨٩٢م خطط وكيل الألمان فى موشى Moshi للتحرك من موشى إلى المركز الذى يعتبر أكثر جاذبية للاستعمار الألمانى ، وقام بدعوة بعثة الكنيسة التتيرية للتحرك معه^(٢) .

وبحلول عام ١٨٩٣م تمكن فيسمان من السيطرة على الساحل ، ومنه تحرك إلى جبل كليمنجارو وهى المنطقة الأخرى للمقاومة حيث يوجد أقوى رؤساء القبائل وهوسينا Sina فى كيبوشو KIBOHO الذى لم يقبل إطلاقا حكم الشركة الألمانية ، وفى نهاية السنة تم هزيمة سيناء واضطر لتوقيع معاهدة مع الشركة^(٣) . وبهزيمة ينا رئيس قبيلة كيبوشو اتحد الألمان سياسة حازمة نحو قبيلة شاجا CHAGG واستخدموا القسوة معهم.

وفى عام ١٨٩٣ م تم تنظيم بعثة برلين ٣ وأصبحت حرة بالنسبة إلى علاقتها مع الحكومة الألمانية ، وقد تم إنشاء جمعية للبعثة بواسطة بودل شفنج BODELSCHWING وقد اعتمد على المساعدات والتبرعات المقدمة من الحكومة الألمانية ، فأسس مستشفى للمصابين بالصرع ، ومستعمرة للعمل^(٤) .

^(١) Townsend , M.E., Op. Cit., PP. 131-135.

^(٢) Willians, Price, : My Third Camaign in Eat Africa, London, 1890, PP. 140 -141.

^(٣) Cathleen, Stani : Hitory of the Changa People of Kilimanjaro, London 1964,P.255 .

^(٤) Carl-Erik Sahiberg : Op. Cit., P. 61 .

وفى ١٢ يوليو ١٨٩٥ م وصل أول خمسة مبشرين من بعثة ليبرج وهم مولر MULLER وألتهاسوس ALTHAUS وفاسمان FASSMAN وبويمى BOEHME وباسلر PASSLER إلى شواطئ بحيرة تتجانيقا .

وكانت بعثة ليبرج تميز نفسها عن غيرها من بعثات شرق أفريقية بأن تفرض أناسا متعلمين لديهم طموح للتحدث باللغة العامية مع هدفهم إعطاء تعليم أكاديمى منظم لكل المبشرين^(١) .

وكانت قد حصلت جمعية ليبزج على دعم من الحكومة الألمانية وبالفعل دخلت بسرعة إلى قاطعة شاجا CHAGGA وفى عام ١٩٠٠ م كان لديها ٣٤ بعثة منتشرة على المنحدرات الجنوبية فى كليمنجارو^(٢) .

وفى عام ١٩٠٢ م كانت ثمرة عمل بعثة يوسا مبارا USAMBARA حوالى ٢٧٠ مسيحى، وقد أصبحت أكثر فأكثر الحقل الرئيسى لبعثة بيتل BETHEL للتبشير ، وقد حدث ذلك مع المبشر الألمانى دوهانسن JOHANSEN إذ تم إرساله إلى مقاطعة يوسا مبارا مع زميله فولراب WONLRAHB وكان جوهانسن شديد الإعجاب بكتاب الحاكم الألمانى جوتزن GOTZEN عن خبرته فى الكونغو ، ولقد ذهب جوهانسن إلى أوغندا عام ١٩٠٥ م وعند إقامته فيها كان شديد التأثر بعمل بعثة الكنيسة هناك، وفى تقريره إلى بعثة بيتل طلب منهم الاستفسار عن احتمالات فتح مجال عمل جديد فى بوكابا BUKABA ورواندا RWANDA^(٣) .

^(١) Ibid., P. 73

^(٢) Oliver, R., The Nissionary factor in East Africa., P. 167.

^(٣) Carl =Erik Sahlberg : Op.Cit., P. 63.

وعندما كان موقف البعثات يتعرض للتهديد من العرب ، شعرت الحكومة الألمانية بضرورة الدخول في ميدان الصراع بطرق ووسائل أعمق من المسائل الروحية التي يعتقدون أنها أهم شئ بالنسبة إلى منفعة الكنيسة ، وفي هذه الجهود فلقد مارسوا سلطة ونفوذاً على تطور المرحلة الجديدة لسياسة المستعمرات ، وأول درجة للتدخل كان بمناسبة قرار الحكومة الألمانية لتشجيع إقامة المطرودين من الخدمة في شرق أفريقية (١)

وقد لاحظت البعثات الألمانية بأن الإسلام ينمو ويتطور بدرجة أسرع من المسيحية ، وعند حلول عام ١٩٠٨م فإن التقدم الإسلامي كان مضطرباً حسب تقارير كل بعثات التبشير في شرق أفريقية ، وقد استحوذ ذلك على أخبار الصحف في أوروبا ، وفي المؤتمر العالمي للبعثات في أدنبرة عام ١٩٠٨م تم قراءة خطاب من الأستاذ ورنك WARNECK الذي ترأس جمعيات ليوثيران لمدة ٣٠ سنة وقد قال : إن الأولوية فوق كل مشكلة للبعثات يجب أن تعطى للسباق ضد الاسلام (٢) .

ومنافسة الإسلام دفعت البعثات الألمانية للدخول في السياسة ، وقد لاحظ أن موقفهم الاستراتيجي يمكن أن يسمو فقط من الحقيقة بأن المسلم يتولى كل وظيفة هامة في الدولة ، وفي عام ١٩٠٦م قررت بعثة المواردبيين بأن الوثنيين الأفريقيين ، الذين سبق لهم التعرف على الحكومة والبعثات ، هم الآن قد بدوا يفكرون في التفرقة بينهم على أساس هذه الأمور ، وهم يعرفون الآن أنهم يستطيعون الحصول على الحضارة بدون المسيحية.

(١) Oliver , R. : The Missionary Factor, P. 247.

(٢) Minutes of C.M.S., Executive Committee usagara Section, 30-1-1907

وفى المؤتمر الاستعماري KOLONIAL KONGRESS فى برلين أقر مؤيدو البعثات بأن مسلمى شرق أفريقية يجب معاملتهم على أنهم ضد الأوروبيين فى شرق أفريقية ، وفى عام ١٩١٣ وافقت الحكومة الألمانية على مساعدة البعثات وتقديم العون المالى لها، وتدريب الموظفين الرسميين للعمل بالمناطق الوثنية بالداخل (١).

ووجد فى إحدى دول شرق أفريقية كتباً وأشرطة (كاسيت) تحمل هجوماً على الإسلام ودعاية للنصرانية ، وتشويهاً للدين الإسلامى ، وقد وجد أن هذه المنظمة تسمى مركز الشبيبة ، وهى منظمة نصرانية سرية مركزها الرئيسى مدينة شورن بألمانيا الاتحادية ، ولها فروع ومراكز فى عدد من الدول العربية والإسلامية ، وهى تهدف إلى محاربة الإسلام والتصدى لانتشاره ، ومن ضمن وسائلها بث البرامج الإنجيلية ونشر الكتب والمنشورات التى تحتوى على الدعاية للنصرانية والتهجم على المسلمين ، والتضليل فى العقيدة والتعاليم الإسلامية (٢) .

ومن ضمن المنظمات النصرانية التى حمت لواء محاربة الإسلام أيضاً منظمة ميزيريور MISERIOR الكاثوليكية وتعنى باللاتينية عطاء أو مساعدة المحتاجين ومركز هذه المنظمة مدينة أخن فى ألمانيا الاتحادية ، ويديرها المدير التنفيذى المونستيور الدكتور ليوسورافس ومرتبته راهب ، وتهتم هذه المنظمة بإيفاد مبشرين ، وأيضاً منظمة كاثوليكية أخرى هى أميسيو MISSIO ومركز خذخ المنظمة الرئيسى فى مدينة "أخن" فى ألمانيا

(١) Oliver, R. : The Missionary Factor , PP. 205-206 .

(٢) تقرير عن جهود رابطة العالم الإسلامى لدعم الإسلام لمواجهة الحركات المعادية للإسلام فى أفريقية ، أعداد إدارة مواجهة التنصير ، ص ٤ .

أيضا ، وهى تابعة تبعية مباشرة لمكتب التبشير البابوى بالفاتيكان ، وتقوم هذه المنظمة بتمويل النشاطات التبشيرية فى جميع الأقطار الأفريقية ، وخاصة أقطار شرق أفريقية ، وهى تدرس إعادة بناء الكنائس الكاثوليكية ، فى دول شرق أفريقية ، وتقوم بتولى طباعة مذكرات العاملين فى حقل التبشير ، وخاصة المذكرات التى تهتم بتنظيم قراءات القداس الإلهى ، وبعض الاهتمامات الدينية الأخرى فى القارة (١).

وفى ديسمبر عام ١٩٠٧م وقبل الاجتماع السنوى العام للبعثات الألمانية وضع المفئس العام الأولية لعمل البعثات ، وفى نقد لأحد الأعضاء ، قال : يجب أن يتعلم المبشر ون كيف يتخلون عن الدعوى ، فى مقابل تكوين قساوسة وطنيين ، فى شرق أفريقية بصفة خاصة يجب أن تتحمل الإهانة ، لأن الأداء - الحازم للمواطنين دائما أكثر قيمة من الأداء الحسن للمبشر الأجنبى (٢) ، وبعد الحرب العالمية الأولى تم قلب عمل البعثات الألمانية ، أذ انتهت الحرب بهزيمة الألمان واستيلاء الإنجليز على شرق أفريقية الألمانية ، فالعرب بين القوات فى أوروبا كانت أيضا حربا فى المستعمرات بين هذه القوات فى شرق أفريقية تم اشهر السلاح بين كل من الألمان والإنجليز والغالبية العظمى للجيش من الافراد كانت من الأفريقيين ، كان هدف كل جيش هو حماية حدوده الخاصة ومستعمراته فى أفريقية ، ولقد تحقق النصر للإنجليز بمساعدة الجيش البلجيكي ، ورغم أنهم فى الحقيقة لم يهزموا الجيش الألماني الذى كان بقيادة عسكري فطن وقوى وهو فوريك VORBECK ، ولكن قاموا بغزو شرق أفريقية الألمانية وذلك بعد سلسلة من المعارك الحربية ،

(١) عبد الجليل ريفا : مرجع سابق ، ص ٦٤ .

(٢) Marcia , Wright., : German Missions in Tanganyika 1891-1941 Oxford 1971 P. 123 .

وأصبح المبشرون الألمان إما أن يتم أسرهم كأسرى حرب أو أن يتركوا البلد، وفي عام ١٩١٨م انتهت الحرب ، وكان القائد فوريك لا يزال يقود قوة مكونة من حوالي ٤١٠٥٦ أفريقي و ١٥٥ أوروبي وقد استسلموا جميعا للإنجليز ، ولم تعد شرق أفريقية الألمانية بعد تابعة لألمانيا ، وحتى عام ١٩٢٥م فإن الجمعيات التي كانت تخدم مع المبشرين الألمان تم تركها بدون عناية أو اهتمام^(١).

^(١) Tom Kigging : Op. Cit. , P. 81.

الفصل الخامس

حركات المقاومة والجهاد الإسلامى

ضد التحالف الإستعماري الصليبي.

- أ- الجهاد الإسلامى وطرد المنصرين من أوغندا.
- ب- موقف العلماء والدعاة فى الساحل وزنجبار من الغزو التنصير فى المجتمعات العربية الاسلامية.

(أ) الجهاد الاسلامى وطرد المنصرين من أوغندا :

تقع أوغندا وسط أفريقية الاستوائية ، وإن كانت من الناحية الجغرافية تعتبر جزءاً من أفريقية الشرقية التى تضم كينيا وتنزانيا ويطلق الجغرافيون على المنطقة التى تشغلها بلاد أوغندا سقف أفريقية ، وهى الهضبة العالية التى تتوسط بحيرة فيكتوريا ، وتحيط بها بحيرات كيفو ، وأدوارد ، وألبرت ، ورودلف وترتفع هذه الهضبة ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، وأوغندا فريدة فى موقعها فهى تشغل منطقة البحيرات العظمى التى تغذى نهر النيل.

ويمكن تقسيم أوغندا إلى قطاعين كبيرين فأكبرهما بوغندا التى تشتمل على بحيرة فيكتوريا ، ونيانزا ، ومينجو ، وماسكا ، وموبوندى ، وهذا القطاع أكثر ثروة وتقدماً ، وأرضه خصبة ودائمة الخضرة ، ولا يوجد فيها جفاف صيفا وشتاء ، فهى كثيرة الأمطار كثيرة الأنهار ، وبها خزان جنا الرائع بشلالاته الهادرة بالمياه دائماً وأبداً ، أما القطاع الثانى فهو يوغندا ، الذى ينقسم إلى جنوبى وشمالى وغربى ، حيث يكثر تعداد المسيحيين والوثنيين ، وفى هذا القطاع عدة قبائل أفريقية ، نزع بعضها من الدول المجاورة ، ولهذا لم يبلغ الترابط والتلاحم بينها قدر مايربط بين سلطان القطاع الأول بوغندا^(١).

وبقيت أوغندا حتى القرن الثالث عشر الميلادى موئلاً للقبائل الوثنية ، ولم يكن الإسلام قد وصل إليها لياخذ بيد أبنائها نحو الحضارة والمدنية الا فى النصف الأول من القرن الثالث عشر ، عن طريق بعض التجار العرب

(١) محمد أحمد الحداد : مسيرة الاسلام فى أوغندا ، فى جريدة أخبار العالم الاسلامي ، لى عدد رقم

٢٣٧ ، بتاريخ ٢٦/٥/١٣٩١ الصفحة السابعة .

المسلمين الوافدين من ناحية الشرق ، ووجدوا المنطقة أرضاً بكرأ لم تطأها بعد أية أفكار من الخارج ، وكان المسلمون قد عرفوا فى أهل أوغندا حبهم الشديد للحرية ، وتسكهم الكبير بالوحدة ، فأكبر التجار المسلمون هذه الظاهرة، وسعوا إلى كسب ثقتهم عن طريق تحويلهم إلى الاسلام . (١)

إن سكان المناطق التى تُعرف حالياً باسم أوغندا يتكونون من البانتو والنيليين ، ورغم من أصل حامى ، وقد امتزجت هذه الشعوب ينسب مختلفة مع الزنوج الأصليين ، الذين ربما يكونون قد جاءوا من آسيا قبل آلاف السنين ، كما أن جماعات من الحاميين من الجنس القوقازي ربما تكون قد دخلت قارة أفريقية فى تاريخ لاحق متأخر كثيراً عن دخول الزنوج الأصليين، وكان دخول هؤلاء الحاميين من الباب الشمالي الشرقي ، الذى تقف عنده مصر اليوم ، وكان الغرض من هجرات هؤلاء الحاميين البحث عن أرض جديدة للمراعي ، من أجل ماشيتهم الطويلة القرون ، ومن المحتمل أن تكون المجموعة الأخيرة من هؤلاء قد وصلت إلى وسط أفريقية من أرض الحبشة ، فوصلت إلى الأرض العالية بين بحيرتى أدوارد وتنجانيقا فى أواخر القرن السادس عشر ، ومن هذا المركز بدأ هؤلاء الحاميون أو الباهيما على مايقال أظهر لهم عادة الذين جاعوا فى مؤخرة قافلة الهجرات ، باحثين عن أراضي جديدة للكلأ ، وفي انتشارهم هذا أعطاهم تنظيمهم وماتوافر لهم من معرفة أفضلية على الجماعات الموجودة من المزارعين ، وجاءت إلى الوجود ممالك رواندا ، وأوروندى ، وكاراجوى ، وأتوكولى ، وإلى أبعد من هذا

(١) محمد عطوة : المسلمون فى أوغندا يواجهون الفقر والتشيز والصهيونية ، مجلة الفكر الاسلامى ،

شعبان ١٤٠٥هـ ، ص ٥٢ .

للشمال قامت مملكة قديمة تدعى كيتارا ، هذه النقاط دفعت في اتجاه الشرق إلى ماسار بوجندة فيما بعد (١) .

ولقد وصل الإسلام إلى المنطقة بطرق متعددة ، كان منها وصول المسلمين من التجار العرب والسواحليين المسلمين ، من شرق أفريقية أيام الدول الإسلامية ، التي قامت بتلك المنطقة في عهد النبهانيين ودولة بوسعيد ، وظل هؤلاء التجار يترددن في رحلات تجارية بين ساحل شرقي أفريقية وأوغندا ، واستوطن العديد منهم بقاعا مختلفة في أوغندا ونشروا الإسلام حيثما أقاموا ، واعتنق الإسلام على أيديهم العديد من الأوغنديين (٢) .

وتجمع المصادر على دخول العرب المسلمين من الساحل الشرقي إلى أوغندا في أيام الملك سونا الثاني ، الذي حكم من عام ١٨٢٥م - ١٨٥٦م ، ويرى البعض أن الإسلام دخل إلى أوغندا عام ١٨٤٤م إذ إن الشيخ أحمد بن إبراهيم (٣) وقف في مجلس الملك سونا وتحدث عن دور العبادة ، وبشر بالإسلام ، ومن ذلك الحين أخذ العرب السواحليون تعليم الملك سونا القرآن ، حتى حفظ أربعة أجزاء منه عند وفاته (٤) .

وفي عام ١٨٣٠م أنشأت الجماعات العربية التي استقرت في الداخل مركزاً تجارياً هاماً لمع فيه سنان بن عامر الذي يعد أول عربي يصل إلى

(١) محمد عبد الفتاح إبراهيم : أفريقية منة مصب الكونغو إلى منابع النيل في هضبة البحيرات ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٢٧٣ .

(٢) سيد عبد المجيد بكر : مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

(٣) لس الام احمد ما اصاب المسلمين من ضعف ورأى تفرق كلمتهم والنزاع السائد على السلطة في هرر وسيطرة الاحباش على المناطق الاسلامية ، فلدر نفسه لاصلاح احوال المسلمين ونشر الاسلام في كافة ارجاء شرق افريقيا .

(٤) Abdou B, Kasazi : The spread of Islam in uganda, Nairobi 1986, P. 113.

أوغنده (١) وبعد ذلك امتد النشاط العربى إلى بحيرة تنجانيقا حيث نجح العرب فى تأسيس مركز تجارى فى أوجيجي ، وقد اعترف كثير من الرواد الأوروبيين من رحالة ومبشرين ومستكشفين بأن العرب كانوا عنصراً هاماً من العناصر التى حملت لواء الحضارة فى وسط أفريقية ، ومن أولئك الباحثين الذين نوهوا بدور العرب الحضارى فى أفريقية يمكن أن نذكر جيروم بيكر BECKER بوردو ، وقد ذكر الأخير الجهود الزراعية التى قام بها العرب ، ونجاحهم فى إحلاب الأمن محل الفوضى والاضطراب ، وأن كثيراً من قبائل البانتو قنعت بالعيش فى سلام حول المراكز التى أنشأها العرب وتحت حمايتهم (٢) .

وكان للمسلمين نشاط كبير فى أوغندا ، إذ ألتقى العرب بسكان يوجندا الزاهرة ، حول شواطئ بحيرة فيكتوريا ، وكانت أقصى المستقرات العربية شمالاً فى مدينة كافورو KAFURO فى مقاطعة كاراجوى ، ثم بدأ التجار من المسلمين بتجاوزونها واستطاعوا بمساعدة ملك أوغندا أن يحولوا كثيراً من الأهالى إلى الإسلام (٣) .

وقد أدركت بريطانيا تماماً أن انتشار الإسلام بين شعوب أفريقية الزنجية يخلف أثراً بعيدة ، فإن الإسلام لم يترك أثراً عميقاً فى التركيب العرقى لهذه الشعوب الزنجية فحسب ، بل إنه جاء بحضارة أتاحت لتلك الشعوب طابعاً حضارياً متميزاً ، مازال واضحاً حتى اليوم ، مؤثراً فى نظمهم السياسية والاجتماعية ، ذلك لأن الإسلام حمل الحضارة إلى القبائل

(١) March, Z., : East Africa through Contemporary Records , PP. 116-117.

(٢) Coupland : Op. Cit., P. 307.

(٣) عبد الله نجيب محمد : دراسات فى الادب السواحلى ، ص ٨٨.

المتوحشة، وجعل من المجموعات الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوباً متحالفة ، فقد وسع من أقيمتها ، ورفع مستوى حياتها بحلق مستوى اجتماعي أرقى بكثير من بعض الشعوب الأخرى المتعدنة ، وعلى هذا الأساس خططت بريطانيا التي كانت تعمل جاهدة على أن تربط أوغندا بالنصف الجنوبي من السودان وادي النيل ، فاعتبرت المنطقة أرضاً مقللة لا يدخلها إلا من ترضى عنه ، وشقت الطرق من جوبا، إلى الجنوب دون أن يوجد طريق واحد يربطها بالعاصمة الأم في الخرطوم ، ووجهت الجنوبيين ممن أتموا تعليمهم في مدارس الإرساليات إلى جامعة ماكيريري في كمبالا ، بدلاً من أن توجههم إلى جامعة الخرطوم بالسودان (١).

وبالنسبة إلى الأوضاع الدينية السائدة في أوغندا فإنه يمكن القول بأن منطقة بوغندا تدين أغلبية مقاطعاتها بالدين الإسلامي ، وكلهم على المذهب الشافعي ، أما في الشمال والجنوب فإن نسبة كبيرة من هؤلاء السكان مازال على الوثنية الأفريقية جين أبائهم الأقدمين ، وقد تمكن الأوربيون المنصرون أن يجذبوا عدداً من هؤلاء الوثنيين إلى الديانة النصرانية ، ومما يلاحظ أن المسلمين هناك بصورة عامة أكثر حرصاً على تعاليم دينهم من بقية مواطنيهم ، ولا سيما المنتصرون من هؤلاء المواطنين الذين يكادون لا يفهمون من النصرانية إلا أن يتخذوا لأنفسهم الأسماء المسيحية (٢).

وأقام العرب في أوغندا عدة مراكز تجارية يرجع سبب إنشائها أساساً إلى صعوبة الانتقال في مواسم المطر ، الأمر الذي اضطر هؤلاء التجار

(١) محمد أحمد الحداد : مسيرة الإسلام في أوغندا ، في جريدة أخبار العالم الإسلامي ، في عدد رقم

٢٣٥ بتاريخ ١٢/٥/١٣٩١ هـ الصفحة السابعة .

(٢) محمد أحمد الحداد : المرجع السابق العدد ٢٣٧ بتاريخ ٢٦/٥/٣٩١ هـ الصفحة السابعة .

العرب إلى البقاء عدة شهور في تلك الجهات ، لذلك أعدوا لأنفسهم المنازل ، كما أنشأوا مخازن لحفظ السلع ، وكان لإقامة العرب بين المواطنين الأوغنديين أثر واضح لا ينكر في حياة القبائل هناك ، وقد تعاقب قدوم التجار العرب إلى مملكة أوغندا لازدياد الطلب على الملابس القطنية التي اجتذبت ملوك وأهالي أوغندا ، وكان ترحيب الملك سونا SUUNE كاباكسا بالتجار كبيرا بالتجار كبيرا (١).

وفي عام ١٨٤٤م وصل الشيخ أحمد بن إبراهيم إلى حاشية الملك سونا ، ولقد زار يوغندا ثلاث مرات قبل موته (٢) ، وفي خلال إقامته في قصر الملك سونا ، احتج الشيخ أحمد ووجه اللوم للملك بشدة ، لاعداد الرعية بدون ميرر ، ويبدو أن الملك سونا اعترف للعرب بأن البطش الذي يفرضه على رعيته هو مبدوه ووسيلته للتحكم فيهم ، وعلى أي حال فإن ذلك أعطى ونا بعض الدرو المبدئية عن الاسلام (٣) .

وقد تحدث البعض عن احتمال تقديم العرب لقواعد الاسلام الى الملك سونا رغم ان اهتمام الملك يظهر أكثر في التجارة التي تبادلها معهم ، ولم تكن العلاقة بين الملك سونا والمسلمين حسنة ، ولكن في عام ١٨٥٢م اتخذ الملك سونا من عيسى بن حسين وهو جندي كان يخدم في قصر سلطان زنجبار حارسا له ، وفي هذه المدة عرف الناس الاسلام من خلال التجارة (٤).

(١) Wallis, H.R., : The Hand bool of Uganda, London, 1920, P. 8 .

(٢) Gray : Trading Expeditions from the Coat, Dar,es. Salaam 1957, P.49.

(٣) David Kavulu : The Uganda Martyrs , Uganda 1969, P. 11.

(٤) Merrick , Posnansky and athers : Op. Cit., P. 6 .

وبعد موت الملك سونا فى عام ١٨٥٦ م أصاب التدهور تجارة العرب ، ولكن المسلمين رؤوا يتوددون إلى الملك متيسا الذى خلف والده سونا ، فراحت تجارة العرب ، وأخذ الملك معلومات صحيحة عن العقيدة الاسلامية ، وتم تكوين صداقة بين سلطان زنجبار والملك متيسا ، وتبادلا الهدايا بينهما ولقد تعلم متيسا اللغة العربية فى مدرسة عربية كان يدبرها رجل مسلم يدعى المولى بن سليم ، وفى عهده اعتنق الكثيرون الاسلام (١) .

ويعتبر متيسا الحاكم الثلاثين لأوغندا ، وهو من السلالة الملكية التى بدأت فى حوالي القرن الخامس عشر ، عندما اتجهت مجموعات من الحاميين نحو الجنوب الغربى فى منطقة البحيرات العظمى (٢) ، ويمكن الوقوف على بعض ملامح من شخصية متيسا مما ذكره بعض الكتاب ، إذ يقول تيلور TAYLOR إن متيسا كان مصدرا ومحور كل نشاط وحيوية فى مملكته ، وقد وفه الرحالة سبيك SPEKE بهذه العبارة " تعتبر أوغندا ممثلة فى متيسا ، ولا يمكن لأحد معارضته " (٣) .

ووصفه لوجارد LUGARD بأن متيسا كان طاغية قاسى القلب ، فاضت الأرض بالدماء فى عهده ، وكان الإعدام الفورى هو العقوبة لأي أخطاء يسيره .

أما أوليفر OLIVER فيقول ، إن متيسا كان ملكا غيورا بحكم دولة إقطاعية ، وكانت جميع السلطان متمركزة فى يديه ، لذلك لم يكن فى

(١) Merrick , Posnansky and others : Op. Cit., P. 7

(٢) Taylor John, v, : The Groth of the Church in Bugands , London 1958, PP, 19-20.

(٣) Lugard , : The Rie of our Eat African Empire, vol, II , London 1893,P, 5.

الإمكان إنشاء مناطق تبشيرية أو مدارس داخلية منتظمة في مملكته ، أو حتى في الولايات المجاورة الخاضعة لنفوذه بدون تصريح منه ، وذلك لسهولة وصول جيشة أو زوارقه الحربية إلى هذه المناطق (١)

ويعتبر سبيك اول أوربي يصل إلى أوغندا سنة ١٨٦٢م وتبعه الكولونيل شايبه لونج CHAILE LONG ، ولينان دي بلفون LINANT DE BELLE FOND ، وقد أرسل غوردون GORDON لما تولى حكم المديرية الاتوائية أمين باشا على رأس فرقة من الجنود إلى عاصمة ميتسا ، وعكروا لمدة قصيرة تنفيذاً لرغبة الحكومة الخديوية في إمتداد الحكم المصرى إلى أوغنده ، ومع ذلك فإن أمين باشا اقترح على ميتسا معاهدة يعترف فيها باستقلاله وأنسحب من أوغندا (٢) .

ويشرح أوليفر أسباب انسحاب أمين باشا من أوغندا ويعزو إخفاق غوردون في ضم أوغندا إلى السودان المرى إلى الاسباب الآتية :-

(١) سلوك لينان دى بلفون غير المتبصر فى أوغندا .

(٢) خوف ميتسا من نتائج التحالف مع مر ضد عدوه الملك كابريجا KABAREGA ملك أوينورو (٣) .

ولانعلم مدى صحة هذا القول ، ولكن المعروف والثابت أن النفوذ المصرى في أوغندا كان قوياً لدرجة ان الملك ميتا أرسل ابنته إلى مر عام

(١) Oliver , R. , : The Missonary Factor , pp. 73-74.

(٢) Lugard, D., : Op. Cit., vol II ., P.3.

(٣) Oliver, R. , and Mathew : Op. Cit., vol I. P. 342

١٨٧٤م وبقيت بها ثمانية أعوام ، وكان فى نية الخديو اسماعيل تزويجها من أحد الضباط المصريين الذى كان سيمثل الخديو لدى بلاط ميتسا (١) .

ولما وصل ستانلى إلى بلاط ملك أوغندا " متيا " قادما من زنجبار فى أبريل ١٨٧٥م أبلغه بوجود دول فى أوروبا أعظم من مصر بكثير ، وأقنعه باعتناق المسيحية وأسرع بالكتابة إلى الهيئات التبشيرية فى أوروبا بطلب إيفاد مبشرين (٢) .

إن فكرة دعوة مبشرين أوروبيين إلى أوغندا من جانب ستانلى لم تكن فكرة مبتكرة ، فقد سبق أن دعا سبيك إلى إرسال مبشرين بريطانيين إلى هذه المملكة ، ولكن الجديد فى الأمر أن الدعوة التى وجهها ستانلى إلى المبشرين الإنجليز بالذهاب إلى أوغندا ، كانت تستحوذ على رضا ميتسا وموافقته (٣) ، وكان ستانلى موفداً من قبل جريدتى نيويورك هيرالد (New York Herald) والد إيلي تلجراف اللندنية (Telegraph London Daily) وقد لك الطريق المعروف من الساحل إلى أوغندا وهنا يمكن أن يثار تأؤل عن أبواب قبول ميتسا اقتراح ستانلى بطلب مزيد من الأوروبيين ، ويجب على هذا التساؤل عدد من الكتاب سوف أورد فيما يلى بعض هذه الآراء :

يقول انجهام INGHAM يبدو أن ستانلى أساء فهم دوافع ميتسا فى موافقته على اقتراحه بالإرسال فى طلب مزيد من الأوروبيين ، وأنه من

(١) محمد سيد محمد : اوغندا قبل الحماية البريطانية ، مجلة كلمة الشريعة والدراسات الاسلامية ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ١٣٩٧ هـ - ١٣٩٨ هـ ، ص ٦٧ .

(٢) محمد سيد محمد : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٣) Sanderson , E. : Africa in the Nineteenth century , p. 268

Ingham , K. , : Op. Cit., P. 33

المحتمل انه قبل ذلك يهدف كسب مزيد من المساعدة ضد المصالح المصرية أكثر من الشعور العميق بالوازع الدينى (١).

ويؤكد مارتن MARSII هذه النقطة الأخيرة متفقاً بذلك مع رأى لنجهام بأن متيا لم ير فى المسيحية إلهاً دينياً بقدر إمكانية استخدامها كقوة سياسية ربما تقدم له سلاحاً جديداً يتعمله ضد التقدم المصرى من الشمال (٢).

ومما سبق ذكره يتضح أنّ عداء متيسا ضد مملكة أونيوورو ONYORO هو مادفعه إلى عقد معاهدة صداقة مع أمين باشا اعترف فيها أمين باشا باستقلاله ، ولذلك فلم يكن هناك مجال لأن يشعر بأذى خطر من مر ، ولذا فإذا كان هدف متيسا كسب مزيد من المعادة بحضور الأوروبيين إلى مملكته فإنه من الطبيعى أن تكون هذه المساعدة ضد الدولة المعادية له وهى أونيوورو ، وفى حقيقة الأمر رأى متيسا فى عرض ستانلى شيئاً بديلاً عن طلب مساعدة مصر ، إذ لا بد وأن يكون تانلى قد ور لمتيسا أنه بقبوله حضور الأوروبيين سيكسب تأييد الدول الأوروبية أيضاً ، ولذلك رفض التحالف مع مر .

وأرسل ستانلى خطاباً إلى جريدة الديلى تلجراف طالباً فيه نشر دعوته لإرسال المبشرين إلى أوغندا ، وتطوع دى بلفون الذى كان موجوداً فى أوغندا فى ذلك الوقت يحمل خطاب ستانلى لتوصيله للندن (٣).

(١) Ingham , : Op . Cit., P, 34.

(٢) Marsh,z, and kingsnirth, : Op. Cit. , P. 199 .

(٣) عبد الله نجيب محمد : اهداف المسيحية العالمية فى افريقية ، مجلة الازهر ، السنة الثامنة والخمسون ، الجزء العاشر ، شوال ١٤٠٦ هـ يونيو ١٩٨٦ ، ص ١٥٣٧ .

وسر الملك متيسا كثيرا وأظهر امتنانه بتقديم الحمالين والطعام لكل من دي بلفون وستانلي عند مغادرتهما لبلاده ، وأتجه بلفون شمالا ولكن هاجه رجال إحدى قبائل الباري BARL وقتلوه وهرب خدمه ، ووصل بعضهم إلى الخرطوم حيث كان غوردون حكامارا للسودان ، وأخبروه بالقصة فأرسل غوردون بعثة للتفتيش ، ووجدت هذه البعثة جثمان دي بلفون ووجد خطاب ستانلي في حذائه ، وسلم إلى غوردون حيث أرسله إلى لندن ^(١) ، وظهر خطاب ستانلي في جريدة الديلي تلجراف اللندنية في صباح ١٥ نومبر ١٨٧٥م وأحدث دهشة كبيرة بين الشعب البريطاني ، وذلك لأن هذا الخطاب كان ختلافا كبيرا عن الوسائل التي أرسلتها من قبل ، فقد كان ستانلي من رجال الكشف الجغرافي ومراسلاً صحفياً وليس مبشراً ^(٢) ، وعلى أية حال فقد أثار هذا الخطاب حماس جمعية الكنيسة التنصيرية وأرسلت المبشرين إلى هذه الدولة .

كان نفوذ ستانلي على متيسا قد تم نزعها من السلطات الإسلامية ، وذلك بأن ستانلي حذر الملك من أن العرب ربما يقومون بختانه بالقوة ، وربما كانت مكيدة من الرؤساء القدماء الذين كانوا يخافون إذا تم ختان الملك فإنهم يجب أن يمروا بنفس الطقوس الدينية ، ولذلك لفقوا بعض الاتهامات الكاذبة ضد الاسلام ^(٣) .

وقد وجه ستانلي نداءه إلى المبشرين قائلاً : " ياحبذا لو أتى هنا مبشر تقي ومستمرن ، وياله من حقل ومُحصول ناضج لمنجل الحضارة إن متيسا

(^١) Kun, H.K. W., : African Miionary Heroes and heroine, New York , 1917, PP. 131-132

(^٢) Fahs, Sophia, : Uganda's White man of work, Ne York 1913, PP. 3-4

(^٣) Abdu B.Kasozi : Op. Cit., P. 35 .

سوف يعطيه كلّ شيء يرغب في الحصول عليه ، بيد أنه ليس المطلوب هنا مجرد واعظ ، فان أساقفه بريطانيا العظمى مجتمعين وكل شباب الآداب اليونانية والرومانية في اكسفورد وكمبردج ، لن يحدثوا شيئا بالكلام وحسب ، مع شعب أوغندا الذكيّ ... إنما الرجل المطلوب في أوغندا هو المعلم المسيحي المتمرن ، الذي يستطيع أن يعلم أفراد الشعب كيف يصبحون مسيحيين ، وأن يعالج أمراضهم ، وأن يبني المساكن ، إنّ مثل هذا الرجل إذا أمكن العثور عليه فسيصبح منقذ أفريقيا ، واستطرد ستانلى قائلا: أنّى أتكلّم إلى إرالية الجامعات في زنجبار وإلى طائفة الأحرار المتوديين في ممباسا FREE METHODISTS ، وإلى شعب إنجلترا الوريح ، هنا أيها السادة ، فرصتكم فاغتنموها ، إنّ سكان شواطئ البحيرة يدعونكم ، استجيبوا لمشاعرهم الكريمة^(١) .

وفي الوقت الذي وفد المبشرون الإنجليز إلى أوغندا ، كانت الدعوة الإسلامية في هذه المملكة الاستوائية تمر بحقبة حرجة من تاريخها ، ويمكن تفسير ذلك بأن الباغنده وعلى رأسهم ملكهم متيسا كانوا قد بدأوا يشكون في نوايا تجار زنجبار ، الذين كانوا رُسل الدعوة الإسلامية في إقليم البحيرات آنذاك ، ويضاف إلى ذلك أن الباغنده وهم بحكم ثقافتهم لا يختنون ، إذ امتنعوا عن الختان الذي كان تجار زنجبار يصرون على إجرائه لكل من يعتنق الإسلام من الباغنده الأمر الذي سبب لهم مضايقات شديدة لدرجة أنهم صاروا لا يرحبون بالإسلام فرارا من الختان ، ومما يذكر أن متيسا حينما أعتنق الإسلام كان يعدم كلّ من يرفض الاختتان من رعاياه وذلك بالرغم من

(١) جريدة الديلى تلغراف اللندنية في ١٥ نوفمبر ١٨٧٥ م رسالة ستانلى .

Stanley on his Journey to victoria nuanza and Circumnavigation of the lake.
في الصحف البريطاني بلندن .

أنه لم يختن هو شخصياً ، وقد قيل إنه لهذا السبب أعدم مرة واحدة حوالي مائتي شاب من الباغدة حرقاً بالنار (١) ، وعلى ذلك يمكن القول بأن المسيحية قد وصلت إلى أوغندا في وقت مناسب جداً.

وتورد فاهس FAHS مناقشة جرت بين متيسا وبين بعض زعمائه للنظر في قبول المسيحية، ويذكر متيسا بأن السبب الرئيسى لقبوله المسيحية هو سلوك بيك وستانلى القويم فى بلده ، وعدم طمعها فى شئ من مملكته ، وذلك بعكس التجار العرب الذين حضروا إلى مملكته من أجل الحصول على العاج والرقيق ، وأرجع متيسا سلوك كل من الفريقين إلى تعاليم كتبهم السماوية تماماً ، ولذلك فضل - كما تقول فاهس - المسيحية وأعلن نفسه تابعاً لها ، ووعد بأن يبنى كنيسة ، وطلب مدرسين للمسيحية لتعليمه وتعليم شعبه الطريق الصحيح (٢) ، " هذا حسب نظر المنصرة فاهس الملء ببالحد والضغينة للإسلام والمسلمين ، والواقع لي كذلك إذ إن سلوك المسلمين مستمد من تعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة التى ليست فيها زيغ أو نقص .

هذا وقبل ذلك كان متيسا قد قبل الإسلام الذى وصل إلى أوغندا عن طريق التجار العرب القادمين للتجارة ، والآن نتساءل عن سبب تحول متيسا عن الاسلام ؟.

يذكر البعض قصة قتل متيسا للمسلمين من أجل عقيدتهم فيقول :

أرسل متيسا الى بعض الباجنده المسلمين أبقارا مذبوحة بطريقة مخالفة للشرع الإسلامى ، فرفضوها ، وعندما سمع متيسا عن رفضهم لهديته لهم اضطرب

(١) Ashe, R.P., Chronicle of Iganda , London 1894, PP. 64-65

(٢) Fah : Op. Cit., PP. 4-18.

هو وجميع الباجنده الذين معه ، وأصدر على الفور قرارا بقتل جميع المسلمين، وبالتالي تم البحث عن المسلمين في جميع أنحاء المملكة ، وارتكبت مجزرة لارحمة فيها (١) ، وهذا يفسر سهولة قبول متيسا للمسيحية على اعتبار أنها بديل للإسلام .

وقد دخل المبشرون حياة الواجندا منذ البداية بحشر أنفسهم ضمن التركيبة الاجتماعية للواجندا ، ليظهروا أنهم أقل غرابة وأكثر ألفه من وجهه نظر الوطنيين ، فقد بدأ المنصر ويلسون WILSON هذه العملية باستبدال الخدم الذين أحضرهم من الساحل يخدم من الواجندا ، وأصبح منزله يشبه منازل زعماء الباغندا ، ولم يلبث أن أصبح يدعى لحضور اجتماعات الزعماء الآخرين (٢) ، وبذلك أصبح المبشرون متصلين اتصالاً وثيقاً بنخبة مختارة وباتباع كثيرين ، والأكثر من هذا هو زيارة البعض من بيوت الزعماء للمبشرين وانجذابهم لتعاليمهم ، وهكذا بدأت المجتمعات المسيحية تزدهر ليس فقط بين المنتظمين في الدراسة الدينية بل بين أفراد من أسر الزعماء الجاندا GANDA المشهورين أيضا (٣).

ويبدو أن متيسا كان على وشك أن يبح مسيحيا ، وهذا يعنى استئصال الإلام ، ولكن أمه الملكة (ناما سولي) NNAMASOLE واخته (موكاسا) MUKASA كانتا معارضتين لتلا ينساق وراء الديانة والثقافة الجديدة ، لأنهما كانا أقوى شخصيتين في الدولة بعد الكاباكا (٤)، وقبل أن يقوم الملك بطقوس

(١) Ingrams , Harokl : Uganda, A crisis of Nationhood , London 1940, P. 77.

(٢) Taylor, John. : Op. Cit., PP. 38-39.

(٣) Oliver, R., and Mathe , G. : Op. Cit., vol I , P. 349.

(٤) Ibid., P. 348 .

التنصير بالركوع على الارض ركعت موكاسا على ركبتيه وقالت : لقد سمعت كل شئ قلته فى صالح أن تصبح مسيحياً ، وأنت بالكامل على حق ، لكن الناس ممكن أن ينقروا فقط عندما يكونون فى سلام ، وأنت الآن فى منافسة بين الإسلام والكاثوليك والبروتستانت ، وإذا انضممت إلى إحدى هذه الديانات فإنه لن يوجد سلامٌ فى البلد (١) ، ولقد تم الأخذ بنصيحة موكاسا ولم يتم شئ من طقوس تنصير الملك .

وقد أصّر متيسا على بقاء المبشرين فى عاصمته وكان لذلك الوضع محاسنه ومساوئه بالنسبة إليهم ، فمن مميزاته أنهم وجدوا أنفسهم فى قلب الحياة البوجندية ، مع قربهم للحاكم وهو أعلى سلطة فى المنطقة التى تدين له بالولاء ، مما ساعد على نجاحهم فى نشر رسالتهم بسهولة أكثر مما لو تجولوا بين قرى بوجندا ، أما لبيات وجودهم فى العاصمة فهي أنهم انجذبوا بسرعة إلى الحياة السياسية لمملكة بوجنده ، بسبب تعليمهم العربى ومهارتهم الفنية ، مما وضعهم فى موقف يجمع بين القوة والخطر ، حتى إن نجاحهم فى الأعمال التبشيرية الصّرف سبب انزعاج متيسا ، والسبب فى ذلك هو إخلاص الذين تلقوا التعاليم المسيحية للمبشرين وإهمالهم لواجباتهم نحو حاكمهم الأصلي ، ومما زاد من حدة هذا الانزعاج تحريض التجار العرب المستمر لمتيسا ضد هؤلاء المبشرين ، وبالرغم من ذلك فقد كان متيسا من القوة حيث يستطيع مواجهة أية مشاكل تهدد باثارة المتاعب فى السنوات الأخيرة لحكمه ، وأصبح موقفه غير وديّ نحو المبشرين بدرجة متزايدة إلى الحد الذى أخبر الآباء البيض على الانسحاب إلى جنوب البحيرة (٢).

(١) Abdu. B. Kasozi : Op. Cit., P. 37

(٢) Ingrams , kenneth ., : The Making of Modern Uganda , London 1958. P. 37

ويقول أيتير APTER إنه عندما أراد المبشرون توسيع نطاق سلطتهم ونفوذهم أدرك متيا على الفور صحة التحذيرات العربية ، كما وأن متيسا لاحظ التنافس بين مبشري الكاثوليك الفرنسيين ، وبين البروتستانت الإنجليز مما أريكه وجعله مترددا في قبول تعاليم أيّة بعثة ، وقد لاحظ أيضا عدم وجود العلاقات الودية والمحبة بين البعثتين التنصيريتين (١) لذلك ففي عام ١٨٨٠م أصدر متيسا قانوناً بجعل الإسلام الديانة الرسمية للدولة ، ولكن أعطى أهالي باجندا BAGANDA لاختيار أيّ الديانات ، وقد حدث ذلك بعد أن ظهر له ملكان في حلمه وامراه بأن يقول : الله أكبر إذا كان يرغب في الحصول على عمر طويل وطيب ، وفي بداية عام ١٨٨١م حضر ثلاثة تجار إلى بوجندا BUHANDA معهم العديد من الهدايا للملك وهم حاشد من سرور HASHID NIN SURUR ، وأحمد لمك AHMED LAMK وكمبي مبايا KAMBI MBAYA مما جعلوا متيسا صديقا للعرب ، وبالتالي لديانتهم (٢)، وفي أكتوبر ١٨٨١م حدد إعلان ولائه للإسلام ، وأخبر العرب في القصر الملكي بأنه قبل ديانتهم ، وفي عام ١٨٨٢م قرر المبشرون الكاثوليك ترك يوجندت لخوفهم من احتمال اضطهاد المسلمين لهم ، وذلك لزيادة نفوذ الإسلام (٣).

وقد نشأ عن ارتياب الوطنيين في نوايا الرجل الأبيض والمبشرين بعض الحوادث ، نذكر فيما يلي بعضا منها :

(١) Apter , D.E., : The Political Kingdom of Uganda, Ne Jersey , 1961,P. 40

(٢) Mackay, A. : Mackay of Uganda by hi sister, London 1890, P. 224.

(٣) Abdu , B. Kasozi , : Op, Cit., P. 38 .

(ب) موقف العلماء والدعاة فى الساحل وزنجبار من الغزوات

التنصيرية فى المجتمعات العربية الاسلامية :

كان هناك استياء متزايد بين جميع مسلمى الساحل ضد حماس أعضاء جمعية التنصير الكنسية وأنشطتها ، ولم يشعر المسلمون فى بداية الأمر بالامتناع من وجود المبشرين ، حين شرعوا فى العمل فى الاربعينات والخمسينات ، وذلك لأنهم اقتصروا فى مستهل الأمر على تنصير القبائل الوثنية التى تعيش فى الداخل ، والعبيد المحررين ، لكنهم وسعوا ، لكنهم وسعوا مجال نشاطهم منذ قيام الادارة الاوربية على الساحل ، كما راحوا أخيرا يشنون حملة ضارية ضد الاسلام ، واتخذوا من سوق ممباسا مركزا يقومون فيه بدعوتهم علنا لتحويل المسلمين عن دينهم الى المسيحية ، وراحت نساء البعثة يزرن منازل أسر المدينة المسلمة بيتا بيتا ، وقام والى ممباسا بتنبيه القنصل ماثيوز الى أن حماس البعثات التنصيرية الطائشة أدى الى خلق شعور عدائى كبير ضد الاوربيين ، وأن العرب يقولون انه لولا وجود حكومة أجنبية فى البلاد لما جرؤ هؤلاء القسس على الخطابة فى الشوارع العامة ضد مبادئ ديننا . (١)

وأُسست بعثة الكنيسة التنصيرية مدينة فريرتاون FRERETOWN التى استخدمت كمستعمرة للعبيد المحررين من جزيرة ممباسا ، وتم عودة أحد المسيحيين من جيرياما GIRIAMA وهو KOI ليصبح مدرسا لمجموعة ضخمة من العبيد الهاريين فى فولدويو FULODOYO ، ولكن عرييا تسال

(1) F.o..107 \51 , Hardinge to Salisbury, 12 April 1896 , No 120.

الى أكواخ العبيد فى عام ١٨٧٦ ، وضرب عنق كوى وهو يعتبر أول مسيحى يتم قتله فى كينيا (١) .

ولم يرضخ العرب فى زنجبار للوضع الذى أملاه عليهم تفوق عدوهم فى السلاح فتعددت الثورات ، وتزعم هذه الثورات بعض الزعماء الذين ينتسبون الى أسر عربية هاجرت من الجزيرة العربية منذ سنوات بعيدة ، واستقرت بالساحل الافريقى .

ويرجع جونستون Johnston ثورة القبائل العربية على الحكم البريطانى لا للرغبة فى الاستقلال والحياة الحرة الكريمة ، ومقاومة المستعمرين ، بل لما أصاب تجار الرقيق العرب وأتباعهم من خسائر نتيجة لمقاومة إنجلترا لتجارة الرقيق فى تلك الجهات (٢) .

وحتى إذا سلمنا جدلاً بهذا السبب كدافع لثورة العرب ، فمما لاشك فيه أنه ليس هو السبب الأول أو الوحيد ، ولكن ليس غريباً على جونستون وهو الذى نادى بأن يفتح باب الاستعمار لإنجلترا على مصراعيه ، وقد شارك هو نفسه فى هذا الميدان بنصيب كبير - أن يظهر إنجلترا للشعوب فى ثوب المدافعة عن حق العبيد فى الحرية ، والعرب الثائرين على حرمتهم وحقوقهم المهضومة فى ثوب المستبدين الناقمين على تحرير العبيد ، ومن المعروف أن بريطانيا استغلت قضية تحرير العبيد والرغبة فى التأكد من تنفيذ القوانين الصادرة بذلك لفرض سيطرتها والتدخل فى شئون البلاد الأخرى ، وتفتيش السفن والموانئ وغيرها .

(1) Prefessor John, Mbiti : Kenya Churches Hand Book, Published by Evangel Publishing House, Kisumu , Kenya , August 1973, P. 31.

(2) Tohnston , Sir Harry : Britain Across the seas, Africa , London , 1910 , PP . 384-385.

وكان كيرك Kirk القنصل البريطانى فى زنجبار قد أشار الى أن شرق أفريقية أصبحت مغلفة فى وجه أى استعمار بسبب تشكك الأفريقيين فى نوايا الأوربيين ، وإن مارده الألمان عن فتح المناطق الداخلية بطريقة سهلة وسليمة باكتساب ثقة المواطنين أصبح غير ذى موضوع ، ولا يوجد الآن غير الشك فى نفوس المواطنين ، وهو النتيجة الوحيدة للاستعمار الألمانى (١) ، ومن الواضح أن كيرك ألقى اللوم فى ارتياب الأفريقيين فى نوايا الرجل الأبيض على عاتق الاستعمار الألمانى فى المنطقة ، بالرغم من أن وجوده فى زنجبار كان يضيفى الحماية على المبشرين الإنجليز فى ممباسا ، مما دفعهم إلى الإشتباك فى صراع مع تجار الرقيق فى تلك المنطقة بالرغم من شرعية هذه التجارة فى ذلك الحين ، مما أثار الشك فى نوايا الرجل الأبيض عموماً باعتبار أن ذلك نوع من أنواع السيطرة الأوربية كبداية للإستيلاء على ممتلكات الأفريقيين ، ومما أكد هذا الشك هو توزيع الحكومات الإستعمارية لبعض الاراضى الأفريقية على هذه البعثات ، وبالرغم من استخدامهما محطات للبعثات التبشيرية ومدارس ومستشفيات فى خدمة الشعب الأفريقى لم يقل شعور الإستيلاء الذى شعر به الناس خصوصاً عند دخولهم لأراضى البعثات التى كانت من قبل أراضى آبائهم.(٢)

وأعلن سلطان زنجبار أن المقاومة الإسلامية تعدّ جزءاً من المعارضة العامة ضدّ الأوربيين ، وهى لذلك ضدّ الإستعمار ، وهى تلقى تأييداً من العرب العاملين على طول الساحل ، ١

(1) Coupland, R., :The Exploitation of East Africa, 1865 - 1890 PP. 455-456.

(2) Beetham, T.A Christianity and th New Africa , New York , 1947, P.16.

وفي وسط أفريقية ، الذين قرّروا مقاومة الانتهاجات الأوربية ، ولقد لعب سلطان زنجبار دور المخطط والقائد لعمليات المقاومة الضخمة في كل شرق أفريقية .

وقام ماكدونالد Mcdonald بإعطاء تصريح للمسيحيين في بوغندا Buganda بالهجوم على المسلمين الذين كانوا غير مسلّحين ، ففضوا على الكثيرين منهم ، وهرب الباقي من أجل حياتهم إلى مناطق مثل كيزيب Kizib في تتجانيقا وتورو Toro ، وبوسوجو Busogo ، وانكولي Ankole و بنيورو Bunyoro ، وبوكيدي Bukedi حيث أصبحوا أول دعاة للإسلام ، وقد كان من بينهم بوركودا Burkuda ، ووامالا Wamala وتكونجي Nukonge ، وعبد القادري Abd El Kadiri ، ولوانجا Lwanga وغيرهم من الأبطال المسلمين وكان من الطبيعي أن السياسة التي تقوم على المساس بمشاعر السكان ومصالحهم وإثارتهم بوسائل القمع الشديدة لأبَد أن تؤدي إلى أوحم العواقب ، فشهر الأهالي السلاح في وجه المنصرين على الساحل ، مما دعا الشركتين المتنافستين الألمانية والانجليزية إلى إنهاء التنافس بينهما لمواجهة الخطر الذي بات يهدد مصالحهما ، ووجد أهالي زنجبار في شخصية زعيم وطني مسلم من سكان بانجاني Pangani يدعى بشيري قائداً لايعوزّه الذكاء والدهاء

فإنه في اغسطس ١٨٨٨م قاد بشيري مقاومة العرب من بانجاني ، ووجدت الشركة الألمانية نفسها تواجه الثورة ، التي أدت إلى نقص في الموارد ، وقد تم هجر المزارع بسبب تقدّم الثورة ، وقد ساعدت السفن البحرية الحربية البريطانية الألمان في غلق الساحل ، وأرسلت حكومة ألمانيا قوات كبيرة لإخماد الثورة ، فقد تم ارسال الكابتن فيسمان Wissman ليتقلد

وظيفة المندوب الإمبراطورى فى إدارة الشركة ، وكان بشيرى يسبب
إزعاجاً شديداً بالغارات المتكررة التى كان يشنها من مكان لآخر ، حتى تمّ
القبض عليه وإعدامه فى ديسمبر ١٨٨٩م ولكن الثورة

ومن الدعاة أيضاً الشيخ على محمد عثمان الحداد ، من مواليد ممباسا
عام ١٥١٩م ، إذ أخبرنى أنّ الإسلام جاء إلى شرق أفريقيا بواسطة العرب
الذين أتوا من البحر ، وكان الإنجليز كثيرين فمنهم المنصرون والتجار الذين
لعبوا دوراً كبيراً فى جذب بعض ضعاف النفوس إذ أغروهم بالمال .

وقد أسس الشيخ على معهد كسونى ودار العلوم وبعض المساجد فى
ممباسا (١) وأيضاً الشيخ أمين على هنادى من مواليد ممباسا عام ١٩٢٠ ويعمل
الآن رئيس الاتحاد الوطنى لمسلمى كينيا ، وقد أخبرنى بأنّ المنصرين يساعد
بعضهم بعضاً ولا ينقصهم أى شىء من المساعدات وبينون الكنائس
والمدارس ليعلموا النصرانية ، وأيضاً المدارس الحكومية تُعلّم المسيحية ،
ويقول كان من الصعب علينا جمع الأولاد لأنهم كانوا يفكرون فى
مستقبلهم ، ومن المدارس التى أسستها جمعية الاتحاد الوطنى لمسلمى كينيا مدرسة
بهوان الإسلامية الابتدائية وغير ذلك (٢) .

وأخبرنى أنّ للمنظمات الإسلامية دوراً كبيراً فى المساعدات إذ إنّ
رابطة العالم الإسلامى عن طريق الإغاثة تشرف على الكلية الإسلامية ،

(١) اجتمعت بالشيخ على فى مسجد الهداية بجوار منزله فى ممباسا وذلك بعد صلاة الظهر يوم الثلاثاء

الموافق ٤ من محرم لعام ١٤٠٩ وذلك اثناء رحلتى العلمية التى قمت بها إلى مناطق شرق أفريقية .

(٢) انظر ملحق رقم (٥)

لإعداد المدرسين في ممباسا ، وأيضا تكلفت بدفع رواتب المدرسين لمدة ثلاث سنوات (١) .

وأيضاً من الدعاة الشيخ أحمد عبد الرحمن المليباري من مواليد مليبار عام ١٩١٠م ، وقد أخبرني بأن أهله حضروا إلى ممباسا ، وهو صغير جداً ، وكان عمره لا يتجاوز ثلاث سنوات ، وكان لوالده دور كبير في نشاط الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وهو الآن يعمل مديراً لمدرسة الفلاح الإسلامية التي تأسست عام ١٨٩٥ م والتي تعتبر أقدم مدرسة تأسست في ممباسا ، وهو يقوم بالتدريس فيها وإلقاء الخطب ، وتخرج على يديه شباب ينشرون الإسلام في جميع أنحاء شرق أفريقية (٢)

وأيضاً من الدعاة الشيخ سليمان عبدالله صالح شقصي ، من مواليد دار السلام عام ١٩١٨ م وقد أخبرني بأن الإنجليز كذبوا على الناس وكانوا يقولون إن العرب سيأخذونكم عبيداً وهم قد شوهوا صورة الإسلام بالنسبة للناس ، مع أننا نعرف أن الإنجليز الذين اقتنصوا العبيد من أفريقية أكثر من العرب ، وأيضا هؤلاء الألمان عندما أتوا إلى تنجانيقا (تنزانيا حالياً) وجدوا أن الإسلام منتشر بين الأفريقيين على أيدي العرب ، فبادروا باتخاذ الخطوات التالية :-

(١) جعلوا الكتابة بالأحرف الألمانية، وعلموا الأفريقيين الذين اعتنقوا المسيحية كتابة اللغة السواحلية بالحروف اللاتينية بدلاً من العربية .

(١) اجتمعت بالشيخ أمين هنادي في مقر جمعية الاتحاد الوطني لمسلمي كينيا في ممباسا ، وذلك يوم الأربعاء الموافق الخامس من محرم لعام ١٤٠٩ هـ

(٢) اجتمعت بالشيخ أحمد المليباري في مدرسة الفلاح الإسلامية في ممباسا وذلك يوم الخميس الموافق السادس من محرم لعام ١٤٠٩ هـ وذلك أثناء رحلتي العلمية التي قمت بها إلى مناطق شرق أفريقية .

(٢) دربوا مناعتق المسيحية من الأفارقة بأقصى سرعة لكي يتقلدوا المناصب في الحكومة .

(٣) نشروا الخبر في أوروبا بأن الإسلام انتشر هنا وهناك وأن الإسلام يسيطر على البلاد كلها

والنتيجة أنهم بنوا مدارس ومستشفيات وكنائس ، ولا يقبل فيها أحداً إلا إذا اعتنق المسيحية (١)

وفي حي تكونغ المواجه لما ليندى تقابلت مع بعض الشيوخ في منزل الشيخ الشريف علوى محمد بافقيه وهوشىخ الحى ، ومن مواليد تكونغ عام ١٩٢٠ وقد أخبرنى أن الحكومة تساعد المنصرين ، لأن أعضاء الحكومة ورئيسها يدينون بالمسيحية ديناً وعقلاً ، وهو يؤيد الكنائس ويساعدهم بكل شيء ، والحركات والنشاطات التى يقوم بها قد انتشرت وقويت فى البلد ، حتى فى الإذاعة والتلفزيون تتضافر جهود الرئيس مع الكنيسة، وأن المسلمين قليلون ، ولا يكفى ما عندهم لبناء منشآت إسلامية من بناء المساجد والمدارس، واقترح الشريف أنه لا بد أن يتحصل المدرسون بجانب اللغة العربية على اللغة الإنجليزية لأن يعملوا بالطريقة المتبعة فى التعليم فى المدارس، ولذلك كان على الاتحاد الوطنى المسلمى كينيا أن ينشأوا كلية لإعداد المدرسين ، لتعليم المدرسين اللغتين العربية والإنجليزية (٢) ويدير الكلية الشيخ خميس

(١) اجتمعت بالشيخ سليمان شقصى فى جمعية المسلمين بدار السلام فى تنزانيا اثناء الرحلة العلمية التى

قامتها الى مناطق شرق افريقية وذلك يوم الخميس ١٣ من محرم ١٤٠٩ هـ

(٢) اجتمعت فى منزل الشريف علوى بافقيه فى حي تكونغ المواجه لما ليندى وذلك فى صباح يوم الاحد الموافق التاسع من محرم لعام ١٤٠٩ هـ بمندوب جمعية الاتحاد الوطنى لمسلمى كينيا ، وذلك اثناء رحلتى العلمية التى قمت بها الى مناطق شرق افريقية.

المزروعى ، الذى يعمل مديراً لكلية إعداد المدرسين بجمعية الاتحاد الوطنى لمسلمى كينيا، وهومن مواليد ممباسا عام ١٩٣٠ م ، وقد أخبرنى بأنّ جدهم الشيخ الأمين بن على المزروعى كان قاضى القضاة فى كينيا ، وقد توفى عام ١٩٤٥ وكان يدرس فى المدارس والمساجد ويكتب كتيبات للحديث والفقه ومن كتبه كتاب هداية الأطفال ، وكتاب تفاسير أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبرنى بأنّ تكلفة إنشاء كلية إعداد المدرسين تبرع ببنائها خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود من حسابيه الخاص وذلك ببلغ ثلاثة عشر ألف وسبعمائة وثلاثة وعشرون أمريكى ، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء (١) .

وأيضاً من بين الدعاة الشّسخ عوض مبارك با خميس ، من مواليد ممباسا عام ١٩٢٥ م ويعتبر من مؤسسي جمعية شبان الأنصار ، وأخبرنى أنّه كان يدرّس الدين الاسلامى للتلاميذ ، وذلك لأنه لا يوجد فى المدارس الحكومية مادة الدين الإسلامى ، لذلك جمعت تلاميذ المسلمين لدراسة الدين الإسلامى ، وكان المسلمون يعيشون أيام الاستعمار قانعين بحياتهم اليومية ، ولا توجد حركة قوية لنشر الدين فى القرن الماضى ، وكان معظمهم من البحارة العرب والهنود ، وقد اتّخذ الناس السادة للفتاوى وخصوصاً آل باعلوى ، وأكبر مركز لهم فى لامو ومن لامو نشروا الدين ، وعلموا الكثيرين فى منطقة الساحل ، وأيضاً لهم مركز فى زنجبار وآخر فى جزر القمر ، ومن السادة السيد سعيد بن محمد البيض ، والسيد صالح البدوى ، ومن المدافعين عن الإسلام السيد عمر بن عبد الله من آل الشيخ أبو بكر .

(١) اجتمعت بالشيخ هيس المزروعى فى ادارة كلية اعداد المدرسين فى طريق ممباسا - ماليندى وذلك أثناء رحلتي العلمية التى قمت بها لمناطق شرق افريقية . انظر ملحق الصورة رقم (٦) .

وأضاف الشيخ عوض مبارك با خميس : أننا نحن نريد أن نؤسس إيماناً قوياً بين الأفارقة ، ولكن كانت هناك سدود قوية تتمعنا مثل تجارة الرقيق ، وفضل الإنجليز عليهم لتعليمهم وترتيبهم ، لذلك بدأنا نقولهم إن الإسلام برىء مما ينسب إليه ، وإن كان بعض العرب قد أساءوا لهم ، وذلك بطريقة فلسفية ، ولانغريهم بالمادة فى سبيل إسلامهم ، وعندما شعرنا أننا قصرنا بالنسبة إلى الشبان المسلمين أسسنا الجمعية ، وهدف شبان الأنصار التتبيه بحال المسلم هنا والتتبية العلمى حتى إن رمز الجمعية " العلم نور وقوة ، والتمسك بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فرق بين أبيض وأسود " وأصدرت الجمعية جريدتلتتبيه حال المسلم وتدريسه الدين الإسلامى وطبعنا عدة كتب باللغة السواحلية ، وبدأنا بحركة التبليغ وعندما شعرت بنا الحكومة بدأت تُعادينا ، وأخذت بعضاً منا وأعودعتهم فى السجون ، وذلك بعد أن القينا عدة محاضرات فى الدين الاسلامى ، وقد قامت الكنائس بأمر الحكومة بمنعنا (١) .

وأيضا من الدعاة الشيخى عبد الرحمن محمد بن زاغو من مواليد ممباسا عام ١٩٣٠م ، وهو الآن معلم فى متحف ممباسا ، وأيضا كاتب فى جمعية تعليم القرآن ، ويدرس فى مدارس إسلامية لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الدينية ، وأيضا كان يدرس فى مدرسة التقوى على بعد عشرة كيلو متر من ممباسا إلى نيروبي (٢) .

(١) اجتمعت بالشيخ عوض باخميس فى مقر جمعية انصار المسلمين فى ممباسا يوم السبت الموافق ٨ محرم ١٤٠٩ هـ وقد ساعدنى كثيرا تصوير الوثائق المحفوظة دار المحفوظات الحكومية فى كينيا بعد أن توسط لى لدى امير ممباسا فجزاه الله عنى خير الجزاء

(٢) اجتمعت بالشيخ عبد الرحمن فى قلعة ممباسا فى صباح يوم الاثنين الموافق العاشر منمحرم لعام ١٤٠٩ هـ .

وأیضا من الدعاة الشیخ عبد السلام علی محمد برادییامن عائلة الیمینی ، ومولود فی ممباسا عام ۱۹۳۰ م وهو إمام مسجد الیمینی ، فی ممباسا ، وأیضا معلم وداعیة إلى الله سبحانه وتعالی، وأخبرنی أن جمعیة الیمینی بنت المسجد عام ۱۸۸۳م وأن جده ولد فی ممباسا عام ۱۸۶۵ ووالده من موالید عام ۱۸۹۰ ، وقد شیدوا هذا المسجد الأثری ولهم مساهمات کبیرة فی خدمة الإسلام والمسلمین ، وتعد فی هذا المسجد حلقات لتعلیمیة لتعلیم الأمور الدینیة وأیضا فی هذا المسجد قاعة متوسطة الحجم طولها عشرة أمتار وعرضها خمسة حیث یجتمع الطلبة لاسترجاع دروسهم المدرسیة و غیرها بأنفسهم ، وأیضا للأطلاع على الكتب الدینیة والتاریخیة (۱)

ومن العلماء والدعاة الأجلاء الشیخ ابو بكر المحضار ، والشیخ محمد عبد القادر ، وعمر حسین ، تلمیذ الشیخ محمد عبد القادر الذی ألف کتبا عديدة فی فن الصرف والتراجم والسیرة ، ومن مؤلفاته کتاب " نثر الجواهر فی قاعدة الصرف الفاخر " وکتاب " الجوهر النفیس فی باب السیرة " .

وقد أسترعی انتباهی خصلة فريدة ینبغی ذکرها والإشادة بها هی أن العلماء كانوا یتحملون مصاریف الإنفاق على طلابهم الوافدين إلیهم ، إذ إن هؤلاء الطلاب قد نفروا من دیارهم إلى طلب العلم ، ففارقوا أهلهم وذویهم بغیة أن یسعدوا بقسط وفیر من منهل ونبع علم هؤلاء العلماء ، فكان من

(۱) اجتمعت بالشیخ عبد السلام بعد صلاة الظهر فی مسجد الیمینی فی ممباسا الذی بنی قبل ۱۰۰ مائة عام وذلك یوم الثلاثاء الموافق ۱۱ محرم ۱۴۰۹ هـ وذلك اثناء رحلتی العلمیة الی قمیها الی مناطق شرق افریقیه . انظر ملحق الصور رقم (۷)

المكرم الأمتل أن يكون نفقتهم على علمائهم ، وأن يجودوا عليهم علما وأنفاقا(١).

وقد حدثنى أحد الدعاة في شرق أفريقية أن التحديات الشديدة التي يقوم بها التبشير وقادته ضدّ الاسلام وضدّ المسلمين في المنطقة تهدف أساسا إلى تحطيم الرؤية الوطنية ، والشعور الوطني

الذي يترعرع في ظلّ الاسلام ، فالأفريقيون يستيقظون اليوم على إحساس منهم بأن حضارة الممالك الإسلامية الأفريقية ، كانت تفوق بكثير حضارة الإنسان الغربي الأبيض ، في تلك العصور ، الأمر الذي يعطيهم فخرا وعزة بأنفسهم إذ إن تلك هي الحضارات الأفريقية الحقيقية(٢)

وإذا استعرضنا الأحوال في أوغنده نجد أنه عندما أصبح توجو موبوتو اميراً لجماعة المسلمين في أوغندا عمل على إنشاء العديد من المدارس القرآنية في كل من كيبى ، ولوكالو ، وكابيجا ، وكيبوني ، وقد أشرف على الأخيرة بنفسه ، وكان يعمل معه بها مجموعة من المعلمين السواحليين ، أشهرهم خليفة بن مبارك ومن تلاميذه بدر كاكقولا ، وكانت مهمة هذه المدارس تزويد الطلاب بالتفاصيل الدقيقة للعلوم الدينية والفقه الاسلامي ، وقد نجحت في ذلك ، وعملت هذه المدارس على تعميق الثقافة الاسلامية ونشر تعاليم الاسلام ، عن طريق الشيوخ (الدعاة) وكانت أوغندا تضمّ عدّة دعاة منهم :

(١) اجتمعت بهؤلاء الشيوخ في جزيرة لامو وذلك يوم الاثنين الثالث من محرم لعام ١٤٠٩ هـ وذلك

اثناء رحلتى العلمية التي قمت بها الى مناطق شرق أفريقية

(٢) اجتمعت بالداعية عمر محمد سعيد الاوسي الامين العام للشباب الاتحاد الوطني لمسلمي كينيا اثناء زيارتي

لكلية اعداد المدرسين على طريق ماليندى وذلك في صباح يوم الاحد الموافق التاسع من محرم لعام

١٤٠٩ هـ ، وذلك اثناء رحلتى العلمية التي قمت بها لمناطق شرق افريقية.

الشيخ سويبوزماكولا الذي ولد في أسرة مسيحية ، ولما طلب العمل التقى بمجموعة من السواحليين أحسنت رفقته ، فقرر عند رجوعه إلى أوغندا اعتناق الإسلام ، لذلك ذهب إلى بوتம்பالا ليتلقى أول دروس في العقيدة ، وانتقل بعد ذلك إلى منزل الشيخ موسيل في كبادندو ، ثم سافر إلى تنزانيا حيث تلقى العلم على يد عالم سواحلي ، يدعى عبدالصمد بن نجم الذي أجازة ، فذاعت سمعته كشيخ إسلامي ، ورشحها الأمير بدر وكاكنقولوا ليدعو من أجل استقلال أوغندا ، وقد كشف الاستطلاع العام الذي أجري في أوغندا عام ١٩٥٠م بأنه أكثر الشيوخ علما ، وقد بلغ عمره آنذاك ستين عاما ، ولقد تمثل إسهام الشيخ سويبو في تعميق الثقافة الإسلامية في أوغندا ، وفي تعليم وتخريج عدد من الشيوخ بالإضافة لقيادته للمجتمع الأوغندي ، وتوفي عام ١٩٧٥م .

وهناك أيضا الشيخ الحاج محمد عبد الله الذي هاجر إلى مكة ، وقضى بها عدة سنين ، ثم سافر بعدها إلى مصر ثم إلى الصومال ، وعين معلما لعلوم الإسلام ، وفي عام ١٩٠٥ م وصل إلى كينيا في نفس المهمة ، ثم هاجر منها عام ١٩١٠ إلى أوغندا حيث أشرف على مهمة التعليم في يومبو ، موقد أسهم فيها في بناء مسجد ومدرسة ، وبقي مستقرا في يومبو حتى عام ١٩٣٠ م ثم هاجر منها إلى مدينة أروا بأوغندا ، ولم يكتف بالتعليم فيها فقط بل ساعد في اعتناق عشرة آلاف أوغندي للإسلام .

وأیضا اشتهر من دعاة الإسلام في أوغندا العديد من الشيوخ ، منهم الشيخ عبد الله الزمكواني ، والشيخ احمد نيسامبو ، والشيخ خليفة بن مبارك والشيخ محمد ميانجي ، والشيخ عبد الواحد موسكو ، وقد عمل كل هؤلاء الشيوخ الوطنيين على تقوية وتعميق الثقافة الإسلامية في قلوب المسلمين ،

ولم يكتفوا بمهمة التعليم بل عملوا على اكتساب أشياح جدد للدين الاسلامي من خلال البعثات التي أرسلتها زعامة المسلمين في كيبولي، وأرسل الشيخ يوسف بياكونو على رأس بعثة للإقليم الشرقي لتدريب المسلمين ، وكسب أنصار جدد للإسلام ، كما أرسل الشيخ موسى بلاليند إلى بونيورو لذات الغرض بجانب العديد من الشيوخ الذين أرسلوا لذات الغرض ، منهم الشيخ يوسف بلييتيا وآدم بافيراولا وسيريمان دمليرا ، وعبد الله كانقولو ، وقد كان منهجهم هو الاتصال بالأفراد وإقناعهم باعتناق الإسلام (١) .

إن الجمعيات الإسلامية التي تعمل فيها في مجال خدمة الإسلام كثيرة ن ولكنها تلتقي في المجلس الأعلى لمسلمي كينيا ، ويُنحصر أعمالها في بناء المدارس الأهلية الإسلامية ، وإدارتها وبناء المساجد ، وتعليم أبناء المسلمين في تلك المدارس الأمور الدينية فقط ، ومن تلك الجمعيات الرئيسية : جمعية الشبان المسلمين ، جمعية الاتحاد الوطني لمسلمي كينيا ، جمعية تعليم القرآن ، جمعية الدين الإسلامية ، جمعية الدَّعوة الإسلامية ، جمعية الانعاش الإسلامية ، جمعية الأنصار الإسلامية .

وجمعيات أخرى كثيرة وكل هذه الجمعيات لها مدارسها الخاصة تديرها في خدمة أبناء المسلمين في مجال التعليم الديني واللغة العربية ، إلا أن هذه المدارس لا تفي بمتطلبات أبناء المسلمين ، كما أنها لا تغطي جميع المناطق المحتاجة إلى المدارس ، لوقاية أبناء المسلمين من شرك الأعداء (٢)

(١) اجتمعت بالشيخ عبدالعزيز احد علماء اوغندا في مسجد المسلمين في نيروبي حيث انه قد فر من

اوغندا بسبب الاضطهاد ، وكان ذلك اثناء رحلتي العلمية التي قمت بها الى مناطق شرق افريقية

(٢) على حافظ ابراهيم : تقرير سبق ذكره ، ص ٥ .

ولم ينته دور التطوير للمساجد رغم قلة الإمكانيات إلى هذا الحد فحسب ، بل بلغ مستوى بعض المساجد إلى إيواء المبتعثين مختلف جهات شرق أفريقية من كينيا وتنزانيا وأوغندا ، وتأمين كل متطلباتهم الممكنة من إعاشتهم وإعداد مكان المبيت لهم ومساعدتهم بالكتب (١) .

إن أول مسجد قام أهله بإيواء وإعاشة المبتعثين وتسهيل سبل التعليم لهم بل وتعليمهم مجاناً ليعودوا إلى بلادهم دُعاةً وهُداةً هو مسجد الرياض في جزيرة لامو في كينيا ، الذي سبق ذكره ، وكما علمنا أن مؤسس هذا المسجد الداعية الإسلامي الكبير السيد صالح بن علوي جمل الليل، في عام ١٣٠٠هـ ومنذ ذلك الوقت وإلى وقتنا هذا لم يخلُ هذا المسجد من هؤلاء المبتعثين من مختلف جهات شرق أفريقية وغيرها.

ويعتمد النشاط الإسلامي في تنزانيا اعتماداً كلياً على الجهود الخاصة وعلى المساعدات التي يقدمها بعض المحسنين ، والمعروف أن سياسة تنزانيا تجاه الأديان سياسة علمانية إذ لا تتفق الدولة على الشئون الدينية مطلقاً سواء أكان الدين الإسلامي أم غيره ، وعلى المسلمين وغيرهم أن يحْمِلُوا أعباء رفع مستواهم ، وعلى سبيل المثال تُدار المدارس والكتاتيب الإسلامية في تنزانيا بواسطة أفراد وجماعات من المسلمين ، كما تمول من التبرعات العامة ومن رسوم دراسية قليلة يدفعها أولياء الأمور بالإضافة إلى الهيئات التي يقدّمها بعض المحسنين .

ومن الجمعيات الإسلامية التي تمارس الأعمال الإسلامية في تنزانيا " المجلس المحلي للمساجد بتنزانيا " الذي يعتبر هيئة إسلامية رسمية تمارس

(١) السيد أحمد أحمد بدوي : مخطوط سبق ذكره

الأعمال الإسلامية في تنزانيا، وقد تأسس المجلس بجهود الشيخ عبود جومبي مونبي رئيس زنجبار ، ويتكون المجلس من لجان وفروع تعاون الأمانة العامة للمجلس بمقرها الرئيسى بزنجبار فى كل ولايات تلك المنطقة ، ويتألف أعضاؤه من بعض الشخصيات الإسلامية البارزة التى ترغب فى النهوض بالمسلمين .

ومن الجمعيات الإسلامية أيضا جمعية الشباب المسلم بتانجا فى تنزانيا ، التى تمارس أنشطتها الإسلامية فى منطقة تانجا بصفة خاصة وفى تنزانيا بصفة عامة ، وتتمثل أهداف الجمعية فيما يلى :

- تنقيف الشباب المسلم وتربيته تربية إسلامية .
- إقامة الروابط التكاتفية مع جمعيات ومنظمات الشباب المسلم فى العالم .
- تعزيز التضامن الإسلامى ودعم التعاون فى المجالات الاجتماعية والثقافية وفى المجالات الحيوية الأخرى .

ويتألف أعضاء هذه الجمعية من بعض الشباب المسلم الذى غلب عليه التحمس لنشر الإسلام عقيدة وشريعة .

ومن الجمعيات الإسلامية التى تمارس الأعمال الإسلامية فى تنزانيا "جمعية الكُتاب المسلمين" بتنزانيا ، وهى جمعية إسلامية تقوم بالأعمال الإسلامية فى تنزانيا ، وتتمثل أهدافها فيما يلى :

- تأليف وترجمة الكتب الإسلامية .

- نشر التعليم الإسلامى والعربى

وقد درس معظم أعضاء هذه الجمعية عند داعية كبير من باكستان - اسمه مالك ، وهذا الداعية له دور كبير فى مجال الدعوة الإسلامية فى تنزانيا ، وقد علمت أن هناك خطة خمسية حيال تنشيط العمل الإسلامى بتنزانيا ، وبذلك الخطة تستطيع أن تقوم بعملية تنشيط العمل الإسلامى فى تنزانيا وهي كمايلي :

السنة الأولى :

- تأسيس مركز دائم للغة العربية والدراسات الإسلامية بدار السلام .
- إقامة مكتبة إسلامية تحتوى على الكتب الإسلامية والعربية بصفة خاصة وعلى الكتب الأخرى فى مختلف ميادين العلم والمعرفة بصفة عامة.
- تخصيص مساعدات مالية لإقامة مشاريع إسلامية فى تنزانيا .

السنة الثانية :

- إقامة مطبعة باللغتين العربية والإنجليزية .
- تأسيس مركز للأيتام والعجزة ، لرعاية أبناء المسلمين وحمايتهم من التنصير .
- تقديم مساعدات ثقافية للمسلمين فى تنزانيا والمتمثلة فى تخصيص منح دراسية .

السنة الثالثة :

- بناء مستوصف يقوم بالخدمات الطبية فى تنزانيا .
- افتتاح مركز دائم للغة العربية والدراسات الإسلامية بزنجبار .

السنة الرابعة :

- تأسيس مركز للأيتام والعجزة في تنزانيا .
- إقامة ثلاثة مراكز للغة العربية والدراسات الإسلامية ، وأن يضم كل مركز مكتبة إسلامية .

السنة الخامسة :

- إقامة ثلاثة مستويات تقوم بالخدمات الطبية ، إذ يُقام واحد منها في زنجبار ، والاثنان الآخران يقامان في العاصمة نظراً لموقعهما الهام بالنسبة إلى العمل الإسلامي (١).

وإن دور المملكة العربية السعودية في مواجهة التصير بصفة خاصة والأفكار المناوئة للإسلام بصفة عامة امتداد طبيعي لانطلاقة الدعوة الإسلامية في ربوعها ، فقد بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في مكث وأرسله الله للناس كافة ، يدعوهم إلى التوحيد ويأمرهم بالمعروف ويناهيهم عن المنكر ويحللهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، فكان ممن آمن به رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً فالأسرة المالكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز تقوم على هدي الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة ، فكان من الطبيعي أن تكون لها الريادة في العالمين الإسلامي والعربي ، وأن تضطلع بمهام هذه الريادة من السعي الجاد الحثيث لنشر الدعوة الإسلامية في الافاق ، والوقوف بالصمود أمام التحديات المعادية لهذه الدعوة ، وتدعم المملكة بكل ثقلها وما

(١) تلقيت هذه المعلومات من الشيخ سليمان عبد الله صالح شقصي من دار السلام بتنزانيا ، وذلك أثناء رحلتي العلمية التي قمت بها لمناطق شرق أفريقيا .

بيديها من امكانات فى سبيل مقاومة التبشير وصدّ سمومه التى حاول بثها فى صفوف المعوزين من أبناء المسلمين خاصة فى المناطق المنكوبة بالجفاف أو غيرها .

وهناك دور بارز وفَعّال ونشط للمؤسسات العلميّة فى المملكة فى نشر الدّعوة ومواجهة التبشير ، فلقد استطاعت كلّ من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة أمّ القرى بمكة المكرمة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، أنْ تخرّج أعداداً هائلة من الدعاة أسهمت وتساهم فى نشر الدّعوة الإسلامية ، وينبغى الإشادة بما يبذلونه فى سبيل الدعوة من جهود مثمرة وقفت سدامنيتها أمام الغزوات الفكرية ، وجحفل جيوش التنصير على أنه يجب ملاحظة نقطة هامّة ألا وهي ضرورة انتقاء جماعة متخصصة فى المجال الفكرى ، مزودة بكل الوسائل اللازمة لأداء العمل على الوجه الأكمل كما يجب أن تتنوع هذه الوسائل حسب الظروف المختلفة لمواطن الدعوة ، واحتياجاتها ، وقد حظيت منطقة شرق أفريقية بأعداد وفيرة من هؤلاء الدعاة المتخصصين فى شتى فروع المعرفة .

ولا شك أن رابطة العالم الإسلامى ودار الإفتاء والندوة العالمية للشباب الإسلامى ، كلّها أسهمت فى هذا المجال إذ أرسلوا بعض الدعاة إلى كينيا مدرسين أو وعّاظاً فى مختلف المناطق ، وهذه خطوة طيبة تستحق الشكر والثناء ، ولكن الأمر يتطلب أكثر من ذلك بكثير لأنّ الأجواء المتوفرة حالياً تستدعى بذل مجهودات ضخمة للاستفادة منها .

وتوالى ركب الدّعوة يجري فى كل مكان يتخطى الصعاب المؤلمة ، ولا يعرف الكلل ويستعذب الرحلات الشاقة بعزائم لا ينالها الملل ، متحملاً العناء فى سبيل الدّعوة واستقرارها فكانت النتيجة أن حفظ الله الإسلام فى

تلك الربوع ، وما يجب أن نعلمه ويعلمه دعاة اليوم أن أولئك الذين تشهد لهم الملايين المسلمة في تلك الربوع بالدعوة وكفاحها وبالعلم وجهاده ، لم يجدوا أمامهم دروبا مُعبدة ، ولا مساكن مضاعة ولا طائرات للنقل أو سيارات ، إنما كان أحدهم يمضى الليالي والأيام ماشيا على أقدامه بين مزارع القرى وأنهار الأقاليم ، هكذا كانوا فكان جهادهم بمثابة دعامة للإسلام الذى نشره بإخلاص ، وضحوا بالكثير من الوقت مداومة ومواظبة .

الخلاصة

التحليل والنتائج .

مرّ بنا فى الدراسة السابقة أهمية الموقع الذى تحتله منطقة شرق أفريقيا من الناحية التجارية ، فهى تشرف على البحر الأحمر ذلك المعبر المائى القديم ، ذى الأهمية القصوى لمرور تجارة السلع الشرقية الى مصر والبحر المتوسط ، ثم إلى أوروبا ، وأيضاً إطلالة الجزء الجنوبي من الساحل الشرقى لأفريقية على المحيط الهندى وهو أحد مسارح التجارة القديمة بين الهند والشرق الأقصى وساحل شرق أفريقيا ، جعلها إحدى المناطق التى يطمع فيها المستعمرون .

وساعدت العوامل الجغرافية على نشاط حركة الملح بين منطقة الجزيرة العربية وبين ساحل أفريقيا الشرقى ، لأن الرياح الموسمية التى تهب على منطقة المحيط الهندى تمكن السفن الشراعية من القيام برحلتين فى السنة ، وفى فصل الخريف تدفعها الرياح فى اتجاه جنوبى

غربى ، وفى فصل الربيع تدفعها الرياح الموسمية فى اتجاه شمالى شرقى ، تمكنها من العودة إلى قواعدها فى شبه جزيرة العربى ، ومن المؤكد أن العرب كان لهم تأثيرهم الواضح فى الساحل الشرقى لأفريقية ، يدل على ذلك أن الإغريق والرومان أطلقوا على هذا الساحل اسم ساحل عزانيا نسبة الى إحدى الممالك العربية القديمة ، وهى مملكة عزان ، التى يقال . إنها وجدت فى منطقة مامن جنوب الجزيرة العربية ، فى حقبة سابقة لظهور الإسلام ، وظلّ الإتصال التجارى ينمو ويتسع قبل الإسلام بين الجزيرة العربية وبين موانئ الساحل الشرقى ، وساعدت على ذلك الرياح الموسمية التى عرف العرب كيفية الاستفادة منها .

وكان من أبرز الدوافع التى دفعت العرب إلى المجئ إلى شرق أفريقيا هو المنازعات الدينية والسياسية التى أخذ يتعرض لها المسلمون

خاصة فى عهد الدولتين الأموية والعباسية ، مما دفع بالعرب إلى الهجرة إلى ساحل شرق أفريقية ، إذ كانوا قد ألفوا من قبل التبادل التجارى مع مدنة وموانئة ،ومما هو جدير بالذكر أنَّ الاستقرار العربي في شرق أفريقية حدث بهدؤ ، وبدون اللُّجؤ إلى القوى أو العنف ، وعلى أئمة حال كانت الجماعات العربية المهاجرة من سواحل الجزيرة العربية فى الأحساء واليمن وحضر موت تنقل معها صُوراً من الحضارة العربية إلى شرق أفريقية .

وتشير بعض كتب التاريخ إلى أن الهجرة التي نقلت العقيدة الإسلامية بعد الهجرتين الأولى والثانية لصحابة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام إلى الحبشة هي التي كانت فى العصر الذى تولى فيه الحجاج بن يوسف الثقفي ، الذى عرف ببطشه وقسوته ، مما دفع الكثيرين إلى الهجرة إلى جزيرة لامو وتمركزوا فيها ، وأيضاً هاجر كثير من العرب العمانيين على إثر الخلاف مع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وهؤلاء المهاجرون أقاموا إمارة إسلامية فى لامو الواقعة إلى الشمال من ممباسا ، كما شيّدوا عدة مدن على طول الساحل الشرقى لأفريقية ، وقد كان العرب يطلقون على هذه المنطقة فى ذلك الوقت برّ الزنج ، ثم توالى الهجرات واحدة تلو أخرى أسس المهاجرون فيها عدة مدن بعضها اندثر ولا يوجد منها إلا الأثر القليل حيث بقيت تلك الآثار ممثلة فى البيوت المهذمة تغطيها الغابات الساحلية ، وبعضها مدفون تحت الرمال ، ومنها ما هو شبه مهجور لا يوجد فيه إلا بعض البيوت المهذمة السقوفى .

كما شرحت الدرة الإمارات التى أقيمت على طول الساحل الشرقى لأفريقية التى أحت ذات شوكة وشكيمة ، فشيدت العديد من المدن اتداء من مقدشيو شمالاً ، حتى دار السلام جنوباً ، وتعاقبت الدول تلو أخرى ، وبعد

ذلك تأسست سبع إمارات إلامية واحدة منها أسسها جماعة من بين مخزوم المعرزة باسم أربيني في مرتفعات الحبشة ، وإمارة أوفات ، وإمارة شرفا ، وإمارة هدية ، وإمارة بالي ، وإمارة دارو ، وإمارة دوارو ، وهذه الإمارات كلّها دخلت في صراع مرير مع ملوك الحبشة ، إلى أن جاء الإمام أحمد بن إبراهيم وهزم ملوك الحبشة ، ودانت الحبشة كلّها للحكم الإلامى وجعل عاصمة دولته مدينه هرر .

وأوضحت الدراسة أن مسلمي شرق أفريقيا كانوا ضمن المخطط الصليبي الذي استهدف القضاء على الإسلام والمسلمين ، خاصة بعد أن وجد الصليبيون الأوروبيون أن انتشار الإسلام أخذ في الزيداد على حساب مملكة الحبشة النصرانية التي انحصرت داخل الهضبة إذ أحاط بها الاسلام من جميع الجهات وأصبحت الموانئ التجارية المطلة على البحر الأحمر تابعة للدويلات الإسلامية الواقعة إلى الشرق من الهضبة ..

واستطاعت الدراسة أن تثبت أن ملهى شرق أفريقيا في القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى تصدوا لعدوين صليبيين شرشين هما البرتغال ومملكة الحبشة النصرانية ، وقد حدث الأهداف الصليبية المشتركة بينهما ، ووقع على الممالك الاسلامية المحيطة بالحبشة عبء الدفاع من أجل المحافظة على حرية عقيدتهم واستقلالهم ، إذ تعرضت تلك الإمارات الإسلامية في شرق أفريقيا لهجمات صليبية مدمرة من قبل قوات البرتغاليين، التي أصبحت في ذلك الوقت قويّة بعد اكتشافها طريق رأس الرجاء الصالح، وتعاونت معها الحبشة في تلك الحرب المدمرة ، فدمر البرتغاليون مدينة زيلغ التي كانت في يوم من الأيام عاصمة لإمارة عدال الإسلامية قبل نقلها إلى هرر ، وأغار على بربرة ودمرت مدينة لامو ، وباتا ، كما أحرقت مدينة

ممباسا وقد كانت تلك الحروب تدور بين قوتين غير متكافئتين بين البنادق والمدافع من جهة وبين السيوف والرماح والأسهم من جهة أخرى ، وبعد قرنين من الزمن استطاع العثمانيون طرد البرتغاليين من شرق الجزيرة العربية ، ثم تعقبته القوة العثمانية إلى الساحل الشرقي لأفريقية فقصت على نفوذهم في المنطقة ، وبعد ذلك سيطرت على طول الساحل إذ أعادت للإسلام مجده .

وبرهنت الدراسة على أن بداية الحملات التنصيرية في شرق أفريقيا واكبت بداية الاستعمار الاوروى لهذه المنطقة ، إذ كانت الكنائس ، وهيئاتها التنصيرية تمهد الطريق لاستعمار البلدان الأفريقية ، وتحارب العقائد والديانات السائدة في المنطقة ، وتهى النفوس للتسليم والاستسلام ، والرضا بالأمر الواقع ، وتنفيذاً لهذه الغاية ووصلاً إلى بسط السيطرة على القارة الأفريقية شكلت عدة تنظيمات وهيئات تنصيرية تسعى غى ظاهرها إلى تقديم خدمات إنانية لأهالي المنطقة ، وفي باطنها إلى بث الموم التنصيرية فى نفوسهم ، فالكنائس الأوروبية رغم تباين مذاهبها واعتقاداتها إلا أنها تتحد فى الغايتها المنشودة ألا وهي نشر المسيحية فى المناطق المستعمرة بغية رضوخها للسيطرة الاتعمارية .

كما شرحت الدراسة تغلغل المبشرين الأوروبيين فى مقاطعات شرق أفريقية منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، ومن أولئك المبشرين يمكن أن نذكر الألمانين كرابف ورييمان اللذين استقرا فى بعض المقاطعات التابعة للطنة زنجبار ويعملان على نشر المسيحية .

وكان المنصرون يقومون خلال جميع رحلاتهم بتوزيع الكتاب المقدس ، يقصد التعرف على رد الفعل لهذا العمل عند المواطنين ، وكان

واحد الأطباء يصاحب كل فريق في هذه الرحلات ، لكي يعطي الرحلة طابعا طبيا تجنباً لأي من الناس أو الحكومات المحلية ، وكانت معالجة بعض المرضى بمثابة جواز ينتقلون بواطنه من منطقة إلى أخرى .

وأكدت الدراسة على مضي المنصرين الفرنسيين في مزاولة أعمالهم، إذ لقوا تأييداً وتشجيعاً من الأسقف شارل لافيغري Lavigerie الذي كان يعمل وقتئذ ألقاً في الجزائر ، حيث وضع عام ١٨٦٨م الآباء البيض التنصيري " Societe Notre Dame d'Afrique " ثم راح يدعوا لشن حملة صليبية للقضاء نهائياً على تجارة الرقيق في وسط أفريقية ، وفي عام ١٨٧٨م أصدر البابا ليو الثالث عشر مرسوماً بإنشاء أسقفيتين أفريقية الشرقيّة ، لتتوليا أعمال التنصير بالعقيدة الكاثوليكية ، وتختص إحدهما بمنطقة بحيرة فيكتوريا الأخرى بمنطقة بحيرة تنجانيقا ، على أن تكون هاتان الاسقفيتان تابعتين لأفقية الآباء البيض Les peres Blancs في الجزائر برئاسة لافيغري في نهاية ١٨٧٨م وفد إلى زنجبار أول فوج من الآباء البيض وكان يتألف من عشرة منصرين .

وعمدت الإرساليات الكاثوليكية بعد ذلك إلى تنسيق جهودها مع البعثات البروتستانتية المتنوعة ، واتخذ هذا التعاون مظاهر شتى ، كان من بينها توحيد خطط التعامل مع حكومات المستعمرات ، والتأقلم حسب الظروف والأحوال ، فكانت الإرساليات المختلفة تتعامل ماليًا مع تلك الحكومات معاملة موحدة ، وهي في وضع برامج التعليم في مدارسها تقرر مناهج تتضمن مواد دراسية مقارنة .

ولقد كان من نتائج هذا الشعور بالمصلحة المشتركة والخطر المشترك، أن اتفقت كبريات الجمعيات المسؤولة عن التنصير مع الفاتيكان

على عقد مؤتمرات تصيرية عامة في أزمان متقاربة ، للتشاور وعرض الجهود ودراسة الأخطاء وتقدير النتائج الخطط ، وسد الثغرات إلى آخر مظهر التعاون المنسق ، وقد كان ذلك يستتبع العمل على أسس علمية دقيقة منظمة ، حتى تستطيع كل إرسالية أن تقدم صورة واضحة لأعمالها ونتائج جهودها ، ولهذا فقد حرصت الإرساليات على تدوين إحصائيات منضبطة تبين بالأرقام كل جانب من جوانب نشاطها .

ولاشك أن الإسلام يلتقي النقاء مؤاخبا وممازخبا للفطرة الإنسانية المودعة في كل إنسان ، وأن هذه الفطرة إذا التقت بالإسلام التقت به النقاء عضوياً لاسيلاً إلى انفصالها عنه مادام في الإنسان نفس يتردد في صدره ، ذلك هو السر الذي تحطمت على صخرته كل قوة غاشمة ، كل دعاية مضللة دون أن يكون بين يديه أو من خلفه جيوش زاحفة أو حملات تبشير غازية ، وإنما كان الإسلام بذاته هو الذي يفتح أوطاناً بأسرها على يد بعض التجار الذين لم يكن من قدهم الدعوة إلى الدين ، وإنما كانت تأتي هذه الدعوة عرضاً في حديث عابر ، فإذا هي تسرى بين الناس سرياناً لدماء في الأحياء .

ولم يفرض الإسلام على الشعوب الوثنية فرضاً ، إنما حملهم قوم من أهل أفريقية نفسها ، وكان بعضهم تجاراً أو معلمين ، فلم يكن غريباً أن يلقي قبولاً منهم فهو في نظرهم دين أفريقي ، يعلمه أفريقيون ، لا يستبعدونهم ولا يستذلونهم ، بل أشعروهم بالعزة والكرامة ، ولم يقض الإسلام على نظمهم المحلية ، إنما أكسبها شكلاً جديداً ، وحاول أن يجعلها تتسجم مع التعاليم الإسلامية ، يضاف إلى هذا أن الإسلام عقيدة سمحة ملائمة لطبيعة الأفريقي وبيئته ، فالإسلام بهذا يرفع من شأن الفرد والجماعة ويحول الفرد إلى قوة ذاتية ، والجماعة إلى حركة ودأب ونشاط وعمل وعلم وثقافة .

لذلك حاول الأوروبيون بشتى الطرق طمس معالم التأثير العربى الإسلامى ، فى مناطق شرق أفريقية ، فحاربوا الإسلام وادّعوا عليه ادعاءات شتى ، وافتروا على أهله ورموهم بكل منقصة ، ولكن الحقيقة الجلية لا تطمسها الدعاية الزائفة ، ويعترف الأفريقيون جميعاً أن العرب والمسلمين كانوا رسل حضارة ، تركوا حيث حلّوا أسواقاً رائجة ، ومهّدوا الطريق ، ونظموا أساليب الإدارة والحكم ، وأبتدعوا وسائل للزراع والحصد .

وأوضحت الدراسة أن هناك كثيراً من المصادر الأوروبية تعطى للقارئ انطباعاً مؤداه أن النشاط العربى فى داخل شرق أفريقية كان يستهدف فى الدرجة الأولى عمليات التسلط والاستغلال فضلاً عما كان يتميز به من القسوة ، ولكن الدراة المنطقة والموضحة للحقائق تستطيع أن تدفع هذه الاتهامات جانباً ، ويمكن الرجوع بصدد ذلك إلى كتابات الرحالة والرواد الأوروبيين ، الذين وصلوا إلى المناطق التى وصل إليها العرب ، وقد اعترف كثير من أولئك الرواد الأوروبيين من رحالة ومبشرين ومستكشفين بأن العرب كانوا عنصراً هاماً من العناصر التى حملت لواء الحضارة إلى أواسط القارة الأفريقية ، فقد نظم التجار العرب قوافل التجارة ، ووصلوا بها إلى مناطق بعيدة ، كما أقاموا مستودعات لخزن بضائعهم ، ولم يحاولوا إخضاع القبائل الأفريقية بالقوة ، أو التسلط عليهم ، إنما حرص العرب على توثيق العلاقات التجارية بينهم وبين زعماء القبائل الأفريقية .

وتصدى البحث لبعض المفكرين الغربيين الذين يميلون إلى التقليل من أثر اللغة العربية باعتبارها لغة تمكنت من خلق رابطة توحد شعوبها تختلف فى ثقافتها ، إذ ساعدها فى الإنتشار عوامل رئيسية منها : الرغبة الصادقة إلى تفهم القرآن الكريم ، وهجرة فقهاء المسلمين إليهم من الحجاز

لتنقيفهم وتعليمهم ،حتى يفهموا أصول دينهم مثلما كانت الخدمة الطبية وسيلة للتصير تحظى دوماً بالأولية فى مهمات المنصرين ،وقد لعبت الدور الأكبر بين أنشطة الإرسالية الإجتماعية ،وكان تقديم مث هذه الخدمة جزءا من الخلق المسيحى ،الذى يدعو لمساعدة الناس وشفائهم ،وقد قال أحد الأطباء المنصرين عن السبب الذى يدعو الإرسالية لإختيار هذه الوسيلة طريقاً للتبشير " من السهل معرفة السبب بأن المسيح كان معلماً ومدواياً ،وفى الواقع كان طبيباً ،إن مانفعله هو تأثر خطاه " ،إن مداواة فى المسيحية نشاط دينى عميق الجذور ،تبدأ مع بداية معجزات المسيح الذى شفى المرضى ،لكن فى الحقيقة أن المسيح لم يكن طبيباً أو مداوياً بالمعنى الذى نألفه فى المستشفيات ،فهو لم يستخدم أى نوع من الدواء لشفاء الناس ،إن ما فعله المسيح فى هذا الميدان هو القيام بالمعجزات ،لذلك الأولوية التى حظى بها هذا المدخل والألوب تعتمد على إشباع حاجة الأهالى الملحة إلى العلاج الطبى ،كما أن المدخل الطبى يجد قبولاً لدى العربى الذى يحمل إعجاباً كبيراً بالخدمة الطبية، وقد أكد أحد المنصرين على ذلك بقوله : " فى الواقع أن لدى العرب شغفاً كبيراً بالطب والعلاج الطبى " .

إن الخدمات التى يواجهها المسلمون فى منطقة شرق أفريقية كثيرة ومتشعبة منها : إصطياد الشبان المسلمين فى المجال التعليمى والحرف اليدوية التى قد تساعده فى معيشتة فى المستقبل ،وم أجل تحقيق ذلك فتحت المدارس المتطورة التى تقبل فيها كل طالب بدون إستثناء ،لتسهيل له كل وسائل التعليم والتدريب المهنى مقابل إبعاده أخلاقياً عن الخلق الإسلامى الرفيع ،بدعوى التمدن والتطور ،ومن هنا يبتعد هؤلاء عن قديم الإسلام وأخلاقياته السامية ،فتصبح المحرمات شيئاً لا تقشعر منه الأبدان بإرتكابها

وربما إعتبرها الكثيرون نوعاً من التمدن والتطور بالإضافة إلى الأعراض عن الواجبات الدينية ،حتى لم يبق من صفات الإسلام إلا الاسم.

وأثبت البحث أن مجال الخدمات التعليمية ليس أكاديمياً فقط ،إذ إن مؤسسات التعليم الكنيسى تحركها دوافع وأهداف تنصيرية ،وفى ذلك يقول أحد القساوسة الذى جاء إلى منطقة شرق أفريقية " بينما كنت مهموماً حزيناً فى دارى على أثر عدم التصريح لى بتنصير المسلمين ،إذ جاءنى رسول يدعونى مستعجلاً من الحاكم العام ،وذهبت والدينا مظلمة أمامى ،وإذا بي ألقى معاملة مذهلة ،فقد قال لى الحاكم العام مبتسماً : لقد صرح لك بإفتتاح مدارس فى الشمال ،ورقص قلبى فرحاً ،وأيقنت أن الله إستجاب لدعائى فما الفرق بين عدم السماح لى بتنصير المسلمين والسماح لى بتعليم أطفالهم " .

لذلك فإنه على الدول الإسلامية والعربية تقع المسؤولية والتبعة وذلك بالسعى والبدل لإقامة مدارس على المستويات الحديثة التى تكفل إستيعاب أطفال المسلمين الذين إضطروا بحكم الحياة الحديثة فى مظاهرها أن يتها فتوا على المدارس التنصيرية ،تلك آلتى هيات لهم سائل الدراسات على مختلف مستوياتها ،فى حين لاتوجد من المدارس الإسلامية الكفيلة بأداء الواجب المطلوب مدرسة واحدة ،مما دفع أناء المسلمين سعياً وراء العلوم الحديثة الحية كما يقولون إلى الدخول فى المدارس المسيحية ،فكانت النتائج سيئة فى كثير من الأوقات ،بل كانت ردود الفعل من هؤلاء تنكر للإسلام ،لا عن بغض ،وإنما عن جهل ،وقد نما من مقاعد تلك المدارس التى إحتضنتهم فعلمتهم كل شئ إلا الإسلام .

وبرهنت الدراسة على أن هناك إرتباطاً بين الإرساليات المسيحية والمؤسسات الإستعمارية ،إذ أكد أحد المنصرين ذلك بقوله : " نتيجة

للإليات المسيحية فى عهد الإستعمار فإن الكنيسة المسيحية موجودة فى كل ركن من أركان الدنيا .

ويرى المنصرون أن وجود عملهم وحمايتـه لم يكن ممكناً بدون مساعدة القوى الإستعمارية، ولم يكن هذا الدعم بدون ثمن ، فقد وجد المبشرين أنفسهم متورطين فى السياسية عن طريق تقديم التفاصيل عن الأوضاع السياسية والإجتماعية وغيرها فى المنطقة " شرق أفريقية " فى تقارير منتظمة إلى السلطات فى بلادهم ، وقد مكن إتصال المبشرين المباشر بأهل البلاد ويزعمائهم من الحصول على معلومات لم تكن القوى الإستعمارية تستطيع الحصول عليها بدونهم.

لذلك لم يكن التبشير لينجح وينتشر فى المجتمعات الإسلامية إلا بمساعدة الحكومات الإستعمارية وما شابهها ، وهذا هو الفرق بين الدعوة الإسلامية والدعوات الأخرى مثل النصرانية ، فالدعوة الإسلامية إنتشرت فى أغلب البلاد بمجهودات فردية ، أما الدعوة النصرانية فأنها إعتمدت على قوة السلاح فى أغلب الأحيان وقوة المال إذ تحشد طاقات هائلة ومنافع مادية لجلب الأنصار ويدرك النصارى أن دعوتهم بدون هذا لايمكن أن تصل إلى الشعوب وتجد معتنقين جدداً ، كما يصرح أحدهم بأن الإسلام لم يكن له دعاة مخصصون يقومون بالدعوة إليه وتعليم مبادئه كما فى المسيحية.

وبينت الدراسة أن الألمان كذلك لعبوا دوراً فى الحركة التنصيرية فى إفريقية الشرقية ومع أن نشاط الألمان إتجه أساساً صوب أفريقية الغربية ولم تؤسس جمعيات التنصير الألمانية مراكز تنصيرية لها فى دار السلام ولا مو إلا فى عام ١٨٨٧م ، إلا أنه يجب أن لا ننسى أن المنصرين الألمان الثلاثة كرايف ، وريمان ، وإرهارد ، كانوا يمثلون الرواد الأوائل فى الحركة

التتصيرية في أفريقية الشرقية ،بغض النظر عن أنهم كانوا يعملون لحساب جمعية الكنيسة البريطانية.

وأوضحت الدراسة أن لحكومة الألمانية وعدت بتخفيف كل الصعوبات والمشاكل الخطرة التي يواجهها البعثات التتصيرية في شرق أفريقية ،وكذلك لفت نظر قطاعات جديدة من الرأي العام الأوروبي لتأييد عمل البعثات وتقوية عمل البعثات بإعادة تطوير منشآت البعثات الحالية وإنشاء جمعيات لبعثات جديدة .

ووجد في إحد دول شرق أفريقية كت وأشرطة (كاسيت)تحمل هجوماً على الإسلام ، ودعاية للنصرانية ،وتشويها للدين الإسلامي ،وقد وجد أنها تنصدر عن منظمة تسمى مركز الشبية ،وهى منظمة نصرانية سرية مركزها الرئيسى مدينة شورن بألمانيا ،ولها فروع ومراكز فى عدد من الدول العربية والإسلامية تهدف إلى محاربة الإسلام والتصدى لإنتشاره ،ومن ضمن وسائلها بث البرامج الإنجيلية ونشر الكتب والمنشورات التى تحتوى على الدعاية النصرانية والتهجم على المسلمين ،والتضليل فى اعقيدة والتعاليم الإسلامية .

ولا شك أن أوغندا تحتل مركز القلب من أفريقية ،لذلك وقع عليها الاختيار للتصيرى المنافع لتركيز مواقع الأقدام فيها ،وقد أدركت بريطانيا هذه الحقيقة منذ أن عدلت عما خطته دهاقنتها من تثبيت كيان قومى يهودى فى أوغندا ،وكلنا يعلم أن التصير يمارس عمله بوسائلما لقديمة المغرية وهى الدخول إلى نفوس الناس عن طريق أعمال الخير من مدارس ومستشفيات .

ولكن شعب أوغندا صمم تصميماً أكيداً رغم الشقاق التى بذرها المستعمر على وضع حد للحكم الإستعماري وإنهائه ، ورأوا أن يتم ذلك بالجهاد الإسلامى وطرد المنصرين من أوغندا ، وقيام الحركات الثورية التحررية التى ستنتهى حتماً بفوز شعب أوغندا بفضل إصراره وعزمه الأكيد على نيل حريته.

وأثبت البحث أن الإسلام شق طريقه إلى نياسالاند من الساحل الشرقى ، ودخل على أيدي التجار من العرب وحلفائهم الياو Yao الذين جاء أجدادهم من مكان قري من الساحل الشرقى ، حيث كانوا قد إعتقوا الإلام منذ زمن بعيد ، ويقال إنه من النادر أن نرى الآن عريا فى نياسالاند ولكن الياو يؤلفون قبيلة من أقوى القبائل الوطنية وينظرون إلى الإسلام على أنه دينهم القومى ، ومع أنه لا تبدو هناك دعوة منظمة فقد إنتشر الإسلام بسرعة فائقة بأن العقد الأول من القرن العشرين وكان إنتشاره بين بعض القبائل التى تعد من أشد القبائل ذكاء فى نياسالاند .

وبينت الدراسة أن الوجود الإسلامى فى الكنغو إرتبط بمجهود أهل زنجبار التى أمتدت على طول ساحل شرق أفريقيا ، وقد حل المسلمون بلاد الكنغو من أوغندا إلى نياسا ، وكان العرب قد سبقوا الأوربيين فى إرتياد تلك الجهات ، وقد إعترف بذلك ليفنجستون فى رسائله إلى أوربا التى يقول فى بعضها : " كنت أجد أثارهم (أى العرب) أينما أحل ، وكلما حسبت نفسى سرت طريقاً ما سار فيها أحد منهم قبلى وأنا أعبر القارة من بتشوانا لاند خلال صحراء كلهاري ، وبعد سبع سنوات من الإقدام عرفت أن عربياً اسمه سعيد بن حبيب بن سليم اللفيفى طوف ما طوفت من قلبى بشهور ولم تكن تسنده حكومة ولا جماعة ولا دولة .

وكان من الطبيعي أن السياسية التي تقوم على المساس بمشاعر السكان ومصالحهم وإثارتهم بوسائل القمع الشديدة، تؤدي إلى أوحش العواقب، فشهد الأهالي السلاح في وجه المنصرين على طول الساحل، مما دعا الشركتين المتنافستين الألمانية والإنجليزية إلى إنهاء التنافس بينهما لمواجهة الخطر الذي بات يهدد مصالحهما.

وأثبت البحث أن رجال الدعوة لم تضعفهم عن أداء واجبههم الحوادث الشرسة من الدول الإستعمارية، فأنغمسوا مع الأهالي في الكفاح وإستمروا في الدعوة، وقد إنتشر الإسلام وحضارته ولغته وآداه تدريجياً في عامة مدن الساحل حتى عم البلاد، ولما تمكن إنتشار الإسلام في أوساط الأهالي ظهر فيهم علماء ودعاة إلى الله ولما كان للدعاة خصائل من الخبرة الواسعة بعادات الوثنيين وحياتهم ولغاتهم كان تأثيرهم فهم كبيراً فزاد ذلك في رغبة الوثنيين في إعتناق الإسلام، فقد كانت الدعوة نأخذ بالحسنى، وعدم المساس بالعادات المألوفة في مجتمعاتهم القبائلية، كل ذلك مما حبيب إليهم الإسلام.

فالدعوة إلى الدين الإسلامي دعوة تنسم في أصالتها باليسر والسهولة، وقد رسم لنا حدود نجاحها رب العالمين، وعلمنا بواسطة نبيه كيف نسير بها وكيف ندعو إليها، فقد قال تعالى : " ماجعل عليكم في الدين من حرج " ، وقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " وقوله تعالى : "قَاتِلُوا اللَّهَ مَا إَسْطَعْتُمْ" ، وقوله تعالى : " لا يكلف الله نفساً إلا وسعها " ، إن هذه وسائل هامة توفرت لدعوتنا ولم تتوفر في دعوة غيرنا ، والنصوص في التيسير والتسهيل كثيرة .

إن نجاح الدعوة يعتمد على شخصية الداعية وسلوكه لأن ما يواجهه المسلمين اليوم في أفريقية من أخطار عضها من نفس المنتمين إلى الإسلام

الذين درسوا وتعلموا على أيدي وعقول مشبوهة ، فجاءت صور مسخت كل نقاء المسلمين وصفائهم ، لهذا يجب القضاء على هذه الجذور قبل أن تمتد إلى أكبر مساحة متوقعة ، ويرتبط هذا كما يقول الداعية الاسلامي في شرق أفريقية السيد عبد القادر بن أحمد الجفري ، وهو رأى مجمع عليه :

أولا : ببث الوعي الديني والثقافة الإسلامية عن طريق النشر وتوزيع الكتب والنشرات بلغات القوم السائدة بين شعوب تلك الأقطار من شرق أفريقية حتى تتمكن من فهم دينها .

ثانيا : السعي وراء توظيف دُعاة من أبناء شرق أفريقية ذاتها ، على أن يزود هؤلاء بكل وسائل النشر والتأليف .

ولاشك أن رابطة العالم الإسلامي ينبغي أن يكون الدور الرائد والفعال في مواجهة هذه الحملات التنصيرية الشرسة ، كما لا بد أن تقوم هذه المواجهة على أحدث الأساليب المدروسة والمخططة محاولة استقصاء كل أساليب التنصير ووسائله ، لوضع الخطط الوقائية في مواجهتها ولقد بات معروفاً للجميع أنّ مهمة التصدي لنشاط الحركات التنصيرية في العالم بصورة عامة وفي منطقة أفريقية بصورة خاصة من الأهداف الرئيسية التي أنشئت الرابطة من أجلها ، وقد نصّ نظام الرابطة الأساسي على مايفيد هذا المعنى وهو أداء فريضة الله في تبليغ دعوة الإسلام وترسيخ مبادئها وتعاليمها ودحض الشبهات عنها ، ومجاهد المؤامرات الخطيرة التي يُريد بها أعداء الاسلام فتنة المسلمين دينهم ، وتمزيق وحدتهم والنظر في القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم وحلّ مشاكلهم .

وأخيراً فإن القيام بدراسة شاملة لمشاكل المسلمين أمرٌ تفرضه علينا الأخوة الإسلامية لأنَّ دراسة المشاكل من أساسها قد تفتح الطريق أمام تشخيص لب المشكلة ، حيث يمكن معالجتها على أساس تلك الدراسة ، وبذلك قد نصل الى العمل المؤثر المرجو لمساعدة اخواننا المسلمين في شرق أفريقية، وإذا كانت هناك دول إسلامية تبحث عن تضامن إسلامي فإن من واجب الأفراد أيضاً البحث عن تضامن إسلامي فيما بينهم ، لحماية أبناء المسلمين من الضياع خاصة في مجال التعليم الديني للمبادئ الإسلامية ، وتلقين العقيدة الصحيحة الخالية من الشوائب والرواسب الداخيلة التي تسلت إلى الإسلام وهي خارجه عنه ، والإسلام برئ منها ، خاصة في العصر الذي كثر فيه اعداء الإسلام .

وأن ماتحتاجة الشعوب الإسلامية في هذه المنطقة اليوم هو الوعي الصحيح بدينها وقيمها الإسلامية وتأكيد انتمائها إلى الأمة الإسلامية ذات الحضارة العريقة ، وهناك فرصة عظيمة لتقديم الحقائق عن الإسلام في نطاق العمل الجاد لاطلاع الشعوب الإسلامية والمعاهد ، وعن طريق الندوات ، العملية ، أو مؤتمرات إقليمية لطرح حقيقة التاريخ الإسلامي وحضارته في الماضي والحاضر ، وندوات تُقدم صوراً حيّة وواقعية للإسلام والمسلمين وأن تتوفر فيها وسائل حديثه تنقل إلى الكثيرين عبر أجهزة مرئية وسمعية وأن تبذل الجهود في سبيل نشر الدعوة لحماية المسلمين أولاً ، لنقل الدعوة إلى مسامع الآخرين بتوفير كافة الوسائل المتاحة لذلك .

وأخيراً يتبين لنا بعد هذا الشرح التفصيلي ، أنه لو كان هدف الإرساليات التصيرية هذه دينياً فقط لتعاونت جميعها في جهد مشترك لنشر الميحية ، وأقاموا مملكة مسيحية لنشر العدل والمساواة ، تلك المبادئ التي

جاءوا يدعون الناس إليها وهم أبعد ما يكونون عنها ، ولا شك أن جهل رجال الدين المسيحي وجمهرة المسيحيين بأصول دينهم وضيق تفكيرهم صرف الأهالي عن الأهالي عن المسيحية إلى الإسلام ، حتى إن قبائل مسيحية تحولت إلى الإسلام ، وإن بقيت أسماءها المسيحية تدل على دينها السابق .

وفوق هذا وذاك فإن سياسة المسيحيين التي اتبعوها في اضطهاد مخالفيهم في الدين أو المذهب ، وإجبار المسلمين على دفع العشور وإجبار الوثنيين على التنصر ، قد يغض هؤلاء جميعاً في المسيحية ، وجعلهم يتحولون إلى الإسلام اعتصاماً بعدله وسماحته، بل إن المسلمين الذين أجبروا على التنصر ظلوا على ولائهم للإسلام ، واستغلوا كل ما أتيح لهم من إمكانيات لنشره .

" وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين "

المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

- (١) مخطوط عن أوضاع المساجد فى كينيا للشيخ احمد بدوى ويحتوى على عشرين ورقة بت بيد الشيخ احمد فى عام ١٣٠٠هـ وهو محفوظ فى مسجد الرياض بلا مو .
- (٢) مخطوط عن الرياض بيت ماضيه وحاضره للشيخ صالح محمد على بدوى ويقصد بالرياض أقدم مسجد بني فى جزيرة لامو والذى بناه الشيخ صالح جمل الليل ، ويحتوى المخطوط على خمسة وعشرون ورقة كتبت بيد الشيخ صالح قبل أكثر من ستين عاما وهو محفوظ فى مسجد الرياض لا مو ، وقد تمكنت بعد البحث والتدقيق من مقابلة الشيخ صالح فى منزله فى جزيرة لا مو وأخذت منه موقف العلماء والدعاية من الغزو التنصيرى فى الساحل .
- (٣) مخطوط بنوان طي المراحل فى تاريخ السواحل للشيخ محمد شريف لبيض ويحتوى المخطوط على أكثر من ثلاثين ورقة كتبت بيد الشيخ محمد وهو محفوظ فى أقدم مدرسة فى لامو وهى مدرسة النجاح .
- (٤) مخطوطة مصورة بالميكرو فيلم عن سيرة الإمام ناصر بن مرشد وتاريخ عمان وهى محفوظة فى المتحف البريطانى بلندن برقم ٣٤٣ . حيث تبين لنا عن تاريخ عمان فى شرق أفريقية ، ومساعدة الأهالي فى إخراج البرتغاليين ودور السلاطين العمانيين فى منطقة شرق أفريقية ، وقد كتبها عبد الله بن خفان بن قيصر بن سليمان .

ثانياً : المصادر العربية :

(٥) ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني المعروف بإبن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ) .

الكامل فى التاريخ ، الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م - دار الكتا العربى - بيروت - لبنان .

(٦) البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) صحيح البخارى ، الجزء الثالث ، المكتبة الإسلامية ١٩٨١ م .

(٧) ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى المعروف بإبن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) . : تحفة النظار فى غرائ الأمصار وعجائب الأسفار " رحلة ابن بطوطة " ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، دار بيروت - بيروت ، لبنان .

(٨) ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى (ت ٢٣٠ هـ) الطبقات الكبرى ، الجزء الأول ، دار بيروت ، لبنان

(٩) الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى ، (ت ٣١٠ هـ) . : تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الثانى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، مصر .

(١٠) أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ) . المختصر فى أخبار البشر ، الجزء الثانى ، المطبعة الحسينية بمصر عام ١٢٨٦ هـ

(١١) القلشندي : أحمد بن عبد الله القلشندي (ت ٨٢١ هـ) بح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، الجزء الخامس ، طبعة دار الكتب ١٩٣٩م .

(١٢) القنائى : أحمد الحنفى القنائى الجواهر الحسان فى تاريخ الجبشان القاهرة ١٩٠٣م .

(١٣) المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (ت ٣٤٦ هـ) . مروج الذهب ومعادن الجواهر ، الجزء الأول تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، ١٩٨٢م دار المعرفة - بيروت - لبنان .

(١٤) المقربرى : أحمد بن على بن عبد القادر (٨٣٤ هـ) الأمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الإسلام - القاهرة - ١٨٩٥م .

(١٥) ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى البغدادى (ت ٦٢٦ هـ) . معجم البلدان ، الجزء الخامس ، بيروت ١٩٨٤م .

ثالثاً : المراجع العربية :

(١٦) إبراهيم : محمد عبد الفتاح أفريقية من مصب الكونخو إلى منابع النيل فى هضبة البحيرات . مكتبة الإنجلو المصرية ، المطبعة الفنية ، مارس ١٩٦٨م .

(١٧) أحمد : حسن مكى محمد التبشير المسيحى فى العامة المثلة الدار الوطنية للطباعة والنشر ، الخرطوم ، ديسمبر ١٩٨٢م .

- (١٨) أبو بكر: على الشيخ أحمد الدعوة الإسلامية المعاصرة فى القرن الإفريقى دار أمين للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
- (١٩) إسحاق : محمد عبد العزيز نهضة أفريقية الهيئية المصرية العامة للتأليف والنشر ، فبراير ١٩٦٤م
- (٢٠) بكر : سيد عبد المجيد الإقلييات المسلمة فى أفريقية الجزء الثانى ، سلسلة دعوة الحق ، إدارة الصحافة برابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة رمضان ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- (٢١) بدوى : عبده مع حركة الإسلام فى أفريقية - الهيئية المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ ، المطبعة الثقافية
- (٢٢) البهي : محمد الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالإستعمار الغربى - بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٧٣م .
- (٢٣) التميمي : عبد الملك خلف التبشير فى منطقة الخليج العربى منشورات شركة كاظمة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٩٨٢م الكويت .
- (٢٤) ترمجهام : سبنر الإسلام فى شرق أفريقية ترجمة : محمد عاطف النواوى ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م ، المطبعة الفنية .
- (٢٥) جمعة : إبراهيم قصة الكتابة العربية ، عدد ٥٣ من سلسلة اقرأ القاهرة بدون تاريخ
- (٢٦) الجمل : شوقى عطا الله تاريخ إفريقية الحديث والمعاصر - مكتبة الإتجلو المصرية ، بدون تاريخ .

- (٢٧) الجمل : شوقى عطا الله تاريخ كشف أفريقيا وإستعمارها - مكتبة الإنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م
- (٢٨) الجمل : شوقى عطا الله ، وعبد الله عبد الرزاق الوثائق التاريخية دراسة تحليلية لبعض الوثائق باللغتين الإنجليزية والفرنسية - القاهرة - بدون تاريخ
- (٢٩) حوارني : فضلو العرب والملاحه البحرية فى المحيط الهندى القاهرة ١٩٥٨م ترجمة يعقوب بكر .
- (٣٠) حسن : حسن إبراهيم إنتشار الإسلام فى القارة الإفريقية. الطبعة الثانية ١٩٦٣م - مكتبة النهضة المصرية
- (٣١) حماد : حسني أحمد السيد تاريخ الإستعمار البريطانى فى كينيا الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٧م.
- (٣٢) حراز : السيد رجب أفريقية الشرقية والإستعمار الأوروبى دار النهضة العربية - ١٩٦٨.
- (٣٣) الحداد : علوى بن طاهر بن عد الله المدخل إلى تاريخ الإلام بالشرق الأقصى دار الفكر الحديث ، ١٩٧١م.
- (٣٤) اللحيان : صالح الجهاد فى الإسلام بين الطلب والدفاع الرياض ١٩٨٠م.
- (٣٥) الحداد : محمد أحمد مشهور حقائق تاريخية العرب والإسلام فى أفريقية الشرقية الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م ، دار الفتح.

- (٣٦) الحداد : محمد أحمد مشهور أفريقية ين التوحيد والتثليث الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
- (٣٧) الحويرى : محمود أحمد ساحل شرق أفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالى دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٨٦
- (٣٨) خلف الله : عبد الغنى عبد الله متقبل أفريقيا السياسى تاريخ شعوب القارة الحديثه وأوجه التطور المحتملة فيه. مؤسسة المطبوعات الحديثة - الطبعة لثانية ١٩١٦م
- (٣٩) خالدى : مطفى خالدى ، وعمر فروخ التبشير والإستعمار فى البلاد العربية بيروت ١٩٨٣م ، الطبعة الثالثة.
- (٤٠) دياب : أحمد إبراهيم لمحات من التاريخ الإفريقى الحديث الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٩٨١م
- (٤١) رزقانة : إبراهيم العائلة البشرية القاهرة - ١٩٥٠م
- (٤٢) رياض : زاهر إستعمار القارة الإفريقية وإستغلالها دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦م
- (٤٣) ريفا : عبد الجليل التبشير فى أفريقية المطبعة العسكرية ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م
- (٤٤) رفلة : فيليب الجغرافية الساسية لأفريقية القاهرة ١٩٦٥م
- (٤٥) ابن رزىق : الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيد بين تحقيق : عبد المنعم عامر ، القاهرة ، ١٩٧٧م

- (٤٦) زيدان : جورجى تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر الجزء الأول ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- (٤٧) الزبيدى : محمد حسين هجرة العرب والمسلمين إلى شرق أفريقيا مجلة المؤرخ العربى ، العدد الثالث والعشرون ١٩٨٣م .
- (٤٨) زكى : عبد الرحمن الإلام والمسلمون فى شرق أفريقيا مطبعة يوسف بالقاهرة ١٩٦٥م .
- (٤٩) زغلول : سعد عبد ربه العرب والإفريقيون فى مواجهة الإستعمار الألمانى فى شرق أفريقيا القاهرة ١٩٧٧م
- (٥٠) سرور : محمد جمال الدين النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب القاهرة ١٩٦٤م .
- (٥١) سعودى : محمد عد الغنى أفريقيا ، دراسة فى شخصية الأقاليم القاهرة ١٩٧٦م .
- (٥٢) صفى الدين : صفى الدين محمد أفريقيا بين الدول الأوروبية القاهرة ١٩٥٩م .
- (٥٣) طاهر : أحمد أفريقيا ، فصول من الماضى والحاضر دار المعارف ١٩٧٥م .
- (٥٤) طه : جاد محمد دور بريطانيا وألمانيا فى تفكيك سلطنة زنجبار معهد البحوث والدراسات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٧م

- (٥٥) العدوى : إبراهيم العروبة فى شرق أفريقية مجلة نهضة أفريقية ، العدد ١٨، مايو ١٩٥٩ م .
- (٥٦) العمرى : أحمد سويلم الإفريقيون والعرب المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٧ م.
- (٥٧) عاشور : سعيد عبد الفتاح بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة فى العصور الوسطى. مقال فى المجلة التاريخية المصرية العدد ١٤، عام ١٩٧٧ م
- (٥٨) عابدين : عبد المجيد بين العرب والحبشة ، القاهرة ١٩٤٧ م
- (٥٩) العاني : عبد الرحمن عبد الكريم عمان فى العصور الإسلامية الأولى ودور أهلها فى المنطقة الشرقية من الخليج العربى وفى الملاحة والتجارية الإسلامية بغداد - ١٩٧٧ م .
- (٦٠) عبد الملك الإشتراكية فى تنزانيا دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧ م .
- (٦١) عيسى : محمود خيرى العلاقات العربية الإفريقية دراسة تحليلية فى إبعادها المختلفة دار الطباعة الحديثة ١٩٧٨ م
- (٦٢) غلاب : محمد السيد تطور الجنس البشرى طبعة رابعة ، مكتبة الإنجلو ١٩٧٠ م
- (٦٣) غيث : فتحى الإسلام والحبشة عبر التاريخ القاهرة ، شركة الطباعة الفنية المتحدة بدون تاريخ.

- (٦٤) قاسم : جمال زكريا الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشف الجغرافية وبدء حركة الإستعمار معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٥ م .
- (٦٥) قاسم : جمال زكريا الأصول التاريخية للعلاقات العربية لإفريقية مطبعة الجبلاوى ، ١٩٧٥ م
- (٦٦) قاسم : جمال زكريا دولة بورسعيد فى عمان وشرق أفريقية " ١٧٤١م - ١٨٦١م " مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٧م .
- (٦٧) قاسم : جمال زكريا استقرار العرب بشرق أفريقية منشور بحوليات أداب عين شمس ، المجلد العاشر ١٩٦٦م .
- (٦٨) كامل : عبد العزيز قضية كينيا دار القلم - ١٩٦١م
- (٦٩) محمود : حسن أحمد الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية دار الفكر العربى ، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م
- (٧٠) محمد : عبد الله نجيب دراسات فى الأدب السواحلي مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- (٧١) محمد : محمد عوض الشعوب والسلالات الأفريقية القاهرة ١٩٦٥م
- (٧٢) مالكي : سليمان عبد الغنى سلطنة كلوة الإسلامية دار النهضة العربية ١٩٨٦ ، الطبعة الأولى .
- (٧٣) مكرم : محمد مختار أمين أضواء حول أفريقية المطبعة الفنية الحديثة تقديم الكتاب القاهرة ١٩٦٥م .

(٧٤) النفيرة : محمد عبد الله إنتشار الإسلام فى شرقي أفريقيا ومنا هضة الغرب له دار المريح ١٩٨٢م.

(٧٥) يحيى : جلال تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر المكت الجامعى الحديث ١٩٨٤م المطبعة العصرية.

(٧٦) يحيى سيد أحمد التصير فى القرن الإفريقي ومقاومته دار العمير ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

(٧٧) يونس : محمد عبد المنعم أوغندا بين الإستعمار البريطانى والكفاح الوطنى دا القلم ، بدون تاريخ تقديم الكتاب بتاريخ ١٩٦٠م.

رابعا : مراجع أجنبية مترجمة للغة العربية :

(٧٨) أوليفر : رولاند أوليفر ، وجون فيج موجز تاريخ أفريقيا ترجمة : دولت أحمد صادق ، الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٦٥.

(٧٩) أوليفر : رولاند تاريخ أفريقيا ترجمة عقلية محمد رمضان - القاهرة ١٩٦٤م.

(٨٠) أرنولد : سير توماس وأورنولد الدعوة إلى الإسلام بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين إسماعيل النحراوى - الطبعة الأولى ١٩٤٧م.

(٨١) بولم : دنيس الحضارات الإفريقية ترجمة على شاهين منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٧٤م.

(٨٢) بانيكار : مادمو ثورة أفريقية ترجمة : خيرى حماد دار الطليعة للطباعة - بيروت ١٩٦٢م.

- (٨٣) ترمنجهام : سبنسر الإسلام فى شرق أفريقيا ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوى المطبعة الفنية الحديثة الطبعة الأولى ١٩٧٣م.
- (٨٤) جوليان : شال أندريه تاريخ أفريقيا ترجمة : طلعت عوضى أباطة - مراجعة : عبد المنعم ماجد - القاهرة ١٩٦٨م.
- (٨٥) جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية نقله إلى العربية الأمير يوسف كمال - طبعة مصر ١٩٧٢م.
- (٨٦) دات : ر. بالم أزمة بريطانيا الإستعمارية ترجمة : عادل أحمد ثابت مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر ١٩٥٦م.
- (٨٧) دافيدسن : بازل أفريقيا تحت أضواء جديدة ترجمة : جمال محمد أحمد أديس أبابا ١٩٦١ ، دار الثقافة للطباعة.
- (٨٨) دافيدسن : بازل أفريقيا القديمة تكتشف من جديد ترجمة نبيل بدر ، ومحمود شوقى الكبال القاهرة ، بدون تاريخ.
- (٨٩) رو : جان بول الإسلام فى الغرب ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز بيروت الطعة الأولى ١٩٦٠م.
- (٩٠) ستودارد : لوثرروب حاضر العالم الإسلامى ترجمة : عجاج تويهض المجلد الثانى الجزء الثالث دار الفكر - الطبعة الرابعة - ١٩٧٤م.
- (٩١) فوتيه : كلود أفريقيا للأفريقيين ترجمة : أحمد كمال يونس دار المعارف ١٩٧٨م.
- (٩٢) لويد : ب . س أفريقيا فى عصر التحول الاجتماعى ترجمة : شوقى جلال مطابع اليقظه ١٩٦٩م.

(٩٣) وديس : جاك ووديس أفريقية على طريق المستقبل ترجمة : أحمد فؤاد بلبع الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣ م.

خامساً : الدوريات والتقارير :

(٩٤) إبراهيم : على حافظ تقرير عن مشاكل الدعوة وما يواجهه المسلمين في منطقة كينيا وخاصة في المناطق النائية رقم التقرير : ت/٩٥/٨٧ التاريخ ٥ / ٨ / ١٤٠٠ هـ من دار الافتاء والدعوة والإرشاد في نيروبي .

(٩٥) هكذا يعمل المبشرون في القارة الإفريقية مقال في جريدة أخبار العالم الإسلامي في عدد رقم ٥٦٤ وتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٣٩٨ هـ

(٩٦) بهتي : محمد أكرم ملخص بالأنشطة التي قامت بها جمعية شبان المسلمين إعداد رئيس الجمعية محمد أكرم بهتي دار السلام - تنزانيا.

(٩٧) باجي : محمد أحمد نماذج بين يدي رجال الدعوة جريدة أخبار العالم الإسلامي العدد ٤٠٧ الصفحة السابعة - الإثنين ٢ / ١٢ / ١٣٩٤ هـ

(٩٨) بدوى : زكى المبشرون يعلمون الأفارقة جريدة المدينة المنورة ، الثلاثاء ٣ / ٤ / ١٣٩٧ العدد ٣٩٣٥ الصفحة ١٢

(٩٩) بلعلا : سالم محمد تقرير عام عن أحوال المسلمين في كينيا مشاكل وحلول أعداد رئيس المجلس الأعلى لمسلمي كينيا ص . ب : ٣٠٠٠٧ نيروبي كينيا.

(١٠٠) التركي : عبد الله أفيقيا الإسلام مقال في جريدة الدعوة العدد ١٩٥ .

- (١٠١) الحداد : محمد أحمد مشهور مسيرة الإسلام فى أوغندا فى جريدة أخبار العالم الإسلامي إعداد ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
- (١٠٢) الحداد : محم أحمد مشهور الدعوة والدعاة فى قارة أفريقية مقال فى جريدة الندوة ليوم الإثنين الموافق ٨ / ٤ / ١٣٩٣ هـ.
- (١٠٣) الحداد : محمد أحمد مشهور حقيقة الأوضاع فى زنجبار قبل وبعد مقتل الطاعية كرومي جريدة أخبار العالم الإسلامي - العدد ٢٧٥ الإثنين ١٨ / ٣ / ١٣٩٢ هـ
- (١٠٤) الحداد : محمد أحمد مشهور ماذا تعرف عن الإسلام والملمين بدول شرق أفريقية - جريدة الندوة ، ١٣ / ٦ / ١٩٨٧ هـ.
- (١٠٥) الخطيب : عبد الكريم دور الإستعمار والتبشير بين التيارات المعادية للإسلام جريدة عكاظ بجده ، عدد رقم ٤٠٣٣ ، بتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٣٩٧ هـ.
- (١٠٦) سليمان : محى الدين محمد مصيلحي الإستعمار الأوروبي فى كينيا وتطور نظام الحكم فيها - ١٩٢٣ - ١٩٥٢ رسالة ماجستير غير منشورة - بمعهد الدراسات والبحوث الإفريقية - القاهرة - جامعة القاهرة.
- (١٠٧) الشمعة : محمد سمير بين التبشير وواقع المسلمين مجلة البلاغ ، بالكويت ، العدد ٤٥٦ ، بتاريخ ٣ / ٨ / ١٣٩٨ هـ.
- (١٠٨) شقصى : سليمان عبد الله صالح تقرير عن نشاط جمعية المسلمين فى تنزانيا ومساهمتها فى دفع إنتشار الإسلام.

(١٠٩) صالح : عبد الرحمن الإتصالات الأوروبية الأولى بالشرق الإفريقي
فى مجلة نهضة أفريقية ، العدد ٧٣ السنة السابعة - ديسمبر ١٩٦٣ م.

(١١٠) صالح : على محمد تقرير مكتوب يد الشيخ على محمد صالح مبعوث
رابطة العالم الإسلامى فى نيروبي عن المشاكل التى تواجه المسلمين
فى كينيا.

(١١١) الصيرفى : نوال حمزة يوسف الجهاد الإسلامى فى شرق أفريقية فى
القرن العاشر الهجرى رسالة دكتوراه لم تنتشر عد من جامعة أم
القرى بمكة - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

(١١٢) الجبيد : عبد الله حامد محاضرات فى تاريخ دول الطراز الإسلامى
لطلاب السنة المنهجية بالدراسات العليا التاريخية بكلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة عام ١٤٠٤ هـ.

(١١٣) عطوة : محمد المسلمون فى أوغندا يواجهون الفقر والتبشير
والصهيونية فى مجلة الفكر الإسلامى - شعبان ١٤٠٥ هـ.

(١١٤) عبد ربه : سعد زغلول الإستعمار الألمانى فى شرق أفريقية "
١٨٨٤م - ١٩١٨م " رسالة دكتوراه غير منشورة فى جامعة
الأسكندرية.

(١١٥) عبد العزيز : نوال على محمد العر فى شرق أفريقية ، من القرن
الثامن الميلاد حتى تدخل البرتغال فى القرن الخامس عشر الميلادى
رسالة ماجستير لم تنتشر ١٩٨٠م ، فى جامعة القاهرة تحت رقم ٧٠٩
قسم التاريخ.

(١١٦) محمد : محمد سيد سلطنة زنجبار الإسلامية بين الإنجليز والألمان في مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، العدد الثاني جمادى الثانية ١٣٩٨ هـ مايو ١٩٧٨ م .

(١١٧) محمد : محمد سيد المديرية الإستوائية ١٨٦٩ - ١٨٨٩م مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي العدد السادس ١٤٠٣ / ١٤٠٤ هـ .

(١١٨) محمد : محمد سيد أوغندة قبل الحماية البريطانية مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية السنة الثالثة ١٣٩٧ / ١٣٩٨ هـ العدد الثالث .

(١١٩) تقرير عن جهود الرابطة لدعم الإسلام لمواجهة الحركات المعادية للإسلام في أفريقية إعداد : إدارة مواجهة التنصير والتيارات الهدامة برابطة العالم الإسلامي .

(١٢٠) محمد : عبد الله نجيب أهداف المسيحية العالمية في أفريقية في ملة الأزهر - السنة الثامنة والخمسون الجزء العاشر - شوال ١٤٠٦ هـ يونيو / يوليو ١٩٨٦ م .

(١٢١) محمد : عبد الله نجيب حصاد الدعوة الإسلامية في وسط أفريقية في مجلة الأزهر - الجزء الثاني ، السنة التاسعة والخمسون - صفر ١٤٠٧ هـ أكتوبر ١٩٨٦ م .

(١٢٢) محمد : عبد الله نجيب ظاهرة التوفيق التدريجي بين الثقافة الإسلامية والثقافات الإفريقية المحلية في مجلة منبر الإسلام ، العدد الخامس ، السنة الثالثة والأربعون - جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ فبراير ١٩٨٥ م .

(١٢٣) محمد : عبد الله نجيب الحرب على العربية فى أفريقية فى مجلة منبر الإسلام بالقاهرة العدد الثامن السنة الرابعة والأربعون شعبان ١٤٠٦ هـ إبريل ١٩٨٦م.

(١٢٤) مرقص : جرجس عريان التنافس بين البعثات التبشيرية فى أوغندا وأثره على إستعمارها فى الفترة من ١٨٧٤م — ١٨٩٦م رسالة ماجستير لم تنتشر بعد ، القاهرة ١٩٧٥م فى معهد البحوث والدراسات الإفريقية تحت رقم ١٤.

(١٢٥) مؤلف مجهول : تاريخ الزنج فى مجلة نهضة أفريقية عدد ١٢ ، ١٣ لسنة ١٩٥٨م.

(١٢٦) مكاوى : فوزى مملكة أكوم " رسالة دكتوراه غير منشورة " ، فى معهد الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٤م.

سادسا : الوثائق الاجنبية :

أ (أرشيف السجلات البريطانية العامة :

Public Record Office

Files Nos

F.O .403 / 127

F.O . 403 / 368

F. 0 . 403 / 396

F . 0 . 84 / 1454

F . 0 . 84 / 1923

F . 0 . 84 / 1815

F . 0 . 84 / 1676

F . 0 . 84 / 2255

F . 0 . 403 / 332

F . 0 . 84 / 1775

F . 0 . 84 / 1854

F . 0 . 84 / 2061

F . 0 . 84 / 2264

F . 0 . 84 / 1776

F . 0 . 84 / 1968

F . 0 . 84 / 1575

F . 0 . 404 / 93

ب (أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية :

Church Missonary Society :

Files Nos

C . M . S . 1888/424

C . M . S . 1890/6

C . M . S . 1898/63

C . M . S . 1896/127

C . M . S . G 3 A5/02

C . M . S . 1897/236

C . M . S . 1900/31

C . M . S . 1910/17

C . M . S . A5/ 017

C . M . S . 1919/53

C . M . S . 1895/44

ج (الارشيف العمومي لحكومة كينيا :

Kenya National Archives :

Files Nos

K.N.A. MAA7/399

K.N.A. MAA/436

K.N.A.CP.3/290

K.N.A. Ed .1/431

K.N.A. Ed.1/1212

K.N.A Ed. 1/936

K.N.A. MAA7/406

K.N.A. Ed.1/670

K.N.A Ed.1/529

K.N.A Ed.1/3307

سابعاً : المصادر الاجنبية :

- 1) Ashe, R , P. : Chronicles Of Uganda , London , 1894.
- 2) Attwater , D : The white Fathers in Africa, London 1937.

ثامناً : المراجع الاجنبية :

- 1) Badmore, G , : Africa Britain's third Empire.
London , 1948.
- 2) Pearce. Z. : The Island Metropolis of Eastern Africa.
London 1920.
- 3) Bierman, : Ashort History Of the Vicariate of the
Upper Nile, Vganda, Kempala, 1921.
- 4) Seetham, T.A. : Chritianity and the New Africa, Ne York,
1947.
- 5) Seurseem,G. : Dector in Africa, 1916.
- 6) Sudge. E,A. : A Hitory of Ethiopia, Nubia and
Abyssinia, vol 1. London 1928.
- 7) Burton : Zanzibar, City I land and Coast, vol 11
London 1886.
- 8) Batten, T,R. : Africa, Past and Present London , 1943.
- 9) Coupland, R., :The Exploitation of East Africa " 1856-
1890 " New York 1947.

- 10) Coupland, R.,: The British Anti-Slavery Movement. London, 1938.
- 11) Coupland, R., : East Africa and Its Invaders From the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856. Oxford 1938.
- 12) Dundas , : Killimanjaro and its people, London 1924,
- 13) Dudoli, H., : Repertoire Africain, Rome 1932.
- 14) Charles , E., : East Africa Protectorate, London 1905.
- 15) Gregory, J.W: The Foundation of British East Africa, New York, 1901.
- 16) Groves, R. , : The Planting of Christianity in Africa, vol 11 London, 1948.
- 17) Johnston, H.: Britain Across the Seas Africa. London, 1910.
- 18) Harrison, P. : Doctor in Arabia , London 1943.
- 19) Hassan, . F : The Institution of The Mombasa Registered Trustees, Mombasa 1946.
- 20) Hichens, W. : Islam to-day, London 1942.
- 21) Hetherwick, A.,: Islam and Christianity in Nyassaland, London, 1927.
- 22) Hoton, S., : The Missionary Campaign, London, 1912.
- 23) Hatchad, A.,: The Church Missionary intelligence and Record, A Monthly Journal of Missionary Information, vol, VII, London 1882.
- 24) Ingrams, H. : Uganda, A Crisis of Nationhood, London , 1940.

- 25) Kenyatta, K. : Facing Mount Kenya, London 1938.
- 26) Krap, L. : Travels and Miionary Labours in East Africa, London 1860.
- 27) Livingstone, D.: Expedition to Lake Nyassa in 1861.
- 28) Kum, H., : African Missionary Heroes and Heroines, New York 1917.
- 29) Livingtone, : Law, London 1865.
- 30) Lovett, R.,: A History of the London Missionary Society, London , 1899.
- 31) Lugard , : The Rise of Our East Africa Enpire, vol 11. London 1893.
- 32) Lyne, R., : Ashort History of Southern East in the Ninteenth Century , London, 1905.
- 33) Mackay, A.: Mackay of Uganda by hi sister, London 1890.
- 34) Matthe, B, : Young Islam and Trek, London 1927.
- 35) Murray, : A Hand Book of Nyassland, London 1932.
- 36) Monroe, P, : The Moslem world of to-day London 1925.
- 37) Morshead,A,E, : The Hitory of the universities Mission to central Africa, 185-1909, London 1909.
- 38) New : Wandering and Labours to Eastern Africa,London 1873.

- 39) Sophia, F.: Uganda's White Man of Work, New York 1913.
- 40) Stock, E. : The History of the Church Missionary society, 3vols., London 1899.
- 41) Stock, S.G. : Missionary Heroes of Africa, London 1898.
- 42) Strong, A.: History of Kilwa, Journal of the Royal Asiatic society, London 1885.
- 43) Smith, E. W.: The Christian Mission in Africa, London 1926.
- 44) Smith, H.M., : Frank, Bishop of Zanzibar, Life of Frank Weston, 1871-1924, New York 1926.
- 45) Swann, A. J.: Fighting the slave Hunters in Central Africa, London 1910.
- 46) Thomas and Scott : Uganda , London 1935.
- 47) Tucker , A. B. : Eighteen Years in Uganda and East Africa, 2 vols., London 1908.
- 48) Wallis, H.R. : The Handbook of Uganda, London, 1920.
- 49) Warner, : A Swahili History of Pate, London 1913.
- 50) Wilson, G.H.: The History of the Universities Mission to central Africa , London 1935.
- 51) Zwemer, M.: Evangelism To-day : Message and Method. London 1912.
- 52) Thomson. J. : The Narrative of the Royal Geographical Society's East central Africa Expedition, 2vols, London 1881.

- 53) Apter, D.E.: The Political Kingdom of Uganda, New Jersey 1961.
- 54) Anderson, W.S.: The church in East Africa, 1840-1974.
- 55) Anderson, : A Brief Account of Christianity in Tanzania, Uganda- 1975.
- 56) Ayot.H.O. : Topic in East African History 1000-1970. Kenyatta University 1975.
- 57) Boiton, K.: The Lion and the lily A guide to Kenya, London, 1962.
- 58) Posnansky, M.: Islam and the Early Christian Missions in Uganda, 1844-1910, Uganda, 1910.
- 59) Pirouet, M.L. : The First War-An Opportunity Missed by the Mission, December 1969.
- 60) Chittick, : The East Coast, Madagascar and the Indian Ocean in Cambridge Hist. of Africa.
- 61) Emerson, R. : From Empire to Nation. Harvard 1960.
- 62) Erik Sahiberg, C. : A Church History of Tanzania, Kenya, Nairobi 1986.
- 63) Fage, K. : A History of Africa, London, 1979.
- 64) Fitzgerald, W.: Africa, A Social, Economic and Political Geography of its Major Regions, London 1955.
- 65) Grenville, F : The Medieval History of the Coast of Tanganyika, London 1962.
- 66) Gray : Trading Expedition From the Coast, Dar- es Salaam 1957.

- 67) Hanna, A, J.: The Beginnings of Nyasaland and North Eastern Rhodesia, 1859-1895. Oxford - 1956.
- 68) Hailey : An African Survey , London 1957.
- 69) Holling sworth, L, W. : Zanzibar under the foreign office, 1890-1913. London. 1953.
- 70) Hansen, H.B.: Mission , church and state in a colonial setting uganda , 1890 - 1925.
- 71) Hodges , M.: East African History or the certificate year, London , 1971.
- 72) Hassan, , F.: The tunstit ution o the Muslim Association, Mombasa regitered Trutees, Mombasa , 1946.
- 73) Harlo, vi : Hitory o East Africa, 2 vols., Oxford, 1965.
- 74) Ingham, k,: A Hitory of East Africa, New York, Washington.
- 75) Ingham, k, : The Making of Modern Uganda, London 1958.
- 76) Kamm, J. : Explorer into Africa , London.
- 77) Kelly, D.N. : Early christian Doctrine, London 1958.
- 78) Kinghall, R.: The Year Book of Education, London 1956.
- 79) Kittler, G : The white Fathers, London 1957.
- 80) Knappert, J.: Swahill Islamic Poetry , vol 1, London 1971.

- 81) Kigging , T. : A serving people, Oxford, 1974.
- 82) Kasozi,A. : The spread of Islam in Uganda, Khartoum 1987.
- 83) Kavlu , D. : The Uganda Martyrs, Uganda 1989.
- 84) Kakai,J. : An Attempt At Fostering Mutual understanding Between Christians and Muslim, Kenya, 1980.
- 85) Loftus, E. : A Visual History of East Africa, London.
- 86) Low, D. : History of East Africa, 3 vol., Oxford 1976.
- 87) Mahmud ,S.: Christian Missions and Western Ideas in Syrian Muslim World 1918-1960, London 1968.
- 88) Mukherjee, R.: The problem of Uganda, Berlin 1956.
- 89) Miles , S, B, : The Countries and Tribes of the Persian Gulf, London 1966.
- 90) Marsh, Z, and , King snorth , G. : An Introduction to the History of East Africa, Cambridge 1961.
- 91) Mbiti , S, : Kenya Churches Hand Book , Kenya 1973.
- 92) Oliver , R. : The Dawn of Africa History , London.
- 93) Oliver, R. : The Missionary Factor in East Africa, London 1952.
- 94) Oliver, R. : Some Factors in the British Occupation of East Africa, 1884-1894, Uganda Journal vol XV March 1951.

- 95) Oliver, R, and Mathew, G. : The History of East Africa, 2 vol., Oxford 1960.
- 96) Okoth, A. : A History of Africa, 1855- 1914, Kenya 1979.
- 97) Ramda, R. : Revision History , Paper 1, History of East Africa, Nairobi.
- 98) Sikkery, A. : Africa , A Social Geography , London , 1973.
- 99) Shadem , R. : King Leopold's Congo, London 1962.
- 100) Salim , A.I. : Swahili speaking people of Kenya's Coast, 1895- 1965, Nairobi 1973.
- 101) Ssekamwa, J.C. : A Sketch Map-History of East Africa, London 1971.
- 102) Strayer , R. W. : The Making of Mission Communities in East Africa , Anglicans Africans in Colonial Kenya, 1875-1935. New York Press 1978.
- 103) Taylor, J. : The Growth of the Church in Buganda, London, 1958.
- 104) Tuna, T. : A Century of Christianity in Uganda, 1877-1977. Phares Mutibwa 1976.
- 105) Trimingham, S. : Islam in Ethiopia , London 1976.
- 106) : Islam in East Africa, Oxford 1964.
- 107) Tuna , T. : Building Ugandan Church 1891-1940. Nairobi 1980.
- 108) Tenu, A. J.: British Protestant Missions, Dar-es-Salaam 1972.

- 109) Wriah, M.: German Missions in Tanganyika, 1891-1941, Oxford 1971.
- 110) Ziwa-Kizito, M. : The Revival of Islam in Uganda, Kampaia, Uganda.

- 111) The Standard , Kesuy, 3.8. 1988,
“ Mwembe, k. : The is land that resisted change .”
- 112) The Shariat KampalamZulkaada 1408 (July 1988,
Dr. Kiyonga presents the Toughest budcet in Upanda
History .
- 113) Spencer , Leonpharr :
Chridtion Missions and Africa Interests in Kenya,
1905- 1924.
Submitted in partial fulfillment of the reauirements for
the degree of Doctor of Philoophy in History in the
Graduate school of Syracus University , New York,
November 1974.
- 114) Kenya Institute of Ilamic Education.
Religiou Education
Nairobi 1988.
-) Daily Telegraph , 15 November 1875, Letter from
Stanley on his Journey to victoria Nyanz and
Circumnavigation of the Lake, British Museum .
- 116) To The Point Inter National London 23.5.1977.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
	تمهيد : الوجود العربى الإسلامى فى شرق إفريقيا حتى القرن
٤١	الثالث الهجرى
٤٢	أ - العلاقات بين الجزيرة العربية وبين الساحل الشرقى لإفريقية
٦٨	ب - الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا
٩٧	ج - الإمارات الإسلامية التى قامت فى شرق إفريقيا
	الفصل الأول
١١٣	الرساليات التنصيرية فى شرق إفريقيا
	أ - البروستانت
١١٥	١ - جمعية الكنيسة التنصيرية البريطانية
١٤٧	٢ - الرسالية الجامعية لوسط إفريقيا
١٦٢	٣ - جمعية لندن التنصيرية
	ب - الكاثوليك
١٨٦	١ - جمعية الروح القدس ومركز الآباء السود فى زنجبار
	٢ - رسالية الآباء البيض فى منطقة بحيرة فكتوريا وبحيرة
١٩٦	تلجانيقا
	الفصل الثانى
	مبادرة الرساليات للتخلص من النفوذ العربى الإسلامى فى
٢١٥	شرق إفريقيا .
	أ - الوقوف ضد التجار العرب والسواحليين وعرقلة نشاطهم
٢١٧	التجارى والإسلامى فى أوساط الأفارقة

الصفحة	الموضوع
٢٦٦	ب - محاربة اللغة العربية والسواحلية وتشجيع اللهجات المحلية الفصل الثالث
٢٨٩	أ - طبيعة ومناهج العمل التنصيرية
٣١٢	ب - التنصير عن طريق التعليم
	الفصل الرابع
٣٥٧	دور الاستعمار في دعم العمل التنصيري
٣٥٩	أ - السياسة البريطانية
٣٩٢	ب - السياسة الألمانية
	الفصل الخامس
	حركات المقاومة والجهاد الإسلامي ضد التحالف الإستعماري الصليبي
٤١٩	أ - الجهاد الإسلامي وطرد المنصرين من أوغندا
	ب - موقف العلماء والدعاة في الساحل وزنجبار من الغزو التنصيري في المجتمعات العربية الإسلامية
٤٣٥	الخاتمة والتحليل والنتائج
٤٥٥	المراجع
٤٧٣	الفهرس
٥٠٢	